مجلة جمعية الآثاريين العرب

مجلة علمية سنوية محكمة - تعنى بنشر البحوث والدراسات المتخصصة

في مجال آثار الوطن العربي وحضاراته

يصدرها

المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي التابع لاتحاد الجامعات العربية

العدد الأول - رمضان ١٤٢١ هـ - يناير ٢٠٠٠ م

المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي - المدينة الجامعية للطلاب - جامعة القاهرة - شارع ثروت - رمز بريدي ١٢٦١٣

ت: ٥٦٧٦٠٣٦ - ٥٦٧٦٠٤٨ - ٥٦٧٦٠٥٥ ف: ٧٦٠٢٦٥٨ (٢٠٢)

بريد إلكتروني E-mail: acgssr@Intouch.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد تقديم البحوث للنشر

طبقا للقواعد المقررة للنشر فإن المجلة ترجو من السادة الباحثين الالتزام بما يلي :-

1- أن يكون البحث جديداً ولم يسبق نشره في أية دورية أخرى.

2- أن يكون عدد صفحات البحث عشرين صفحة من قطع A4,ومزوداً بملخصين واحد باللغة العربية والآخر بلغة أجنبية .

3- أن تتبع القواعد العلمية فى إثبات مصادر و مراجع المقالات و الأبحاث وفقاً للترتيب التالى :-

(اسم المؤ لف – عنوان الكتاب – دار النشر – مكان النشر – التاريخ – الجزء – الصفحة) علي أن تكون الهوامش مسلسلة بأرقام متتابعة من ا-100 مثلاً وأن تكون أسفل كل صفحة وليس في نهاية البحث، علي أن تكون الهوامش بنط 12 أسود.

4- أن ترد المقالات مطبوعة وفق نظام الناشر المكتبى "IBM" بنط (14) والعنوان الرئيسي بنط (20) أسود ، والعناوين الفرعية بنط (16) ويرفق مع البحث عدد 2 ديسك.

5- أن ترد المقالات بعد تصحيحها لغوياً .

6- يشترط في حالة وجود لوحات أن تكون اللوحات مصورة فوتوغرافياً أو تكون علي Scanner .

7- تستقبل المجلة أيضاً البحوث المدونة باللغة العربية أو اللغات الأجنبية .

* علماً بأن المجلة لا تلتزم برد المقالات التى لا توافق لجنة التحكيم على نشرها .

يرجى في حالة الاستفسار أو الرغبة فى إرسال مقالات الاتصال بنا على العنوان التالى :-

جمعية الآثاريين العرب – المجلس العربى للدراسات العليا و البحث العلمى –جامعة القاهرة – المدينة الجامعية للطلاب –شارع ثروت –رقم بريدى 12612 الجيزة –جمهورية مصر العربية0

تليفون:-5676036 –5676055 – 5676048

فاكس :-7602658 E. Mail: acgssr @Intouch . Com

ملحوظة : -

سوف نقوم بطباعة البحث بمقابل مادى قدره مائتي وخمسون جنيهاً مصرياً أو ما يقابلها بالعملات الأخرى . وفى حالة وجود لوحات فوتوغرافية أو مخططات معمارية يدفع عن كل لوحة عشرة جنيهات وعن كل مخطط خمسة جنيهات أو ما يقابلها بالعملات الأخرى .

والله ولى التوفيق ،

❖ إدارة اتحاد الجامعات العربية والمجلس العربي :

رئيس مجلس الإدارة :
أ.د. نجيب الهلالي جوهر
رئيس جامعة القاهرة – ورئيس مجلس إدارة المجلس العربي .
نائب رئيس مجلس الإدارة :
أ.د. محمد علي طه شهيب
نائب رئيس جامعة القاهرة – ونائب رئيس مجلس إدارة المجلس العربي.
مدير المجلس العربي :
أ.د. محمد حمدي إبراهيم .
نائب مدير المجلس العربي :
أ.د. ضياء أحمد القاضي .

❖ أسرة تحرير مجلة جمعية الآثاريين العرب :
رئيسا التحرير :
أ.د. علي رضوان .
مقرر عام جمعية الآثاريين العرب .
أ.د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري
نائب مقرر عام جمعية الآثاريين العرب .
مديرا التحرير :
أ.د. محمد محمد الكحلاوي
أمين عام جمعية الآثاريين العرب .
أ.د. يوسف الأمين
الأمين المساعد لجمعية الآثاريين العرب .
لجنة التنسيق والمراجعة :

د. أحمد سعيد(كلية الآثار)	أ. ياسر إسماعيل (كلية الآثار)
أ. زينب محمد عبد الحميد (جمعية الآثاريين العرب)	أ. خالد درويش(مخطط برامج)
أ. مروة عبد المنعم حامد(جمعية الآثاريين العرب)	أ. سوزان محمد (جمعية الآثاريين العرب)
أ. نعمه فاروق (المجلس العربي)	أ. شيماء حسن (جمعية الآثاريين العرب)

تقديم

حرصت إدارة جمعية الآثاريين العرب منذ أن تولت مسئوليتها، أن تحقق كافة الأهداف التي وضعتها عند تأسيس الجمعية، والتي كان من أبرزها إصدار مجلة علمية يتلاقى فيها الباحثون العرب من الآثاريين، وذلك من أجل تفعيل دور البحث العلمي في مجال الآثار، وإيجاد لغة مشتركة بين الآثاريين العرب تعمل علي ترسيخ مفهوم وحدة التراث والتاريخ واللغة بين أقطار وطننا العربي الكبير ، إلي جانب محاولة توحيد المصطلح الأثري لإماطة اللثام عن المصطلحات الإقليمية؛ ومن جانب آخر الاتفاق علي صياغة مصطلحات مشتركة بين الباحثين العرب، تعمل علي صهر كافة المعوقات التي تقف أمام تقدم سبل البحث العلمي .

ويسعد إدارة جمعية الآثاريين العرب أن تهنئ أعضاءها الكرام بصدور العدد الأول من مجلتها العلمية،التي تضمنت مجموعة قيمة من البحوث في مجالات الآثار المختلفة .

وتهيب إدارة الجمعية بالأخوة الأعضاء أن يعملوا علي تعضيد هذه الأوعية العلمية وتفعيلها، وهي أوعية علمية تصدر عن جمعية الآثاريين العرب، وتهدف إلي دعم سبل الترابط بين الآثاريين العرب، والنهوض بمستوى البحث العلمي في مجال الدراسات الأثرية .

والله من وراء القصد وهو يهدي إلي سواء السبيل.....

Scanned by CamScanner

المسلسل	اسم الباحث	الموضوع	رقم الصفحة
.1	أ.د.أحمد عبد الحميد يوسف	شبهات في مطالع عهد رمسيس الثاني	6 : 1
.2	أ.د.أحمد عبد القادر الصاوي	أضواء جديدة علي مواقع أبوللو الأثرية .	32: 7
.3	أ.د.حسن الباشا	صناعة الحرير وتجارته في عصر المماليك من خلال النقوش الأثرية .	51 : 33
.4	د.حمزة عبد العزيز بدر	القلاع والحصون العمانية .	83 : 52
.5	أ.د.عبد الهادي التازي	ظاهرة الصوامع المثمنة الشكل بشمال المغرب .	86 : 84
.6	أ.د.عزت زكي قادوس	رأس منحوتة من الحجر الجيري في هوارة بالفيوم.	89 : 87
.7	أ.د .فوزي مكاوي أ.د. علي رضوان	بوتو(تل الفراعين) مركز الثقل ومعقل الزعامة السياسية للدلتا قبل وحدة القطرين.	96 : 90
.8	أ.د.محمد إبراهيم بكر	اكتشاف مستوطنة بشرق الدلتا من العصر العتيق.	100 : 97
.9	أ.د.محمد الباجي بن مامي	جوامع تونس وأبنيتها في العصر العثماني .	115 : 101
.10	أ.د محمد بهجت القبيسي	قانون كاراكالا ومذبحة الإسكندرية (خريف عام 215 م) وتبرئة كاراكالا من أنه كان ضد الشعب المصري صاحب الأرض .	128 : 116
.11	أ.د.محمد بيومي مهران	الحضارتان الوهرانية والقفصية	143 : 129

.12	أ.د./ محمد محمد الكحلاوي	فكرة التماثل والاتزان في العمارة الإسلامية .	252: 144
.13	أ.د. ناهض عبد الرازق دفتر	النقوش والكتابات علي المسكوكات الأموية .	264 : 253
.14	د. زينـــــــــب محروس	The role of IW in the adverbial sentenc in middle Egyptian .	1: 7

شبهات في طلائع عهد رمسيس الثاني

أ.د. أحمد عبد الحميد يوسف•

كان فيما اختط رمسيس الثاني – ما أن صعد أبوه إلي السماء تاركاً له العرش والحكم ينفرد من بعده بهما – أن يبادر بزيارة أمون ملك الآلهة والاحتفال بعيد أوبه في واسة (طيبة) برهاناً علي تقواه وسخائه نحو معبده وكسباً لتأييد كهانة من وراء كبيرهم "نبت وننف"، يدعمون ما هو حريص عليه أو يحتاج إليه من سلطان ويعلون كلمته. وما ندرى لعلهم بذلك يقضون علي ما عساه كامناً في بعض النفوس والضمائر من شبهة في إرث العرش وحق لمن سواه فيه، وأن ينطلق من بعد تلك الزيارة إلي مدينة برعمسي، التي آثرتها أسرته حيث نشأت، عاصمة للبلاد شرقي الدلتا، علي أن يعرج في طريقة إليها علي أبجو (أبيدوس) موطن أوسير وكهانة ومرقد ملوك مصر الأوليين، ويلم هناك بمعبد أبيه الذي لم يكتمل لينظر في استكماله، حيث عمد هناك فيما نسميه بلغتنا الحديثة إلي عقد مؤتمر واسع النطاق لبيعته أو لتجديد بيعته ملكاً علي مصر، إذ كلف مستشاره أو حامل ختمه باستدعاء مدير السجلات وكبار رجال الدولة وأقبلوا عليه يزفون.

جاءوا منشدين، بما صاغوا وصاغ أنصاره –علي أسلوب المصرى العريق- من قصائد المدح والإطراء ما يتوقعه ويرضيه، ويرتد عليهم بما يتطلعون إليه ويطمعون فيه من نفع أو مزيد من نفع مأمول، ويغرس في صاحب الجلالة نزعة من خيلاء رسخت في أعماقه منذ ذلك الزمان. وكان مؤتمر أبجو هذا –باصطناع عباراتنا الشرقية- صادراً عن سياسة مرسومة، أو بعبارة المغفور له الاتحاد الاشتراكي "خطة عمل ووحدة فكر" يذكر فيه رمسيس بما كان احتفل أبوه به –إن كان احتفل- من ترقيته ولياً للعهد وتنص[illegible]يكاً لأبيه في الملك، ويعلن فيه وتعلن بطانته تأكيد منزلته بكراً لأبيه وتأكيد حق لا ينازع عليه من ثم في العرش، وبما لا ينبغي بمفهوم المخالفة أن يخالجه شك أو ريب، إذ يروى ما تلقى من عناية أبيه بتنصيبه عن قدر الإله وهو جنين إذ يقول : "لقد خرجت من رع وإن قلتم من ماعت رع / أى شئ/ الذي رباني" فإنما هو بذلك مولود لرع وإبن لرع. ولعل رمسيس بهذه العبارة التي لم يطل عندها الوقوف لاختلاف العصور والأزمان، إنما أراد الإيحاء بمثل ما روج له دعاة الأسرة الخامسة في كهنة الساحر جوى بين يدى خوفو تمهيداً لظفرهم بالعرش، إذ زعموا أنهم ولدوا للإله رع من زوجة كاهن من الشعب، أو بمثل ما أعلنت حاتشبسوت صراحة في معبدها بالدير البحري وتشبة بها أمنحتب الثالث.

• أستاذ الحضارة المصرية القديمة - كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر .

ويتابع رمسيس خطابه فيقول :"وقد عظمني رب العالمين نفسه وأنا طفل حتى توليت الحكم، فقد كان وهب لي الأرض وأنا في البيضة وقد قبل الكبار الأرض بين يدىّ حين رقيت ولداً منسباً علي عرش "جب". وهنا نقف عند لفظين حدوثه: الأول لفظ "بس"
بمعنى رقي أو تقدم أو مضي أو دفع وهو لفظ أرجح الظن أنه من أرومة سامية بحكم ما له من نظير مجانس في العربية كما جاء في قوله تعالي: "وبست الجبال بساً" (سورة الواقعة الآية 5)، وما يناغمه في قوله عز وجل : "وسيرت الجبال فكانت سراباً" (صورة النبأ الآية 20) والثاني "ربع" وكان لقباً يستحبه الأشراف بمعنى سليل الحسب والنسب ثم صار ضمن ألقاب أولياء العهود منذ الأسرة التاسعة عشرة ولعل رمسيس هنا إنما أختار هذا اللفظ أو اختير له هذا اللفظ إشارة إلي نسبه إلي ملك شرعي وملكة شرعية هي موت توى، ومن ثم فهو الأحق ممن عساه ولد قبله من سراري أبيه ولسوف نلحظ الفرق بين ما يتجلى في نص تتويج حور محب من ثقة وقوة لعلها صادرة عن سلطانة العسكرى وعن يقين في كسب العرش حيث لا ينافس يومئذ عليه إذ يقول

.....

.....

Urk.2114.

"لقد عرف يوم سعده ليؤدى له ملكه ..
فثبت ابنه علي عرشه للأبد ..
وليقدمه بين يدي أمون ليهيئ له مكانته

فرق بين قول "حور م حب" وبين أسلوب رمسيس من بعده بما لا يجاوز نيفاً وثلاثين عاماً في تناوله إسناد العرش إليه، إذ يمضى رمسيس مفصلاً ما كان من احتفال أبيه. بتنصيبه ولياً للعهد وشريكاً في الملك فيما روى عن ستى إذ قال: "ولما تجلى أبي للجماهير وأنا شاب في حضنه قال عني: (توجوه ملكاً حتى أرى بهاءه وأنا حي)" كأنما أوجس في نفسه خيفة من اختلاف أحد من أخوته من بعده. ثم أمر"ستى" باستدعاء أهل ــ (ايميوخنت) لتثبيت التيجان علي مفرقه. وعن ستى كذلك قوله "ضعوا التاج علي رأسه .. وليأخذ بزمام هذه الأرض .."ثم زودوني بمدبرات البيوت حريم ملكي من غير القصر .. ونساء وحظايا.
ولم يمض عامان علي مؤتمر ابجو هذا حتى انعقد مؤتمر آخر عن أمر الملك في منف فيما بلغنا عن لوح قوبان من أعمال النوبة، كان مناطه الظاهر البحث في أمر مناجم الذهب ومشقة بلوغها في دروب الصحراء وما يصحب القوافل إليها من عطش مبير. ولكن رمسيس والأنصار لا يفلتون هذه الفرصة فإذا هم بأسلوب دعائي

أريد به إعلام أهل الشمال بما أعلم به أهل الجنوب وإن زادت نبرة المدح فجنحت إلي مزيد من الإغراق في المبالغة، وقد مال الكاتب علي أسلوبنا العربي العريق إلي شئ من محسنات بديعية تسوغ قوله مع تبشير الشعب بما هو مقبل عليه من رخاء إذ يقول: "إنك مثل رع في كافة ما تفعل فما يشاء قلبك من أمر إلا أنطلق (بس) وما تبقى من مبتغى فإذا به صبحا وتواً يكون. لقد بصرنا بكثير من روائعك منذ تجليت ملكاً للأرض .. لسانك ميزان وشفتاك أقوم من صحيح تحوت. ما هذا الذي لا تعرف، ومن ينجز مثلك، وأي أرض لم ترها .. وكل شئ يبلغ مسمعك منذ كنت مفوضاً علي هذه الأرض وأنت في البيضة في موقع الطفل المنسب. تبلغ بشئون الضفتين وأنت يافع تحمل اللمة. لقد كنت الكلمة العليا وأنت غلام ذو سنوات عشر، وكل عمل يشرع كان بيدك أساسه، وإذا قلت للماء أقبل علي الجبل اندفع الفيض عاجلاً (بس). وما ندرى ما حاجة رمسيس إلي تلك المهرجانات والأحاديث المتكررة عن حقه في العرش واشتراكه في الحكم والسلطان مع أبيه منذ كان صبياً إلا أن يكون حيل منافسة يخشاها أو كان يخشاها ويتوجس منها. ولقد نجح رمسيس فيما غمر به الأفئدة والآذان، من دعاية وإعلان، ولا أقول نجح في أيامه في غابر الزمان ليس غير، بل لقد استغرقنا بدعايته تلك حتى رأينا الأخوة المؤرخين علي اختلاف ألسنتهم وألوانهم، ومن هم حجة في حياته وسيرته يتغاضون عن هناتة بل يتجاوزون عن سقطاته.

ومع ذلك فلا برء من الشكوك ولا ردة عن الشبهات حتى يحق الحق وينبلج البيان بالقول الفصل، أو يمثل بنا قرينة إلي الرجحان والعدل.

وها نحن هؤلاء في معبد الكرنك قبالة منظر لحمله أبيه ستى الأول الثانية علي الليبين إذ نلحظ ما يثير التساؤل ويحمل علي الاستقصاء، حيث يتبين من بعد اكتماله في غير متسع من التصميم الأصيل لتصوير المعركة من إضافة دخيلة متأخرة لصورة أميرين نحتا وحشرا حشراً علي التعاقب أحدهما فوق الآخر، وذلك حرصاً من الدخيل الثاني علي محو الدخيل الأول والحلول مكانه. إذ جاء مع صورة الأمير الأول ما نصه:

"الحسيب النسيب ابن الملك الأول من صلبه" ، ثم أعقبتها صورة من صار لا شك رمسيس الثاني مع صورته وقوله:

الحسيب النسيب ابن الملك البكر الكبير من صلبه رع مس سو.

فقد حرص كل من الأخوين علي إثبات دور له مع أبيه وحقه وسبقه إلي العرش خلفاً له، فوصف"أحدهما نفسه بالابن الأول ، وقد عرف اسمه فيما يرجح من نقش منسوب إليه في جزيرة سهيل " أمون نفرنبف" وقد بدأ من أمون نفرنيف

هذا تمسكه بصفة :"الابن الأول" علي حين حرص رمسيس وهو بعد أمير علي وصف نفسه ـ دون صفة الأول- بالابن الكبير "سمو" بمفهوم الابن البكر، وكان علي كل حال ينتسب إلي الملكة الرسمية "موت نوى" علي حين لم يكن أمون نفرنبف علي الأرجح إلا من أبناء المحاظي. ولا شك أن ما عمد إليه كل من الأخوين من إقحام صورته ولقبه إنما وقع أواخر حكم ستى حين اندلع الخلاف علي خلافته. ومع ذلك فقد قدر لرمسيس أن يخلف أباه كما معروف فكان ثالث عواهل الأسرة التاسعة عشرة .. ترى هل تدخل القدر في ذلك الميقات الحرج وانفسح السبيل بين يدى رمسيس فصار الولد الأكبر والابن البكر بموت أمون نفرنيف حتف أنفه في حياه أبيهما، أم ظفر رمسيس بالحكم علي جثمان أخيه بمؤامرة أقرها وسكت عنها علي أقل تقدير، وما أكثر ما في تاريخ الإنسان من أسرار لا تتجلى بغير دليل دافع أو إقرار، أو ما يشبه الإقرار، ومهما يكن من شئ عند هذه البرهة من بحثنا، فقد تطامن ملك مصر لرمسيس.

علي أن الأحوال الخارجية قد كانت تقتضي منه العمل العاجل، فكان أن بادر في العام الرابع من حكمه بحملة علي النوبة أعقبتها في العام نفسه حملة علي فلسطين: حيث حرص وبروق القدر توحي بصراع قريب مع الحثيين أن يضمن لنفسه قبل إيغاله في سوريا -كما فعل تحتمس الثالث من قبل- ولاء إقليم الشاطئ، وأن يقيم فيه قواعد وحاميات تحمي جناحه يوم الزحف الأكبر وكان "مواتالو" ملك الحثيين يستعد للصراع المرتقب بما ألف من حلف خطير واسع النطاق مؤملاً إحراز كسب لبلاده من فرعون شاب قليل الخبرة غض الأهاب . حديث عهد العرش مصر وأعبائها، علي حين كان رمسيس طموحاً يتطلع إلي إثبات منزلته وقوته، ولذلك فلم يكن عن صدام الدولتين فيما تنافسا عليه من سلطان علي آسيا من مناص.

وقد كان في العام الخامس أن زحف رمسيس بفيالقه الأربعة مساحلاً، حتى انتهى إلي جنوبي قدش حيث تقع عند ملتقى المجرى الشمالي لنهر الأورنت ورافد صغير يجرى إليه من الغرب. وهناك جئ إليه برجلين من البدو زعماً أن مواتالو خوفاً واستشعاراً من جلالته قد تقهقر حيث عسكر عند حلب وتونب في أقصى الشمال. وصدق رمسيس بكل سذاجة تشملها الغفله والجهالة تلك الفرية التي دست عليه دون أن يتحقق من تحركات الأعداء ومواقعهم فيما وجب علي ضباطه ومخابراته وحكام الأقاليم هناك. وإذا برمسيس يسرع دون استشاره ضباطه أو اعتراض منهم ، وكيف يعترضون وهم كما وصفهم بما سوف نذكر بعيد قليل.فعبر الأورنت بجيش أمون مبتعداً فرسخاً كاملاً عن فيلق رع تاركا فيلق بتاح علي الطريق، منقطعاً عن فيلق سوتخ لا نفع منه ولا رجاء فيه وقد بلغ رمسيس مشارف قدس في غير ريبة مما كان يحدق به من فخ منصوب، وقد كان أعداؤه إنما يزحفون في حركة التفاف خطيرة إلي الجنوب متوارين من خلف قدش وغاباتها علي الضفة الأخرى من النهر، وإذا برمسيس لما لم يجد للعدو أثراً يقرر بحسن النية والسذاجة وانعدام الحيطة النزول هناك حيث طفق فيلق آمون يضرب خيامه لا يتوقع مع قادته

إلا الاسترخاء، ثم إذا بخيمة رمسيس يقتحمها عليه ضابطان من حرسه يقتادان من الأعداء أسيرين أعلنا بعد الضرب المبرح أن هجوم الحيثيين وشيك، فكانت المحنة التي فوجئ بها وما كان ينبغي إن يفاجأ بها .. وأسرع رمسيس إلي استدعاء قادته يؤنبهم بما انتهى إليه فيما رأى من إهمالهم وقعودهم عن تحسس العدو وتحركاته ومتابعة إبلاغه، فطفقوا كما نفعل يومنا هذا يشقشقون ويتلاومون معترفين بالغفلة والإهمال.

قال رمسيس: "إنهم ظلوا كل يوم يؤكدون له أن ملك الحيثيين في حلب، وقال بعض القادة تملصاً من المسئولية ودفعاً لها علي من سواهم من الرفاق: "إنها لجريمة عظمي تلك التي اقترفها حكام الأقاليم، إذ لم يكن حكام الأقاليم يبلغون القادة بموقع الحيثيين تباعاً علي أن يبلغوا هم جلالته .." ثم إذا بالجيش الحيثي ينقض علي قلب فيلق رع فيفاجئه وهو علي الطريق فينهار، وينقض كذلك مستهدفاً رمسيس في حاشيته علي مخيم فيلق آمون وما زال مشغولاً مع استرخائه بإعداد معسكره حيث يعترف رمسيس بقوله: وكان أن انهار جيش جلالته وسلاح فرسانه أمامهم:

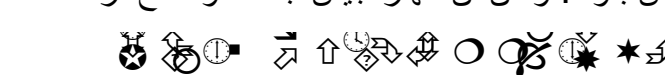

وكان قال كذلك عن فيلق رع.

ويروع رمسيس حيث أحدق به جموع الأعداد فيهرع إلي سلاحه في نفر قليل من حرسه وهو يستصرخ رجاله مستنجداً أن اثبتوا ثبتوا قلوبكم ولا من مستجيب .. " وساد الهرج والمرج وانحسر الأمل إلا أن يصل فيلق بتاح فيسرع إليه الوزير وقد رأى الاضطراب والانهيار رأى العين كما يسرع إليه 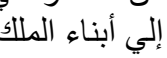 عدد من حرسه هاتفين "إلي الأمام سر"

"إن مولاكم يقف وحيداً وحيداً" بما يوحي به من التلكؤ في غياب الضبط والربط.وكذلك ينطلق حامل المروحة عن يمين الملك إلي أبناء الملك يأمرهم بالابتعاد عن القتال.

ولم يجد رمسيس في تلك اللحظات الرهيبة المروعة من تلك المحنة إلا أن يلجأ إلي ربة يستصرخه ويتوسل إليه ويستغيث به ولم ينقذه مع ما أبدى به من تماسك ورباطة جأش بل استماتة اليأس إلا ما وصل إليه من أرض أمور، وانضم إليه في اللحظة الحاسمة من قوات الفتوة التي تحمل اسم "نعرونا" عن اللفظ السامي العبرى للفتوة وما تمكن منه فيلق رع بعد تنظيم صفوفه وبذلك فشل ما رسم ملك الحيثيين من تدبير فرأى الكتابة بمشاعر المنتصر، كما ورد في وثائقهم، إلي رمسيس بعرض عليه الهدنة والسلام، وواقع الأمر أنه إنما عرض عليه الانسحاب لقاء عودته سالماً. ورأى رمسيس في ذلك فرصة يستجمع فيها قواه وينظم صفوفه ويستنقذ سمعته، ولكنه هذه المرة يجمع مجلس حربه يستفتيه في كتاب الحيثيين فوافقوا وهل لهم إلا أن يوافقوا .. الآن يستشير مجلس حربه وقد سبق السيف العزل أما كان له أن

يأتسى بتحتمس الثالث وما كان حواره مع ضباطه حيث سجل ذلك تحت أعينه في الكرنك غير بعيد.

وكانت العودة إلي مصر في غير هزيمة صريحة ولا انتصار مبين أن قالوا بصوت واحد: "أطيب من ممتاز التراضي مولانا وسيدنا ولا مأخذ في السلام وأنت صانعه فمن ذا يعارضك به م غضبك"

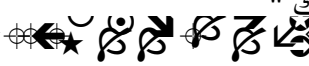

لقد ارتفعت الكلفة هنا بينهم وبين فرعون فهم لا يخاطبونه بما هو معتاد من الجلالة . وظاهر علي كل حال أن رمسيس لم يكن يومئذ ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وعاد رمسيس وفي نفسه من المرارة من قادته ما فيها، ولم يطق إلا أن يعهد إلي البلغاء من كتاب عصره يشيدون به ويصفون علي لسانه المعركة حيث زعم في قصائده أنه: "صدق عهده ونصر حشده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده" مع تصوير خور قادته وانخزالهم عنه وخيانة ولائهم له، رغم ما كان له عليهم من أفضال. وهو إذ يؤنب قادته الذين خذلوه وفروا عنه يفصح عن اعترافات أفلتت عنه، بما كان منذ سنين قد بدر منه ولعل كاتبه اجترأ فغامر بالإلماع في سباق الإبداع، فتسرب مستور يحذفه الرقيب لو كان ثم رقيب.

وحسبنا مما نجتزئ هنا منها ما يكشف الغمام ويقشع القتام، ويكشف عن ضعف الملك الإنسان بل ينحو عليه بالملام ويطلق الاتهام: فقد جاء علي لسان رمسيس:

ما أحس قلوبكم فرساني فليس فيكم من هو بالثقة جدير أما فيكم من أسديت له جميلاً في بلادي ألم أقم 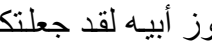 وأنتم أذله

وجعلتكم قادة بسخائي اليومي جاعلاً الولد علي حوز أبيه لقد جعلتكم تقيمون في مدائنكم دون أداء المهام العسكرية ولفرساني مثل ذلك، إذا أفسحت لهم السبيل إلي مدنهم قائلاً لسوف أجدهم بالمثل كاليوم حين الصدام في المعركة إن الجريمة العظمى التي اقترفها مشاتي ومركباتي أعظم من أن تروى م 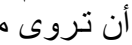 قادتي الكبار ويا مشاتي ومركباتي يا جهال الحروب .

فقد اعتمد رمسيس إذن علي الجهلة من أهل الملق وطلاب المنفعة، فجعل منهم عونه ومرجعه. كانت الضربة وإن وقعت علي غير أرض مصر قاسية موجعة، فكان من ثم ذلك الموقف الحزين وما نتناوله الآن ونكشف عن علته بعد حين.

إذ هنا ينبلج الحق وما وقع عند العهد لرمسيس بولاية العهد يوم كان في أمس الحاجة –بحكم منافسة أخيه- إلي تأييد الجيش وترجيح كفته. غير أن الجيش –ولنقل

حثالة الجيش- لم نبذل تأييدها إلا بالابتزاز واشتراط المنح والهبات وبيع ضمير مات، وشغل مناصب القيادة العليا وكسب الامتيازات بل ونقلها إلي الأبناء يتوارثونها دون اشتراط الكفاءة والمؤهلات، بل والإصرار علي القعود في مواطنهم من مدائن وقرى يثمرون أراضيهم وأموالهم مع إهدار ما هو حتم علي الجيوش من خدمة عسكرية دائمة وتدريب متصل ساهرين مستعدين وذلك كله مع المفترض من علم الكافة بتحركات الحيثيين وأطماعهم في سوريا واستيلائهم علي قدش وما دأبت علية البلاد منذ الأسرة الثامنة عشرة من سياسة صمدية وما أبهظ ثمن العرش وما أخس الابتزاز: لقد قتل في سبيله أمون نفرنبف وخضع علي الأقل رمسيس ثم تهاون ، فتهاوت أسلحة الجيش إذ ترك له الحبل علي الغارب، وتخاذل حكام الأقاليم والمخابرات عن إرسال التقارير. لذلك فما كان الجيش الذي زحف في العام الخامس بفيالقه الأربعة إلا زخرفاً من سفلة جهلاً وتظهر ما لا تبطن، وتفسد ولا تحسن غير الملق والرياء وقد يضاعف من مسئولية رمسيس التاريخية نشأته منذ صباه نشأة عسكرية وما شهد من نظام الجيش، إذ كان حظى بما ضم من قبل من جهاز للمخابرات دقيق عرف أو عرفناه منذ طرد الهكسوس، فلقد جاءت تقارير حملات ستي الأول وفي صدرها تلك العبارة ذات المغزى العميق. "جاء من يقول لجلالته"

➔ [illegible]

وهي جملة مبنى فعلها المجهول لا يذكر أسمه أو منصبه. وقد عادت هذه الجملة أيام مرنبتاح بن رمسيس الثاني، وأيام رمسيس الثالث بما يؤيد الاهتمام بالمخابرات. ولكن رمسيس الثاني في حملته تلك أهمل المخابرات وبلغ به الإهمال أن يصدق بدويين من شذاذ الآفاق، علي حين يسكت ملؤه من أهل النفاق، ومع ذلك فرب ضارة نافعة، إذ كان لابد من ضربة هائلة توقظه وتوقظ مصر (كما استيقظنا عام 1976م) فكان إصلاح ما فسد. ومع ذلك فقد كان عليه أن يعيد كرها ثلاثة أعوام أخرى من العمل والتنظيم حتى يعود في العام الثامن إلي استئناف الصراع مع الحيثيين ولكن هيهات أن يسترد ما أودى به حمق شبابه وشطط حسابه.

وإن الأسى ليرتد بنا إلي الماضى القريب والعهد العجيب، حيث كانت القيادات مغيبة في سحب الدخان الأزرق والخلوات، وشفاء القليل بالمصادرات والحراسات والتعذيب والاعتقالات، والجدل التافه في ملاعب الكرة والمباريات حتى كانت الطاقة الكبرى. وما هكذا كان الأمل في أشكول، كانهم لم يفرقوا بين الغارة والزيارة، حيث اجترأ منا من يقول بل أكبر مسئول الأستاذ في كلية أركان الحرب: لقد توقفناهم من الشرق فجاءونا من الغرب. أهكذا، وطائراتنا مسترخية علي الدرب، وكبار القادة المحاربين مع ارتفاع الضحى علي الطريق، بعد نوم في بيوتهم عميق وإفطار مطمئن أنيق [illegible]

ثم تمتد برمسيس الأيام حتى بلغ حكمه من الأعوام زهاء سبعة وستين وجاوز من عمره الثمانين، كان علي مداها بين الفينة والفينة يحتفل بما عرفه

المصريون باسم حب سد في ذكرى اكتمال أعوام ثلاثين من حكم فرعون وإن لم يلتزم بعضهم بانقضاء الأعوام الثلاثين، إذ هم ملوك منذ كانوا في بطون أمهاتهم. وقد احتفل به في عهده أربع عشرة مرة، وكان قد تولى في اليوم السابع من الشهر الأول من فصل البذر أي في السابع من شهر طوبة المصرى القبطي ويوافق الخامس عشر من يناير بتقويمنا هذا الحديث.

أما بعد، فقد آن لنا اليوم أن نمحو شبهة ونكشف عن خدعة ونرتد عن ضلالة حرص علي ترويجها دهاقين السياحة في هذه الأيام. أولئك لا هم لهم إلا الاستغلال وتقرش الأموال. إذ زعموا أن أشعة الشمس عند مشرقها يوم الثاني والعشرين من فبراير وأكتوبر إنما تخترق معبد أبو سنبل الكبير فتضئ تماثيل قدس الأقداس الأربعة يوم عيد جلوس رمسيس ويوم مولده ذلك الذي لا نعلمه. وقد سكت من سكتوا عن ذلك وهم يعلمون، إيثارا لما تنال مصر –ولو بشيء من تمويه وتغرير- من خير السياحة وما تؤمل فيه من رزق وفير .. وكنت كلما هممت بالكتابة نهياً عن تلك الضلالة وحضاً علي التزام الأصالة، نهيب عنها بما يشبه الملام ويقارب الخصام. وعلينا اليوم أن نعلنها صريحة مع بذل التحية وإفشاء السلام.

أضواء جديدة على موقع أبو بللو الأثرى

أ.د. أحمد عبد القادر الصاوى•

يقع تل أبو بللو في محافظة البحيرة على بعد 70 كيلو متر شمال غرب القاهرة، وهو الجبانة الخاصة بالبلدة المعروفة حالياً باسم الطرانة و في اليونانية Terenouthis وفى القبطية(tereno`ut) وهى تقع على فرع رشيد في بداية الطريق المؤدى إلى وادي النطرون sxt-HmA وهذا الطريق كان يطلق عليه في المصرية القديمة aA-imnty أي بوابة الغرب[1]، وتقع منطقة الطرانه والجبانة ضمن الإقليم الثالث من أقاليم الوجه البحرى الذي يعرف في المصرية القديمة باسم *imnt*[2] وعاصمته كوم الحصن الحالية والتي كان يطلق عليها بالمصرية القديمة *pr-nbt Im3w* (انظر خريطة رقم 1،2) وكشف في هذه المنطقة عن بقايا معبد للإلهة حتحور، وتبلغ مساحة تل أبو بللو الأثرى حوالي 200 فدان على الخرائط المساحية ولكن في حقيقة الأمر دلت الشواهد الأثرية الظاهرة حول هذا الموقع عن وجود امتداد أثرى شاسع وكبير من الناحيتين الغربية والشمالية للتل وقد تم عمل مسح أثرى ورصدت المواقع ذات الشواهد الأثرية على خرائط لاتخاذ إجراءات ضمها لأملاك الآثار حيث أنه من الضروري الاهتمام والحفاظ على هذه المواقع .

ومن الملاحظ أن معظم أجزاء التل قد تناولتها أيدي العبث والتدمير وذلك عن طريق نقل بعض الفلاحين للسباخ بغرض استصلاح أراضيهم الزراعية، ويتضح لنا ذلك من خلال الكم الهائل من كسر الفخار التي تغطى سطح التل علاوة على وجود أجزاء كثيرة من كسر الحجر الجيري والجرانيت المبعثرة في أنحاء الموقع، فضلاً عن وجود كتل من الرخام والتي من المحتمل أنها تكون أجزاء من تيجان أعمدة خاصة بالمعابد اليونانية الرومانية.

وفى الناحية الشرقية من التل توجد آثار لبعض مساكن مهدمة ويكثر في الجهة الجنوبية منها وجود بعض من الآجر الذي كان ستخدماً في أغلب الظن في الحمامات الرومانية.ويوجد في الجزء الغربي بعض آثار لأسوار كبيرة وكتل وحوائط سميكة، ويقع إلى الشرق منها بناء مربع من الحجر الجيري عثر بداخلة على تابوت مهشم من الحجر الجيري وأغلب الظن أنها كانت مقبرة ترجع للعصر الروماني.

أما آثار الجبانة الفرعونية فتقع في الجزء الشمالي من هذا الموقع حيث أكتشف في عام 1969 بعض الآثار التي ترجع إلى العصور الفرعونية المختلفة (من الدولة القديمة و الوسطى والحديثة 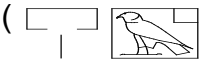)

وأسم كوم أبو بللو هو الاسم الحديث للجبانة المصرية القديمة المعروفة باسم تارينوت Terenouthis والاسم المصري القديم لها :

•أستاذ المصريات – وعميد كلية الآداب الأسبق – جامعة جنوب الوادي .

[1] Urk. 1,2: 7 LA,6,1986,p424, Jan Broekhuis , De Godin Renenwetet, Assen 1977, 62-63,GardinerAEO,2,1947 , p 161

[2] Montier, Géographie de l'Egypte I ,p. 61-62 ; H .Gauthier,Dictinnaire des noms géographiques contenus dans les textes hiéroglyphiques, IFAO 7, vol II, Le 1925-1931, p. 118 ; J. Yoyotte, BIFAO 55,125,128,Hehck , Gaue , 156 .

pr Ht-Hr nb(t) mafq واسم أبو بللو هذا غالباً ما يكون مشتق من أسم الإله اليوناني أبوللو Apollo والذي تتفق خصائصه مع الإله المصري حورس.
وقد بدأت الحفائر العلمية للمرة الأولى في هذا الموقع في عام 1935 ببعثة جامعة ميتشجان تحت إشراف بترسون Enoch Peterson[3] والتي كشفت عن عدد كبير من اللوحات الجنائزية.
وقد توقفت الحفائر في هذه المنطقة حتى عام 1963 حينما قامت هيئة الآثار المصرية بعمل بعض المجسات في الأراضي التي أتلفها المزارعين وذلك بنقلهم للسباخ والأتربة إلى مزارعهم بغرض إخصاب أراضيهم.
بعد ذلك شرعت الدولة في مشروع حفر الرياح الناصري (صورة رقم 1،2) لري واستزراع المساحات الكبيرة التي تقع في الصحراء الغربية ولما كان هذا الرياح سوف يخترق تل أبو بللو الأثرى من الجنوب إلى الشمال ويغطى مساحة كبيرة من الأرض الأثرية .
لذلك بدأ التنسيق 1969 بين وزارة الرى القائمة بهذا المشروع مع هيئة الآثار المصرية في وضع خطة تنفيذية وميزانية لتغطية المشروع وما يتضمنه من عمل مسح أثرى في المساحة المطلوبة لإقامة هذا المشروع.
وقامت هيئة الآثار بإعداد بعثة كبيرة بإشراف المرحوم الأثرى شفيق فريد[4] في عام 1970 ثم بدأت الحفائر تحت إشراف الأثرى عبد الحفيظ عبد العال، وفى بداية عام 1971 كلفتني هيئة الآثار بالإشراف على استكمال هذه الحفائر واشترك معي في العمل الحقلي الأثرى زاهي حواس ، وذلك خلال المواسم من 1971 حتى منتصف عام 1975الذى ينفرد بعد ذلك بالإشراف على الحفائر موسمي 1975،1976[5] وخلال هذه المواسم المتتالية تم الكشف عن جبانة شاسعة من العصر الروماني أغلب الظن ترجع إلى القرن الثالث والرابع الميلادي أحتوت هذه الجبانة على مقابر كثيرة متنوعة الأشكال(صورة رقم3،4) منها المستطيل والمربع والشكل الهرمي والبيضاوى وذات السقف المقبى.إلى جانب بعض المقابر العائلية التي بنيت على شكل مصطبة،وكل هذه المقابر كانت مبنية من الطوب اللبن فوق سطح الأرض .وتحت هذه المقابر الجزء المخصص للدفن وهو عبارة عن حفر مستطيلة بمساحات تتناسب مع حجم المتوفى وكانت معظم هياكل الموتى ترقد على الظهر و تتجه رؤوس معظمها ناحية الغرب (صورة رقم 5) وبعضها تتجه ناحية الشرق أو الشمال أو الجنوب أما هياكل الإناث فغالباً ما كانت تضع يديها متقاطعة على عوراتها وكانت معظم هذه المقابرمقبية الشكل و لها دخلة في الواجهة الشرقية تثبت فيها اللوحة الجنائزية وفى الجزء السفلي من هذه الواجهة الشرقية كانت توضع في غالب الأحيان مائدة القرابين أو ما يشبه المذبح (صورة رقم 6،7) .
وأسفرت الحفائر عن كشف كم كبير من الآثار المتنوعة فمنها ما يمثل التماثيل الصغيرة المتنوعة والمختلفة منها ما كان مصنوع من القاشانى أومن الطين المحروق (التراكوتا) أو الجص والتي كانت تمثل معظمها الآلهة والإلهات المعروفة في العصر اليوناني الروماني مثل الإلهة أفروديت وحربوقراط **(صورة رقم 33)**وبس**(صورة رقم37)** وهرمس (صورة رقم 35)وايروس (وسوف

3- للتفاصيل أكثر عن اللوحات التي جاءت أصلاً من منطقة أبو بللو إرجع الى :

Zaki Ali, Some Funerary Stelae from Kôm Abou Bellou, 1949, and « Funerary Stelae from Kôm Abou Bellou",1953 and A. Hooper, Funerary Stelae from Kôm Abou Bellou, 1961, Klaus Parlasca , Zur Stellung der Terenouthis – Stelen , MDAIK , Abt , 26 , 1970 .pp .173-198.
4-Shafik Farid, Premlinary Report on the excavations of the Antiquities department Kôm Abou Bellou, in ASAE 61,1973,p.21-26.

[5] – **Hawass , Z Preliminary report on the excavation at Kom Abou Bellou,SAK,7,76-87 .**

يركز الحديث حول هذه التماثيل فيما بعد)هذا إلى جانب بعض التماثيل الصغيرة لبعض الحيوانات مثل الكلب والجمل**(صورة رقم11،10،9)** وأغلب هذه التماثيل والدمى عثر عليها داخل خبيئة غالبا ما كانت خلف اللوحات الجنائزية أو في رديم الجبانة.
كما كشف أيضاً عن كم كبير من المسارج[6] والأوانى الزجاجية المتنوعة الخاصة بالعطور أو الزيوت. ومجموعة متنوعة من الأواني والأكواب من الفخار والقاشانى وبعض أدوات الزينة[7] والعقود والأقراط والخواتم بعضها كان مصنوع من الذهب والبعض الآخر من العاج إلى جانب كمية كبيرة من العملات البرونزية.
ومن الملفت للنظر العثور على بعض القطع المصنوعة من القشرة الذهبية التي وجدت تغطى العورات والأماكن الحساسة المختلفة لهياكل النساء مثل العين والفم والصدر الخ(صورة رقم 8).
ومن أهم ما تم الكشف عنه تلك اللوحات الجنائزية المصنوعة من الحجر الجيري والمنقوش عليها المتوفى إما واقفاً أو راقداً على أريكة ويرتدى عباءة ومحاط ببعض الآلهة وفى الجزء الأسفل من هذه اللوحات مسجل اسم المتوفى وتاريخ الوفاة، وكانت هذه اللوحات ذات مقاييس وأشكال مختلفة[8]

.

وتعتبر هذه اللوحات من مميزات هذا الموقع الأثرى والتي نشر عنها الكثير.
أما الميزة الأخرى التي يمتاز بها هذا الموقع هو اكتشاف تماثيل كثيرة للإلهة أفروديت والتي تعتبر من أهم علامات هذا الموقع.
ومن المعروف أن أفروديت هي الصورة اليونانية والتي تتفق في خصائصها أساسا مع الآلهة المصرية حتحور[9] -سخمت[10] - رننوتت[11] في مصر[12] و الإله الثلاثة لها تواجد واضح في الإقليم

---

[6]– **Ahmed el-Sawy, Clay lamps from the Terenouthis Cemetery in Egypt, in Listy Filologické 101,1979, p.128-132.**

[7]- **Ahmed el-Sawy et Iva Ondrejova, Les Bijoux et les Aiguilies de la nécropole de Térénouthis en Egypte, in Acta Universitatis Carolinae Philologica 1,1982,p.47-56.**

[8]- **Ahmed el Sawy, New Stelae from the Terenouthis Cemetery in Egypt, in ArOr 48, 1980, p. 330-335.**

[9]– **<u>الأهة حتحور</u> تعتبر من اقدم و اشهر الآلهات المصرية – وأسم حتحور يعنى مسكن حورس وكانت هذه الآله سيدة الجبلين القوصية وأطفيح وإيماو (النوبة) ، سميت حتحور الجميزة بمنف وحتحورالذهبية فى منطقة ابوبلواوفى جميع الأماكن التى نسبها الأغريق الى أفروديت فى كل من الشمال والجنوب، كانت حاكمة السماء وجسمها الحقيقى.والروح الحية للأشجار وربة فى صورة بقرة ومربية ملك مصر وأم حورس (مثل= =إيزيس) وربة الذهب وشخصية متعددة الألوان. وقد تعددت أماكن عبادتها وكذلك هيئاتها؛ والموطن الأصلى لهذه الإلهة غير معروف ولكن هناك آراء تذكر أن موطنها هو الدلتا نظراً لرعايتها لحورس فى هذه المنطقة، ورأى آخر يذكر أن موطنها هو منطقة أميوس جنوب دندرة، وعموماً قد بدأت عبادة الإلهة فى منطقة الدير البحرى من الدولة الوسطى حتى وصلت الى المكانة الأولى فى عصر الرعامسة فى غرب طيبة حيث شيدت لها المقصورة الرئيسية فى دير المدينة وقد تميزت بهيئة البقرة المقدسة التى تخرج من الجبل الغربى وارتبطت بالغرب والجبانة حيث كانت مبجلة فى الضفة الغربية لطيبة ، ومن اهم ألقابها : سيدة السماء و سيدة الآله و سيدة الغرب.**

عن عبادة الإلهة حتحور أنظر :

S.Allam, Beitrage Zum Hathor Kult, in MÄS 4,1963; P.Derchin, Hathor Quardiforms, Istanbul 1972; Arket in JEA 44, 1958, p.5.; F.Daumas, Hathor in LÄ II,1977,1024ff.; Bleeker, Hathor and Thot, Leiden 1973,p.22,M,Lurker , The Gods and Symbols of Ancient Egypt , London 1980 p . 8ff .

الثالث بالوجه البحري وفى مكتشفات كوم أبو بللوبصفة خاصة، وعشتار أو عشتارت في بلدان الشرق الأدنى القديم.
والجدير بالذكر أن الإله المصرية حتحور كانت من خصائصها المميزة أنها إلهة الغرب وحامية الجبانة ومن منطلق هذا المفهوم يكون كثرة وجود أفروديت الصورة اليونانية التي تتفق مع الإلهة المصرية في نفس الخصائص ووجودها في الجبانة الرومانية هو امتداد لمفهوم العقيدة المصرية القديمة وخاصة فيما يختص في عالم الغرب وحماية المتوفى.
كما أن هناك من المواقع الأثرية المتعددة في مصر ما أطلق عليه اسم مدينة أفروديت (أفروديتو بولس) ، ونحن نعرف منها مصر خمسة أماكن على الأقل التي ذكرتها البردية التي نشرها "ماسبيرو " [12]
واقدم هنا الوصف التسجيلي لبعض تماثيل افروديت وبعض المعبودات الأخرى من العصر اليوناني الروماني و التكشف عنها في منطقة كوم أبو بللو وربما يتيح هذا النشر التسجيلي لتلك التماثيل الفرصة للسادة الزملاء المتخصصين في العصر اليوناني الروماني لدراسة أعمق والخروج بفائدة أشمل.

1- Aphrodite <u>Anadyomene</u> (Binding her hair)
Faience
H: 34cm Diam B: 7cm
Field Register no : 2051 Location : Cairo Museum
Condition : Found in a state of poor preservation (water/humidity damaged). Recently restored (slowly dried, stablized with chemicals, coated with a sealant.)

---

[10] – **<u>الإلهة سخمت</u> هى زوجة الإله بتاح فى منطقة منف وقد كونت معه ومع الإله الطفل نفرتم ثالوثاً مقدساً فى تلك المنطقة،كما كانت ايضا من الاله الرئيسية بالاقليم الثالث بالوجة البحرى و الذى يقع فى نطاقة كوم ابو بللو موضوع المقال .وأسم سخمت يعنى القوية وهو نفس الاسم الذى أطلق على حتحور عندما اتخذت صورة لبؤة وأرسلت لعقاب البشر عندما ثاروا على رع ، أنظر فى ذلك :**
S.Mercer, The Religion of Ancient Egypt, London 1949, p.210;
د. محمد عبد القادر ، الديانة فى مصر الفرعونية ، القاهرة 1982 ، ص 222.

[11] – **<u>الإلهة رننوتت</u> هى الإلهة المربية والتى يشير أسمها الى قيامها بتلك الوظيفة ويتكون هذا الاسم من مقطعين الاول Rnn و يعنى يربى أو يرعى و الثانى wtt و يعنى يلد (وعن تفاصيل اكثر لأسم هذه الاله انظر**
LA , 5 , P .232 , J.Broekhuis , De Godin Renenwetet , Leiden 1971p1ff , WB 2 430 وقد تم تأليهها منذ عصر الأسرة الرابعة مثلما ورد فى نصوص الأهرام Pyr. 302, 454 وقد كانت إلهة الزرع فى عصر الأسرة الثانية عشر حيث عثر على معبد أهداها لها الملك أمنمحات فى منطقة الفيوم وقد عبدت فى هذا المعبد مع الإله سوبك ، وقام البطالمة بتوسيع هذا المعبد واستمروا فى عبادتها أنظر فى ذلك :
(D. Noblecourt, Les Religions Egyptiennes, 1947, p.231) . واشتهرت هذه الإلهة ابتداء من عصر الأسرة الثامنة عشر حيث أنها لعبت دوراً هاماً كالمرضعة التى تعمل على رعاية الأطفال وكانت تمثل القدر والموت فتظهر بجسد امرأة ورأس حية وترتبط بالإلهتين حتحور وإيزيس حيث كانتا كلن منهن يمثلن إلهة الأمومة أنظر فى ذلك : C. Beinlich – Seeber, in LÄ V, 1984, p.232-234

12-Maspero.J , BIFAO,6,1909 , p .75 ., LA,1,1975, p337 ., Brugsch, Dictionnaire Géographique de l'Egypte ancienne, p.390.

Description : Large figure of Aphrodite, semi-nude, standing with right leg flexed on a profiled, cylindrical pedestal. Raises hands to either side of head and pulls or (according to the drawing) twists the long tresses of her hair in prelude to binding them behind the head. The components of her hair that are already arranged are centrally parted in front and back, and pulled into a roll (?) along the nape of the neck. The goddess wears a diadem on her head. The drapery is rolled down to the hips, exposing the breasts and abdomen; a thick roll of the drapery passes across the lower abdomen and then up to the left underarm, as if it were to be held in place by the arm. The edge of the garment appears to tumble down the right side in stylized folds.

On the reverse, Aphrodite is depicted seated on or supported by a column in imitation of Roman statuary(fig no: 12-13-14) .

Context: Found in tomb 78 (vaulted, 125 x 85 x 95 cm), 1974 season.

2- Aphrodite Anadyomene

Plaster

H :16cm

Field Register no : 1862 Location : Cairo Museum police).

(Description based on drawing of obverse)

Condition : Right hand, pedestal (?) missing. According to the records, the pedestal, which does not show in the drawing, was fragmented but recently repaired.

Description : Aphrodite, semi – nude, stands with right leg flexed on a short plinth, which may originally have been mounted on a pedestal. Raises hands to grasp the long thick locks of her hair she is preparing to bind behind her head. She wears a diadem. A length of drapery passes over the right thigh and falls between her legs to the ground.

Traces of red paint (flesh, drapery) (fig no: 15-17).

3-Aphrodite Anadyomene

Faience
H: 47 cm Diam B: 16 cm
Field Register no : 2125 Location : Cairo Museum
Condition : Head, part of shoulders, and hands missing, torso fragmented in several pieces and reconstructed.
Description : Very large figure of Aphrodite, nude and gracefully rendered, standing with left leg flexed on a circular plinth mounted on a cylindrical, profiled pedestal. Arms are raised to either side of the head in the gesture of Aphrodite anadyomene. On the reverse, the figure is supported by a tree stump (?) over which is slung her drapery in imitation of Roman stone statuary (fig no:18-19).
Context : Found in the collapsed debris of the super construction of a plundered tomb.

4-Aphrodite Anadyomene
Faience
H: 15.5 cm Diam B: (not available)
Field Register no : 1936 Location : Cairo Museum
(Description based on drawing of obverse)
Condition : Head and left arm and shoulder missing ; legs missing below mid thigh .
Description : A gracefully rendered , nude Aphrodite stands, grasping a long , thick , (according to the drawing) partially twisted roll of her hair with her right hand . In accordance with the anadyomene type , the left hand would have been grasping a twisted strand extending from the other side of the head in the gesture of binding . Disposition of legs , remaining arm ,and shoulder indicates she was standing with right knee flexed . The surviving wrist wears a bracelet rendered so as to suggest a twisted band of (probably) bronze or gold(fig no: 20).

5. Aphrodite Anadyomene (?)
Faience
H: 17 cm Diam B: 4.5 cm
Egyptian Museum 1742 (missing since 1974)

[Description based on drawing and photograph of observe]
Condition: Complete.
Description: A short, chubby Aphrodite, nude and supported at the left by a short, spirally fluted column, is depicted standing with right knee flexed on a two-tiered cylindrical pedestal .
Arms are raised to either side of head as in the gesture of Aphrodite anadyomene. The unnaturally thick fingers of the left hand appear to grasp a lock of hair (not clear from photograph drawing). The right hand seems to reach behind the head. Wears a headdress which might be a misunderstood rendition of a diadem or perhaps an Egyptian izing nemes headdress (fig no: 21-23) .

6-APRODITE ANADYOMEN, WITH DOLPHIN (?)
Faience
H: 31.5 cm Diam B: 8 cm
Field Register no : 1688 Location : Cairo Museum
Condition: Complete. Found in a state of poor preservation and consolidated with a sealant.
Description: Large figure of a nude Aphrodite standing in a semi kneeling, mannered pose on a cylindrical , profiled pedestal .
She raises her hands to the level of her shoulders where she lifts the partially twisted locks of her long hair lying on or close to the shoulders. The rest of her hair is centrally parted in front and back, and then gathered into a tail on the nape. Wears diadem.
On the reverse, Aphrodite is depicted seated on or leaning hard against a fluted pillar .
To the left of the goddess is an object , partially overlaid with drapery (?) but unidentifiable from the photograph and drawing .
Based on the repertoire of Aphrodite's attributes, the strong curvature and smoothed from of the object itself and the closest parallels , the object is almost certainly a dolphin (fig no:24-25).

7. Aphrodite (?) arranging her hair , with two figures of uncertain identity
Faience
H : 41 cm Diam B : (not available)

Field Register no 2139 Location : Cairo Museum

Condition: Complete. A large fragment broken away from the abdomen has been reattached.

Description : Very large figure of a semi-nude Aphrodite (?) standing with left knee flexed on a profiled , cylindrical pedestal . The hands are raised up to either side of the head to grasp handfuls of loose, twisted tresses, which she pulls forward from a central part along the scalp on the back of the head. A small curl dangles over the forehead. Wears tall diadem a necklace with many leaf-shaped pendants and weighted on the back in the manner of pharaonic examples, and faceted bracelets. According to the drawing, the mouth smiles and the eyes are almond-shaped which, with the escaping curl, the twisted tresses , and the many jewels , give an orientalizing flavor to the statuesque figure .

The lower half of the female figure is draped. A wide roll of drapery crosses over the upper legs and then around to the reverse. On the reverse, the drapery seems to pass over a support of some kind on which she appears to be resting her buttocks.

At women's feet, two small figures are summarily rendered. The one on the viewer's far right is a short, stocky nude male figure who appears to be stepping up to another figure or animal (unidentifiable from the photographs and drawing) to the viewer's left of the male figure. The male figure his right arm to the second figure or animal as engage in wrestling (if the second figure is human) or to lift to his shoulder (if the second figure is an animal, such as a ram) (fig no: 26-27).

8-APHRODITE WITH MIRROR

Light blue faience

H: 40 cm Diam B: 12 cm

Field Register no 2103 Location : Cairo Museum

Condition: Complete except for largest portion of object at left. Broken in a few fragments (mostly around base) and repaired with glue.

Fabric consolidated with a silent with right leg flexed on small rectangular plinth, which has in turn been elevated on a circular profiled pedestal with well-defined mouldings. She swings her left hip forward on the supporting (left) leg as she raises her right hand to head and holds a mirror to her face with her left. With right forefinger and thumb she plucks deliberately at a lock of hair as she gazes at her reflection in a circular mirror. Wears a necklace composed of numerous beads and Teardrop-shaped pendants. Wears uraeus bracelet on both wrists.

To the left of (and connected to) the pedestal is a shell (?) or fluted column (?) upon which stands a partially preserved figure or object (Unidentifiable from the photographs and drawing). On the reserve, the girl is supported by a back stand in imitation of roman stone statuary (fig no:28-29).

Context: From a small serdab in Tomb 165, a vaulted construction (130 x 285 x 295 cm) on the south slope of the Peterson's "high place." The figurine was found inside the brick superconstruction of the tomb, within a short serdab behind the niche of the stele of the tomb, lying on a bed (a prepared layer) of sand. Only three or four intact and two partially intact examples of this serdab construction were found in the approximately 1000 tombs at the site. Faience Annubis (1553) was found in one of the partially intact serdabs. In one of the partially intact serdabs were found traces of faience, and in the other traces of plaster, suggesting that statuettes were originally placed in these serdabs as well.

9-ISIS-FORTUNA WITH TRUMPET AND PALM

Plaster

H: 35 cm Diam Base: (not available)

Field Register no 2096 Location : Cairo Museum

[Description based on photograph and drawing of obverse only]

Condition: Found in a poor state of preservation and recently treated with a sealant to consolidate.

Description: A large, semi-nude figure of Isis-Fortuna stands (?) with both knees slightly flexed with on a profiled, cylindrical pedestal. The upper body leans back somewhat: she possibly leans against a support behind her. Wears elaborate headdress consisting of two tiers of stippled garlands surmounted by grape clusters and ivy leaves. The whole is surmounted by a small Hathor crown (solar disks, horns, and perhaps traces of a uraeus). In her right hand she holds a trumped (?): raising it to the level of the head and leaning back, she is seemingly poised as if about to blow the trumpet. In the left hand she holed a palm branch close to the body. A swatch of drapery hangs precariously around the knee (fig no:30-31).

Context : Found in Tomb 151 near a terracotta Bes figurine (Egyptian Museum 2095) .

10-HARPOCRATES

Terracotta

H: 22cm Diam Base:(10cm)

Field Register no 2063 Location : Cairo Museum

The child Harpocrates seated (squatted) on a pedestal . Wears on head a helmet Right hand held to mouth and left hand holds a quiver ? (I think a cornucopia) on his left knee . Wears short garment (or a shield) .wears necklace with a circular pendant .Right leg extended , left foot drawn up close to buttocks .Thin hard plaster as a base for paint (eyes and eyebrows black).Right hand broken and recently repaired .

Black paint : socks or booties , eyebrows , eyes , rim of helmet , sidelock , bracelet , necklace . Although usually there are traces of red on the garment ,here there is no trace .Body separately moulded from base .Right forefinger missing .

11-HERMES

Terracotta

H: 23cm W :(10.5cm)

Field Register no 2067 Location : Cairo Museum

Hermes (?) Wears stippled garland on head . Wings . stippled garland around neck . Right ARM hangs at side , holding an one

or more objects , possibly loaves of bread . left hand holds a bird at left side . Enlarged phallus extends down between legs , with his feet standing on the head . At the base of the phallus small testicles are rendered . Wears a short , short-sleeved garment with the hemline above the groin . Looks slightly to his right Facial features are exaggerated and somewhat grotesque , with a sincere expression .A foreshortened pedestal stands at his left side , on which he leans . loop for suspension on reverse No vent (fig no:34-35).

Thin plaster coat with remains of paint (face : red , eyes : black, wings and garland on head : white , hands : red , garment and legs : red) . Body and all of garment was probably painted all red , which reinforces the apotropaic persona .

Interpretive comments : represent many characters , a prophet phallus connected with Min , Priapus .

12- BES

Terracotta

H: 34.5cm

Field Register no 2095 Location : Cairo Museum

Bes with the usual crown .Right arm raised and hold short sword .Left hand holds a shield . Dressed in military garb . Wears beard . “ Humorous ?’’

Found in the debris very close to tomb no: 151 , Season 1974.

Represents Mars in Roman beliefs . (fig no: 36-37).

ومن الواضح أن جبانة ابوبللو الشاسعة والآثار المختلفة التي كشفت فيها وخاصة اللوحات الجنائزية وتماثيل أفروديت والآلهة اليونانية والرومانية المختلفة أمر يؤكد لنا أن تل أبو بللو الأثرى أو منطقة الطرانة كانت في العصر الروماني غنية وآهلة بالسكان وربما كانت هذه المنطقة يفد عليها أجانب من أنواع مختلفة من إغريق ورومان ومن المغتربين المصرين ويتضح ذلك من خلال الأسماء الأجنبية الموجودة على اللوحات الجنائزية والأغلبية الساحقة للسكان كانت تتألف من الوافدين الجدد حيث نستشف ذلك من خلال الشكاوى والتظلمات التي وردت في سجلات زينون من إغريق ومصريين على السواء يعبرون فيها على أنهم غرباء في هذه البيئة ولكن على الرغم من ذلك فإنهم كثيرو العدد مستقرين هناك بل وكانوا يعملون على جلب أسرهم. وأيضاً من التأثير الإغريقي على الفن المصري في الفخار والمسارج والتماثيل الخ... وكثرة وجود مثل هذه التماثيل الخاصة بأفروديت بالذات يجعلنا نضم هذه المدينة إلى المدن المصرية الأخرى التي تسمت بأفروديت وبولس في غرب الدلتا. وكما سبق القول بأنها الصورة اليونانية للإلهات المصرية فقد

تماثلت مع المعبودة حتحور ثم صارت المعبودة نفتيس[13] والمعبودة إيزيس. وقدسوها الأهالي في الجبلين وفى معبد دندرة ثم صارت تقدس في العصور المتأخرة في بعض الأقاليم المصرية منها الإقليم العاشر من أقاليم مصر العليا وفى الإقليم إلحادي عشر من أقاليم مصر السفلي وفى إقليم بروسبيتى Prosopites حيث أطلق عليها حتحور بوخيس أي حتحور أنثى الصقر *Ht-hr bik* .

ومن المعروف أن مفهوم الفكر العقيدى و الأسطوري في مصر القديمة مبنى على فكرة الرمز والبديل والمخصص – وتتلخص الرمزية في إدراك أن شئ ما يقف بديل عن شئ آخر أو يحل محله أو يمثله بحيث تكون العلاقة بين الاثنين هي علاقة الملموس[14]. والمصري القديم كان يتصور أن الرمز يلتئم مع الشيء المرموز إليه بحيث يصبح بديل الآخر. كما كان الخيال في ذهن المصري القديم موجود بالفعل وجسد الصفات و الفكر فيما يمكن تسميته بالرموز أو البديل أو المخصص[15] .

كل ذلك من الأمور التي تسهل وتقرب مفاهيم خصائص وصفات و سمات الآلهة والإلهات فالإلهات الخاصة بالإقليم الثالث بالوجه البحري والتي يشتمل على كوم أبوبللو موضوع البحث وهى الألهه "حتحور ورننوتت وسخمت " وكلها من الإلهات المصرية التي اتصفت بالأمومة والحنان و الجمال و الحب و الخصوبة وعلى الوجه الآخر أخذت صفات القوه والشراسة والمعارك والحرب أما فيما يختص بالشق الجنزى والعالم الآخر فقد اتصفت هذه الألهه كلها بحماية المتوفى بل والمسؤله عن عالم الغرب كله (عالم الموتى) وقد جاءت هذه الإلهة في أشكال ورموز مختلفة تكاد تكون متماثلة وخاصة ما كان منها على هيئة إمرأة إلا أنها اختلفت فيما بينها في التاج أو لباس الرأس ونذكر في هذه المناسبة الإلهة العراقية الأصل عشتار أو عشتاريت[16]

التي اشتهرت في بلدان الشرق الأدنى القديم وهي الأخرى لها نفس الصفات والخصائص التي اتصفت بها الآلهة المصرية بل وفى بعض الأحيان جاءت على نفس الهيئة والشكل تقريبا ويمكن ضمها للأساس والمفهوم الذي انطلقت منه التأثيرات العقيدية في مصر والشرق الأدنى القديم والتي انصهرت فيها بعد مع الفكر والمعتقد الإغريقي وأثرت فيه فظهرت الألهة والإلهات الأغريقيه بمفهوم وخصائص هذا المعتقد الشرقي القديم ولكن في شكل وأسماء آلهة ورموز أغريقيه في صوره فنية جديدة ذات الطابع الإغريقي المميز والمعروف .

وكانت الالهه أفروديت [17]من أكثر الألهة الممثله لهذا المزج بين المفهوم لجوهر الفكر و المعتقد في مصر والشرق الأدنى القديم و الإخراج الفنى ذو الطابع الإغريقي المميز ومن هذا المنطلق

13-LÄ I, 1975 . p.337-338; H. Hester, Eléments orientaux dans la religion de la Grèce ancienne ; M. Detienne, Les Maîtres de vérité dans la grèce archaïque, Paris 1967.

14- Raymond Firth , Symbols , Public and private , pp,15-16 .

15– عبد الحميد زايد ، الرمز و الاسطورة الفرعونية ، مجلة عالم الفكر – العدد الثالث – المجلد السادس عشر ، صفحة 30-34 .

16-<u>الإلهة عشتار</u> أو عشتاريت عرفت فى مصر ضمن الألهة المصرية القديمة فى بداية الدوله الحديثة واعتبرت رفيقة للإله "ست " و ابنة للاله بتاح كما اعتبرت هى و الألهة "عنات" ابنة للاله رع ووصفت هذه الإلهة للخير و البركة و الخصب و أيضا الحب و الأمومة و على الجانب الآخر الهة التدمير و المعارك والحرب ومن أهم القابها سيدة السماء و سيدة الارضين و سيدة كل الآلهات و كلها ألقاب وصفت بها الآلهة والمعبودات المصرية سالفة الذكر (اشارة) و عن تفاصيل أكثر ارجع الى :

W. Herrman , Astart , pp .35 – 36 ; J Leclant , Aslaute a cheval d apres .

17-<u>الألهه افروديت :</u> كانت أفروديت هى الصورة اليونانية للإلهات المصرية فقد تماثلت مع المعبودة حتحور ثم صارت المعبودة نفتيس و المعبودة ايزيس وقدسها شعب مصر في منطقة الجبلين وفى معبد

يمكن لنا أن نأكد أن الفكر العقيدى والأسطوري في مصر و الشرق الادنى القديم هو الأساس والجذور التي جاءت منها المعتقدات و الفلسفة اليونانية القديمة ، كما انه من خلال هذه الدراسة ما يأكد لنا أن نطلق على منطقة كوم ابوبللو أسم أفروديتبولس أي مدينة افروديت مثلها في ذلك مثل المدن التي سبق أن اشرنا إليها سابقاً في هذا المقال .

دندره ثم صارت تقدس فى العصور المتأخرة فى بعض الأقاليم المصرية منها الإقليم العاشر من أقاليم مصر العليا في أحد معابد القوصية وفى الاقاليم الثانى والعشرين من أقاليم مصر العليا و فى الإقليم الحادي عشر من أقاليم مصر السفلى وفى الإقليم البروسوبى Prosopites حيث أطلق عليها اتربحيس بمعنى حتحور انثى الصقر Ht hr bikt وكان لافروديت معابد فى كل من مدينة منف حيث اطلق عليها " افروديت المغتربه " وفى مدينة موفمفيس ولعلها كوم ابو بللو و سميت فيها بالذهبية وفى مدينة نوكراتيس وهى تماثل في بلاد الشرق الادنى القديم المعبودة عشتار.

LÄ I, p.337-338; H. Hester, Eléments orientaux dans la religion de la Grèce ancienne ; M. Detienne, Les Maîtres de vérité dans la grèce archaïque, Paris 1967.

W.A.Daszewski, Aphrodite Hoplismene from Nea Paphos , Report of the Department of Antiquities, Cyprus 1982, p 196 –211; K.. Hadjionannou , Aphrodite in Arms , RDAC , 1981 P 184-186.

أضواء علي صناعة الحرير وتجارته في مصر والشام في عصر المماليك من خلال النقوش الأثرية

أ.د. حسن الباشا*

وصلنا من مصر والشام نقوش أثرية تتضمن معلومات عن صناعة الحرير وتجارته في عصر المماليك يعد بعضها إضافة لما ورد عنه في المصادر الأخرى. وقد تناول البحث دراسة أحد عشر نقشاً من هذه النقوش (خمسة من مصر وستة من الشام). وتشتمل هذه النقوش علي مراسيم متعلقة بالحرير: عشرة منها بإلغاء ضرائب كانت مفروضة علي نواح مختلفة من الحرير، ومرسوم واحد عن قيمة إحدى الضرائب.وعلي الرغم من أن الغرض من هذه المراسيم يختص بالضرائب وإلغائها فإن هذه النقوش تشمل معلومات أخرى عن جوانب مختلفة من صناعة الحرير وتجارته في مصر والشام في عصر المماليك.
وفيما يلي دراسة لهذه النقوش:

النقش رقم (1) من مصر:

نقش بمرسوم علي عمود عثر عليه بمدينة مطوبس باسم السلطان الناصر فرج ابن برقوق بقطع المظالم المحدسة (ثة) نطوبس بإعفاء الفزازين من الإنفاد[1] .

المصطلحات:

- **السلطان الناصر فرج ابن برقوق:** أحد السلاطين الجراكسة ومدة حكمه من سنة 801 إلي 808هـ ومن سنة 809 إلي سنة 815هـ / 1399-1405م و1406-1412م).
- **نطوبس:** قرية من أعمال فوة والمزاحمتين تقع علي الشاطئ الغربي لفرع رشيد، وكان اسمها القديم نطوبس الرمان ثم صار يطلق عليها بعد ذلك مطوبس[2] (انظر أيضاً نقش رقم 2).
- **القزازون:** تجار القز أى الحرير أو صانعوه أو حائكوه[3]. (انظر أيضاً نقش رقم 4).
- **الانفاد:** اسم ضريبة كانت مفروضة علي القزازين. ومعنى الانفاد اللغوى اللجاج في الخصومة.

التعليق:

يتضح من المرسوم أن قرية مطوبس كانت من مراكز صناعة الحرير في عصر المماليك كما يؤكد ما جاء في بعض المصادر التاريخية من أن أسمها الأصلي كان نطوبس. وواضح من المرسوم الذي أصدره السلطان الناصر ناصر الدين فرج بن برقوق أن يعفي القزازين من ضريبة أحدثت عليهم اعتبرت من المظالم وأطلق عليها اسم "الإنفاد".

النقش رقم (2) من مصر:

نقش علي رخام بمرسوم بمواجهة ضريح أبي النجا بمدينة فوة بتاريخ سنة 825هـ/ 1421م باسم السلطان الأشرف أبي النصر برسباى بأن لا يؤخذ من جميع تجار الحرير الواردين علي فوة المتوجهين إلي الثغر المحروس من الشاميين والحلبيين والحمويين والمناوتيين والأعاجم

---

* أستاذ كرسي الفنون والآثار - ووكيل كلية الآثار الأسبق – جامعة القاهرة .

[1] عزة ص 106 لوحة 12 شكل 86.

[2] يحيى ابن الجيعان: التحفة السنية ص 137، لبن مماتي. قوانين الدواوين ص159.

[3] المقريزى: السلوك جـ1 ص 478 حاشية 1.

وغيرهم من تجار الحرير سوى تسعة دراهم فلوساً جددا علي كل اسم وأمر بأن توضع هذه الرخامة في جدار ضريح سيدى سالم أبو النجا[4]

المصطلحات:

- **السلطان الأشرف أبو النصر برسباى:** أحد السلاطين الجراكسة ومدة حكمه من سنة 825هـ إلي سنة 841هـ / 1422-1438م.
- **مدينة فوه**: من أعمال المزاحمتين وتقع علي فرع رشيد جنوب مدينة رشيد، وكانت حاضرة عمل المزاحمتين[5] (وحالياً بمحافظة كفر الشيخ).
- **ضريح أبي النجا**: ضريح بمسجد سالم أبي النجا من القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادي) وقد تهدم المسجد ولم يبق منه غير ضريح أبي النجا[6] .
- **الشاميون:** نسبة إلي الشام بعامة. وربما قصد منها في النقش التجار القادمين من مدينة دمشق التي يطلق عليها الشام كما يطلق علي القاهرة مصر.
- **الحلبيون:** نسبة إلي حلب.
- **الحمويون:** نسبة إلي حماة.
- **المناوتون:** نسبة إلي منوات أو منواث، وهي بلدة بسواحل الشام قرب عكا.
- **الأعاجم:** غير العرب.
- **الفلوس الجدد:** فلوس أحدثت سنة 759هـ (1357م) في سلطنة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، زنة كل منها مثقال، وقيمته قيراط من 24 قيراطاً من الدرهم. وقد أخذت قيمة هذه الفلوس الجدد في التناقص تدريجياً.[7] .
- **الثغر المحروس:** مدينة الإسكندرية.

التعليق:

يشير المرسوم إلي أن تجار حرير من الشام وحلب وحماه ومنوات ومن العجم وغيرهم كانوا يمرون بمدينة فوة في طريقهم إلي الاسكندرية، وكان يفرض علي كل منهم ضريبة مرور[8]، وأمر السلطان برسباى بتخفيض هذه الضريبة إلي تسعة دراهم فلوساً جدداً. وربما كانت هذه الرعاية لتجار الحرير وبخاصة تجار الشام إكراماً لنائب الشام في ذلك الوقت: الأمير تاني بك نيق الذي كان له دور كبير في تولية برسباى السلطنة في ربيع الآخر سنة 825هـ (مارس 1421م)[9] بدلاً من ابن السلطان ططر.

وجاء في المرسوم ذكر لتجار الحرير من الأعاجم وغيرهم مما يؤكد التأثيرات الفنية المتبادلة بين مصر والشام من جهة وبين بلاد الأعاجم مثل إيران والهند والصين[10] وأوربا من جهة أخرى، وتتمثل هذه التأثيرات فيما وصلتنا من نماذج من منسوجات الحرير علي طول طرق الحرير.

ويتضح من النقش أن وجهة تجار الحرير من الشام والأعاجم وغيرهم. كانت مدينة الإسكندرية التي ذكرت المصادر التاريخية والأدبية أنها كانت أهم مراكز صناعة الحرير وتجارته في عصر المماليك. وكان بالإسكندرية في أواخر القرن الثامن الهجرى (14م) أكثر من 14 ألف

---

[4] Wiet,mo. 12, p. 133.

[5] صبح جـ 3 ص 403 انظر أيضاً نقش رقم 4،1.

[6] حسن عبد الوهاب : طرز العمارة الاسلامية في ريف مصر. مجلة المجمع العلمي المصرى – المجلد الثامن والثلاثون جـ2-1956-1957 ص38.

[7] صبح جـ3 ص 439-440 ، 463-464.

[8] ورد ذكر لضريبة "حق التسفير" في نقش مؤرخ رجب 551هـ / سبتمبر 1156م بوصفها ضريبة كانت تفرض علي التجار المسافرين من دمشق إلي العراق والقادمين من العراق إلي دمشق. الباشا: ص 1223.

[9] ابن إياس: أحداث سنة 825هـ.

[10] كونل: الفن الاسلامي –صورة 52.

نول، وكان عدد النساجين أكثر من 10 آلاف[11]. وكان يهوى إليها ركائب التجار في البر والبحر، وتمير جميع أقطار الأرض من قماشها الفائق الذي ليس له نظير في الدنيا[12]. وكان يصنع بها نسيج بديع من أصناف الأقمشة والبدلات المطبقة المتخذة لحريم السلاطين وغيرها من زراكش وحرير مذهب ومنسوجات حرير تشتمل علي زخارف مختلفة وصور طيور وحيوانات متتابعة من النوع المعروف باسم "طرد وحش" وأزهار كزهر الربيع[13] فضلاً عن الأشرطة المموجة بقصب مذهب[14].

نقش رقم (3) من مصر:

نقش بمرسوم علي رخام بجامع المتولي بالمحلة الكبرى بتاريخ شعبان سنة 842هـ (1439م) باسم السلطان الظاهر أبي سعيد جقمق بإبطال ما في المحلة الكبرى من المظالم والفواحش .. ومن ضمنها الحسنة المأخوذة من المتسببين[15] .

المصطلحات:

- **السلطان الظاهر جقمق أبو سعيد:** أحد السلاطين الجراكسة، ومدة سلطنته من سنة 842 إلي 857هـ (1438-1453م).
- **المحلة الكبرى:** مدينة بمحافظة الغربية حالياً، وكانت من مراكز صناعة النسيج، ولا تزال إلي اليوم أشهر مراكز هذه الصناعة في مصر.
- **الحسنة:** اسم إحدى الضرائب.
- **المتسببون:** من معانيها تجار المنسوجات الرقيقة ومنها الحرير. وقد تطلق أيضاً علي التجار المتخصصين في أنواع معينة من المتاجر أو من تسيب مال الفئ.

التعليق:

تضمن المرسوم إبطال كثير من الضرائب ومنها الحسنة التي كانت تؤخذ من المتسببين. وربما ترتبط هذه الإعفاءات من الضرائب بتولي السلطان جقمق السلطنة في 17 ربيع الأول سنة 842هـ (8 سبتمبر 1438م)، وقد عرف عنه التدين والرفق بالرعية، وأقبل الناس في عهده علي التمسك بالدين، وفي شعبان سنة 842هـ (الشهر الذي صدر فيه هذا المرسوم) ختم ابن حجر العسقلاني كتابه "فتح البارى في شرح البخارى" وتمت قراءته[16].

نقش رقم (4) من مصر:

نقش بمرسوم بتاريخ سنة 887هـ (1482م) بإعفاء جماعة القزازين بفوة بالمزاحمتين من الأطرون السلطاني إعفاء مستمراً علي الدوام وذلك بوساطة الشيخ الصالح إبراهيم بن شعبان الشاذلي[17].

المصطلحات:

[11] ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة – القسم الثاني ص 714، ابن مماتي: قوانين الدواوين ص 298 وما بعدها.

[12] صبح: ج3 ص408.

[13] مرزوق: ص 17 عن النويرى جـ 2 ورقة 142.

[14] صبح: جـ4 ص 53.

[15] عزة ص 113 لوحة 5 شكل 87.

[16] ابن إياس: أحداث سنة 842هـ.

[17] Wiet, No. 20, p. 140.

- **سنة 887هـ:** في سلطنة الأشرف سيف الدين قايتباى أحد السلاطين الجراكسة، ومدة سلطنته من سنة 872هـ إلي سنة 901هـ (1468-1496م).
- **القزازون:** انظر نقش رقم 1.
- **فوه:** انظر نقش رقم 1،2،5 في هذا البحث.
- **المزاحمتين:** عمل المزاحمتين هو ما جاور خليج الإسكندرية من الشمال إلي البحر الرومي، وبعضه بالبر الشرقي من النيل وحاضرته مدينة فوة[18].
- **الأطرون:** هو النطرون ويستخدم في تبييض الأقمشة. وكان النطرون من جهات الضمان في مصر، وكان الضامن ملزماً بتسليم حمولته من الطرانة (حالياً بمحافظة البحيرة) – وكانت مركز استخراج النطرون الجيد – ليسلم الديوان من نقص وزنه، وخطر غرقه (أى أن عمل الملزم كان أشبه بالتأمين). ولم يكن للضمناء أن يلزموا المتعيشين بالغزل إلي ابتياع النطرون منهم، غير أن المبيضين كانوا مضطرين إلي شرائة منهم بالسعر الذي يحددونه. وفي أواخر عهد السلطان برقوق (784-791 هـ / 1382-1399م) صار النطرون حكراً للسلطان جارياً في الديوان المفرد تحت نظر الأستادار يقوم بطرحه علي بعض الجهات[19] .
- **الشيخ الصالح إبراهيم بن شعبان الشاذلي:** ربما كان شيخ القزازين[20].

التعليق:

واضح من المرسوم المذكور أن السلطان قايتباى أعفى جماعة القزازين بفوة من الالتزام بشراء النطرون السلطاني أى أنه حكر السلطان له.

نقش رقم (5) من مصر:

نقش بمرسوم علي لوحة رخامة مثبتة علي الجانب الأيسر للمحراب بجامع القنائي بفوه باسم السلطان الملك الأشرف أبي النصر قانصوة الغورى في شهر جمادى الأولي سنة 919هـ (يوليو 1513م) بإبطال ضريبة الهلالي وغيرها التي كانت مفروضة علي جهات كثيرة بمدينة فوه ومن بينها ما كان مفروضاً علي القزازين والصباغين[21].

المصطلحات:

- **السلطان قانصوة الغورى:** السلطان قبل الأخير من السلاطين الجراكسة بمصر، ومدة سلطنته من 906 إلي 922 هـ (1501-1516م).
- **مدينة فوه:** انظر نقش رقم 1،2،4 في هذا البحث.
- **جامع القنائي:** القنائي هو عبد الرحيم بن أحمد بن حجوب ينتهي نسبه بجعفر الصادق، وينسب إلي بلدة قنا التي أقام بها. وقد بنى جامع القنائي بفوه في موقع الخلوة التي أقام بها أثناء إقامته بفوه عند زيارته لأستاذه العالم سيدى سالم أبى النجاه. ويرجع إنشاء الجامع إلي عصر المماليك وجدد في القرن الثاني عشر الهجرى (18م)[22] .
- **الهلالي:** ضريبة كانت تستأدى مشاهرة إيجاراً للمسقفات كالدور والحوانيت وكذلك أرحية الطواحين الدائرة بالعوامل والراكبة علي المياه المستمرة الجريان ودواليب قاعات قصب السكر ودواليب الحرير[23]. وكانت المكوس[24] في عصر المماليك يطلق عليها اسم المال الهلالي[25]. وربما نسبت هذه الضريبة إلي الهلالي نظراً إلي أنها كانت تؤدى مشاهدة.

---

[18] صبح جـ3 ص 403. (انظر أيضاً نقش رقم 2 من هذا البحث).
[19] الباشا ص 727.
[20] انظر وظيفة الشيخ في الباشا ص 627-651.
[21] عزة ص 93 لوحة 4 شكل 42.
[22] صلاح عزام: السيد عبد الرحيم القنائي – شخصيات صوفية دار الشعب سنة 1970 ص 11.
[23] انظر نقش رقم 10 في هذا البحث.

- **القزازون:** انظر نقش رقم 4،1.
- **الصباغون:** الصباغ هو الذي يصبغ أو يلون الثياب أو القماش[26]. وكان المحتسبون يحذرون الصباغين من صبغ حرير القز قبل تبيضه لئلا يتغير لونه بعد ذلك[27].

التعليق:

يتضح من المرسوم الذي أعفى فيه جهات كثيرة بمدينة فوه (حوالي خمس عشرة جهة) من الضرائب أن هذه المدينة كانت تعج بالنشاط الصناعي والتجاري.ويلاحظ أن الإعفاء من هذه الضرائب التي كانت ولا شك تثقل كاهل الصناع والتجار يتفق مع بعض الأحداث في مصر سنة 919هـ (1513م). ومن هذه الأحداث أن الطاعون انتشر بمصر في هذه السنة ومات بسببه الكثيرون، وتعطلت الأعمال، وركدت الأسواق. ومن هذه الأحداث أيضاً أنه في شهر ربيع الأول سنة 919هـ (مايو 1513) ثارت العربان بمصر مما زاد من اضطراب الأحوال، وكثرت الإشاعات بحدوث فتن كبيرة، وازداد الغضب علي السلطان في شهر جمادى الأولي من هذا العام حتى خشى أن يخلع. وبالإضافة إلي ذلك أصاب السلطان رمد شديد في عينه. وقيل إن هذه الأحداث حدت بالسلطان إلي أن يلجأ إلي العدل ومنع المظالم، وليثبت ذلك حلف علي الإخلاص، وأكثر من الإحسان والعفو، وطيب خاطر كل من ظلمهم، وأمن الكثيرين، وأطلق سراح المسجونين، وطلب من ولاته وقضاته ألا يجوروا، وأبطل المشاهرة التي كانت علي الحسبه، والمكوس التي كانت علي القمح والبطيخ وسائر الغلال، ونودى في مصر ألا ظلم اليوم. ويقال إن السلطان لجأ إلي ذلك تقرباً إلي الله ليشفى ما ألم بعينه من رمد، وخوفاً من أن تقع فتنه تؤدي إلي خلعه، ورفعاً للمعاناة عن الناس[28]. ومن الواضح أن ما جاء بالمرسوم من إعفاءات كانت من قبيل أعمال البر المذكورة.

نقش رقم (6) من الشام:

نقش علي حجر بجدار بيمارستان أرغون بمرسوم بتاريخ 22 ربيع الآخر سنة 846هـ (6 سبتمبر سنة 1442م) جاء فيه أن صاحب الديوان الشريف بالمملكة الحلبية المحروسة أبطل أخذ موجب ما يجلبه نصارتي مدينة قاراه معاملة دمشق المحروسة من القماش والثمار خارجة من الفاكهة في معلوم كتابة السر الشريف بحلب[29].

المصطلحات:

- **حلب:** من أكبر مدن الشام. ولها شهرة فائقة في صناعة المنسوجات، وكان بها في عصر المماليك نحو ستة آلاف نول، وكان لتجارها نصيب كبير في السوق المصرية.[30]
- **أرغون:** هو الأمير بين طيجو الكاملي تولي حلب سنة 754هـ (1353م)، ومات بالقدس دون الثلاثين[31].

---

[24] انظر نقش رقم6، 10 في هذا البحث.

[25] صبح جـ 3 ص 467.

[26] الباشا ص 703،704.

[27] حنان ص 150.

[28] ابن إياس: أحداث سنة 919هـ.

[29] Herzfeld, CIA, Syrie du Nord, Alep, P.377, No.229, Pl.CXLVIa.

هذا ووجد علي جدار خان القاضي أمام البيمارستان المذكور نقش آخر بمرسوم يقضي بابطال ما علي نصارا قارا من الموجب (محمد أسعد طلس: الآثار الاسلامية والتاريخية في حلب ص99 حاشية 1).

[30] انظر أيضاً النقش رقم 2 في هذا البحث.

[31] محمد أسعد طلس: المرجع السابق ص 96 حاشية 2.

- **بيمارستان أرغون:** مستشفى بناه الأمير أرغون في حلب في سنة 755هـ (1354م) . ويعد من أفضل المباني من نوعه في سوريا ومصر[32] .
- **صاحب الديوان الشريف بالمملكة الحلبية المحروسة:** هو صاحب ديوان الإنشاء الشريف بإمارة حلب، وكان يطلق أحياناً علي الإمارات في عصر المماليك اسم الممالك، ومن ثم جاز أن يطلق هذا اللقب علي صاحب ديوان الإنشاء بحلب[33] . ولو أن القلقشندى يقرر أن صاحب ديوان الإنشاء بدمشق فقط هو الذي كان يسمح له بهذه التسمية، أما في حلب وحماه وطرابلس فكان اللقب صاحب ديوان المكتبات بحلب أو حماه أو طرابلس، وكانوا جميعاً يعينون من قبل السلطان[34] .

هذا وقد ورد اسم صاحب الديوان الشريف بالمملكة الحلبية المحروسة المذكور ولقبه كما يلي: المقر الشريف العالي المولوى المخدومي الزينى عمر السفاح الشافعي. ويتضح من الألقاب أنه لم يكن من الأمراء العسكريين بل كان مدنياً وكان لقب تعريفه الخاص "زين الدين" ولقب النسبة منه "الزينى".

- **قاراه:** ورد في النقش أنها معاملة دمشق. وردت أيضاً بصيغة قارا وقاره.
- **دمشق:** أكبر إمارات الشام. وكانت مدينة دمشق من أشهر مراكز صناعة الحرير وكان بها نحو ثلاثة آلاف نول، وكان يحاك به أكثر من مائة صنف من أصناف الحياكة ومن هذه الأصناف قماش الألاجا وكان كالأمواج له بريق[35].
- **الموجب:** ضريبة يدفعها التجار علي متاجرهم وأموالهم بنسبة معينة وتحصل لديوان الخاص الشريف أي لديوان السلطان، ومنها مكس[36] السماح وقيمته قطعة ذهبية أو قطعتان يدفعها كل تاجر عن نفسه، ومكس الدخول ويدفعه التاجر عن النقود التي معه بنسبة 2% من قيمتها، 100% من قيمة السلع المجلوبة، وكان يدفع نقداً وعرف هذا المكس في المصطلح المملوكي باسم الخمس[37].
- **المعلوم:** مبلغ مقرر لحساب جهة حكومية. وكان معلوم كتابه السر[38] واحد وعشرين درهماً، ومعلوم الحجوبية الكبرى ثلاثة عشر درهماً[39] .
- **القماش:** هذه اللفظة تتضمن معاني مختلفة منها النسيج وقد يكون من الحرير، والثياب، والزى الرسمي، والثوب الفوقاني ذو الطابع الاحتفالي المميز، ورداء الملوك الخاص بالخدمة[40].

التعليق:

يتضح من النقش أن صاحب ديوان الإنشاء بحلب كان يطلق عليه صاحب الديوان الشريف، كما أن إمارة حلب أو ولاية حلب كانت تسمى أيضاً المملكة الحلبية المحروسة. كما يتضح كذلك أن مدينة قاراه معاملة دمشق – كانت من مراكز صناعة النسيج والمتاجرة في القماش، وأن نصارى هذه المدينة كانوا من أهم التجار في حلب في القماش بالإضافة إلي الثمار،

---

[32] المرجع نفسه ص 96-99.
[33] الباشا ص 672.
[34] القلقشندى: ضوء الصبح السفر ص 328-330.
[35] حنان ص 152،138.
[36] المكس: ضريبة كانت تفرض علي الانتاج وعلي السلع الواردة إلي الموانى المصرية. وعرفت المكوس في عصر المماليك أيضاً بالمال الهلالي.
[37] المقريزى: خطط جـ1 ص 103. والسلوك جـ 1 ص 955 حاشية1 جـ1 ص 451 حاشية 2. انظر نقش رقم 5،10 في هذا البحث.
[38] انظر الباشا: وظيفة "كاتب السر".
[39] انظر الباشا: وظيفة "حاجب".
[40] ماير: ص133-142.

وأن موجب ما كانوا يجلبونه من القماش والثمار يدخل ضمن معلوم كتابة السر الشريف بحلب، وقد أبطل المرسوم هذا الموجب.

نقش رقم (7) من الشام:

نقش بالمدرسة الشمسية بطرابلس بمرسوم باسم برسباى الناصري الظاهرى كافل المملكة الشريفة الطرابلسية بتاريخ جمادى الآخرة سنة 846هـ (7أكتوبر –4 نوفمبر سنة 1442م) وذلك بشأن مسامحة أهل القدموس "بما علي أنوال الحياكة وخراج الكروم مسامحة مستمرة علي الدوام لا ينقضي حكمها ولا يتغير شملها، ونقش ذلك علي الجامع الكبير بابطال هذه المظلمة عنهم"[41] .

المصطلحات:

- **سنة 846هـ:** أثناء ولاية السلطان الملك جقمق، ومدة حكمه من سنة 842هـ (1438-1453م).
- برسباى **الناصرى الظاهر كافل المملكة الشريفة الطرابلسية:** كان برسباى من أمراء السلطان الملك الظاهر ناصر الدين جقمق، وكان والياً علي طرابلس، وقد لقب في النقش بكافل المملكة الشريفة الطرابلسية، كما لقب بالناصري والظاهرى.
- **طرابلس**: من الولايات المهمة في الشام في عصر المماليك، واشتهرت بالنسيج ولاسيما نسيج الحرير، وكانت تنتج أجود أنواع الحرير، ومن حرير طرابلس كانت تصنع الحرائر المقصبة بالفضة والذهب[42].
- **القدموس**: من أعمال طرابلس وكانت من مراكز صناعة النسيج[43].
- **خراج الكروم:** ضريبة كانت تحصل علي الكروم.
- **أنوال الحياكة:** هي أنوال غزل النسيج قماشاً ومنه الحرير. وعرفت أنواع مختلفة من الأنوال: ومنها النول الأفقي (نول المدوس)، والنول الرأسي الذي كان يستخدم لنسج القطع التي يصعب نسجها علي النول الأفقي لاشتمالها علي زخارف وموضوعات تصويرية تملؤها، وعندما زار السلطان شعبان المملوكي أحد مصانع النسيج بمدينة الإسكندرية شاهد أنوالاً أدهشه طريقة نسج الحرير بها بخيوط صاعدة وهابطة ينتج عنها زراكش وثياب حريرية مذهبة تحليها رسوم طيور وحيوانات وزخارف نباتية تملأ ساحتها.[44]. ومن المرجح أن هذه الأنوال هي المعروفة بأنوال السحب أو الجذب اليدوى التي تستخدم في نسج الحرير الذي يتطلب اختلافات وتراكيب نسيجية معقدة[45]. هذا وكانت تنسج علي نول السحب بالمكوك أقمشة حرير وأخبية ذات زخارف تشتمل علي رسوم حيوانات وحشية متتابعة بالإضافة إلي أشرطة مموجة بقصب مذهب[46]. وبالمتاحف المختلفة ولاسيما متحف الفن الإسلامى بالقاهرة نماذج كثيرة من هذه الأنواع[47].
- **مسامحة:** إعفاء.
- **مظلمة:**كانت الضريبة المجحفة أو غير الشرعية تسمى في المراسيم الخاصة بإلغائها بالمظلمة.

التعليق:

---

[41] Sobernheim, CIA, Syrie du Nord, p. 65-66,no.27.

[42] حنان ص143،137، انظر أيضاً نقش رقم 10،8،7،6،5.

[43] انظر أيضاً نقش رقم 7.

[44] النويرى: جـ 2ورقة 142، مرزوق ص 171.

[45] جمال ص17.

[46] مرزوق ص 171.

[47] حسن الباشا: موسوعة العمارة والآثار الاسلامية لوحة 784-807.

يتضح من النقش أن بعض المراسيم كانت تصدر باسم كافل المملكة أى واليها، وتلقيب كافل المملكة الطرابلسية بالناصري يدل علي أن السلطان جقمق كان له نعت خاص هو الناصر أو كان له لقب تعريف خاص آخر هو ناصر الدين ذلك أن لقبيه هما "الظاهر سيف الدين" ومن المرجح أن ذكر "الناصرى" في النقش كان خطأ من الكاتب.

هذا ويرد في النقش "القدموس" بوصفها أحد مراكز النسيج، كما يشير إلي أنه كانت علي أنوال النسيج ضريبة، وكان بعض الولاه يلجئون إلي إلغائها باعتبارها من المظالم.

نقش رقم (8) من الشام:

نقش علي حجر ملصق بحائط منزل مواجه لمدخل المسجد الجامع والمدرسة الشمسية بطرابلس بمرسوم شريف مربع صادر من ديوان الجيوش المنصورة الإسلامية بتاريخ أول شعبان سنة 851هـ (13 أكتوبر سنة 1447م) يقضي بإبطال ما تجدد علي عوام القدموس والكهف والمنيقة والعليقة والخوابي من الأعمال الطرابلسية من الثياب الخام ودورة الاستادار علي حكم المرسوم الشريف المربع المؤرخ ذي الحجة سنة 836هـ (يولية – أغسطس 1433م)[48].

المصطلحات:

- **أول شعبان سنة 851هـ:** أثناء سلطنة الظاهر جقمق، ومدة سلطنته من سنة 842 إلي سنة 857 هـ (1438 – 1453م).
- ذو **الحجة سنة 836هـ:** أثناء سلطنة الأشرف برسباى، ومدة سلطنته من سنة 825 إلي سنة 841هـ (1422 – 1438م).
- **ديوان الجيوش المنصورة:** احد دواوين سلطانية أربعة في دولة المماليك كان بها حق إصدار مراسيم تتعلق بشئونها نيابة عن السلطان، وهذه الدواوين هي ديوان الوزارة، وديوان الخاص، وديوان الاستدارية، وديوان الجيش، وكان ديوان الإنشاء يتولى تحرير هذه المراسيم[49].
- **مرسوم شريف مربع**: مرسوم شريف أى صادر عن السلطان أو نيابة عنه، ومربع عن أي مكتوب علي ورقة مربعة، وجرت العادة أن الأمر أو المرسوم كان يكتب علي ورقة مربعة ترسل إلي ديوان الإنشاء ليكتب به توقيع، وكان يطلق علي هذه الورقة اسم "المربعة"[50].
- **الاستادار:** أمير كبير وظيفته الإشراف علي قصر السلطان وبيوته وخزاناته وحاشيته وغلمانه، وكان له السلطة المطلقة في طلب ما يحتاجه كل من في بيت من بيوت السلطان من النفقات والكساوى وما يجرى مجرى ذلك. وكان للاستادار ديوان خاص يسمى ديوان الاستدارية أو ديوان المفرد مهمته إنفاذ قرارات الاستدار وإرسالها إلي ديوان الإنشاء ليكتب المراسيم علي مقتضاها. وقد أنشئ هذا الديوان في سنة 715هـ (1315م)، وكان يقوم بصرف مرتبات المماليك السلطانية جميعها ونفقتهم من عليق وكسوة، وكان إيراده من البلاد التي أفردت له، وكان يوصف بالشريف نظراً لاختصاصة بالسلطان فيقال "ديوان المفرد الشريف". وكان لكبار الأمراء أيضاً استدارية[51].
- **دورة الاستادار:** كان للاستادار دورة أى خدمة أو ضر تفرض علي بعض الأقاليم وتحصل لحسابه.
- **الثياب الخام:** الحديثة الصنع، ومعنى الخامة الغضة.

---

[48] Van Berchem, CIA, Syrie du Nord, PP 68-9, No. 28.

[49] صبح جـ6 ص 197-202.

[50] صبح جـ 13 ص 154-156.

[51] الباشا: ص 39-59.

التعليق:

يتضح من النقش أن القدموس[52] والكهف والمنيقة والعليقة والخوابي من الأعمال الطرابلسية كانت من مراكز صناعة النسيج بعامة، والحرير بخاصة وأنه كان قد فرض عليها في ذي الحجة سنة 836هـ (يوليو – أغسطس سنة 1433م) ضريبة جديدة علي الثياب الخام وضريبة لحساب الاستدار وذلك بمقتضى مرسوم شريف مربع صادر باسم السلطان الأشرف برسباى، وأنه صدر مرسوم شريف مربع من ديوان الجيوش المنصورة الاسلامية بإبطالها في عهد السلطان الظاهر جقمق . وقد عرف عن السلطان جقمق أنه كان رفيقا برعيته.

نقش رقم (9) من الشام:

نقش بالمسجد الجامع بحلب بمرسوم بتاريخ ذي الحجة سنة 871هـ (يولية 1467م) يقضي بإبطال الجناب الناصرى محمد أمير استادار بناء علي إشارة يشبك البجاسي ملك الأمراء "ما علي دلالين (كذا) قماش المصرى من خدمة الاستدارية عند لبس الخلعة" ولعن من يحدثه[53].

المصطلحات:

- **ذو الحجة سنة 871:** أثناء سلطنة الظاهر سيف الدين خشقدم، ومدة سلطنته من سنة 865 إلي سنة 872هـ (1461 – 1467م).
- **الجناب:** من ألقاب الأصول وهو أرفع من لقب "المجلس"[54].
- **الناصرى:** لقب مفخم نسبة من ناصر الدين.
- **أمير استادار:** صيغة مفخمة للقب استادار[55].
- **ملك الأمراء:** لقب كان يطلق علي أكابر الأمراء من نواب السلطنة بالممالك[56] : أى الولايات.
- **الدلال:** هو الذي يدلل علي البضاعة أي يقدم الأدلة علي مزاياها، ويتوسط بين البائع والمشترى ويحاول التوفيق بينهما[57]. وكانت الدلالة تعرف أيضاً بالسمسرة وبالترجمة، وكان الدلال يأخذ أجرً علي إنجاز البيع من البائع ومن المشترى، وجرت العادة أن يتخصص الدلالون: كل في نوع معين من السلع. وقد ورد ذكر دلال الإبريسم وغيره من الأقمشة في بعض النقوش[58].
- **القماش:** انظر النقش رقم 6 في هذا البحث.
- **خدمة الاستادار:** انظر دورة الاستادار في النقش رقم 8 في هذا البحث.
- **قماش المصرى :** قماش صناعة مصر كان يسوق في حلب. وكانت حلب من أشهر مراكز صناعة الحرير وتجارته في عصر المماليك[59].
- **الخلعة:** الزى الرسمي المؤلف من شاش والقماش والمقصود بالشاش الشال الرفيع الذي يلف حول العمة، وبالقماش الثوب الفوقاني الرسمي كالجبة وغيرها[60]، وكانت الخلعة من علامة الرضى وأحياناً من علامات التعيين في الوظيفة.

---

[52] انظر أيضاً : النقش رقم 7.

[53] Herzfeld, CIA, Syrie du Nord, P. 383, No.237.

[54] انظر حسن الباشا: الألقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ص 241 – 247.

[55] انظر الباشا: ص 186، ونقش رقم 8 في هذا البحث.

[56] حسن الباشا: المرجع السابق ص 502.

[57] عبد الرحمن بن نصر الشيزرى: نهاية الرتبة في طلب الجسبة ص 64.

[58] دليل متحف الآثار العربية في خان مرجان ببغداد ط 2 ص 29،28 لوحة 28.

[59] انظر نقش رقم 2 في هذا البحث.

[60] ماير ص 133-142.

التعليق:

يتضح من النقش أن المرسوم صدر من الجناب الناصرى محمد أمير استادار بتكليف من ملك الأمراء بالمملكة الحلبية[61] يشبك البجاسي وكان ذلك في أواخر سلطنة الظاهر سيف الدين خشقدم ويقضي بإلغاء ضريبة كان يدفعها دلالو قماش المصرى عند لبس الاستادار للخلعة.

نقش رقم (10) من الشام:

نقش بالمدرسة الشمسية بطرابلس بمرسوم بتاريخ 20 المحرم سنة 889هـ (18فبراير 1484م) باسم السلطان قايتباى بإبطال مكس الدواليب الحرير والقصابة بالكهف والقدموس[62].

المصطلحات:

- **السلطان قايتباى:** من سلاطين الجراكسة، ومدة سلطنته من سنة 872هـ إلي سنة 901هـ (1468-1496م).
- طرابلس: عاصمة الولاية الطرابلسية وكانت من أشهر مراكز صناعة الحرير وتجارتة في عصر المماليك. ومن أعمال طرابلس المشهورة بصناعة الحرير وتجارته: الكهف، والقدموس، والخوابي، والعليقة، والمنيقة. ويعد الحرير الطرابلسي من أجود أصناف الحرير، وكان ينسج بطرابلس حرير أبيض كان يصنع منه الحرير المقصب بالفضة والذهب[63].
- **الكهف والقدموس:** من الأعمال الطرابلسية وكانتا من مراكز صناعة الحرير في عصر المماليك[64].
- **المكس:** ضريبة كانت تفرض علي الإنتاج وكذلك علي السلع الواردة الموجودة في الموانى، كما عرفت المكوس في عصر المماليك باسم المال الهلالي[65].
- **القصابة:** القصب اسم قماش رقيق كانت تصنع منه عمائم الرجال وثياب النساء. ويتضح من النص أن القصابه هنا تعنى عملية نسج هذا النوع من الأقمشة. والقصابون هم ناسجو الحرير[66].
- **الدواليب الحرير:** يستخدم في عملية لف فتاله الحرير أو التدوير أو الطلعة علي بكر جهازان: هما جهاز الطيار والدولاب ويستخدمان في لف الخيوط من الشلة يدوياً ولفها علي بكر بالأطوال المطلوبة، وحدث في كل من الطيار والدولاب اليدوى تطوير علي مراحل[67]. وكان يفرض علي دواليب الحرير مكس أي ضريبة تقدر بحسب الإنتاج.

التعليق:

يتضح من النقش أن السلطان قايتباى أبطل مكس دواليب الحرير والقصابة بالكهف والقدموس في 20 المحرم سنة 989هـ (18 فبراير 1484م). وربما يرتبط هذا المرسوم ببعض الأحداث التاريخية المهمة، ذلك أنه في المحرم سنة 989هـ (أى في نفس الشهر الذي صدر فيه هذا المرسوم) هاجم السلطان العثماني بايزيد الثاني دولات بن دلغار بجيش كبير، وكان هذا الهجوم أول اعتداء للعثمانيين علي بلاد السلطان المملوكي. ومن الطبيعي أي يعم الضيق والقلق رعية السلطان المملوكي مما قد يدفعه إلي طمأنتهم والتقرب إليهم بأمور قد يكون منها إلغاء بعض الضرائب، وربما كان المرسوم المذكور من ضمن هذه الأمور.

---

[61] انظر النقش رقم 6،2.

[62] Sobemheim, P. 79-80, No. 33.

[63] حنان ص 137،138. انظر أيضاً النقش رقم2، 6.

[64] نفسه.

[65] المقريزى: خطط جـ 2 ص 103،121، صبح جـ 3 ص 467، انظر أيضاً النقش رقم 7،8.

[66] جمال ص 26.

[67] جمال ص 18.

نقش رقم (11) من الشام:

نقش علي لوح رخام من القدس الشريف بمرسوم بتاريخ 6 ذي القعدة سنة 902 هـ (6يوليو 1497م) باسم السلطان الناصر محمد بن قايتباى يقضي بإبطال ما جدد علي القصابين والمتسيبني بالقدس الشريف عن الحمايات والرمايات والمظالم[68].

المصطلحات:

- **السلطان الناصر محمد بن قايتباى:** من سلاطين الجراكسة، ومدة حكمه من سنة 901-904هـ (1496-1498م).
- **القصابون:** انظر نقش رقم 10 .
- **المتسببون:** انظر نقش رقم 3.
- **الحمايات:** اسم ضريبة ربما كانت تفرض مقابل الحماية.
- **الرمايات:** اسم ضريبة ربما كانت تفرض علي المخلفات التي تتخلف من الصناعة أى التي يرمي بها.

التعليق:

يتضح من النقش أنه كان قد جدد علي القصابين والمتسببين بالقدس الشريف ضرائب من الحمايات والرمايات ألغاها السلطان الناصر محمد بن قايتباى بوصفها من المظالم، كما يتضح أيضاً أن القدس الشريف كانت من مراكز صناعة الحرير.

الخاتمة:

ورد في هذه النقوش المتضمنة لمراسيم ذات صلة بالحرير وصناعته وتجارته معلومات مختلفة عن مراكز صناعة الحرير في مصر والشام وتجارته وأصناف الحرير ومواد وأساليب وأدوات صناعته، وعن الضرائب التي كانت تفرض عليه، والجهات والمواد والأشخاص وأصحاب المهن والحرف الذين كانت تفرض عليهم هذه الضرائب، والجهات التي كانت تصدر المراسيم المتعلقة بهذه الضرائب وإلغائها: وفيما يلي قوائم بهذه المسميات:

مراكز صناعة الحرير وتجارته:

1. المراكز التي لم ترد في المصادر الأخرى:

أ. في مصر:

- فوه بالمزاحمتين (نقش رقم 4،2).
- المحلة الكبرى (نقش رقم 3).
- نطوبس (مطوبس) (نقش رقم1).

ب. في الشام:

- الخوابي (نقش رقم 8).
- العليقة (نقش رقم 8).
- قاراه (نقش رقم 6).
- القدموس (نقش رقم 7 ، 8 ، 10).
- الكهف (نقش رقم 8 ، 10).
- منوات (نقش رقم 2).

[68] Van Berchem, CIA, Syrie du Süd, I, Jerusalem "Ville". P. 374, 5, No., 107.

- المنيقة (نقش رقم 8).

2. المراكز التي ورد اسمها في المصادر الأخرى:

أ. في مصر:

- الثغر المحروس (الإسكندرية) (نقش رقم 2).

ب. في الشام:

- الشام (دمشق) (نقش رقم 2).
- حلب (نقش رقم 2).
- حماه (نقش رقم 2).
- طرابلس (نقش رقم 7 ، 10).
- القدس الشريف (نقش رقم 11).

أصناف الحرير وأساليب وأدوات صناعته:

- الأطرون (النطرون) (نقش رقم 4).
- أنوال الحياكى (نقش رقم 7).
- الثياب الخام (نقش رقم 8).
- الحرير (نقش رقم 2 ، 10).
- الحياكة (نقش رقم 7).
- الخلعة (نقش رقم 9).
- دواليب الحرير (نقش رقم 10).
- القصابة (نقش رقم 10).
- القماش (نقش رقم 6).
- قماش المصرى (نقش رقم 9).

الضرائب المفروضة علي الحرير ومتعلقاته:

- الإنفاد (نقش رقم 1).
- الحسنة (نقش رقم 3).
- الحمايات (نقش رقم 11).
- خدمة الاستادرية (نقش رقم 9).
- الخراج (نقش رقم 7).
- دورة الاستادار (نقش رقم 8).
- المايات (نقش رقم 11).
- المظلمة (نقش رقم 8).
- المظالم (نقش رقم 11).
- المظالم المحدثة (نقش رقم 1).
- معلوم كتابة السر الشريف بحلب (نقش رقم 6).
- المكس (نقش رقم 10).
- الموجب (نقش رقم 6).
- الهلالي (نقش رقم 5).

الأشخاص وأصحاب المهن والحرف ذات الصلة بالحرير:

- تجار الحرير الواردون علي فوه والمتوجهون إلي الثغر المحروس من الشاميين والحلبيين والحميين والمناوتين والأعاجم وغيرهم (نقش رقم 2).
- دلالو القماش المصرى (نقش رقم 9).
- الصباغون (نقش رقم 5).
- عوام القدموس والكهف والمنيقة والعليقة والخوابي من الأعمال الطرابلسية (نقش رقم 8).
- القزازون (نقش رقم 5).
- القصابون (نقش رقم 1 ، 4 ، 5 ، 11).
- المتسببون (نقش رقم 3 ، 11).
- نصارى مدينة قاراه (نقش رقم 6).

جهات إصدار المراسيم المتعلقة بالحرير:

- أمير استادار (نقش رقم 9).
- أمير الأمراء (نقش رقم 9).
- ديوان الجيوش المنصورة الإسلامية (نقش رقم 8).
- الشيخ (نقش رقم 4).
- السلطان (نقش رقم 1 ، 2 ، 3 ، 5 ، 10 ، 11).
- صاحب الديوان الشريف بالمملكة الحلبية المحروسة (نقش رقم 6).
- كافل المملكة الشريفة الطرابلسية (نقش رقم 7).

اختصارات المراجع العربية:

ابن إياس: محمد بن أحمد إياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور.

الباشا: حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف علي الآثار العربية، 1965-1966، دار النهضة العربية، القاهرة.

جمال: جمال محمود مرسي: المنسوجات الحريرية في مصر المملوكية.
رسالة الماجستير – كلية الآداب – جامعة القاهرة – 1976.

حنان: حنان قرقوتي: ملامح من صناعة النسيج عند المسلمين، الدارة – العدد الرابع – السنة الخامسة والعشرون – 145، ص129-189.

صبح: القلقشندى: صبح الأعشى في صناعة الإنشا.

عزة: عزة علي عبد الحميد شحاتة: الكتابات الأثرية بعمائر محافظة كفر الشيخ من العصرين المملوكي والعثماني، رسالة ماجستير – كلية الآداب – جامعة طنطا (مصر) سنة 1996.

مرزوق : محمد عبد العزيز مرزوق :طراز الإسكندرية . كتاب مؤتمر الآثار المنعقد بدمشق سنة1948 ص 165 – 175 .

النويري : الإعلام بالإلمام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة الإسكندرية – مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 3942 .

Abbreviations:

CIA : Materiaux pour UN carpus inscription arabicarum ,
Memoires,de l institut francais d'archologie .

Sobernheim : Sobernheim , CIA, Syrie du Nord .

Wiet : Wiet ,G, Decrets Mamlouks d'Egypte.

المراجع العربية :

بن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .

حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية . القاهرة 1975 م .
: موسوعة العمارة والإسلام ، والفنون الإسلامية ، مصر وبيروت 1999 م .
حسن عبد الوهاب : طرز العمارة الإسلامية في ريف مصر – مجلة المجمع العلمي المصري- المجلد الثامن والثلاثون 1956 – 1957 .
صلاح عزام ، السيد عبد الرحيم القنائي ، شخصيات صوفية ، دار الشعب ، 1970 .
القلقشندى: ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر. القاهرة 1906.
كونل (أرنست): الفن الإسلامى – ترجمة الدكتور أحمد موسى – دار صادر – بيروت.
محمد أسعد طلس، الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب – مطبعة الشرق بدمشق – 1956.
المقريزى (تقي الدين أحمد بن علي): كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك.
كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.
ابن مماتي (الأسعد أبو المكارم): قوانين الدواوين – مطبعة مصر 1943.
يحيى بن الجيعان (القاضي شرف الدين) التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، مطبعة بولاق 1898.

المراجع الأوربية:

Van Bercham (Max Van), CIA, Syrie du Nord.
Hertzfeld, CIA, Syrie du Nord, Alep.

صدیری مملوکی من الحریر به أربعة زرایر

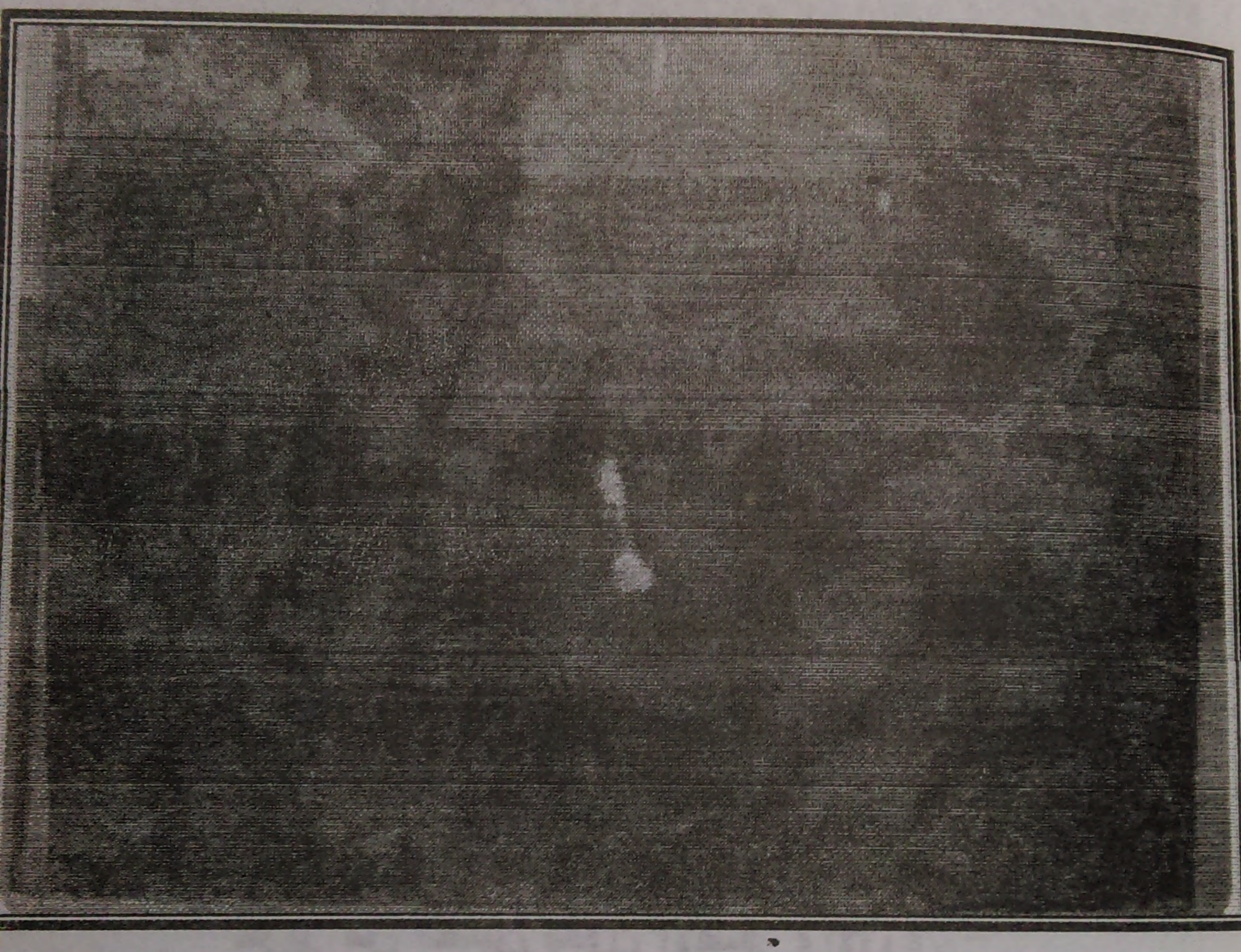

قميص من الحرير الأصفر من العصر المملوكى
- متحف الفن الإسلامى بالقاهرة سجل رقم ٤٠

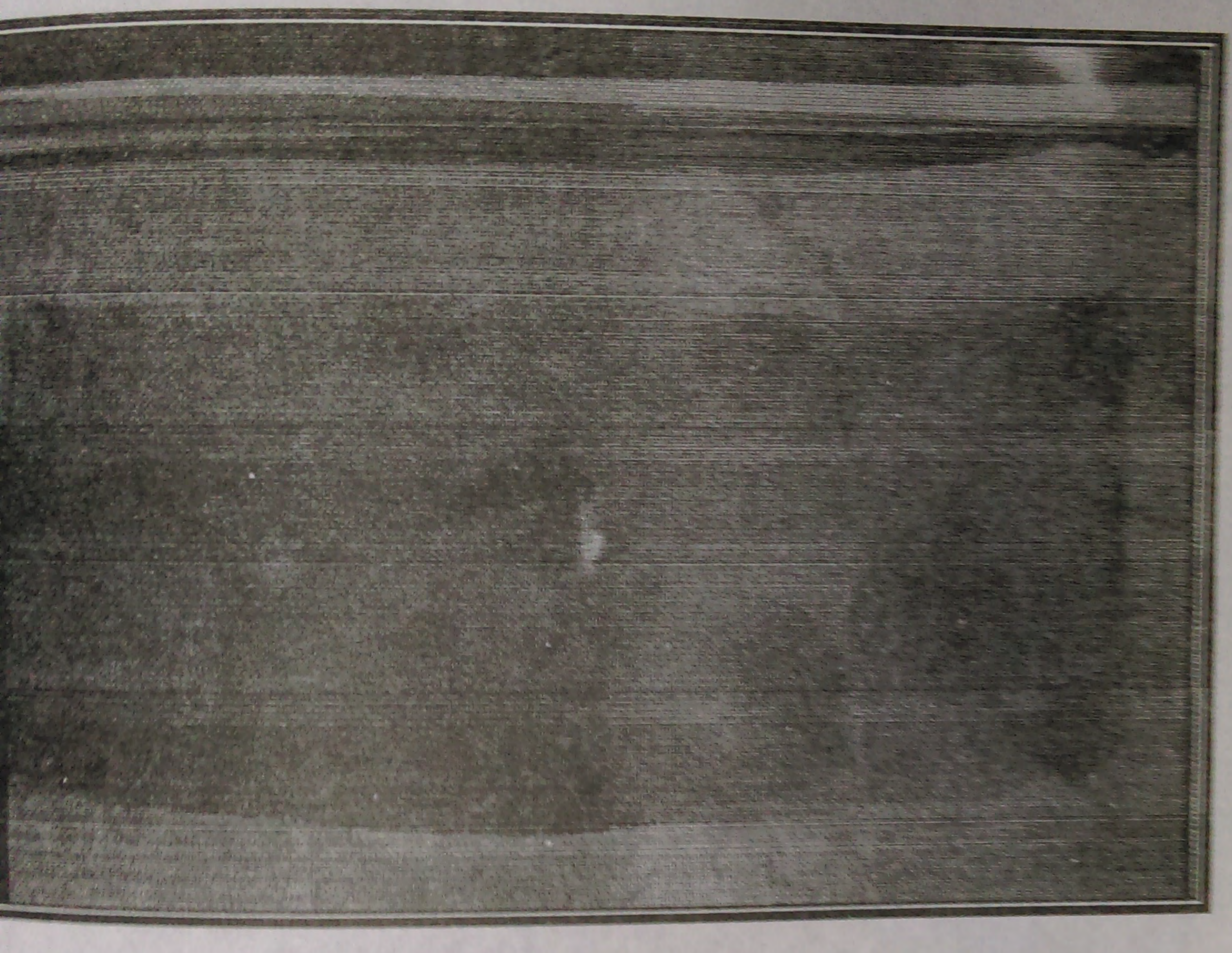

حرير من الصين بالون الأصفر والأزرق -
متحف الفن الإسلامى بالقاهرة

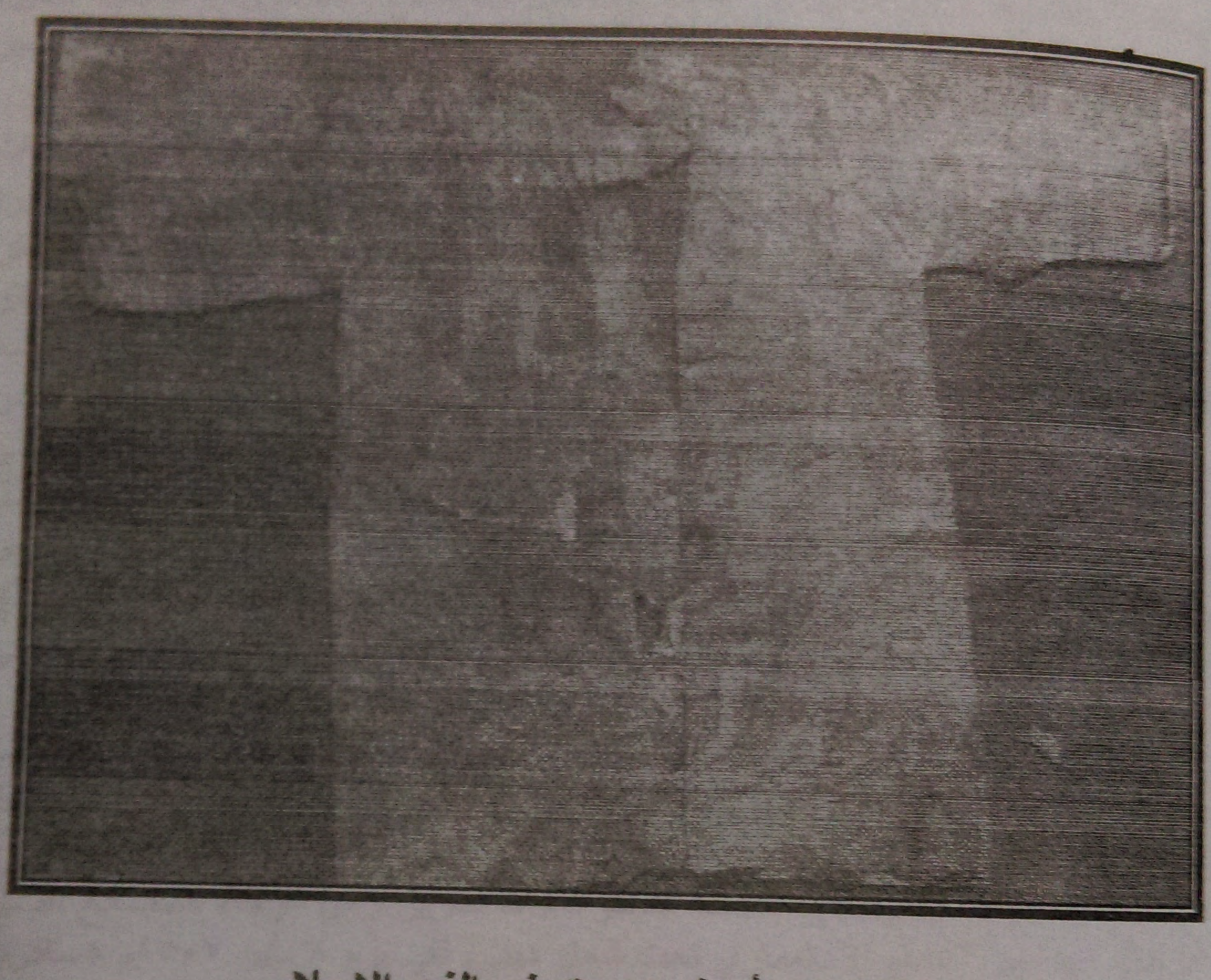

حرير مملوكى أصفر - متحف الفن الإسلامى
بالقاهرة رقم ٤٧٠١

القلاع والحصون العمانية وعلاقتها بالطرز البرتغالية

د. حمزة عبد العزيز بدر*

تعد عمان ثاني أكبر دولة في منطقة شبه الجزيرة العربية، وتمتد سواحلها لأكثر من ألف وسبعمائة كيلومتر، وعلى طول هذا الساحل نجد عشرات القلاع والحصون، وقد نسب الكثير منها إلى فترة الاحتلال البرتغالي، بل وذهب البعض إلى أنها حصون برتغالية، وأنها لا تعتبر جزءا من فن العمارة العماني(١)

غير أن الزائر غير المتخصص – فضلا عن المتخصص – يلحظ بوضوح أن مفردات عمارة هذه القلاع والحصون التي نسبت إلى البرتغاليين من عقود زورقية وأعمدة بنائية قصيرة ومقاطات وأقواس وشرفات وغيرها هي من مفردات العمارة الإسلامية، وترى بوضوح في سائر العمائر الإسلامية في عمان من مساجد ومدارس وبيوت محصنة، وأسواق، فضلا عن العمائر الحربية المختلفة، سواء كانت تلك العمائر على الساحل أو في المناطق الداخلية، فما هي حقيقة العلاقة بين هذه القلاع والحصون الرابضة على الساحل العماني وبين الوجود البرتغالي على ساحل عمان والذي امتد لنحو قرن ونصف من الزمان، وعلى وجه التحديد من سنة ١٥٠٧م إلى ١٦٥٠م، حين توحدت جهود العمانيين، ونجحت في طرد آخر جندي برتغالي من مسقط، بل وتتبعتهم حتى الهند شرقا والساحل الأفريقي غربا، وصدق الإمام اليعربي سلطان بن سيف حين قال "وأنا لنأخذهم في كل موضع تحل به مراكبهم وتغشاه من كنج وجيرون وبندري شاه(٢). وكان ذلك إيذانا بمولد دولة إسلامية فتية ستلعب دورا مهما في تاريخ هذا الجزء من العالم، وفي نشر الإسلام والثقافة الإسلامية والعربية في هذه الأماكن النائية.

فكيف كانت حصون البرتغاليين وصياصيهم في عمان، وما هو طرازها المعماري، وما هي علاقة كل ذلك بالآثار القائمة في المواضع التي كانت نقاطا حصينة للبرتغاليين على الساحل العماني؟ وفي محاولة للإجابة عن بعض هذه التساؤلات تأتي هذه الدراسة.

لم تمض سنوات قلائل على اكتشاف فاسكو داجاما لطريق رأس الرجاء الصالح حتى بدأت البرتغال عهدا من التوسع الاستعماري تحت شعار ديني، ففي يوم ٨ مايو ١٥٠٧م غادرت لشبونة حملة عسكرية ضخمة تتكون من ١٦ سفينة حربية وعلى رأسها قائدين شهيرين هما تريستو دي كونها والفونسو دي البوكيرك(٣) (الشكل رقم ١) ، وكان البوكيرك قد سبق له زيارة الهند سنة ١٥٠٣م ووضع خطة لتحقيق السيادة البرتغالية البحرية باحتلال الموانئ التجارية على طول الطريق البحري بين الهند ورأس الرجاء الصالح وجعلها مراكز منيعة للبرتغاليين (٤)، وسد منافذ التجارة الإسلامية في البحر الأحمر والخليج العربي، وقد اتسمت هذه الحملة بالكثير من

---

* أستاذ مساعد بكلية الآداب -سوهاج -وحالياً معار بكلية الآداب – جامعة السلطان قابوس

١ – كالديري، يوجينيو، حصن جبرين ، تحفة رائعة من العمارة العمانية في القرن السابع عشر، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، سلسلة تراثنا، العدد الثاني والأربعون الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ص ٤

٢ – السالمي، ابي محمد عبدالله بن حميد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتبة اشاعت الإسلام ، دهلي، الهند ، الجزء الثاني ، ص ٥١.

٣ – حنظل، فالح ، العرب والبرتغال في التاريخ، منشورات المجمع الثقافي أبوظبي،الإمارات العربية المتحدة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ص ١٦٧.

٤ – العابد، صالح محمد، الصراع العماني البرتغالي، الوثيقة، مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين، العدد الثالث عشر، يوليو ١٩٨٨م، ص ٣٣.

Scanned by CamScanner

العنف ومظاهر الوحشية من حرق للمدن وإعدام للأسرى وجدع للأنوف والأذان، وتعتبر استمرارا للحملات الصليبية التي عرفها المشرق الإسلامي بل أن تاريخ البرتغال نفسه ونشأتهم كقومية مستقلة يرتبط ارتباطا وثيقا بهذه الحملات، إذ عندما استجاب مئات الآلاف من الأوروبيين لنداء البابا يوحنا الثاني وتكونت الحملة الصليبية الثانية طلب "الفونسو هنريك" الملك البرتغالي من قادة هذه الحملة مساعدته في استخلاص لشبونة من أيدي العرب ووضعت خطة مشتركة للجيشين البرتغالي والصليبي وشنا هجوما مشتركا كاسحا على لشبونة ونجحا في انتزاعها من العرب في ١١٤٨/٦/٢٥م وتم تحويل مسجدها الجامع إلى كنيسة هي كتدرائية لشبونة حاليا(٥)،واشتركت بعد ذلك كل من إنجلترا والبرتغال في تكوين وحدات عسكرية صليبية ،وأعلن أن مملكة البرتغال تقوم على إرادة المسيح(٦)، وكونت البرتغال أسطولا بحريا قويا كانت سفنه ترفع شعار الصليب على أشرعتها، بل وكانت بعض قطعه تحمل أسماء رموز مسيحية مثل "سان جورج" و"سان جون" و"سان فنسنت" كما كان من عادتهم إطلاق أسماء مسيحية على القلاع والحصون التي أنشأوها سواء في شرق أفريقيا أو على ساحل الخليج العربي والهند، وقد منحت بريطانيا دون جوان (دوم جواو) ملك البرتغال لقب فارس القديس جورج، واتخذ هو نفسه من شعار القديس جورج (التنين) شعارا لدولته واصبح نداء "يا قديس جورج" بمثابة النشيد الوطني الذي يلهب الحماس ويدعو إلى الحرب والفتح، كما خلع على إبنه الأمير هنري لقب "السيد المنفذ لإرادة المسيح" Master Of The Order Of Christ ، وقد بارك البابا له هذا اللقب مما دفعه لأن يتمسك به لينفذ الإرادة التي أعتبرها أمرا ربانيا لنشر المسيحية(٧)، وأصدر الباب نيقولا الخامس منشورا يبارك فيه جهود الأمير البرتغالي هنري الملاح ويعطيه الحق في أن يغزو جميع الشعوب والأقاليم التي يسودها أعداء المسيح(٨)،وقد أسس هذا الأمير المركز البحري الحربي جنوب البرتغال وهو معهد لدراسة علوم الفلك والفضاء والرياضيات العلوم البحرية(٩)،واندفع هذا الأمير إلى الفتوحات والاكتشافات وأرسل إلى البابا يخبره أن الرسالة الإلهية التي يحملها توجب عليه أن يدخل الشعوب التي يسيطر عليها في دين المسيحية، وأن الغاية الأولى لاكتشافاته هي التبشير بالمسيحية(١٠).

والواقع أننا لا نستطيع أن نفصل بين الأهداف الدينية والسياسية والاقتصادية التي غلفت الاكتشافات والحملات البرتغالية والتي انتهت باكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في نهاية القرن الخامس عشر وقد كان ذلك عملا حاسما في تاريخ العالم، إذ مهد الطريق للبرتغال لتكوين إمبراطورية كبيرة في الهند والشرق عامة وأصبحت بذلك أول دولة استعمارية بالمفهوم الحديث للكلمة تلتها بعد ذلك إنجلترا وفرنسا وغيرها من الدول الأوروبية.

وفيما يتعلق بعمان فقد كان نزول البرتغاليون إلى سواحل عمان واحتلالهم للمدن الرئيسية على هذا الساحل في زمن الإمام محمد بن إسماعيل الذي تولى الحكم ٩٠٦هـ/١٥٠٠م

---

٥ – حنظل، العرب والبرتغال ، ص ٧٦.

٦ – حنظل، العرب والبرتغال، ص ٨٩.

٧ – الصيرفي ، نوال حمزة، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ص ٦٩.

8 - Basheer Ahmood , Kazim, Portuguese Explorations And Their Aims. الوثيقة، العدد ١٣ ، ص ٢٢٣.

٩ – فالح حنظل، العرب والبرتغالي ، ص ٩٢.

١٠ – السالمي ، تحفة الأعيان ، الجزء الأول ، ص٢٦٥.

Scanned by CamScanner

وقد كان هذا الإمام مقيما بنزوى في الحارة الغربية بسكة باب مرار(١١)، ولم تكن لـه سيطرة كبيرة على المناطق الساحلية، إذ يذكر المؤرخون البرتغاليون أن دولة هرمز التابعة للمملكة الصفوية في إيران كان لها نفوذ على المدن الساحلية العمانية وشواطئ الساحل الغربي في منطقة البحرين، وكذلك مدينة البصرة في العراق(١٢)، وقد توفي هذا الإمام عام ٩٤٢هـ/١٥٣٥م، وخلفه ابنه بركات وفي عهده تشتت الكلمة، وتفرقت الجماعات، وضعفت دولة المسلمين ووهنت قوتهم، وطمع فيهم من كان لا يطمع، فصار الملك متفرقا في أيدي الرؤساء من النباهنة وآل عمير وآل هلال، وصارت الشدة على أهل عمان، ولم تبق دولة المسلمين إلا في مكان دون مكان(١٣)، ويذكر ب.ج سلوت أن المدن والقرى الصغيرة كانت أشبه بجزر يفصل فيما بينها البحر أو الجبال أو الصحراء، ونظرا لافتقارها لسبل الاتصال فقد كان لكل منها تاريخها الخاص، وحياتها القبلية الخاصة وروح قوية نحو الاستقلال(١٤).

كانت خطة القائد البرتغالي الفونسو البوكيرك تقوم على أن يسيطر على عدن ثم يدخل بسفنه البحر الأحمر ويستولي على الأماكن المقدسة الإسلامية ليقايضها بكنيسة القيامة بالقدس(١٥)، وسد منافذ التجارة الإسلامية المتمثلة في البحر الأحمر والخليج العربي(١٦).

غير أن البوكيرك اتخذ قرارا جديدا وهو أن احتلال مدخل الخليج العربي وجزيرة هرمز يشكل هدفا استراتيجيا أهم في هذه المرحلة من احتلال عدن أو قصف جدة بالمدافع، وأن إيجاد قواعد عسكرية برتغالية متقدمة وقريبة إلى الهند وتقع في مدخل الخليج العربي سيؤدي إلى نتائج عسكرية أفضل من السيطرة على البحر الأحمر في هذه المرحلة.

بدأ البوكيرك بالسيطرة على جزيرة سقطرة، وأمر بنصب الصلبان على مسجد المدينة وتحويله إلى كنيسة أطلق عليها كنيسة سيدة النصر

Our Lady Of The Victory، ثم أمر بالبدء في بناء قاعدة بحرية أطلق عليها سان ميشيل(١٧).

وفي ١٤ أغسطس ١٥٠٧م مرت سفن البوكيرك بجزر كوريا موريا (جزر الحلانيات حاليا) التابعة لمملكة عمان ووصلت إلى منطقة رأس الحد العمانية حيث وجد نحو أربعين سفينة تابعة لمملكة هرمز فاستولى على ما بها ثم أحرقها(١٨)،وواصل البوكيرك إبحاره حتى وصل ميناء قلهات الواقع بين رأس الحد ومسقط، وكانت قلهات في ذلك الوقت تابعة لمملكة هرمز وتعتبر واحدا من أهم الموانئ للتجارة العربية والهندية، أرسل البوكيرك وفدا إلى حاكم المدينة يطلب منه تسليم المدينة دون قيد أو شرط، ونقل تبعيتها لملك البرتغال، وقد وافق الحاكم الفارسي

---

١١ – السالمي، تحفة الأعيان / الجزء الأول، ص ٢٦٥.
١٢ – الصيرفي ، نوال، النفوذ البرتغالي ، ص ٥٥ .
١٣ – السالمي، تحفة الأعيان، الجزء الأول، ص ٢٧١ .
١٤ – سلوت، ب.ج، عرب الخليج، ١٦٠٢ – ١٧٨٤م ترجمة عايدة خوري، المجمع الثقافي أبوظبي، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص ٢٨
١٥ – فالح حنظل، العرب والبرتغال، ص ٢١٧.
١٦ – الصيرفي، نوال، النفوذ البرتغالي، ص ١١٧.
١٧ – فالح حنظل، العرب والبرتغال ص ١٧٣.
١٨ – الصيرفي، نوال، النفوذ البرتغالي، ص ١١٩؛ ويلسون، سير ارنولد ت، تاريخ الخليج، ترجمة محمد امين عبدالله، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص٦٦ .

Scanned by CamScanner

عطار) بشروط الاستسلام وهي دفع ضريبة سنوية قدرها خمسة عشر الف دينار اشرفي والخضوع لملك البرتغال، وبناء قلعة على الجزيرة تكون قاعدة للأسطول البرتغالي الذي سيعمل في الخليج أطلق عليها قلعة سيدة النصر (السيدة العذراء) Nossa Senhora Da Vicrtoria، كما قام بتعيين بيرو فاز دي أورتا وكيلا للمركز التجاري المزمع فتحه هناك([30])، وبالفعل بدأ في بناء القلعة بعد أسبوعين فقط من معركة هرمز أي يوم ١٥٠٧/١٠/٢٤م، وفي يناير ١٥٠٨م وقبل أن يكتمل بناء القلعة – كان قد تم بناء الأبراج فقط – دار نقاش حاد بين قادة الوحدات البرتغال وقائدهم البوكيرك حول جدوى البقاء في هرمز. وجدوى بناء قلعة فيها، وكانت وجهة نظر المعارضين من الضباط أن الجهود العسكرية التي صرفت إلى الآن كان يجب أن تكون في الهند لأنها مصدر التجارة الأصلي، وأنه سيكون من مصلحة ملك البرتغال بشكل أفضل لو توجه الأسطول إلى رأس الغضروفي، وتربص للسفن القادمة من الهند حاملة التوابل والبهارات بدلا من تضييع الوقت في بناء حاميات قد يستولي عليها العرب عاجلا أو آجلا([31])، وتطور الأمر إلى ما يشبه العصيان حيث بقي الضباط على سفنهم وأعلن جنود المدفعية أنهم لن يطيعوا الأوامر، وصدر الأمر بإيقاف العمل في بناء القلعة، وأصدر نائب الملك في الهند أمرا بإجراء تحقيق في الموضوع([32]).

ومن ثم ففي هذه الفترة المبكرة نجد الحديث عن بناء قلاع برتغالية في ثلاثة أماكن فقط هي سوقطرة ومسقط وهرمز، مع اقتناع من جانب الضباط البرتغاليين أنفسهم بعدم جدوى بناء قلاع وترك حاميات في هذه الأماكن، ووجهة النظر هذه كان لها ما يبررها، إذ عندما رجع البرتغاليون من هرمز إلى سوقطرة بعد ثمانية أشهر وجدوا الحامية التي تركوها بقيادة الضابط "ألفونسو ي نورنها" في حالة يرثى لها، فقد كان رجالها يموتون جوعا لأن المسيحيين أخفقوا في العناية بهم خشية عقاب جيرانهم المسلمين([33]).

وفي هذا الصدد لا بد أن نشير إلى بعض الحقائق الهامة المتعلقة بالوجود البرتغالي على ساحل الخليج العربي:

أولا: أن البرتغاليين هم أول من أنشأ القلاع والمحطات التجارية من الأوروبيين في آسيا وأفريقيا.

ثانيا: أن الاستحكامات البرتغالية في هذه المناطق الساحلية وفي غيرها من المستعمرات البرتغالية الجديدة كانت من الناحية الإنشائية استحكامات ضعيفة – وسنرى من الأدلة الآثارية ما يؤيد ذلك –ومن الناحية العسكرية فإن القوة المتواجدة بها كانت في معظم الأحوال تتصف بالضعف وقلة العدد.

ثالثا: أننا لا نستطيع أن نفرق كثيرا بين القلعة والمحطة التجارية المحصنة، وأن الغرض من هذه القلاع والمحطات التجارية ليس الاستيلاء على الأرض وحكم الشعوب، وإنما الغرض منها وكما ورد في رسالة الحاكم البرتغالي إلى ملك البرتغال سنة ١٥١٩م (وهي نفس الفترة التي أنشئت فيها التحصينات البرتغالية الأولى على الساحل العماني) "أنه لم يبن القلاع في

---

[30] – الصيرفي، نوال ، النفوذ البرتغالي، ص ١٢٥، ويلسون، تاريخ الخليج ، ص ٦٥ – ٧٢؛ فالح حنظل، العرب والبرتغال ، ص ١٠٨.

[31] – ويلسون، تاريخ الخليج، ص ٧٢، عوض عبدالعزيز ، تاريخ الخليج ، ص ٢٠؛ فالح حنظل العرب والبرتغال، ص ٨٩

[32] –ويلسون، تاريخ الخليج ، ص ٧٢

[33] – ويلسون ، تاريخ الخليج، ص ٦٦، بيتر فاين، تراث عمان ، ص ٧٥.

Scanned by CamScanner

الهند بغية الغزو والاستيلاء على الأرض وإنما استهدف فقط حماية تجارته عند السواحل[٣٤]، ثم سار الهولنديون والإنجليز على درب البرتغاليين في إنشاء المحطات التجارية المحصنة وغير المحصنة، فهي تتحدر مباشرة من الوكالات التجارية البرتغالية Feitorias التي تناثرت على طول شواطئ آسيا وأفريقيا، وكانت البداية مع تشييد قلعة أرجويم على الساحل المراكشي سنة ١٤٤٥م، وانتهت بالمحطة التجارية التي أقيمت في ناجازاكي سنة ١٥٧٠م[٣٥]، وترجع جذور هذه المحطات التجارية البرتغالية إلى مؤسسة الفندق التي عرفت منذ العصور الوسطى كمنشأة تجارية ومؤسسة لخدمة التجار، وتعتبر ذروة ما وصل إليه اجتهاد القوامين على التجارة حكومة وتجارا، وطنيين وأجانب[٣٦].

والواقع أن الوجود البرتغالي في شبه الجزيرة العمانية – وأيضا في هرمز وغيرها من المستعمرات البرتغالية – كان وجودا هشا على الساحل معدوم التأثير على المناطق الداخلية[٣٧]، ويعتمد أساسا على التواجد القوي في البحر من خلال السفن التي كانت تعتبر أفضل وأقوى أسطول أوروبي في ذلك الوقت ، وكانت تتدخل دائما لنجدة الحامية الضعيفة قليلةالعدد على الساحل، يؤيدنا في ذلك ما ذكره المؤرخ العماني السالمي عن فتح الصير (جلفار) واستخلاصها من أيدي البرتغاليين على يدي الإمام ناصر بن مرشد "وكان بحصن الصير برج معتزل له جدار متصل بالحصن،.وفيه قوم تقاتل بالليل والنهار، وكانت النصارى في البحر تدافع بمدافعها المسلمين عن الحصن[٣٨]، كما تظهر تصاوير بعض هذه الحصون في المخطوطات البرتغالية خالية من قطع المدفعية، بل إن بعضها يظهر ولا توجد به أية فتحات لإطلاق المدافع أو البنادق، وهو ما يتفق مع كونه محطة تجارية أكثر منه قلعة أو حصن. ومما يؤكد على ضعف الوجود البرتغالي على الساحل قيام العديد من الثورات ضدهم وكانت هذه الثورات تتحدى النفوذ البرتغالي، وما كانت السيطرة على الأمور تعود إليهم إلا مع وصول الإمداد البحري ففي سنة ١٥٠٨م تتحدث المصادر البرتغالية عن ثورة في قلهات فعاد إليها البوكيرك ودمرها تدميرا شاملا وارتكب أبشع المذابح وأحال المسجد الجامع إلى كومة من الأحجار (وما يزال حتى الآن).

سنة ١٥١٥م ثورة ريس حميد في هرمز وقد عاد البوكيرك بنفسه من مركز حكمه في الهند ليخمد هذه الثورة.

سنة ١٥٢١م تتحدث المصادر البرتغالية عن ثورة عربية في البحرين ضد السلطات الهرمزية المتعاونة مع البرتغاليين، ومصرع قائد الحملة البرتغالية هناك.

سنة ١٥٢١م تذكر المصادر البرتغالية أن هذا العام شهد ثورة شاملة ضد البرتغاليين بسبب الضرائب والسلب والنهب وجباية الأموال غصبا.

سنة ١٥٢٦ ثورة عمانية شاملة ضد حاكم مسقط البرتغالي وشريكه رضا شرف بسبب فرض ضرائب باهظة على أهل عمان، مما استدعى قدوم نائب الملك البرتغالي على رأس خمس سفن قدمت من الهند وعليها ٣٠٠ جندي قامت بتدمير قلهات ومسقط.

---

٣٤ – بوكسر، ك.د. ، امبراطورية هولندا البحرية، ١٦٠٠– ١٨٠٠م، ترجمة شوقي جلال، مجمع الثقافي بأبوظبي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص ٢٦٣

٣٥ – بوكسر، المرجع السابق، ص ٢٦٥

٣٦ – فهمي، نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣م، ص ٢٨٨

٣٧ – مال الله، بن علي بن حبيب، ملامح من تاريخ عمان ، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ص ٢٠

٣٨ – السالمي، تحفة الأعيان، الجزء الثاني، ص ١٣

Scanned by CamScanner

سنة ١٥٥٠م أهالي ظفار ينزلون هزيمة كبيرة بالبرتغاليين ويقتلون "لويس فيجارو" قائد القوة البرتغالية، ويهرب نائبه من الخدمة العسكرية.

سنة ١٥٥٢م بيري رئيس قائد الأسطول التركي يحاصر مسقط ويقصفها لمدة ثمانية عشر يوماً، ثم ينجح في الاستيلاء على المدينة ويأسر القائد البرتغالي (جوا اللشبوني) ومعه ٦٠ من رجاله ومن ثم يقضي على النفوذ البرتغالي في مسقط غير أنه يغادر المدينة ومعه الأسرى دون أن يترك حامية بها أو يسلمها للأمراء العرب. وعندما عاد البرتغاليون إلى المدينة قامت السلطات البرتغالية بتقوية دفاعات المدينة فجددت بناء قلعتي الأدميرال (الميراني) وسانت جوا (الجلالي).

سنة ١٥٥٩م ثورة أخرى في ظفار أشارت إليها المصادر البرتغالية بدون تفصيلات.

سنة ١٥٨١م نجح الأتراك في احتلال مسقط احتلالا مؤقتا بقيادة علي بك شلبي على رأس أسطول من ثلاث سفن فقط حيث قام بجر مدفع إلى موقع مرتفع، وهدم بواسطته الأسوار التي لم يكن قد انتهى العمل فيها بعد، ويبدو أن البرتغاليين فوجئوا به فتركوا القلعة العسكرية منهزمين مذعورين وفروا هاربين إلى "بركا"[٣٩] وبعد ذلك عاد البرتغاليون لتثبيت مواقعهم في الخليج فقاموا سنة ١٥٨٦م ببناء قلعة ثانية في مسقط انتهوا منها عام ١٥٨٨م، أطلقوا عليها قلعة سان جون، وكانوا قد إنتهوا من بناء القلعة الأولى سنة ١٥٨٦م، وهي قلعة الميراني AL Mirantie أي الأدميرال أو أمير البحر[٤٠].

وفي سنة ١٦١٦م استطاع محمد بن مهنا حاكم صحار أن يستقل بالمدينة ويطرد البرتغاليين منها، ويتمكن من القيام بعمليات تجارية وعقد صفقات لحسابه فيتم تجهيز حملة بحرية من الهند والقضاء عليه، ويذكر السالمي عن هذه الواقعة أن النصارى (البرتغاليين) "*هبطت من المراكب بما عندهم من آلة الحرب، وكانوا يجرون قطع القطن قدامهم ليتقوا بها ضرب البنادق، وكان عندهم مدافع تسير على أعمال الخشب في البر*"[٤١].

ونستطيع تقسيم الوجود البرتغالي في منطقة الخليج إلى مرحلتين، المرحلة الأولى تبدأ مع بداية الأطماع البرتغالية في السيطرة على تجارة الهند الشرقية، ونزول أول جندي برتغالي على الأرض العمانية سنة ١٥٠٧م، والمرحلة الثانية تبدأ سنة ١٦٠٠م مع تأسيس إنجلترا لشركة الهند الشرقية وظهور المنافسة الأوروبية، وخاصة الهولندية والإنجليزية للسيطرة على الطرق التجارية إلى الشرق[٤٢].

وتمثل هذه المرحلة بداية النهاية للوجود البرتغالي على الساحل العماني، إذ لم تمض سوى سنوات قليلة على ظهور التحالف البريطاني الفارسي في الخليج حتى ظهرت دولة عربية عمانية موحدة، بعد مبايعة ناصر بن مرشد إماما لعمان، واتخذت هذه الدولة هدفا استراتيجيا لها وهو طرد البرتغاليين من جميع الأراضي العمانية، ومن وجهة نظر الدراسات الآثارية فإن هذه الفترة تتسم بأهمية خاصة فقد قام البرتغاليون بتقوية دفاعاتهم في مسقط، كما قاموا ببناء العديد من القلاع الحصون على طول الساحل في محاولة لاستعادة النفوذ والسيطرة، وفي إطار قيام حكومة البرتغال بإجراء تقييم شامل للأوضاع وصلتنا العديد من الوثائق البرتغالية، المزود

---

٣٩ - مجموعة باحثين، القلاع والحصون في عمان، سلطنة عمان، مكتب نائب رئيس الوزارة لشئون مجلس الوزراء، قسم الدراسات ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، ص ٧٤

٤٠ - فالح حنظل، العرب والبرتغال، ص ٤٨٦

٤١ - السالمي، تحفة الأعيان، الجزء الثاني، ص ٢٧٨؛ فالح حنظل، العرب والبرتغال، ص ٤٩٢

٤٢ - بوكسر، امبراطورية هولندا، ص ٢٦٣

Scanned by CamScanner

بعضها برسوم هندسية يمكن من خلالها معرفة أشكال القلاع والحصون البرتغالية، وطرازها المعماري، وأماكن وجودها وما الذي بقي منها.

ترجع بداية تدهور الأوضاع بالنسبة للبرتغاليين في الخليج إلى فقدانهم هرمز نقطة ارتكازهم الرئيسية في الخليج[٤٣]، وقد حدث ذلك سنة ١٦٢٢م نتيجة اتفاقية فارسية إنجليزية، وتم الاستيلاء على القلعة، وأسر القائد البرتغالي روى فيربرا دي أندرادا (Rui Freire de Andrada)، وتم التحفظ عليه في السفينة الإنجليزية "لاين"، غير أنه استطاع الهرب من أسره ولجأ إلى مسقط ومنها إلى "جوا" في الهند حيث قام الحاكم البرتغالي بتقديمه للمحاكمة بتهمة عدم الدفاع عن هرمز، غير أن المحكمة برأت ساحته، وفي سنة ١٦٢٣م تم تعيين "روى" قائداً عاماً للقوات البرتغالية في عمان والخليج العربي، وعليه أن يتخذ من مسقط ومدن الساحل العماني قواعد عسكرية له كي ينطلق منها في محاولة لاستعادة هرمز[٤٤].

ولكي يعوض البرتغاليون خسارتهم لهرمز اتخذوا من مسقط مسرحاً لعملياتهم[٤٥]، وقام روى خلال سنوات ١٦٢٣ ــ ١٦٢٦م بإعادة بناء سور مسقط[٤٦]، وواصل "روى" إعادة تنظيم الممتلكات البرتغالية على ساحل الخليج وشيد العديد من الحصون ومكاتب الرسوم الجمركية من قريات جنوباً حتى رأس مسندم شمالاً، وقد كانت معظم هذه الحصون ضعيفة من الناحية الإنشائية واقرب إلى إن تكون محطات تجارية منها حصون عسكرية، وكان بكل حصن منها حامية برتغالية صغيرة لا تتعدى أربعين جنديا برتغاليا ومئة وخمسين لسكريا أو خادما عسكريا كحد أقصى (اللسكري" Lascars" هو الخادم العسكري أو جندي المدفعية في جزر الهند الشرقية)[٤٧]، وعلى سبيل المثال فبعد بناء حصن خصب سنة ١٦٢٤ وإقامة مكتب لتحصيل الرسوم الجمركية بها ترك روى في هذا الحصن ٢٠ جندي برتغالي ومائة جندي أفريقي، وفي جلفار (رأس الخيمة حاليا) حيث بنى روى حصنا ومكتبا للجمارك ترك ٥٠ جندي برتغالي فقط ، والواقع أن هذه الحصون كانت تعتبر مجرد مراكز لقوات طليعية صغيرة لديها إمكانيات عسكرية محدودة[٤٨].

وقد هلك روى سنة ١٦٣٢م ، ودفن خارج أسوار مسقط، وربما جعل على قبره صليب وتركيبة – على عادة البرتغاليين في ذلك الوقت – مما جعل المنطقة تحمل أسمه وما تزال حتى الآن (منطقة "روى" إحدى ضواحي مسقط العاصمة).

ورغم أن روى اشتهر بمقدرته العسكرية الفائقة إلا أنه قد وجهت إليه الكثير من الانتقادات، منها أنه كان مندفعا متهوراً في خططه، لا يجيد التعاون مع زملائه، وتسيطر عليه عقلية نبلاء البرتغال[٤٩].

ولم تمض أشهر قليلة على وفاة "روى" حتى إنعقد المجلس البرتغالي الحاكم في مسقط، ووجهت انتقادات شديدة للأعمال الإنشائية التي قام بها روى، ودون ذلك في محضر اجتماع المجلس المذكور بتاريخ ٢١ سبتمبر ١٦٣٣، وتمت مناقشة الأعباء المالية للإنشاءات الدفاعية البرتغالية الأخيرة التي قام بها روى مقارنة بالدخل من رسوم الجمارك، – مما يعني إدارة هذه

---

٤٣ – ويلسون، تاريخ الخليج، ص ١٢١

٤٤ – ويلسون، المرجع السابق، ص ٢٠؛ سلوت، عرب الخليج ، ص ١٣٦، فالح حنظل العرب والبرتغال ، ص ٤٩٩- ٥٠٤

٤٥ – ويلسون، عرب الخليج، ص ١٢١

٤٦ – مال الله بن علي، ملامح من تاريخ عمان، ص ٢١

٤٧ – سلوت ، عرب الخليج، ص ٩٢

٤٨ – سلوت ، المرجع السابق، صفحات ٩٢، ١١٩، ١٣٧، ١٣٨

٤٩ – سلوت، المرجع نفسة، ص ١٣٨

Scanned by CamScanner

القلاع والحصون من منظور الربح والخسارة – وورد النص التالي "استغرقت إقامة سلسلة كاملة من الحصون الصغيرة والضعيفة (وصفها البعض بأنها أشبه بأبراج الحمام)وما فيها من قوات قليلة في أماكن غير هامة نسبيا جميع الوسائل التي كان من الممكن استخدامها في أماكن أخرى وبتأثير فعال(٥٠)،ورد ذلك في مداولات المجلس الحاكم وفي وثيقة برتغالية.

بمعنى أنه بينما تنظر بعض المصادر إلى "روى" على أنه قام بأعمال بطولية، واستعاد السيطرة البرتغالية على ساحل شبه الجزيرة العربية، وثبت أقدام البرتغاليين حتى مضيق هرمز(٥١)، نجد أنه من الناحية الفعلية قد بنى قصورا من رمال، انهار الواحد منها تلو الآخر مع ضربات ناصر بن مرشد ومن بعده سلطان بن سيف، تؤيد ذلك المصادر العمانية والبرتغالية ومنها محضر الاجتماع السابق وإذا كنا قد وصفنا هذه الحصون البرتغالية بأنها قصور من رمال ووصفها البرتغاليون أنفسهم وفي تقرير رسمي بأنها كانت أشبه بأبراج الحمام فإن الإنجليزي كامبفر الذي زار مسقط سنة ١٦٨٨م ذكر " أن حيطانها تبدو هشة كالورق، وأنها بكل تأكيد لا تمثل حصوناً حقيقية، كما أنها جميعها مجهزة تجهيزاً متشابها"(٥٢).

ويبدو أن ملك البرتغال فيليب الثالث (ملك أسبانيا والبرتغال في ذلك الوقت) قد اطلع على مثل هذه التقارير، أو على الأقل فإن سقوط هرمز وما تلاه من إنشاء عدد كبير من التحصينات، ومدى أهمية أو قوة هذه التحصينات والانتقادات التي وجهت لها، كل ذلك دفع ملك البرتغال إلى الاهتمام بهذا الأمر، فأصدر أوامره إلى نائبه في الهند بإعداد تقرير عن تحصينات المنطقة كلها، فقام بذلك رسام عسكري هو "بيدرو باريتو دي ريسنده" وكتب النص "انطونيو بوكارو" وقد عرف هذا التقرير "بكتاب دولة الهند الشرقية" ويحتفظ المتحف البريطاني بجزء منه، وهو الجزء الذي يحتوي على رسومات الحصون البرتغالية على الساحل العماني، وتحتفظ المكتبة الأهلية بباريس بالجزء الآخر من هذا التقرير الصادر سنة ١٦٣٥م.

وترجع أهمية هذا التقرير إلى أنه يتضمن رسومات لعشر قلاع برتغالية على الساحل العماني، بالإضافة إلى أسوار مسقط وقلاعها وأبراجها، وهي رسومات تتصف بالدقة الكبيرة، فقد أعدها رسام عسكري لتقديمها في تقرير رسمي إلى ملك البرتغال، فلا مجال فيها لحذف عنصر أو إضافة آخر، أو إظهار شيء غير موجود على أرض الواقع، كما أنها تمثل القلاع والحصون البرتغالية في آخر أيام البرتغاليين في عمان، إذ لم يقوموا بعدها بإنشاء أي حصن جديد، بل لم يستطيعوا استرداد أي حصن فقدوه، فقد بدأ العد التنازلي للوجود البرتغالي في منطقة الخليج مع بداية ظهور دولة اليعاربة .

ومن خلال هذه الرسومات نستطيع معرفة أهم ملامح الطراز البرتغالي في القلاع والحصون التي كانت قائمة على الساحل العماني، وهو طراز يختلف عن القلاع والحصون العمانية، كما يختلف عن طراز القلاع والحصون على أرض البرتغال نفسها، ويطلق عليه طراز المستعمرات (Colonoial Style) أو عمارة المستعمرات (Colonial Architecture)، يؤيد ذلك استعانة روى بمهندس إيطالي من ميلانو فيما قام به من تقوية للحصون القائمة أو بناء حصون جديدة"(٥٣).

---

٥٠ – سلوت، المرجع نفسة، ص ١٣٩، حاشية ٢

٥١ – سلوت ، المرجع نفسه، ص ١٣٨

٥٢ – وايز جربر .جي، مسقط في عام ١٦٨٨م، تقارير ورسومات انجلبرت، كامبفر، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلسلة تراثنا، العدد ٥٧، الطبعة الثالثة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ص ١٠ –١١

53- Dinteman, Walter, Forts of Oman , 1993 p, 66

Scanned by CamScanner

وقد كانت الاستراتيجية البرتغالية الرئيسية لهذه العمائر هي بناء مكان آمن وبشكل سريع لإيواء عدد قليل من الجند بأقل التكاليف. وفيما عدا قلاع مسقط فقد اندثرت هذه القلاع والحصون الواردة في تقرير دي ريسنده ولم يبق منها إلا الإسم والموضع، أما استحكامات مسقط فيستطيع مقارنة رسومات دي ريسنده (الشكل رقم ٣) برسومات الإنجليزي كامبفر الذي زار مسقط سنة ١٦٨٨م (الشكل رقم٤)، أي بعد ٣٣ سنة فقط من التحرير اليعربي وقام بعمل رسومات لأسوار مسقط وقلاعها لنجد اختلافا كبيرا قد طرأ على المدينة وأسوارها وأبراجها بعد التحرير اليعربي، وبعد أن أصبحت مسقط محور التجارة على الساحل الغربي للمحيط الهندي(٥٤)، كما أن الإستراتيجية اليعربية اختلفت اختلافا كبيرا عن الإستراتيجية البرتغالية، فقد بدأت القلاع والحصون تبنى لإيواء عدد كبير من الجند لجيش دولة امتدت طموحاتها إلى ما وراء الحدود، بغض النظر عن تكلفة بناء هذه القلاع أو المدة الزمنية التي تستغرقها، فقد استغرق بناء أول قلعة أنشئت في عصر اليعاربة (قلعة نزوى) اثنتي عشرة سنة من ١٦٥٦ إلى ١٦٦٨، كما استغرق بناء حصن جبرين نحو ثلاثين عاما وتكلف بناء كل منهما أموالا طائلة.

ويكفي أن نعرف أن سلطان بن سيف بعد أن طرد البرتغاليين مباشرة بدأ في تكوين أسطول حربي كانت نواته السفن التي استولى عليها من البرتغاليين، وأن سلاح الفرسان على زمن الإمام سيف بن سلطان كان به ٩٠ ألف حصان(٥٥)، كانت الذراع القوي لهذا الإمام حتى عرف بلقب "قيد الأرض"، وأصبحت عمان دولة عسكرية تملك أساطيل بحرية قوية انتقمت من البرتغاليين، وأرعبت أساطيلهم واستطاعت أن تهزمهم وتهزم حلفاءهم ومن يتعاون معهم.(٥٦)

أسوار مسقط :

وإذا رجعنا إلى أسوار مسقط في أواخر أيام البرتغاليين وكما ظهرت في رسومات دي ريسنده ١٦٣٥م نجد أن هذا السور عبارة عن قوس يصل بين الجبلين على طرفي المدينة الشرقي والغربي وبه ستة معاقل اثنين منها عند طرفي السور الشرقي والغربي ، والأربعة معاقل الأخرى موزعة على مسافات متساوية بامتداد السور (شكل رقم٥)، ونلاحظ على هذه المعاقل أنها خماسية الأضلاع Bastions ترتفع بارتفاع السور، ومردومة حتى قرب ارتفاع السور ويصعد إلى كل منها من داخل المدينة بدرج خارجي مزدوج، فيما عدا المعاقل على الطرفين فلكل منهما درج مفرد، وقد نصب على كل منها ثلاث قطع من المدفعية، بينما المعاقل على الأطراف على كل منها مدفعين فقط، ومن ثم فهي معاقل مردومة يصعد إليها من درج خارجها، ولا توجد بها أي إنشاءات من حجرات أو غير ذلك، فهي معاقل Bastions وليست أبراج Towers، ومن المؤكد أن سور المدينة قبل تجديدات روى ١٦٢٣ – ١٦٢٦م كان به ثلاثة أبواب، إذ عندما هاجم القائد التركي علي بك شلبي مسقط سنة ١٥٨١م قسم قواته إلى ثلاث مجموعات تهاجم كل مجموعة منها بوابة من بوابات المدينة، وقد استمرت هذه البوابات الثلاثة لمسقط بعد البرتغاليين وهي "باب المثاعيب" و"الباب الكبير" و"الباب الصغير".

وإذا ما قارنا بين رسم دي ريسنده لسور مسقط سنة ١٦٣٥ (شكل رقم٥) وبين رسم كامبفر لنفس السور سنة ١٦٨٨ (شكل رقم٦) لوجدنا اختلافا كبيرا، إذا لم يعد السور على شكل قوس تتوزع عليه المعاقل، بل أصبح السور يأخذ خطوطا مستقيمة ومنكسرة، وبه العديد من الأبراج بعضها مربع، وبعضها الآخر مستدير، ويتضح من رسم "كامبفر" أيضا أن هذه الأبراج

---

٥٤ – سلوت، حرب الخليج، ص ١٨٥

٥٥ – السالمي، تحفة الأعيان، الجزء الثاني، ص ٨٣

٥٦ – فالح حنظل، العرب والبرتغال، ص ٥٢٦

Scanned by CamScanner

أصبحت تتكون من أكثر من طابق، وأصبحت الأسوار تحتوي على دهاليز وممرات في الطابق الأول تسمح بإقامة الجنود والعساكر لحمايتها والدفاع عن المدينة، وأعلى الأسوار توجد ممرات مكشوفة توصل بين الأبراج، وتتسع للفرسان على ظهر خيولهم للتحرك بسرعة للدفاع عن المدينة(٥٧).

كما يبدو من رسومات كامبفر أيضا أن السور قد تراجع إلى الداخل ليشمل مساحة أكبر تتفق واتساع نطاق المدينة بعد التحرير اليعربي، وإذا كان رسم "كامبفر" لسور مسقط سنة ١٦٨٨م (المحفوظ في مكتبة هرتزوج حاليا) يشير إلى اندثار السور البرتغالي وقيام اليعاربة ببناء سور جديد لمدينة مسقط يتفق والمتطلبات الجديدة، فإن المصادر الوثائقية البرتغالية تؤيد ذلك أيضا، ونذكر منها معاهدة ١٦٤٨م، فقد قامت قوات عمانية بقيادة سعيد بن خليفة بحصار مسقط ودارت معارك بين الطرفين استمرت من ١٦٤٨/٨/١٦م إلى ١٦٤٨/٩/١١م أعقبها الدخول في مفاوضات وتقدم العمانيون بمطالبهم وكان من بين هذه الشروط "أن يقوم البرتغاليون بهدم سور مسقط وإزالته من الوجود(٥٨).

وبالإضافة إلى ذلك يوجد تقرير هولندي (تقرير بولداين) الذي زار مسقط في مارس ١٦٥١م، أي بعد شهور قليلة من طرد البرتغاليين منها، وهو وثيقة هامة ورد فيها "سقطت المنازل وأصبحت كتلا من الحجارة المتراكمة، وقد قام العرب بترميم الحصون بطريقتهم الخاصة"، كما ورد في هذا التقرير أيضا أن معظم سكان مسقط حاليا من العرب القادمين من الجبال والصحراء للإقامة فيها(٥٩)، ولم تمض سوى سنوات قليلة حتى أصبحت مسقط المدينة التجارية الوحيدة المهمة في المنطقة(٦٠).

قلاع مسقط :

ذكرنا سابقا أن القائد البرتغالي البوكيرك أفصح من خلال مفاوضاته مع حاكم مسقط – قبل اجتياحها – عن أن هدفه بناء قلعة في هذه المدينة التي اكتسبت أهميتها السياسية والإدارية بسبب مينائها الطبيعي الآمن ، والحماية التي توفرها لها الجبال من جهة اليابسة، ولم يكن هناك أي منفذ إليها من الداخل باستثناء ممرات المشاة فوق التلال، أو بواسطة المراكب حتى الربع الأول من هذا القرن.

وقد ذكر أنجلبرت كامبفر الذي زار المدينة سنة ١٦٨٨م أن جميع المنتجات في أسواق مسقط يحضرها القرويون عن طريق البحر أكثر مما يحضرونها عن طريق البر.

ولما كان ميناء مسقط على شكل حدوة الحصان فقد حرص البرتغاليون على إنشاء تحصينات على الجرف الصخري على طرفي حدوة الحصان المذكورة، بالإضافة إلى بعض الأبراج والمناظير الكشفية على التلال والجزر الصخرية القريبة، ولعل التحصينات البرتغالية الأولى كانت بسيطة وأنشئت على عجل في البداية، ثم أعيد بناء الأسوار والتحصينات بشكل أفضل ما بين سنتي ١٦٢٣ و ١٦٢٦م، وهي التحصينات التي ظهرت في رسم دي ريسنده ١٦٣٥م وأهم هذه التحصينات ما يلي:

---

٥٧ – سعاد ماهر، الاستحكامات الحربية في مسقط، ص ١٤٢

٥٨ – فالح حنظل، العرب والبرتغال، ص ٥١٥

٥٩ – سلوت ، عرب الخليج، ص ١٧٢، فالح حنظل، العرب والبرتغال، ص ٥٢٢

٦٠ – سلوت ، المرجع السابق، ص ١٩٦

Scanned by CamScanner

قلعة سان جون (الجلالي) :

ويطلق عليها أيضا كوت الجلالي أو الكوت الشرقي، وهو تحريف لكلمة Fort أو Court لاسيما وأن القلعة التي أنشأها روى في مستهل عرفت أيضا باسم كورت روى Court Rui، وعلى أية حال فقد أنشأ البرتغاليون سنة ٩٩٤هـ/١٥٨٦م قلعة جديدة على هذا الجرف الصخري برعاية دوم دوراتي دي منزيس نائب الملك في الهند وأطلق عليها سان جوا ، على عادة البرتغاليين في إطلاق أسماء رموز مسيحية على قلاعهم وحصونهم، ومن المعروف أن القديس جون (يوحنا) له مكانة كبيرة في البرتغال، وهناك اعتقاد شائع لديهم انه "شفيع البرتغال، وقد كره العمانيون استعمال هذا الاسم بدلالاته المسيحية فحرفوه إلى الجلالي.

والواقع أن القلعة بشكلها الحالي لا ترجع إلى عصر البرتغاليين إذ أن الرسم الذي صوره دي ريسنده لنفس الموقع سنة ١٦٤٥م يظهر تحصينات ذات شكل يختلف تماما عن شكل القلعة الحالي(الشكل رقم ٧)، فتظهر الرسومات المذكورة هذه القلعة عبارة عن سور يحيط بفناء مكشوف في طرفه الشمالي معقل مربع مردوم بأعلاه ست قطع مدفعية موجهة باتجاه البحر بالإضافة إلى جرس نحاسي للإنذار المبكر، ويصعد إلى هذا المعقل من درج خارجي داخل فناء القلعة وآخر يمتد أعلى السور ويصل القلعة بالمدينة، بالإضافة إلى معقل آخر مردوم بطرفه برج رفيع عالي للمراقبة، بالإضافة إلى درج منقور في الصخر يؤدي إلى باب في سور الفناء المكشوف، ولا تظهر رسومات دي ريسنده أي مقر للقائد أو جناح للحامية أو أي مبان أخرى. والزائر للقلعة حاليا يلاحظ أن الدرج المنقور في الصخر لا يمكن الدخول منه إلى داخل القلعة إلا بعد عبور ثلاثة أبواب، الواحد منها تلو الآخر، وجميعها داخل ممر مقبى، بينما كان هذا الدرج على زمن البرتغاليين يؤدي مباشرة إلى داخل القلعة بعد عبور باب ذو عقد نصف دائري في سور القلعة وقت أن كانت القلعة مجرد أسوار تحيط بمساحة مكشوفة.

ولا نستطيع أن ننسب أي جزء من أجزاء القلعة حاليا إلى العصر البرتغالي، فقد قام بتجديدها اليعاربة في الفترة ما بين ١٦٥٧ و١٦٥٩ في فترة حكم الإمام سلطان بن سيف المتوفى عام ١٦٧٦م، كما قام بتجديدها الوالي خلفان بن عبد الله في عهد الإمام أحمد بن سعيد ما بين عامي ١٧٥٤ و ١٧٥٦م عندما تهدمت الواجهة الغربية للقلعة، كما رممها السلطان تركي بن سعيد سنة ١٨٦٨م، وجدد جناح المدفعية الغربي، وهو السور الذي تتخلله فتحات إطلاق المدافع الذي يصل حاليا بين برجين أحدهما مربع والآخر دائري، ورممت وجددت مرة أخرى سنة ١٩٨١م وأضيف إليها الجناح الشرقي لاستخدامه ثكنات للجنود.

وبصفة عامة نستطيع أن نصف قلعة الجلالي حاليا بأنها تتكون من مساحة شبه مثلثة يشغل ضلعها الغربي جناح المدفعية ويرجع إلى القرن ١٩م، ويشغل ضلعها الشرقي الجناح المضاف حديثا، بينما الضلع الثالث (الجنوبي) يرجع إلى عصر اليعاربة (لوحة رقم٨).

قلعة الأميرال (الميراني) :

يطلق عليها أيضا الكوت الغربي، ويعتقد بأن هذه القلعة شيدت على أنقاض بناء قديم، وأنها كانت مرصدا لحماية المدينة شأنها في ذلك شأن قلعة الجلالي، وقد اكتمل بناؤها سنة ١٥٨٧م، بعد أن كان القائد التركي بيري رئيس قد دك أسوارها سنة ١٥٨٦م، وأطلق عليها البرتغاليون قلعة الكابيتان Fort Copitan أي قلعة القبطان، ثم تغير أسم القلعة من قلعة القبطان إلى قلعة الأميرال بتغيير لقب قائد البحرية من المصطلح الإيطالي Copitane إلى مصطلح Admiral وأصبح لقب قبطان أو قبودان يطلق على قادة السفن الكبيرة ثم حرف الاسم من قلعة

Scanned by CamScanner

الأدميرال إلى قلعة الميراني بعد التحرير اليعربي ، وهناك نقش باللغة البرتغالية بالحفر على الحجر يحمل اسم الملك فيليب الأول وتاريخ ١٥٨٨م.

وكانت قلعة الميراني أو الأدميرال (قائد البحرية) أكثر أهمية للبرتغاليين من قلعة الجلالي، فقد ظلت مقرا للقيادة والحامية الرئيسية للبرتغاليين طوال وجودهم في عمان، ويبدو أن القلعة البرتغالية لم يتبق منها سوى ذلك النقش الذي يحمل أسم الملك فيليب على أحد البوابات الداخلية للقلعة، ونقشا كتابيا آخر على السور الجنوبي الشرقي للساحة الخلفية السفلية تجاه الميناء يحمل أسم الملك فيليب الثالث وتاريخ ١٦١٠م.

وقلعة الميراني حاليا تختلف اختلافا كبيرا عن القلعة التي ظهرت في رسومات دي ريسنده ١٦٣٥ (شكل رقم ٩) ، إذ تحتوي حاليا على ثلاثة أبراج دائرية وبرج بيضاوي الشكل ويبلغ ارتفاع بعض الأبراج ثلاثة طوابق كما تحتوي القلعة على العديد من المنشآت الضخمة المعقدة مما يجعلها مجمعا حربيا فريدا ([٦١]) (شكل رقم ١٠) ، يختلف كل الاختلاف عن الشكل المعماري البسيط الذي ظهر في رسومات دي ريسنده، إذ تظهر في هذه الرسومات وفق النظام الدفاعي البرتغالي فقد كانت تتكون من مساحات مكشوفة واسعة تحيط بها أسوار، مع وجود بعض المعاقل البسيطة في الأطراف، وهي معاقل مفتوحة للسماء بسبب الغازات الخانقة التي تنبعث من المدافع أثناء القتال، بينما القلعة القائمة حاليا تحتوي على أبراج متعددة الطوابق، وقد كانت القلعة وفق رسومات دي ريسنده تحتوي على منطقة مركزية مستطيلة الشكل يتوسطها مقر القائد ويتكون من طابقين وبرج مرتفع، وكنيسة صغيرة ذات قبة حولت إلى مسجد بعد التحرير اليعربي ١٦٥٠م ، وقد ذكر ذلك كامبفر عند زيارته للمدينة سنة ١٦٨٨م([٦٢])، ويظهر رسم للقلعة سنة ١٨٠٩م اختلافا كبيرا عن القلعة البرتغالية كما ظهرت في رسومات ١٦٣٥م، والواقع أن هذه القلعة قد حظيت بعناية اليعاربة بعد طرد البرتغاليين منها في عهد الإمام سلطان بن سيف، ونرجح أن حصارها من قبل قوات الإمام ناصر بن مرشد ومن بعده سلطان بن سيف، ومعارك المدفعية التي جرت للاستيلاء عليها قد هدمت تحصيناتها فأعيد بناؤها على النحو الذي ظهرت به في رسومات الإنجليزي تمبل سنة ١٨٠٩م، وهو الشكل الذي ظلت عليه حتى العصر الحالي، وذلك بعد التجديدات التي تمت في عصر الإمام أحمد بن سعيد تحت إشراف الوالي خلفان بن عبدالله (١٧٥٤ – ١٧٥٦)، ويؤيد ما ذهبنا إليه من إعادة بناء هذه القلعة بعد طرد البرتغاليين ما ورد في تقرير الهولندي بولداين الذي زار مسقط سنة ١٦٥١م، أي في العام التالي لطرد البرتغاليين، فقد ذكر بولداين أن العرب قاموا بترميم الحصون بطريقتهم الخاصة ([٦٣])، مما يعني أنها اختلفت عن الشكل الذي كانت عليه.

وإذا قارنا بين شكل القلعة سنة ١٦٣٥ (شكل رقم ٩) وشكل القلعة حاليا (شكل رقم ١٠) لاتضح لنا أن القلعة البرتغالية لم يتبق منها سوى الاسم والموضع ونقش برتغالي على سور الساحة الخلفية.

قلعة مطرح :

تقع قلعة مطرح على الجانب الغربي من خليج، مطرح وعلى بعد نحو ٣كم غرب مدينة مسقط، وقد كانت مطرح من المراكز الإستراتيجية والتجارية الهامة في عمان، لذلك فقد أنشأ بها البرتغاليون حصنا مربعا فوق قمة تل مرتفع، ويظهر رسم دي ريسنده (١٦٣٥م) قلعة مطرح

---

61 Dinteman, Forts of Oman, P. 20.

[٦٢] وايلز جيرير ، جي ، مسقط في عام ١٦٨٨ ، ص ١٣.

[٦٣] سلوت ، عرب الخليج ، ص ٧٢

Scanned by CamScanner

مجرد سور مربع مبني بالأحجار مع وجود معاقل مربعة مردومة عند كل ركن من أركانه ودرج حجري خارجي يؤدي إلى كل معقل منها من فناء الحصن المربع، ويوجد بكل معقل منها مظلتين للوقاية من أشعة الشمس وهي مظلات ذات سقوف صغيرة مائلة ومغطاة بالقش وتقوم كل منها على أربعة أعمدة رفيعة، ولهذه القلعة مدخل واحد في منتصف الضلع الشرقي ،ولا توجد بالأسوار أي فتحات للمدافع أو البنادق، كما لا توجد بها أية منشآت للسكنى أو الإقامة، مما يدل على أنها كانت أقل أهمية من قلعتي الجلالي والميراني القريبتين([٦٤])،وأنها كانت تستخدم عند الحاجة فقط، وقد اندثرت هذه القلعة بشكلها الذي وردت به في رسومات دي ريسنده (شكل رقم١١) ولم يبق منها أي شيء.

أما القلعة الحالية التي تعرف خطأ باسم الحصن البرتغالي (شكل رقم١٢) فهي قلعة عربية تنتمي إلى العمارة الحربية العمانية بناها العمانيون لتلبية احتياجات معينة([٦٥])، وهي تقوم على قمة منعزلة فوق نتوء صخري قريب من الشاطئ، وتتكون حاليا من ثلاثة أبراج دائرية تصل بينها أسوار مكونة مساحات مستطيلة ضيقة غير منتظمة الشكل، تنحدر بشكل حاد بانحدار الصخرة التي بنيت عليها، ويقع أكبر هذه الأبراج على قمة الصخرة، بينما البرجان الباقيان على مستوى أدنى، إذ يقع أحدهما عند أدنى نقطة في الغرب، وقد أصبحت هذه القلعة منعزلة عن الخليج بسبب تمهيد الأرض، ولكنها كانت في الماضي تتاخم الشاطئ، ومن الواضح أن الوظيفة الرئيسية لهذه القلعة كانت منع الوصول إلى الممر الصخري الذي وصفه مايلز سنة ١٨٧٧ بأنه لا يكاد يتسع لمرور الحيوانات المحملة، وأن كافة الاتصالات بين المدينتين تتم عن طريق البحر. وقد كانت مطرح وميناءها مركزا تجاريا للقوافل من المناطق الداخلية وإليها مرورا بدار الجمارك عند "سد روي ([٦٦])،وعلى أية حال فإن مقارنة الشكلين (١١)، (١٢) توضح بشكل عام أن القلعة الحالية لا تمت للبرتغاليين بصلة.

والمار على الطريق البحري أسفل القلعة حاليا يلاحظ أساسات لبعض جدران قديمة ربما كانت هي كل ما تبقى من القلعة البرتغالية التي كانت مجرد سور يحيط بفناء مكشوف مربع.

أما بقية حصون البرتغاليين على الساحل العماني فقد اتبعت طرازا معينا هو ما نطلق عليه طراز المستعمرات Colonial Style، وهو طراز يتسم بالبساطة المعمارية، فهو مجرد مساحات واسعة مكشوفة تحيط بها أسوار ومعاقل بسيطة، يقع كل معقل منها عند كل زاوية من زوايا الأسوار لوضع المدافع عليها، وقد كان هذا الطراز يحقق هدفين لم يغيبا عن أذهان البرتغاليين أبدا وهما خفض تكاليف البناء إلى أقصى درجة ممكنة وتوفير حصن متسع كبير يتيح إمكانية التحرك السريع لحامية محدودة العدد داخل هذا الحصن، فقد كان العدد المحدود لقواتهم عاملا حرجا دائما طوال فترة سيطرتهم البحرية([٦٧])، ونستطيع معرفة ملامح هذا الطراز المعماري من خلال الرسومات التي أوردها دي ريسنده لهذه التحصينات وهي ثلاثة أنماط رئيسية: إما حصون مثلثة , أو مربعة , أو حصون مربعة مزدوجة السور.

---

٦٤ - القلاع والحصون ، ص ٨٥

65 - Dinteman, Forts of Oman, P .22

٦٦ - القلاع والحصون في عمان، ص ٨٦

٦٧ - إي. دي، ايركو، المباني التاريخية في عمان، مجلة الدراسات العمانية ، الترجمة العربية ، وزارة التراث القومي والثقافة ،سلطنة عمان، العدد الأول ١٩٧٨م، ص ٢٢٩

Scanned by CamScanner

أولا: الحصون المثلثة

حصن السيب (شكل رقم ١٣)

يظهر هذا الحصن في رسومات دي ريسنده حصن ذو شكل مثلث قاعدته باتجاه البحر ويتوسطها المدخل الوحيد للحصن، ويبدو مقر القائد ومكاتبه مقامة داخل الحصن على منصة مرتفعة ومطلية بالجير الأبيض، ويتكون بعضها من ثلاثة طوابق، بالإضافة إلى بعض الأكواخ لإقامة الجند ذات سقوف مغطاة بسعف النخيل، وفي أحد جوانبه مخزن ذو فتحة في أعلاه، ومصدر للماء (بئر) داخل الحصن، ويحتوي هذا الحصن على ثلاثة معاقل عند زوايا المثلث، وأسواره بها فتحات لإطلاق المدفعية والبنادق. وقد اندثر هذا الحصن تماما، ولا يعرف موقعه على وجه التحديد.

حصن بركا (شكل رقم١٤)

يظهر هذا الحصن في رسومات دي ريسنده ١٦٣٥ يشبه إلى حد كبير حصن السيب فهو مثلث الشكل وبأركانه ثلاثة معاقل، يختلف اثنان منها عن معاقل حصن السيب، إذ نجد المعقلين على جانبي قاعدة المثلث المواجهة للبحر – حيث المدخل الوحيد – معاقل مربعة، بينما في حصن السيب كانت هذه المعاقل مثلثة الشكل، أما داخل أسوار هذا الحصن، فنجد نفس العناصر المعمارية التي وجدت في الحصن السابق، وهي مساكن الحامية البرتغالية مطلية بالجير الأبيض، ومساكن بسيطة ذات أسقف من سعف النخيل للجند و مخزن ملاصق لأحد أضلاع المثلث، له فتحة صغيرة في السقف، ومصدر للماء (بئر)، ولا تحتوي أسوار هذا الحصن على أي فتحات للمدفعية أو البنادق، وربما كان هذا الحصن مجرد محطة تجارية في ذلك الوقت، حيث كانت بركا ميناء للرستاق على ساحل الباطنة. وقد اندثر هذا الحصن أيضا ولم يبق منه أثر.

ثانيا: الحصون المربعة والمستطيلة:

حصن كلبا (شكل رقم١٥)

يمثل هذا الحصن كما ظهر في رسومات دي ريسنده ١٦٣٥ النموذج الثاني من الحصون البرتغالية في عمان، فهو حصن مربع، مجرد سور مربع يحيط بمساحة مكشوفة، وبأركانه الأربعة أربعة معاقل وله مدخلين، أحدهما باتجاه البر والآخر باتجاه البحر وقد زيد في تحصين المدخل المواجه للبر بمد ذراعين من جدار الواجهة ينتهي كل منهما بمعقل نصف دائري، ولا توجد بأسوار هذا الحصن أي فتحات للمدفعية أو البنادق، أما العناصر الداخلية في الحصن فهي نفس العناصر التي وجدت في النموذج السابق (المثلث) وهي مساكن الحامية البرتغالية، الأكواخ لسكنى الجند، البئر، المخزن، وقد اندثر هذا الحصن أيضا واختفى من الوجود.

حصن قريات (شكل رقم ١٦)

يعتبر هذا الحصن النموذج الثاني للحصون البرتغالية المربعة، فهو مجرد سور مربع يحيط بمساحة مكشوفة، وبأركانه أربعة معاقل نصف دائرية، وتتخلل جدران الحصن والمعاقل فتحات لإطلاق البنادق، ولا تظهر به أي قطع للمدفعية، ولهذا الحصن مدخل واحد، وبأحد أركانه مقر القائد والحامية البرتغالية بالإضافة إلى العناصر التقليدية التي وجدت في الحصون السابقة من مساكن الجند ذات الأسقف السعفية، وبئر الماء والمخزن، وقد اندثر هذا الحصن ولم يبق منه اثر أيضا.

Scanned by CamScanner

حصن البدية (شكل رقم ١٧)

يقع هذا الحصن شمال وادي الحرة وخور فكان، وهو حصن مستطيل الشكل بـه سـتة معاقل مربعة وتتخلل جدرانه فتحات لإطلاق المدافع وبه نفس العناصر المعمارية التـي ظـهرت في الحصون السابقة وهي مقر القائد والحامية البرتغالية على منصة مرتفعة تلي بـاب الدخـول الوحيد مباشرة، وهو باب يتوسط الضلع المواجه للبحر، كما تحتوي أيضا علىالمخـزن والبـئر. وقد حرص دي ريسنده على إظهار قافلة تجارية تصادف وصولها وقت قيامه بعمل هذا الرسـم فرسم التجار وهم يحضرون بضائعهم إلى مدخل الحصن، وهذا الرسـم يؤكـد علـى أن هـذه الحصون كانت تعتبر محطات تجارية محصنة أكثر منها قلاع عسكرية، وقد اندثر هذا الحصـن أيضا.

حصن مدحا (شكل رقم١٨)

أقيم هذا الحصن على الضفة الشرقية لوادي مدحا، وهو حصن مربع الشكل يضم معقـلا مربعا عند كل ركن من أركانه، وله مدخلان في السورين الشمالي والجنوبي، وتتخلـل جدرانـه فتحات صغيرة لإطلاق البنادق، ولا تظهر به أي قطع للمدفعية. والمنشآت داخل هـذا الحصـن وتوزيع وحدات الإقامة والعناصر المعمارية به لا تختلف كثيرا عنها في الحصون السابقة.

ثالثا: الحصون المربعة والمستطيلة مزدوجة السور

حصن صحار (شكل رقم١٩)

يظهر حصن صحار في رسومات دي ريسنده حصن مربع الشكل له سور مزدوج وفـي أركانه الأربعة أربعة معاقل مسقوفة مربعة الشكل بها قطع المدفعية، ويتوج جدرانـه الخارجيـة شرفات مستطيلة، وله مدخل واحد باتجاه البحر، أما من الداخل فنجد نفـس مكونـات الحصـون السابقة من ركن به منازل صغيرة مطلية بالجير الأبيض للحامية البرتغالية، ومساكن بسيطة للجند والبئر والمخزن، ويحيط بهذا الحصن المربع سور مستطيل الشكل أحد أضلاعه وهـو الضلـع الجنوبي زاوي الشكل.

ويمتد من طرفي جدار الواجهة الرئيسية المواجهة للبحر حيث المدخل ذراعان باتجـاه البحر ينتهي كل منهما بمعقل مفتوح نصف دائري ولو قارنا هذا الرسم بحصن صحـار الحـالي (شكل رقم٢٠) لوجدنا أن الحصن الحالي يتفق مع الحصن البرتغالي في موقع المدخل وهو مدخل منكسر كما ظهر في رسومات دي ريسنده وفي السور الزاوي فقط بينما اختفى الحصن المربـع الداخلي وهو الحصن الرئيسي على زمن البرتغاليين، وربما كانت الجدران التـي كشـفت عنـها الحفائر التي أجريت في موضع هذا الحصن ترجع إلى الحصن البرتغالي الذي ظهر في رسومات دي ريسنده([٦٨]).

حصن دبا (شكل رقم٢١)

حصن مربع الشكل في أركانه أربعة معاقل دائرية نصبت عليها قطع المدفعية وله سـور مزدوج يقع عليه ممر لإطلاق النار وتوفير إمكانية تحرك سريع للجند بين المعاقل الأربعة ويلـي المدخل مباشرة برج مراقبة مرتفع يتكون من ثلاثة طوابق تعلوه قطع المدفعية وبداخلـه كنيسـة ومقر القائد وبقية العناصر التي شاهدناها في صور الحصون السابقة،ويحيط بهذا الحصن الداخلـي

---

[٦٨] – **أندرو ، ويليامسون، صحار عبر التاريخ، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م،**

Scanned by CamScanner

سور محيطي مربع بأركانه أربعة معاقل نصف دائرية وبرج دائري به فتحة المدخل، ولا تحتوي الأسوار الخارجية على فتحات للمدافع أو البنادق، وبين السور المحيطي الخارجي والحصن الداخلي توجد تسعة مباني صغيرة ربما كانت مخصصة للجند البرتغاليين، بينما الجند الأفارقة أقيمت لهم قرى شبه مسورة مجاورة للحصن تحتوي على عشرات الأكواخ البارستي لإقامة هؤلاء الجند، وتتضح أهمية هذا الحصن للبرتغاليين من خلال تلك التحصينات المزدوجة القوية التي ظهرت في رسومات دي ريسنده، وقد اندثر هذا الحصن أيضا، إذ يختلف الحصن القائم في نفس الموقع تقريبا عن الحصن البرتغالي اختلافا كبيرا، وقد شيد البرتغاليون أيضا قلعة مزدوجة السور يحيط بها سور محيطي خارجي في ممباسا على الساحل الأفريقي (كينيا) أطلقوا عليها قلعة يسوع (Fort Jeses) تشبه إلى حد كبير قلعتي دبا وصحار (الشكل رقم ٢٢)، وهي القلعة التي دك أسوارها سيف بن سلطان (قيد الأرض) وانتزعها من البرتغاليين سنة ١٦٩٨م.

وقد أنشأ البرتغاليون عشرات القلاع المماثلة للطرز الثلاثة السابقة في أفريقيا وإيران والهند فقد بلغ عدد قلاعهم في الهند أكثر من ٦٠ قلعة منها ١٢ قلعة في منطقة جوا حيث مقر نائب الملك البرتغالي ونقطة الارتكاز الرئيسية بالنسبة لهم.

ونلاحظ على معظم أنماط القلاع البرتغالية السابقة أنها كانت مجرد أسوار تحيط بمساحات مكشوفة أقيمت عليها أكواخ من البارستي لإقامة الجند ومبان صغيرة لإقامة الحامية البرتغالية. وقد اندثرت هذه القلاع البرتغالية جميعها من الساحل العماني وأقيمت في محل بعضها الآخر قلاع عربية نسبت على غير الحقيقة إلى البرتغاليين مثل قلعتي الجلالي والميراني وقلعة مطرح، وهي قلاع لا يربطها بالعمارة البرتغالية سوى أنها بنيت في نفس موقع القلاع البرتغالية.

وبصفة عامة فأن أهم الطرز المختلفة للقلاع والحصون العمانية يمكن تقسيمها إلى الأنماط الرئيسية التالية:

١- قلاع بنيت على جروف صخرية لا تتبع تخطيطا معينا، إذ تحكمها المساحة وتتعدد مستويات البناء بتعدد أو اختلاف المناسيب التي بنيت عليها الأجزاء المختلفة ومن أمثلتها الجلالي والميراني ومطرح ونخل.

٢- قلاع ترجع إلى ما قبل الإسلام وظلت مستخدمة طوال العصور الإسلامية، وتمت توسعتها بإضافة نطاق خارجي ذو أسوار وأبراج وأيضا إضافة العديد من المنشآت الداخلية فاصبحت لا تتبع تخطيطا أو طرازا معينا، وأن كانت التوسعة تتبع أسلوبا هندسيا معينا، ومنها قلعة الرستاق ، و قلعة نخل، وقلعة بهلاء.

٣- حصون ذات برجين في ركنين متقابلين ومن أمثلتها حصن جبرين وحصن الحزم وبيت الفلج وغيرها.

٤- حصون قبلية داخلية بنيت بمواد محلية من الطوب الصلصالي والصاروج، وهي وان كانت لا تتبع تخطيطا واحدا إلا أنها تجمعها عناصر مشتركة في العمارة الدفاعية من مداخل ومقاطات وأبراج مردومة حتى المنتصف، وقد بنيت هذه القلاع والحصون بمواد وأساليب محلية متأثرة بالتقاليد المعمارية العمانية الموغلة في القدم والتي ظهرت في "بات" و"سمد" منذ الألف الثالث قبل الميلاد، فقد رفعت الأساسات والجدران حتى ارتفاع المتر أو نصف المتر بقطع الأحجار دون استخدام مادة لحام (ملاط)، كما استمر بناء الأبراج الدائرية المردومة، وغير ذلك من التقاليد المعمارية العمانية المتوارثة.

Scanned by CamScanner

وإذا كانت الحصون البرتغالية قد بنيت على عجل لإيواء عدد قليل من الجند، بأقل التكاليف وفي أسرع وقت – وهكذا اندثرت – فإن القلاع والحصون العمانية التي بنيت بعد ذلك كان بناؤها يستغرق وقتا طويلا فقد استغرق بناء قلعة نزوى اثنتي عشرة سنة، واستغرق بناء حصن جبرين نحو ثلاثين عاما، وتكلف بناء كل منهما أموالا طائلة، فقد كانت هذه القلاع والحصون تبنيها دولة مستقرة لها جيش ضخم وممتلكات مترامية الأطراف خارج حدودها، وكان طبيعيا أن تكون هذه التحصينات جزءا من النسيج المعماري المحلي، متأثرة بما سبقها ومؤثرة فيما تلاها من منشآت وبقيت صفحة من صفحات العمارة العربية الإسلامية.

مراجع البحث

المراجع العربية

١- ابن رزيق ، حميد بن محمد ،الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسي عبد الله ، سلطنة عمان،وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٨٣ .

٢- إريكو ، إي .دي (E.D.Errico.) ، المباني التاريخية الحربية في عمان منذ القرن السادس عشر،حصاد ندوة الدراسات العمانية (البحوث والدارسات التي قدمت في الندوة) ذو الحجة ١٤٠٠هـ / نوفمبر ١٩٨٠ ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٨١م.

٣- بلديسيرا ، إيروس ، قصر جبرين وكتاباته،وزارة التراث القومي والثقافة ، الطبعة الأولى ١٩٩٤.

٤- بلديسيرا ، إيروس ، الكتابات في المسجد العمانية القديمة ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القزمي ، والثقافة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ /١٩٩٤م.

٥- حبيب ، مال الله بن على ، ملامح من تاريخ عمان ، ترجمة محمد محمد كامل ، سلطنة عمان وزارة التراث القومي والثقافة (د.ت).

٦- السالمي ، أبي محمد عبدالله بن حميد ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، مكتبة إشاعت الإسلام ، دهلى الهند (د.ت).

٧- سعاد ماهر ، الاستحكامات الحربية في مسقط ،حصاد ندوة الدارسات العمانية ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ،المجلد الثاني ص ١٣١ – ٢٣٩.

٨- السيابي ، سالم بن حمود بن شامس ، عمان عبر التاريخ ، سلطنة عمان ،وزارة التراث القومي ، والثقافة ، الجزء الثالث ،الطبعة الثالثة ١٩٨١.

٩- الشاروني ،يوسف ، ملامح عمانية ، رياض الريس للنشر ، ١٩٩٠.

١٠- شافعي ، فريد محمود ، العمارة العربية الإسلامية ، جامعة الملك سعود ، الرياض ١٤٠٢ه-/١٩٨٢.

١١- عبد الحليم ، رجب محمد، العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام، مكتبة العلوم ، مسقط ١٩٩٨م.

١٢- عمان في التاريخ ، مجموعة باحثين (أعمال ندوة عمان في التاريخ ستمبر ١٩٩٤) وزارة الإعلام ، سلطنة عمان ١٩٩٥م.

١٣- عوض عبد العزيز ، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

Scanned by CamScanner

١٤- عباشي ، حسين عبيد غانم ، عمان الديمقراطية الإسلامية(١٥٠٠- ١٩٧٠) دار الجديد، بيروت ١٩٩٧.
١٥- فاين ، بيتر ، تراث عمان ، دار إيميل للنشر ، لندن ١٩٩٥.
١٦- القلاع والحصون في عمان ، سلطنة عمان مكتب نائب رئيس الوزراء ، قسم الدراسات ١٩٩٤.
١٧- كاريني ، فرايفلت ، مدينة من الألف الثالث ق.م في عمان، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلسلة تراثنا ، العدد ٤٥، سنة ١٩٨٣.
١٨- كالديري ، يوجينيو ، حصن جبرين تحفة رائعة من العمارة العسكرية في القرن السابع عشر ، سلسلة تراثنا ، العدد ٤٢ ، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ /١٩٩٤.
١٩- مايلز س.ب ، الخليج بلدانه وقبائله ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
٢٠- المعشني ، سعيد ، الآثار التاريخية في ظفار ، سلطنة عمان، ظفار ١٩٩٧ .

المراجع الأجنبية

1. Biancifiori Maria Antonitta , Works Of Architectural Restoration in Oman , Rome 1994.
2. Damluji, Salma , The Architecture Of Oman , London, Garnet ,1998.
3. Dinteman, Walter, Forts Of Oman, Motivate Publishing, 1993.

Scanned by CamScanner

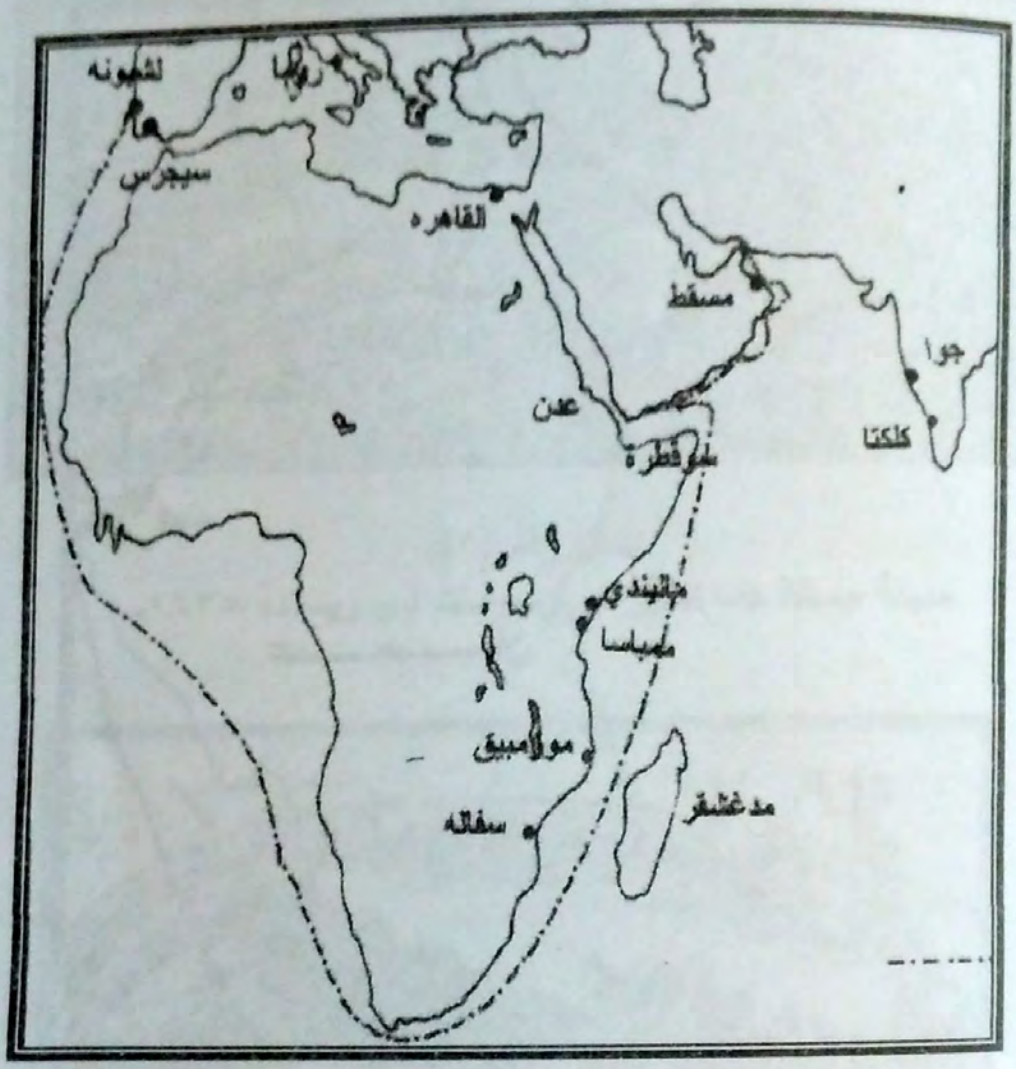

شكل رقم (١)
خط سير الحملة البرتغالية على الشرق ١٥٠٧م

Scanned by CamScanner

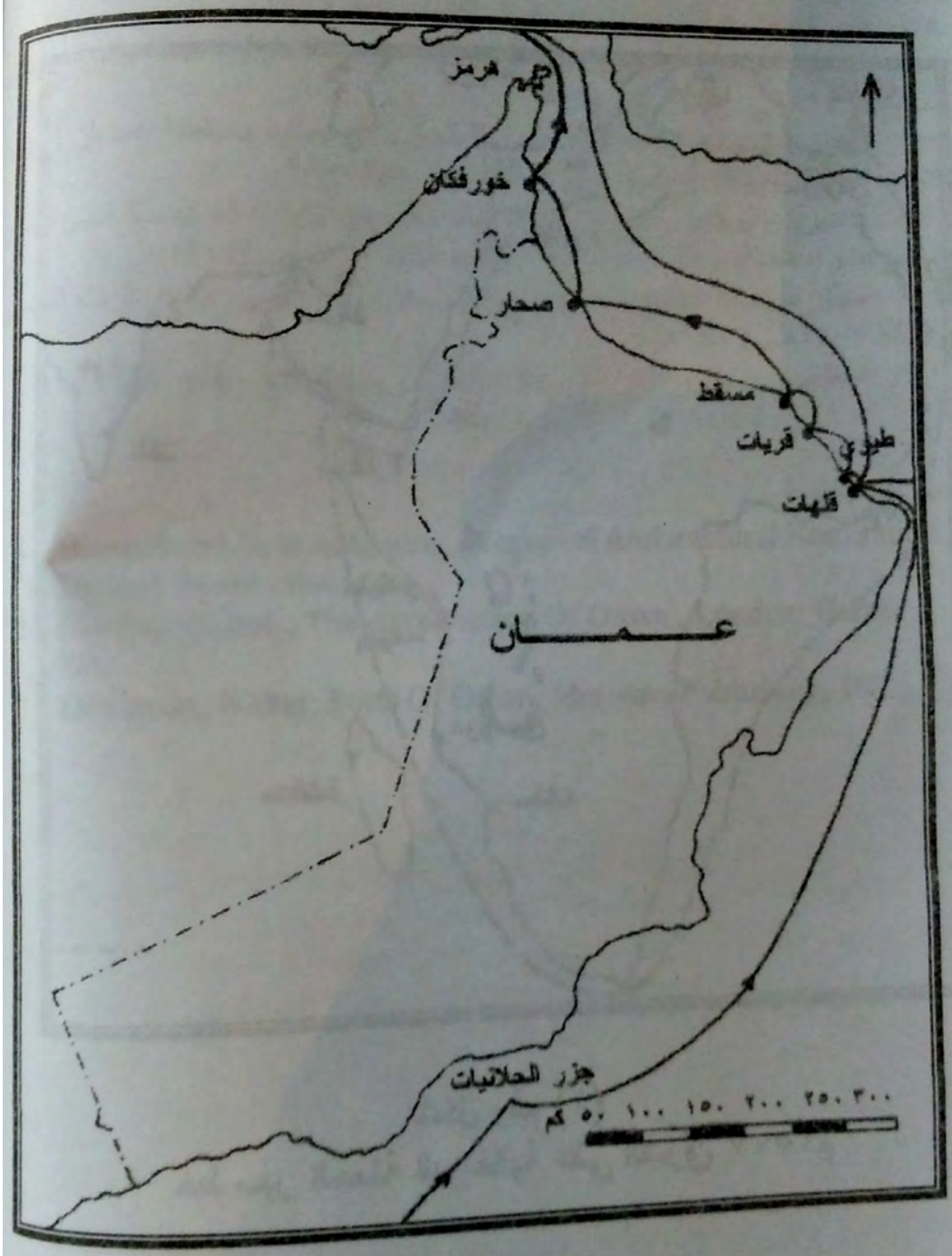

شكل رقم (٢)
خط سير البوكيرك على امتداد سواحل عمان ١٥٠٧م

Scanned by CamScanner

شكل رقم (٣)
مدينة مسقط كما تظهر فى رسومات دى ريسنده ١٦٣٥م

شكل رقم (٤)
مدينة مسقط كما تظهر فى رسومات كامبفر ١٦٨٨م

Scanned by CamScanner

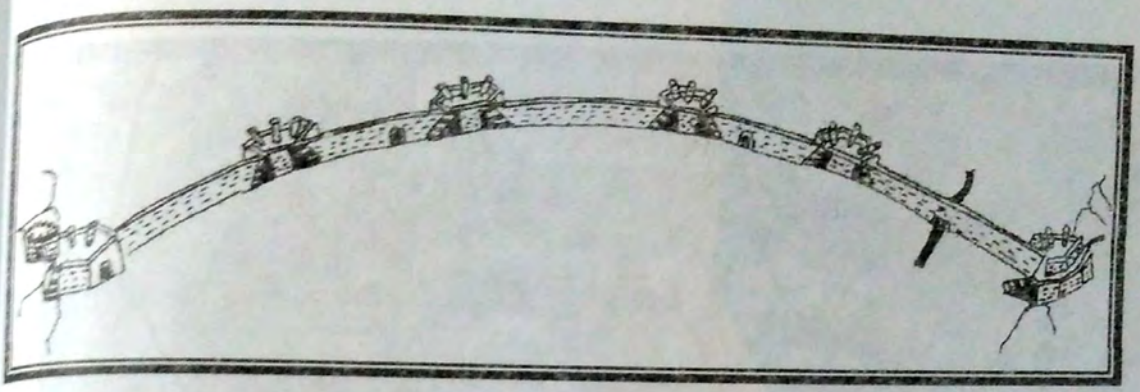

شكل رقم (٥)
سور مسقط كما تظهر فى رسومات دى ريسنده ١٦٣٥م

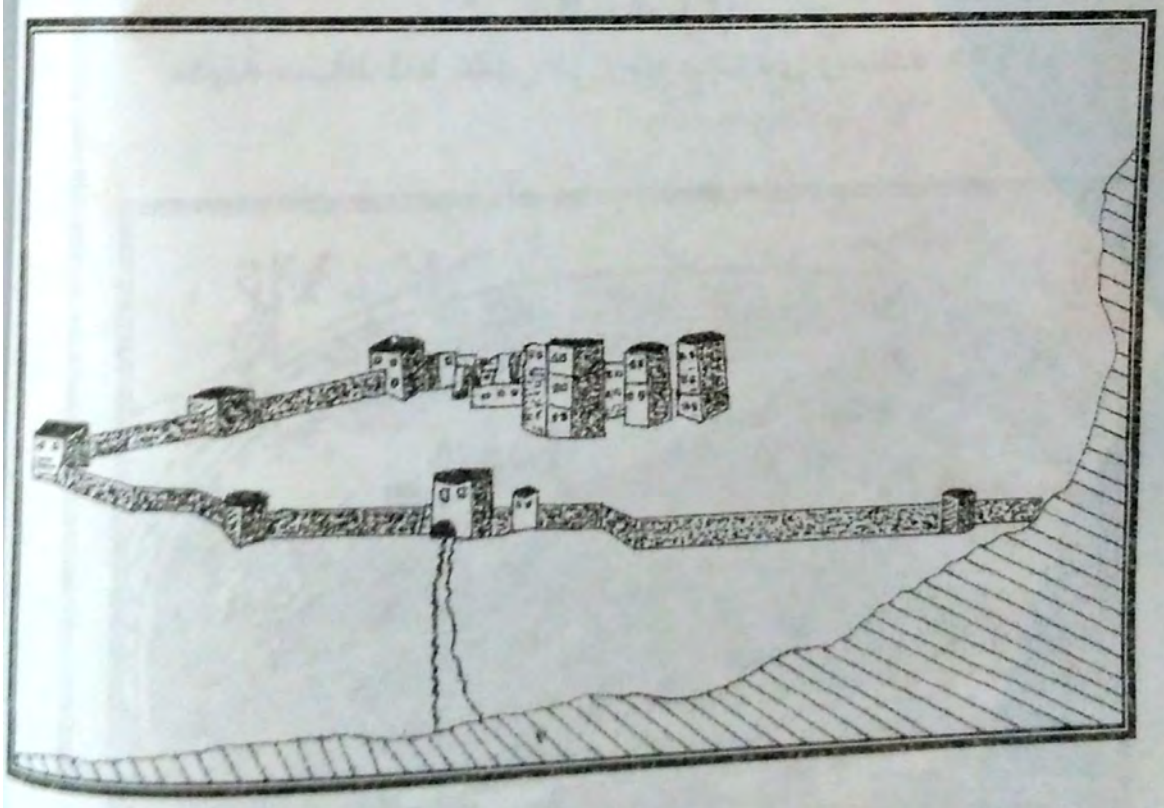

شكل رقم (٦)
سور مسقط كما يظهر فى رسومات كامبفر ١٦٨٨م

Scanned by CamScanner

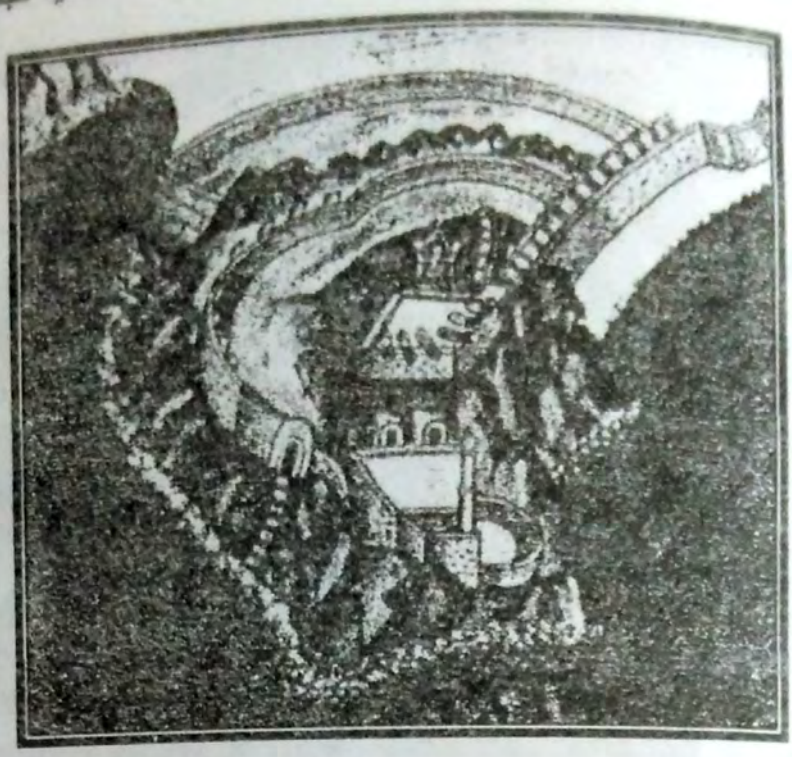

شكل رقم (٧)
قلعة الجلالى (سان جون) كما ظهرت فى رسومات دى ريسنده ١٦٣٥م

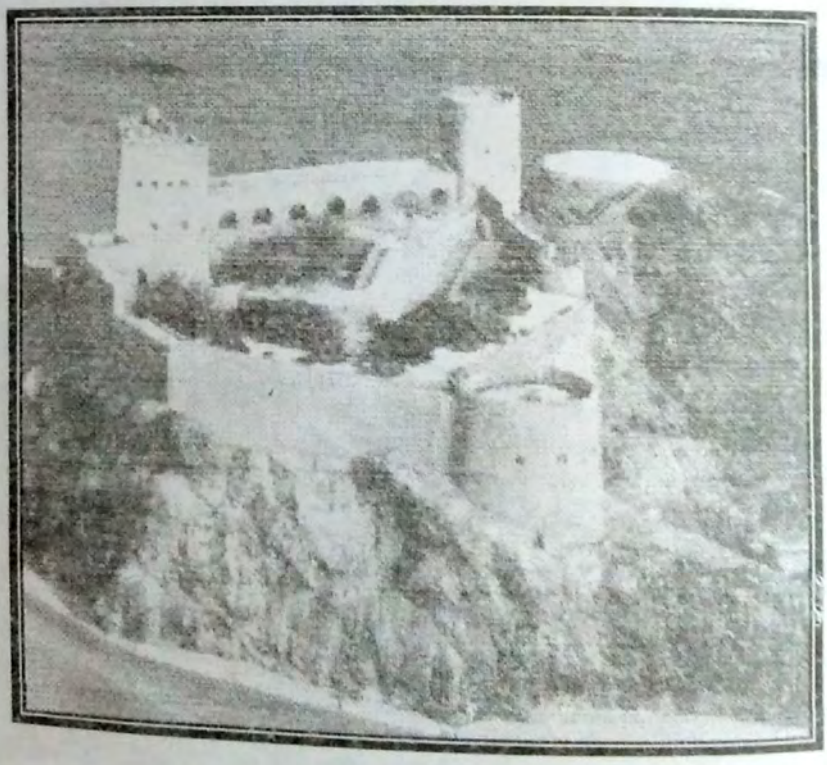

شكل رقم (٨)
قلعة الجلالى حالياً

Scanned by CamScanner

شكل رقم (٩)
قلعة الميرانى (الأدميرال) كما ظهرت فى رسومات دى ريسنده ١٦٣٥م

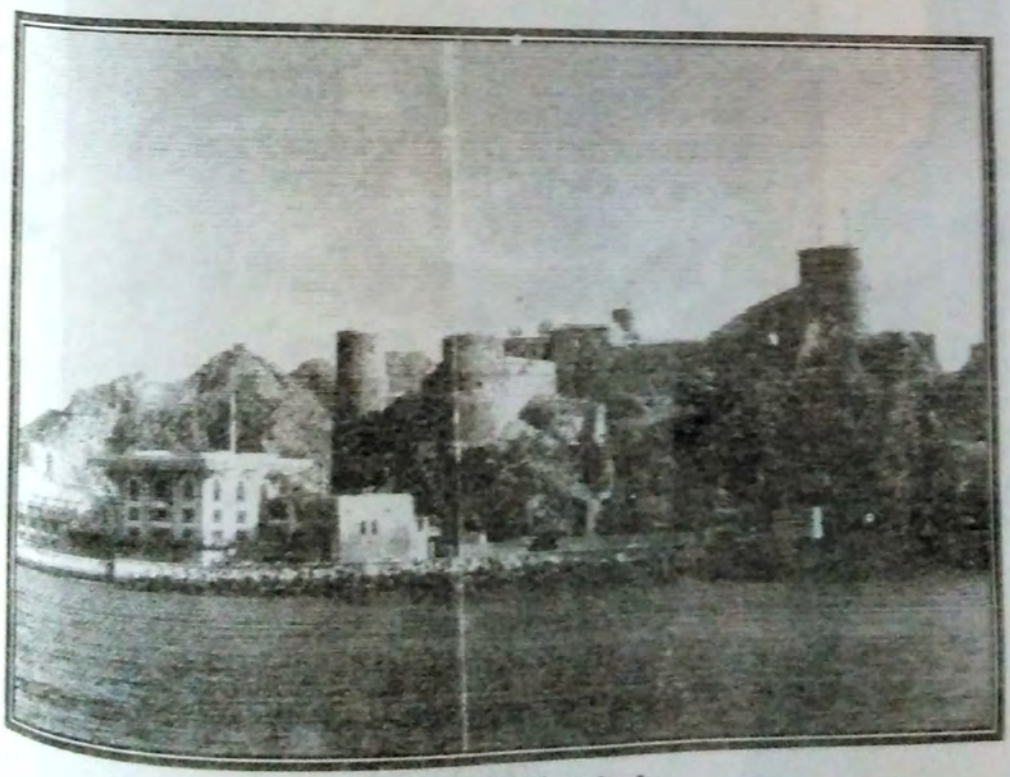

شكل رقم (١٠)
قلعة الميرانى حاليا

Scanned by CamScanner

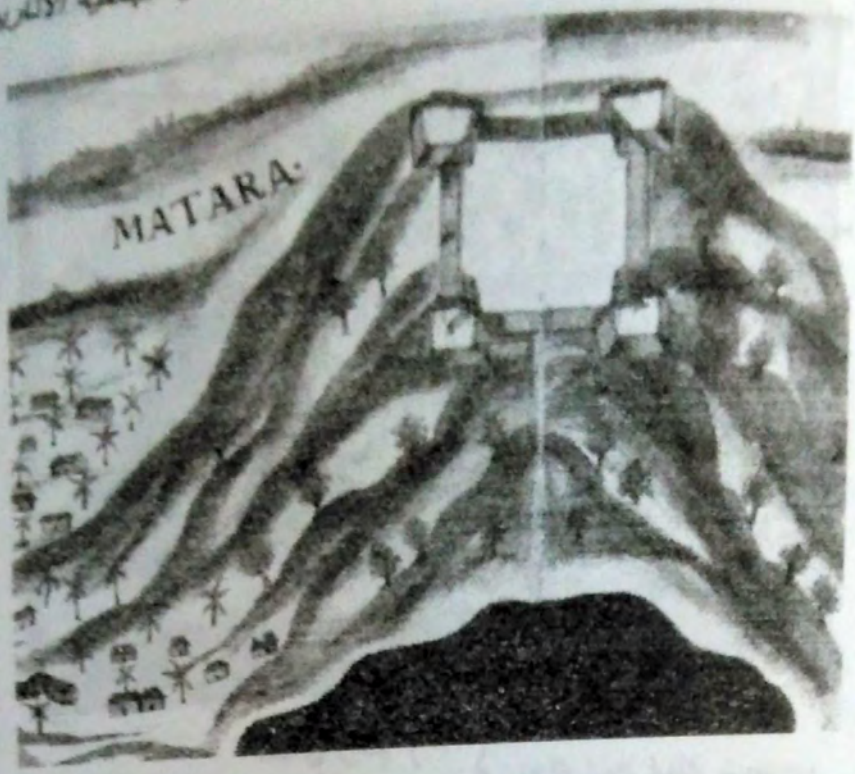

شكل رقم (١١)
قلعة مطرح كما ظهرت فى رسومات دى ريسنده ١٦٣٥م
(عن القلاع والحصون)

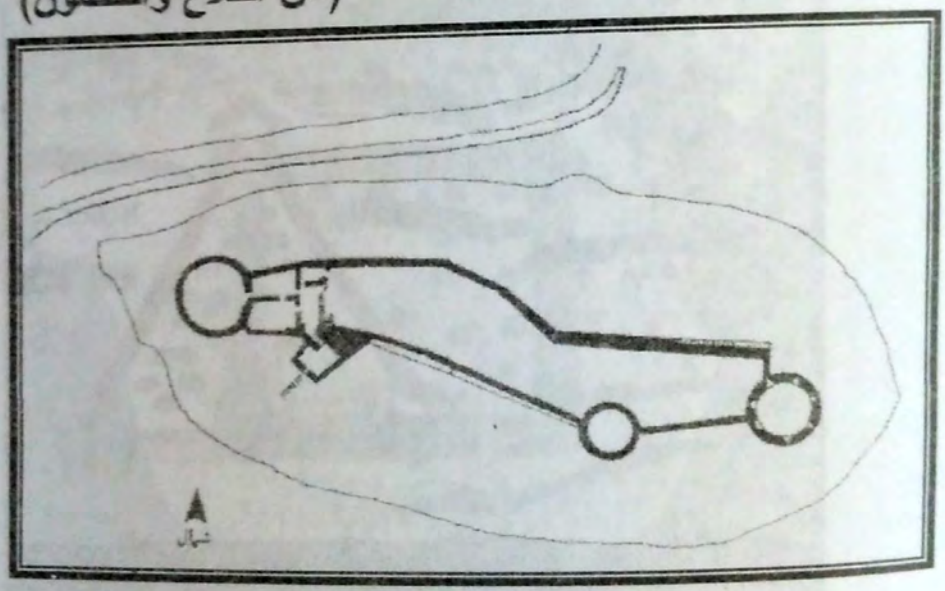

شكل رقم (١٢)
مخطط قلعة مطرح حاليا
(عن القلاع والحصون)

Scanned by CamScanner

شكل رقم (١٣)
حصن السيب كما ظهر فى رسومات دى ريسنده ١٦٣٥م
(عن القلاع والحصون)

شكل رقم (١٤)
حصن بركا كما ظهر فى رسومات دى ريسنده
(عن القلاع والحصون)

Scanned by CamScanner

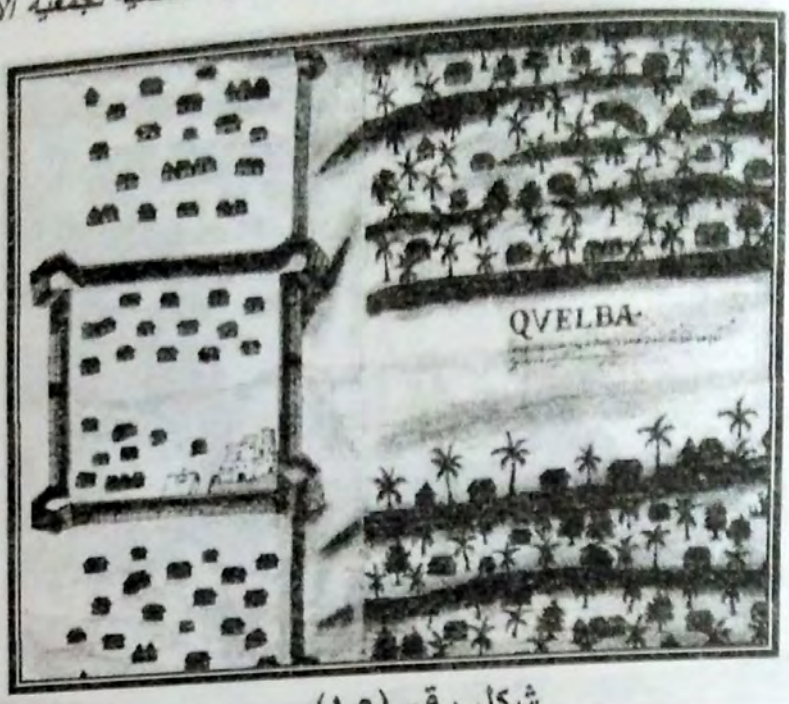

شكل رقم (١٥)
حصن كلبا كما ظهر فى رسومات دى ريسنده
(عن القلاع والحصون)

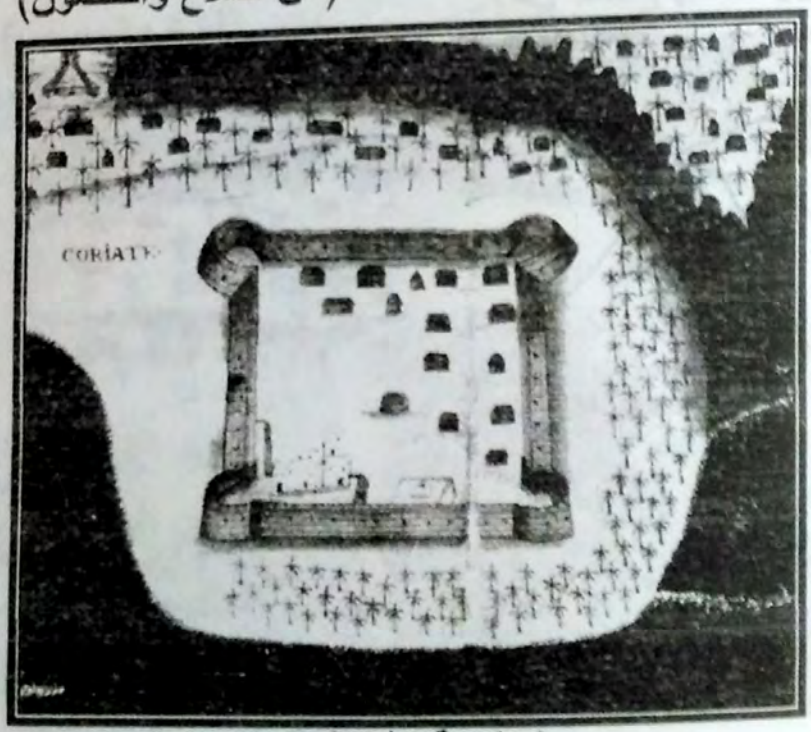

شكل رقم (١٦)
حصن قريات كما ظهر فى رسومات دى ريسنده
(عن القلاع والحصون)

Scanned by CamScanner

شكل رقم (١٧)
حصن البدية كما ظهر فى رسومات دى ريسنده
(عن القلاع والحصون)

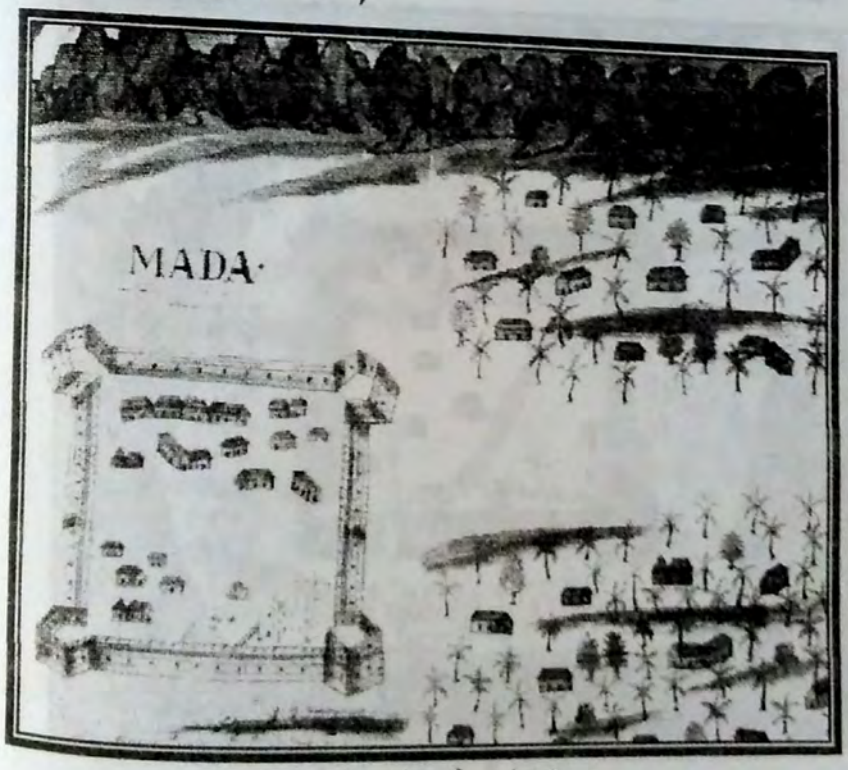

شكل رقم (١٨)
حصن مدحا كما ظهر فى رسومات دى ريسنده
(عن القلاع والحصون)

Scanned by CamScanner

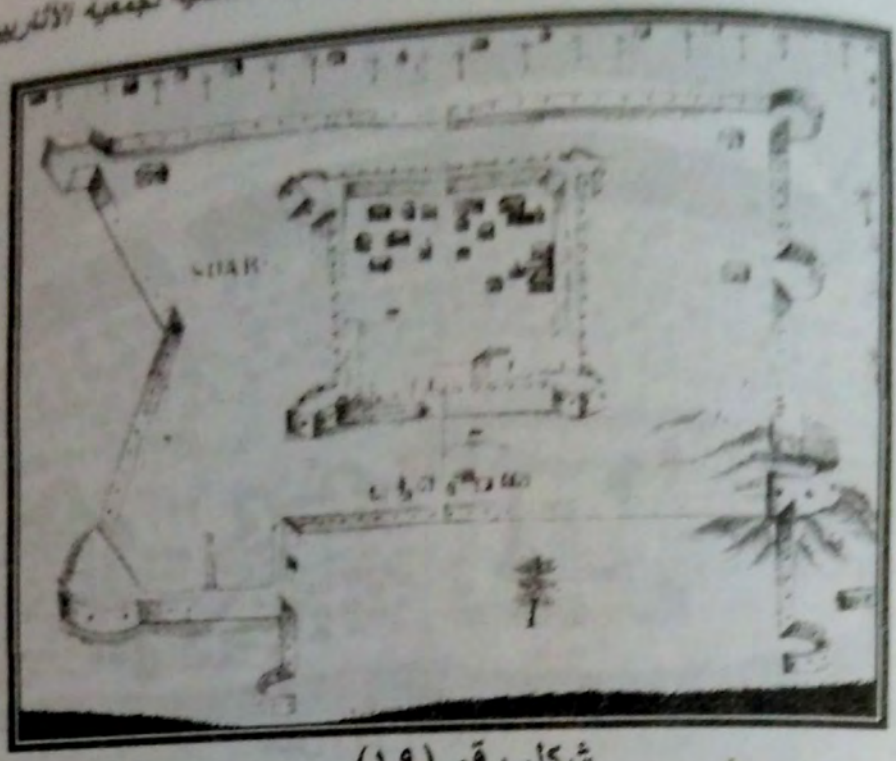

شكل رقم (١٩)
حصن صحار كما ظهر فى رسومات دى ريسنده
(عن القلاع والحصون)

شكل رقم (٢٠)
حصن صحار حالياً

Scanned by CamScanner

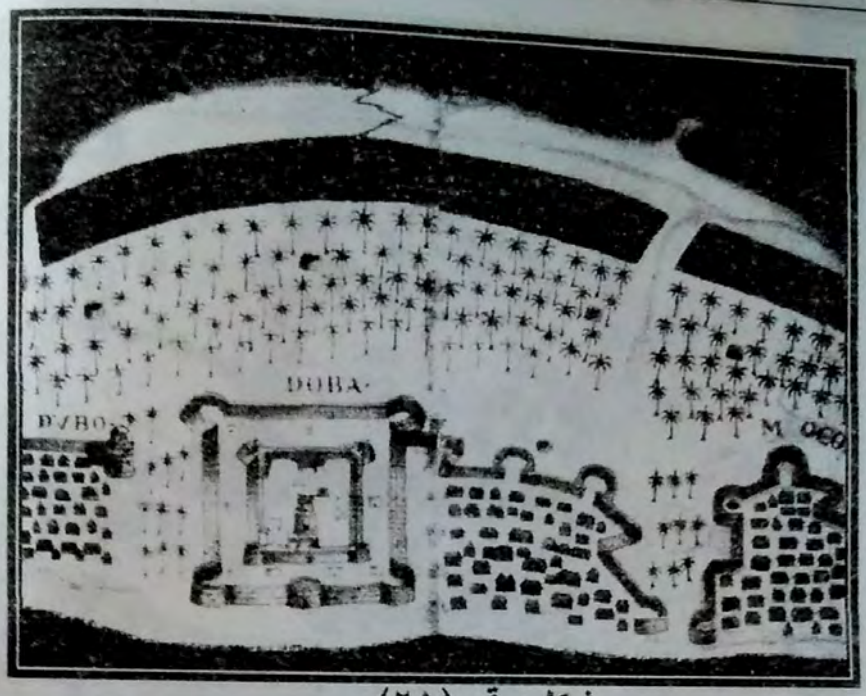

شكل رقم (٢١)
حصن دبـــا كما ظهر فى رسومات دى ريسنده
(عن القلاع والحصون)

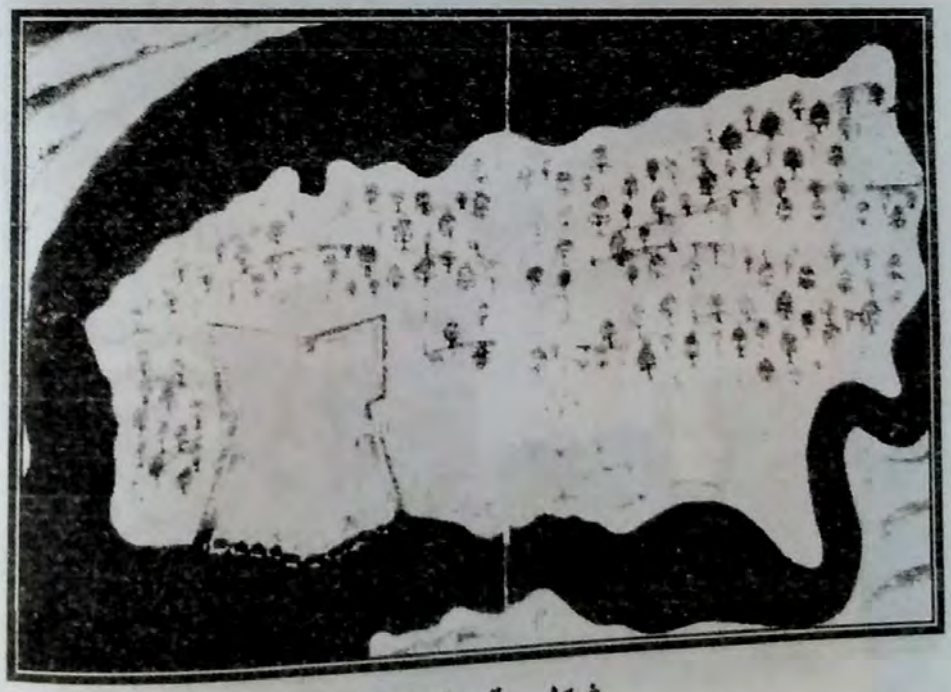

شكل رقم (٢٢)
ممباسا (كينيا) قلعة يسوع البرتغالية كما ظهر فى رسومات دى ريسنده
(عن القلاع والحصون)

Scanned by CamScanner

ظاهرة الصوامع المثمنة الشكل بشمال المغرب
هل هي مستوحاه من شكل قبة الصخرة بالمسجد الأقصى ؟

أ.د. عبد الهادي التازي*

تعتبر مئذنة جامع القرويين بفاس ـ بدون نزاع ـ أقدم منارة صمدت في العالم الإسلامي كله علي نفس ما بنيت عليه ، في شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وثلاثمائة (يولية غشت 956) من لدن الأمير أحمد الزناتي والي فاس علي ذلك العهد، أقول أقدم لأن بعض المأذن التي سبقت مئذنة القرويين في جهات أخرى من بلاد الله دخلتها تغييرات و ترميمات لم تبقها علي حالها الأول بينما نرى أن منار جامع القرويين ظل هو منذ اليوم الذي شيد فيه ، و من هناك كان الوقوف أمام هذه الصومعة وقوفاً مع أثر معماري لا نظير له في سائر أنحاء العالم الإسلامي .

وقد تميزت هذه المئذنة التي حكينا عنها بظاهرة معمارية ظلت هي الطابع الذي تتميز به سائر الصوامع الموجودة بمختلف أنحاء المغرب من أقصاه إلي أدناه، ليس فقط في القرن الرابع الهجري و لكن أيضاً في العصور اللاحقة مروراً بعهد المرابطين و الموحدين و بني مرين إلي عهد السعديين و العلويين .

وقد قلت ـ وأنا أؤرخ لجامعة القرويين ـ " إن المهندس المغربي علي ذلك العهد ربما إستوحى تربيع المنارة من شكل الكعبة المشرفة التي كان الآذان يرفع جوارها في العهد المتقدم لظهور الإسلام .

ذلك التربيع الذي ظلت القرويين القدوة الأولي فيه بعد جامع القيروان[1] ، و نتساءل اليوم عن بعض الشواذ إزاء هذه القاعدة التي دأبنا علي رؤياها يومياً ... وأعنى به منار الجامع الأعظم في مدينة وزان ومنار الجامع الأعظم كذلك في حاضرة شفشاون ومنار جامع القصبة بطنجة .

و بالرغم من أن مدينة وزان عرفت منذ أن إستقر فيها الشيخ الصالح مولاى عبد الله الشريف العلمي اليملحي الوزاني في القرن الحادي عشر الهجري- السابع عشر الميلادي، أقول عرفت بحضور مكثف للأشراف منذ ذلك التاريخ المبكر فقد ظلت الزاوية مكتفية بمسجد محدود المساحة إلي أن كثر السكان والأتباع. فهنا وجدنا الدوله في شخص السلطان المولي سليمان (1206-1238هـ/1792-1822م) تقوم بإنشاء مسجد جامع هناك علي ما نقرأه في كتب التاريخ المتداولة بين الناس[2]، هذا المسجد الجامع هو الذي كان يتوفر علي مئذنة مثمنة الشكل علي خلاف سائر المساجد المعروفة في المغرب ...فهل كان لهذا التطور أسباب ؟ أم أنه أتي تلقائياً ودون سابق تخطيط ، بمعنى أن مزاج الباني الذي رفع المنار ظهر له أن يبتكر هذا الشكل لسبب أو آخر ..

لقد حاولت أن أعرف ، وسمعت أن المئذنة ربما ترجع لتاريخ متقدم إلا أنني أعتقد أن المئذنة إنما كانت تتزامن ـ كما أسلفت مع أيام السلطان المولي سليمان الذي كان يعاصر

---

* أستاذ الحضارة الإسلامية وعضو أكاديمية المملكة المغربية .

(1) د. التازي : جامع القرويين ، المسجد و الجامعة بمدينة فاس طبعة دار الكتاب 1972، المجلد الأول ص56-57 .

(2) الناصري : الإستقصا طبعة الدار البيضاء 1956ج 8 ، 173.

ـ كما نعلم ـ الشريف سيدي الحاج العربي الوزاني المتوفي سنة 1267 وهو الحفيد الرابع لمولاي عبد الله الشريف .

وقد ظهرت ، لحسن الحظ ، طائفة من الرسائل و الأطاريح كتبها أبناء وزان أنفسهم فيها ما كتب باللغة الفرنسية ، و فيها ما كتب باللغة العربية[3] علاوة علي المقالات والبحوث المستقلة ، ولكن الجواب الذي كنت أبحث عنه حول سبب خروج صومعة وزان عن القاعدة ظل معلقاً !

وقد إتجهت نحو ما كتبه الأجانب أيضاً حول الصومعة لكنها ، أى المصادر الأجنبية كانت تهتم بجوانب أخرى غير التي كنت أبحث عنها .

فقد لذ لبعضهم أن يتناول ـ وهو يعالج عام 1918- الحالة الصناعية بمدينة وزان ـ أن يخصص صفحة كلها تقريباً للحديث عن صناعة مسحوق التبغ الذي يحظى بصيت شهير في سائر البلاد ، و الذي نسميه في المغرب " التنفيحة " ويسمونه في المشرق النشوق أو السعوط أو العطوس . وقد صدرت في شأن تناوله عدة فتاوي بين متحامل ومعتدل .

وصفوا ذلك المسحوق بأنه يتكون من أن يضاف إلي أوراق التبغ ثلثها من رماد شجر الضرو (LENTISQUE) وكيف يوضع ذلك في جرة من الطين قبل أن يدق و يعبأ في ظروف جلدية حتي يحافظ علي مفعوله الخ[4].

وتحدثوا إلي جانب هذه الأشياء عن صلة أشراف وزان بالحياة العامة مما كانوا، أى الأجانب ، يجدون فيه فائدة لهم حول ما يكتبون ، وويل لأمة كتب المستعمرون تاريخها!!

وإذا ما ودعنا أجواء وزان إلي حاضرة شفشاون التي لا تبعد عن وزان كثيراً فإننا سنجد أنفسنا مع نفس الظاهرة أى أن مئذنة المسجد الأعظم بشفشاون هي أيضاً مثمنة ... و نحن نعرف أن شفشاون لا تختلف من حيث شعور المرء بأنه في بقعة روحية أقول لا تختلف عن وزان في ذلك ، فكلما حضر الركاب هنا و هناك تتراقص ذكريات الجهاد و المجاهدين ضد اللذين كانوا يرون أن إحتلال سبتة ومليلية ليس إلا خطوة نحو إجتياح المداشر المجاورة .

وقد نشرت مجلة (دعوة الحق) التي تصدرها وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، نشرت قبل أكثر من ست و ثلاثين سنة نبذة تاريخية عن جامع شفشاون كتبها الأستاذ سعيد أعراب، أعطانا فيها ـ وهو ابن بجدتها ـ فكرة جيدة عن الجامع بكل ما يحتوى عليه من أوقاف ثرية ومرافق عديدة في (عدد أكتوبر 1962) ، ويذكر الزميل العزيز أنه في أيام الناصر محمد بن قاسم شهبون أثناء المائة الثالثة عشر أى السلطان الولي سليمان 1206-1238هـ/1792-1822م بنيت صومعة الجامع الأعظم بشفشاون... وقد إستغرقت مدة البناء نحو السنتين، و يقال أن المعلم الذي تولي بناء الصومعة لايزال الأجداد يروون للأحفاد قصته مع ولده الذي أخطأ في شئ من البناء وقد أشرفت الصومعة علي الإنتهاء ، فلطمه الوالد لطمة ألقت به من أعلي الصومعة .!!

---

[3] **Lhachmi Berrady : Les Charfas d`ouezzane 1850-1912 AIX-EN-Province , juin1971.**
عبد الإلاه الغزاوي : الممارسة الثقافية للزاوية الوزانية ، كلية الآداب بالرباط يولية 1996 .

[4] **Ville et Tribus du Maroc , volume sexisieme : Rabat et saregion ouzzan , Paris 1918, p. 234.**

ومما ردده الزميل العزيز أن الصومعة إبتدأت مربعة و لكنها بعد أن إستوت مع سقف الجامع في نحو ستة أمتار صارت مثمنة ... و ينفتح في وسط المئذنة جهة الجنوب باب إلي غرفة الموقتين ... علقت بها أى بالغرفة مجانات (ساعات) يلاحظ أن أقدمها يرجع تاريخه إلي عام 1256هـ .

و يتابع الدكتور أعراب الحديث عن المئذنة ليقول : إن الصاري أو " العزري " الذي يعلو المئذنة بنحو خمسة أمتار هو أيضاً مثمن الشكل علي نحو الصومعة ، وقد طلع إلي جانب الصاري عمود من حديد يحمل الرايات التقليدية . يعني العلم الأزرق أو الأبيض الذي يشير لأوقات صلاة الجمعة علي نحو ما يعرف في جامع القرويين من فاس .

و لم يتحدث الأستاذ أعراب عما يوجد فوق الصاري نفسه من عدد التفاحات المموهة بالذهب أحياناً و التي إعتاد المهندس المغربي أن يجعلها علي قمة الصاري و كان عددها يختلف من ثلاثة إلي أربعة إلي خمسة أحياناً علي ما قلناه و نحن نتحدث عن مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء[5] .

وختاماً لذلك الوصف الجميل يقول :" إن الصومعة آية الفن الأندلسي المغربي ." ولم يحضرني الآن هل إذا ما كان في الأندلس منار يقوم علي شكل ثماني؟

مهما يكن فإن المصادر التي تحدثت عن شفشاون التي كانت كما نعلم تابعة لمدينة تطاون ، أقول تلك المصادر أيضاً قالت : إن تاريخ إنشاء الصومعة يرجع لعهد السلطان مولاي سليمان الذي نعلم عن التفاتته إلي تطاون أيضاً . و لم تهتم المصادر الأجنبية بأمر تصميم الصومعة في شفشاون و لكنها إهتمت بأمر طابا المسحوقة التي تجعل في الأنف!

وإلي جانب وزان و شفشاون وجدنا أن قصبة طنجة تتوفر هي الأخرى علي مئذنة لم تلتزم بالشكل المربع المعتاد في سائر جهات المغرب . ومن المعلوم أن السلطان مولاي سليمان كان التفت إلي طنجة وخاصة عندما زارها أثناء الأزمة التي اجتازتها العلاقات بين السلطان مولاي سليمان والرئيس الأمريكي طوماس جيفرسون بسبب إسعاف العاهل المغربي لطرابلس ليبيا .

(رسوم من صومعة طنجة عن مصادر قديمة)

ولا أتذكر هل ما إذا كانت هذه الظاهرة توجد في جهة أخرى من جهات المغرب ولكني أعتقد جازماً أن العلاقات بين المغرب و أسبانيا و الهاجس الذي كان يلازم المغاربة من طمع الأسبان في أرضهم شمال المغرب جعل الحكام يعبرون عن تعلقهم بالأرض عن طريق تكثير المساجد في المنطقة تحصيناً للعقيدة و تشجيعاً علي التمسك بالقرآن واللغة العربية .

تبقي علامة استفهام منتصبة عن اختيار هذا الشكل للمنار . و هل هو كما أسلفنا تلقائي جاء بالصدفة أم أن هناك تقليداً مقصوداً لقبة الصخرة بالقدس الشريف والتي كما يعرف الجميع توجد علي شكل ثماني أم إنها ترمز لخاتم سيدنا سليمان ؟[6]

---

[5] د. التازي : المسجد المأثور الإسلامي ص 323 إلي الصفحة 342 من كتاب مسجد الحسن الثاني – مطابع أنتركراف – ميلانو – إيطاليا ... الإيداع القانوني .I.S.B.N 655\1993

[6] رحلة ابن بطوطة : تحقيق الدكتور التازي نشر أكاديمية المملكة المغربية ج 1 صج24 تعليق 20 – القدس و الخليل في الرحلات المغربية ، تقديم و تحقيق د. التازي – منشورات إيسيسكو 1418-1997.

لقد عرف عن المغاربة من قديم أنهم متعلقون ببيت المقدس ، عمروه وجاوروا فيه، وحبسوا عليه الرباع والعقار، وعملوا علي مر الزمان بتزويد خزانته العلمية بأعلاق الكتب و ثمين المصاحف ، فلا غرابة أن يستهويهم الشكل الهندسي للقبة لينقلوه إلي مكان يعيشون فيه صباح مساء حيث يستحضرون صورة بيت المقدس كل لحظة من لحظاتهم ؟[7]

[7] د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج9 ص304-305 مطبعة فضالة ، 1986.

رأس منحوتة من الحجر الجيري في هوارة بالفيوم (من مقتنيات المتحف البريطاني)

أ.د. عزت زكى حامد قادوس*

يحوى المتحف البريطانى فيما يحوى العديد من القطع الأثرية التى قام (بترى)[1] Petrie بالتنقيب عنها فى منطقة هوارة بالفيوم عام 1888م[2] وجدير بالذكر أن بعض تلك القطع لم تنشر حتى الآن وخاصة تلك التى قد أهداها بترى إلى بعض الشخصيات العامة إلا أنها عادت فى النهاية إلى المتحف.

وهذه القطعة ـ قيد الدراسة ـ من تلك القطع المشار إليها، وقد أُهديت حديثاً إلى شخص يُدعى H. Martyn Kennard ، إلا أنها أدرجت فى كتالوج المتحف الصادر عام1997 [3].

وتتراوح أبعاد هذه الرأس ما بين 15.7× 22.2 سم ورغم أنها كانت ملساءً ومصقولةً إلا أن بعض الخدوش والقشور قد أصابتها فى أكثر من موضع، ويحتمل أن تكون تلك الرأس قد نُزعت من إفريز نحتى أو تمثال نصفى كشاهد قبر مثلاً وقد نال الوجه بعض الأثر التحاتى خاصة الأنف والفم وأعلى الذقن وعلى الجانب الأيمن وأعلى قمة الرأس إلا أنها لم تخفِ ملامح الوجه فبدت واضحة إلى حد كبير، والرأس حليقة ومغطاة بشعر مستعار أو ما يسمى (باروكة) فرعونية الأصل، إلا أن الرأس الحليقة لا تخلو من شعر عند الأذنين.

ويفصل بين الرأس والشعر المستعار خط محدد للجبهة ينتهى فى شكل منحنى خفيف ويليه إفريز يحدد بداية الباروكة وهو مكون من وحدات زخرفية متداخلة فى بعضها البعض فيما يشبه الزهرة التى لم تتفتح بعد وتظهر العلامة الفرعونية (عنخ) أيضاً بوضوح.

وهذا الإفريز يحيط الرأس كلها، ويمكن ملاحظة أن الشعر المستعار هو الآخر مقسم إلى أفاريز على شكل مربعات فى صفوف متوازية حتى تنتهى إلى قمة الرأس وبعمق نحتى رائع فى المواضع التى لم تنل منها العوامل التحاتية.

وبصفة عامة يتسم أسلوب التصميم بطابع مصرى تأثر بالأقنعة الجصية الجنائزية التى اكتشفت فى الفيوم خلال العصر الرومانى.[4]

ويمكن ملاحظة امتلاء الوجه على جانبى الجبهة فوق الحاجبين وفى موضع عظمة الخدين وأسفل الذقن، إلا أن هذا الامتلاء يتناسق مع سمك الرقبة المنزوع منها.

---

* أستاذ ورئيس قسم الآثار والدراسات اليونانية والرومانية ـ كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

[1] Petrie, W.M. F., Hawara, Biahmu and Arsinoe, London (1988); id, The Hawara Portfolio, Paintings of The Roman Age, London (1913).

[2] British Museum. GRA 1888. 9-20. 21.

[3] Part IV. Catalogue of Roman Portraits in The British Museum, British Museum. (1997) no. 255, p. 189.

[4] حول الأقنعة الجصية المكتشفة فى هوارة والمؤرخة بالفترة ما بين النصف الأول من القرن الأول وحتى بداية القرن الثانى الميلادى، وهى تحمل ملامح تتقارب مع الشكل العام لملامح الوجه لهذا الرجل. راجع:

Petrie. Hawara. P. 16. Pl. 2,3,4,6,9; Parlasca, K; Mumienporträts und verwandte Denkmäler, Wiesbaden (1966), pp. 104-105. No. 87, 249, 110, 52; Grimm. G, Die römische Mumienmasken aus Ägypten, Wiesbaden (1974); pp. 46, 75, 107, 113, 126; J. Mack, (ed). Masks. The Art of Expression, London (1994), pp. 184-185, Fig. 127; Plunkett, S.J., From The Mummy's Tomb. Ancient Egyptian Treasures in Ipswich Museum. Ispwich (1993), pp. 50, 52 No. 16.

العيون واسعة وجاحظة ومحددة بقناة عميقة محفورة [5]، إلا أن الحدقة (إنسان العين) غير دقيقة، أما الأذن فرفيعة ودقيقة وأقرب ما تكون إلى الواقعية وهذا غير مألوف فى النحت المصرى على الحجر الجيرى حتى أن النحات لم يهمل عضلات الأذن من الداخل والخارج.[6]

ورغم اختفاء الشفاه إلا أن ما تبقى منها على الجانبين يتسم بالدقة، كما تظهر ابتسامة خفيفة فيما يُعرف بالابتسامة الجنائزية فى نماذج البورتريهات الرومانية المرسومة مثل البورتريهات الموجودة فى هوارة.[7]

ويبدو من طول واستقامة الأنف تناسقه مع حجم الوجه رغم اختفائه فى جزئه الأسفل ويتسم الوجه بالابتسامة الرومانية الكلاسيكية.

ومن خلال عرض هذا النموذج نخلص إلى أن السمات الفنية المنفذة فى هذه الرأس جمعت بين المؤثرات المصرية واليونانية وتؤرخ افتراضاً بنهاية القرن الأول الميلادى ولكى نكون أكثر تحديداً فإننا نقترح تأريخ هذه الرأس بنهاية القرن الأول الميلادى وبداية القرن الثانى الميلادى.

وجدير بالذكر أن وجود الشعر المستعار والشعر الحليق والوجه الممتلئ ونحت العيون الواسعة والابتسامة الجنائزية يمكن أن يُقارن بأقنعة أو صور البورتريهات الشخصية التى اكتشفت فى هوارة خلال القرنين الأول والثانى الميلادى مما يؤكد التأثير المتبادل بين المؤثرات المصرية واليونانية كما أن الأقنعة الجصية فى هوارة تمثل لنا ظاهرة مصرية محلية الطابع سادت فى الأسلوب الفنى الشعبى خلال العصر الرومانى والعصر المسيحى أيضاً، كما أن ملامح نحت الوجه يشبه نفس الملامح التى نفذت فى وجوه الرجال فى منطقة هوارة فى إقليم الفيوم.[8]

---

[5] يمكن تحديد تلك الخاصية فى بعض أقنعة التوابيت من هوارة عند
Parlasca. op. cit., pp. 105. No. 249; Mack, op. cit., p. 186.
وكذلك فى البورتريهات الشخصية عند
Bourriau, J. Museum Acquistions (1990) JEA 78 (1992) p. 270.

[6] نلاحظ أسلوب تصوير الأذن بتلك الدقة قد احتل مرحلة انتقالية يبين القناع الجصى والبورتريه المرسوم ويمكن ملاحظة ذلك بالمقارنة بين مجموعة الأذن المصورة فى الأقنعة ومثيلتها المصورة بدقة أقرب ما تكون إلى الواقعية فى بعض صور البورتريهات الشخصية من هوارة، حول صور الأقنعة راجع هامش (4) وحول صور البورتريهات راجع:
Schneiter, B. G., Fayum Portraits, London (1998). pp. 76-77; Bierbrier, M.L., (ed). Portraits an Masks, Burial Customs in Roman Egypt, London (1997). No. 121; Shore. A.F., Portrait Panting from Roman Egypt, London (1992) Pl. 14.

[7] راجع هامش (4)

[8] Bourriau, op. cit., p. 270; Parlasca. op. cit., p. 53. No. 98. Doxiadis, E., The Mysterious FayumPortraits Faces from Ancient Egypt, London (1995) pp. 201. No. 52, 54.

بوتو (تل الفراعين)
مركز الثقل الديني ومعقل الزعامة السياسية
للدلتا قبل وحدة القطرين

أ.د/ فوزي مكاوي• أ.د/ علي رضوان•

تقع منطقة بوتو إلي الشمال الشرقي من مدينة دسوق (محافظة كفر الشيخ) وتبعد عنها بحوالي 12 كم ، ونعرفها الآن باسم "تل الفراعين" وهي عبارة عن مجموعة من التلال الأثرية التي تتجاور في موضع عند الطرف الجنوبي من بحيرة البرلس، وفي نقطة تبعد حوالي 30 كم إلي الجنوب من الساحل الشمالي، وقرابة 15 كم إلي الشرق من فرع رشيد.

هنا أمكن التعرف علي موقع المدينة التي جسدت في عصر ما قبل الأسرات مركز الثقل الديني ومعقل الزعامة السياسية لأرض الدلتا، وكانت المقابل لمدينة "نخن" (=هيراكونبوليس – إلي الشمال من إدفو) حيث يوجد معبد حورس، والتي كانت بمثابة الحرم المقدس والموطن الأول بالنسبة لملوك أسرة التوحيد (الأسرة صفر !)، والمدينة التي بها يرمز إلي نشأة الزعامة الدينية والسياسية في أرض الصعيد .

وإذا كان حورس (الصقر) هو المعبود صاحب المكانة والسيادة في كل من بوتو وهيراكونبوليس منذ عصور ما قبل التاريخ وإلي آخر حقب تاريخ مصر القديم، فإن ظهور أرواح "ب" (=بوتو) في هيئة آدمية برأس صقر، خلافاً لظهور أرواح نخن (هيراكونبوليس) برأس ابن آوي أو الذئب، إنما يدل علي مدي قوة الصلة والارتباط بين حورس وبين مركز عبادته الشمالي في بوتو، أو لعل ذلك أن يشير إلي حقيقة مؤكدة وهي أن الصقر في بوتو هو حورس بن إيزيس، والذي يأتي خليفة لوالده أوزيريس، ويكون بذلك آخر من اعتلى عرش مصر من أسرة الملوك الآلهة، والتي تبدأ بالملك الإله الخالق "رع-آتوم" مروراً بشو وجب ثم الإبن الأكبر أوزيريس الذي تعرض لغدر وتنكيل من أخيه ست. أما بالنسبة للصقر "حورس" في هيراكونبوليس فلعله أن يكون هو التجسيد لأول الملوك العظام في أسرة التوحيد (الأسرة صفر)، والذي يقترح الآن أنه تسمي وكتب اسمه بعلامة الصقر.

(cf . G . Dreyer , Umm El–Qaab I (1998), 178 ,180) .

ويفترض أنه كان صاحب الصلاية المشهورة الموجودة الآن في متحف المتروبوليتان .

(cf .e. g .W. Westendorf , Uräus und Schlange , in : SAK 6 (1978) , 215 f , n .32, Abb .10) .

وعلي كل فإن متون الأهرام لتوضح لنا في أكثر من موضع (قارن علي سبيل المثال pyr. 904) أن أرواح "ب" وأرواح "نخن" هي في حقيقة الأمر الأرواح الخاصة بملوك مصر الأقدمين قبل الوحدة الخالدة وبداية الأسرة الأولي. والأمر الغريب أن أرواح مدينة الشمس "أونو" إذا ذكرت تتقدم أرواح الشمال والجنوب جميعاً ، بل أن ذكرها يتردد أكثر من ذكر كل من أرواح "ب" وأرواح "نخن" ، الأمر الذي يجعل للشمال (الدلتا) ثقلاً سياسياً ودينياً في عصور ما قبل التاريخ وبصورة واضحة حين المقارنة مع الجنوب (الصعيد). بل يلاحظ أن ذكر أرواح "ب" يأتي قبل ذكر أرواح "نخن" إذا اجتمعتا في فقرة واحدة من متون الأهرام.

أما عن قصة الكشف عن هذا الموقع الهام في التاريخ المصري القديم فإن الفضل يرجع في المقام الأول إلي Fl. Petrie الذي استطاع أن يتبين علاقة ما تربط بين بوتو التي عرفها المؤرخون الكلاسيكيون وبين منطقة تل الفراعين هذه – حدث هذا في عام 1886 م .

• عميد كلية الآداب الأسبق – جامعة طنطا.
• عميد كلية الآثار الأسبق – جامعة القاهرة.

بعد ذلك تأتي حفائر V.Seton-Williams التي نشرت في الأعداد من 51إلي 56 (1965 – 1970) من مجلة : JEA ، وكانت النتائج في غاية الأهمية خصوصاً بالنسبة لختم أسطواني يرجع إلي الأسرة الأولى، كأول إشارة إلي عراقة المنطقة هنا .
بعدها تبدأ حفائر جامعتي الإسكندرية وطنطا وهيئة الآثار المصرية اعتباراً من 1982 م . ثم تبدأ سلسلة الدراسات والأبحاث المكثفة من قبل المعهد الألماني بالقاهرة في 1983 والتي تتواصل مواسم بعثاته إلي الموقع حتى الآن .
وترجع أهمية الكشوف الأثرية في هذا الموقع، وخصوصاً ما قامت به جامعة طنطا وبعثات المعهد الألماني بالقاهرة ، إلى أننا أصبحنا الآن في يقين كامل من أن مدينة مدن الدلتا في عصور ما قبل التاريخ، والتي صارت إلي جانب نخن (هيراكونبوليس) مدينتي النشأة الأولي للملكية المصرية القديمة، تقدم تلالها الثلاث الدليل العملي علي مجدها القديم، كما وأن باطن الأرض فيها يفصح هو الآخر عن عمران وتطور في سلم الحضارة منذ حوالي 6000 عام .
وكانت البداية عندما قامت أولى مجموعات العمل في البعثة الألمانية برئاسة Th. von der Way بعمل جسات لأخذ عينات بواسطة مثقاب خاص يغوص في الأرض إلى عمق يصل إلى حوالي سبعة أمتار من مستوى سطح الأرض ، وأسفل من مستوى المياه الجوفية التي طغت ودمرت الكثير من مخلفات ذلك الموقع الأثير، عندها أمكن التعرف علي وجود إشارات (كسارات من فخار!) تدل علي أن العمران كان قد غطى الموقع منذ العصر العتيق علي أقل تقدير.
وتتوالى الأبحاث وتتمكن البعثة من التعرف علي طبقات (Layers) متباينة التطور والتتابع الحضاري، والتي أمكن إعطاء تقسيم لها علي الوجه التالي :
الطبقات I , II : ترجع إلي حوالي 3500 – 3200 ق.م ، وهي تدخل في إطار حضارة بوتو – المعادي ذات الأصول الشمالية الخالصة .
الطبقة III : فيها يتم التحول البطيء إلي وضع حضاري آخر، وذلك بالاندماج والانصهار والتداخل التدريجي مع عناصر من الحضارة النقادية (الصعيدية) والتي كانت في مرحلة التدفق والتواصل مع أرض الدلتا. تلك فترة لعلها تنتمي إلي المرحلة التي نسميها - تبعاً لتقسيم W. Kaiser– بـ Naqada II ,d والتي تقدر زمنياً بحوالي 3300 إلي حوالي 3200 ق.م .
وتأتي الطبقتان IV , V : بإشارات تؤكد دخول المنطقة في إطار العصر العتيق (= الأسرتان الأولى والثانية) .
وتظهر الطبقة الخامسة بقايا بناء يقدر أنه يعود إلي منتصف الأسرة الثانية، وهو يظهر تخطيطاً فريداً، ولا تزال بعض جدرانه تحتفظ بطبقة الملاط التي عليها تظهر زخارف ملونة. ولا نعرف– حتى الآن – الغرض من إقامة مثل هذا المبني، وفي هذا العصر بالذات، إلا أن تكون محاولة بعث وإحياء للدور الكبير الذي كان للمدينة طيلة عصور ما قبل التاريخ، والذي توقف من بعد الوحدة وتحول الثقل الإداري والديني إلي منف تدريجياً، والتي صارت عاصمة لمصر الموحدة مع مطلع الأسرة الأولي .
أما عن الطبقة VI فهي تشير إلي بقايا مواقع سكنية تعود إلي الدولة القديمة .
ويعتقد فريق الباحثين الألمان أن الطبقة VII إنما ترجع - بعد إزاحة لمخلفات عصور سابقة – إلي العصر المتأخر .
ولو أن حفائر جامعة طنطا – كما سوف نري في أعداد قادمة من هذه المجلة بأذن الله – سوف تثبت أن المنطقة قد عاشت تواصلاً وازدهاراً لم ينقطع منذ عصور ما قبل التاريخ وإلي عصر روماني متأخر.
ونود الآن – في هذه العجالة التي بها نقدم لاستعراض نتائج حفائر جامعة طنطا في الموقع العتيق – أن نسوق بعض المعلومات أو نلقي بعض الضوء علي المدينة ومكانتها وذلك في شكل بعض الإشارات المتفرقة .

تسجل بطاقات ثلاث تم العثور عليها في المقبرة Uj بأبيدوس ، والتي تؤرخ ببداية نقادة الثالثة (Naqada III, a 2) وتنسب إلي العقرب الأول (أحد زعماء الصعيد الذين بدأوا السعي في سبيل جعل مصر أمة واحدة) أول محاولة لكتابة اسم بوتو أو الإشارة إلي رحابها المقدسة بصفة عامة، وذلك بإظهار هيئة الطائر المقدس (لعله جبعوتي !) فوق واجهة مبني :

(G . Dreyer , Umm El – Qaab I (1998), 139 ,Nr .127 – 129 .cf .Nr. 188) .

وكانت كل من مقمعة الملك نعرمر (شكل رقم 1) وبطاقة الملك حور – عحا (شكل رقم 2) قد صورت نفس هذا الطائر المقدس فوق مقصورة معبده ، في إشارة إلي موقع بوتو أو إلي مكانتها الدينية السامية ، أو إلي أن أحداثاً في عهد كل من الملكين تسجل علي إحدى الوثيقتين على اعتبار أنها قد جرت هناك.

وكانت متون الأهرام قاطعة في تحديد علاقة بل وتطابق بين المنطقة التي ذكرتها تحت اسم bawt+ وبين بوتو ، وبمثل ما هو متفق عليه منذ زمن بعيد (1993, 1668 , 734 . cf. pyr) إلا أن نفس هذه المتون تشير فى أكثر من موضوع إلى " خميس " باعتبارها مسقط رأس حورس (pyr , 1703, 2190) . ويرى بعض العلماء أن " خميس " هذه لابد وأن تقع هى الأخرى فى رحاب بوتو ولعلها أن تكون مرتبطة بها، بل ولعلها هى نفسها منطقة " جبعوت " التي أشرنا إليها آنفاً، ولو أن الأرجح أن "خميس" على منوال " جبعوت " موقع مستقل بذاته إلى درجة أن هيرودوت يذكر فى كتابه الثانى (صفحة 156) أنه كان يرى على مرمى البصر من عند أسوار معبد الربة واجيت (= أوتو) الكبير فى بوتو تلك البقعة المقدسة التي يقولون أنها " خميس " ، الأمر الذي يتوافق و يتطابق مع ما تشير إليه الآثار أنها كانت في وسط منطقة أحراج مجاورة لموقع المدينة العريقة. ذلك أن متون التوابيت تشير إلي حورس على أساس أنه (صاحب الصدارة في " ب " (CT VI , 95 , 1 , 102 , c) .

وفى موضع آخر من نفس النصوص نسمع أنه : الذي حملته (إيزيس) في " ب " (= بوتو) وتمت ولادته في خميس : (CT IV, 37, g - h) .

(cf. N. Millet , in : JARCE XXVII (1990) , 56, Fig .1; H. Altenmüller, in: LÄ I (1975) , 921 f , n. 6).

وكما هو معروف ، فان كلمة بوتو ترجع إلى التسمية المصرية القديمة التي شاعت علي أيام الرعامسة وهي pr-wADjt والتي تعني "مقر واجيت" و واجيت هذه هي ربه المدينة وسيدتها وحامية الدلتا ورمز ملكها وملكيتها ، ويعنى اسمها "الخضراء" أو "الحية الخضراء" أو تلك التي تنتمي إلى نبات البردى . واسمها صار ينطق في عصور إغريقية Uto، وبما سمح أن تتحول وتتحور التسمية إلي " بر – أوتو" ومن ثم " بوتو " .

إلا أن تسمية قديمة وشائعة كانت تلك التي ربطت المدينة باسم القطاعين أو التجمعين السكنيين الكبيرين " ب " و" دب "، ولعل ذلك أن ظل قائما منذ بداية العصور التاريخية والى آخر الزمان. وكان حورس هو صاحب المكانة الأولى في " ب " على حين أن واجيت كانت سيدة " دب " حيث المعبد الكبير الذي ظل على فخامته وبكل إضافاته وتجديداته في العصر الصاوى إلى أن رآه هيرودوت في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد وقام بوصفه وصفاً دقيقاً، وكيف أنه كان يحوى ناووساً كان بضخامته وفخامة نقوشه أعجوبة فنية ومعمارية تبعث على الدهشة و عظيم الإعجاب . وعند هيرودوت – ومن بعده سترابو – فإن لبوتو وربتها واجيت شهرة كبيرة في مجال الوحي، الذي صار معروفاً لدى الناس جميعا وخصوصا عند الإغريق :

(cf .G.Roeder, Die ägyptische Götterwelt (1959) , 96).

ويصير تقليداً منذ عهد الملك جر (في بداية الأسرة الأولى) أن يتم تصوير الرحاب المقدسة في بوتو على أساس أنها عدد من المقاصير(لعلها تشير إلى أضرحة الأجداد الأوائل من ملوك الدلتا في

عصور ما قبل التاريخ !)وقد اصطفت تحت أشجار النخيل من حوالي قناة معقوفة تخترق المكان (شكل رقم 3) :

(cf. W. B.Emery , Archaic Egypt (1963) , 59, Fig. 20).

والطريف أن حفائر الألمان قد أسفرت عن ظهور أسماء لملوك ينتمون للأسرة "صفر" (=أسرة التوحيد)، ولعلهم كانوا من الملوك المحليين في الدلتا آنذاك، والذين تم القضاء عليهم أو إزاحتهم من بعد فرض الوحدة على أيدي أبناء من الجنوب لعلهم ينتمون إلى أجداد أوائل خرجوا من نخن (= هيراكونبوليس) وواصلوا السيطرة والتمركز في منطقة أبيدوس وما حواليها ، ومن هنا عرفوا باسم الملوك الثنيين (نسبة إلى " ثنى" عند جرجا - محافظة سوهاج) :

(cf. Th. von der Way, Untersuchungen zur Spätvor - und Frühgeschichte Unterägyptens (1993) , 99 f. , Abb. 22 , 5-6).

والطريف أن متون الأهرام تتحدث في موضع (Pyr . 1488) عن " ملوك مصر السفلى الذين هم في " ب " (بوتو) . وفى ذلك تنويه ينطوي على اعتراف صريح بأن الدلتا كانت مملكة مستقلة يوما ما (قبل الوحدة الخالدة بالطبع)، وأن العاصمة آنذاك، والتي كانت سيدة مدن الشمال قاطبة ، هي بوتو .

وعلى كل فلقد كان لبوتو ، بالإضافة إلى مكانتها ودورها الديني والوطني الرفيع كممثلة وحاضرة لكل بلاد الشمال المصري ، من الإشعاع الفكري والسبق الحضاري ما جعل بعض العلماء مثل (W . Helck) وغيره يفترض وجود دراية واسعة بأساليب الكتابة ، التي يقدر أن بوتو عرفتها قبل كل بلاد وادي النيل والدنيا جميعاً ، وبما يسمى بالكتابة " البوتية " والتي عنها تطورت وتبلورت هيروغليفية مصر القديمة التي نعرفها حتى يومنا هذا .

(cf. W. Helck, in: Mélanges G.E. Mokhtar I (1985) , 395 ff.;
id.,Untersuchungen zur Thinitenzeit (1987) , 138 ff. ; id. Gedanken zur Entstehung des altägyptischen Staates , in : Fs. J. von Beckerath , HÄB 30 (1990), 103,n .17; cf. further , W. Kaiser, in: LÄ VI (1986) , 1073 ,n.33).

وتعقد الصلة دائما بين فريق الراقصين المستقبلين لموكب الجنازة في مناظر على جدران بعض مقابر الدولة القديمة والمعروفين باسم "موو" وبين بوتو وشعائرها العتيقة التي تتعلق بالمولود (=حورس) الذي جسد تجدد الحياة (= البعث) في أحراج "خميس" ، وبما يبعث الأمل في عودة الحياة إلي كل متوفى ، وذلك بفضل تلك الرقصات التي كانت ذات صلة وثيقة ببوتو ورحابها وأرواحها المقدسة : (cf. Pyr 1005 , 1974) .

ويعجب المرء كيف أن متون الأهرام - في معظم المواضع – تذكر بوتو قبل نخن، وبعكس ما هو معروف عن تفضيل كل ما هو جنوبي على كل ما هو شمالي. ولعل في ذلك ما يؤكد أو يشير إلي أن واضعي هذه المتون كانوا من كهان الدلتا بصفة عامة وكهان هليوبوليس (المطرية – عين شمس) بصفة خاصة، حيث نسمع في فقرات عديدة منها عن رابطة قوية بين أرواح أونو (= هليوبوليس) وأرواح " ب " (= بوتو) كما نسمع عن مشاركة الملك المتوفى في البحث عن " عين حورس " (= النور والخير والحياة) وكيف أنه وجدها بالفعل في مدينة بوتو من بعد أن بحث عنها فى مدينة الشمس (أونو) ، وكان قد استنقذها من بين أنياب رب الشر " ست ":

(cf pyr 2250).كما وأن آتوم (سيد هليوبوليس)كان يكنى في أكثر من موضع بـ: "سيد بوتو".

كذلك فإن متون الأهرام يتكرر فيها ذكر اسم " بوتو " أكثر من أسم " نخن " بل وبما يزيد على الضعف .

كما وأن الربة " واجيت " تذكر صراحة لأربع مرات، في حين أن ذكر " نخبت " (سيدة الصعيد!) لا يكون سوى لمرتين فقط .

ويبدو أن ذكرى المجد القديم ظلت عالقة بتلك المدينة التي بقيت رمزاً وشعار يشير إلى نشأة المدنية على أرض مصر حتى أننا نسمع الملك العظيم أحمس (طارد الهكسوس – مؤسس الأسرة الثامنة عشرة – صاحب الفضل الأول في دخول مصر إلى آفاق الدولة الحديثة) يتحدث عن نفسه قائلا أنه : " الملك فى " ب " (بوتو)، والحاكم في أرض مصر:
(Urk IV , 16 , 3 – 4).
وهنا تجدر الإشارة إلى أن بعثة جامعة طنطا كانت قد عثرت على اسم الملك نب حبت رع (منتوحتب الثاني) الذي كان بدوره مؤسس الأسرة الحادية عشرة وبداية الدخول إلى الدولة الوسطى، وهو بين منى (مينا) وأحمس يعتبر ثاني الموحدين للأرض المصرية .
وتستشعر الملكة حتشبسوت أهمية خاصة بالنسبة لمكانة وقداسة بوتو ، فنراها تسجل عن نفسها أنها كانت قد قامت بزيارة تلك الرحاب العتيقة مع والدها الملك تحتمس الأول وفى ذلك إشارة منها إلى أن المُلك لابد أن يسعى إليها من جراء ذلك
(cf. S.Ratié, La Reine Hatshepsout (1979) 111).
ويخبرنا الملك العظيم تحتمس الثالث أنه كلف مدير إنشاءاته الأشهر المدعو " مين – مس" لكي يقوم بعمل إضافات وتجديدات في معبد الربة واجيت في بوتو. وبالفعل فلقد كشفت حفائر جامعة طنطا عن لوحة عظيمة لهذا الملك تشير إلي ذلك الاهتمام الواسع الذي أخبرنا به:
(Urk IV, 1443,12) ; cf. Sh. Bedier , in: Fs. E. Winter,(1994), 35ff. ; cf. further D.B.Redford , in : JEA 55 (1969) , 21, no. 26 .
إلا أن الازدهار الحقيقي الذي عاشته المدينة كان على عهد فرعون البناء والتعمير رمسيس الثاني في الأسرة التاسعة عشرة وبما أثبتته حفائر جامعة طنطا من اكتشافات في الموقع هناك.
ومن عجب أن يسقط اسم مدينة بوتو من قائمة المعابد المصرية التي سجلت على بردية هاريس، والتي تحدثنا عن هبات وإصلاحات الملك رمسيس الثالث (الأسرة العشرون) في تلك المعابد. ولعل ذلك أن يكون راجعاً إلي وقوع المدينة في نطاق منطقة الصراع والحروب التي خاضها هذا الملك مع شعوب البحر والليبيين، وبالتالي فإن نشاطه هناك لم يقدر له أن يتحقق نظرا لذلك الظرف القهري.
أما عن فترة الازدهار الأخيرة التي شهدتها المدينة فكانت طيلة عهود الحكم الصاوي (=الأسرة السادسة والعشرون)، فكان أن تم تجديد بناء معبد واجيت الكبير ، وإعادة بناء الأسوار التي أقامها الرعامسة وغير ذلك من الأعمال مثل وضع التماثيل، الأمر الذي أثبتته حفائر جامعة طنطا .
واعتباراً من القرن الثاني الميلادي ، وخصوصاً من بعد حكم بطلميوس الرابع، ومن بعد معركة رفح الشهيرة التي أشعلت روح الحماسة والوطنية في نفوس المصريين وأعادت إليهم مشاعر العزة والثقة في النفس ، فأننا نسمع عن بداية النهاية لمدينة ترمز إلى ميراث من المجد والشموخ المصري، ذلك أن شعائر معابدها كانت قد بدأت في التوقف تدريجيا إلى أن خيم عليها الظلام تماماً في أواخر القرن الثاني الميلادي تحت الحكم الروماني، وذلك أملاً في القضاء على كل صوت فيه بعث للروح والنعرة والوطنية عند المصريين .

من المراجع

عن المدينة وأربابها أنظر ما تناولته القواميس والموسوعات التي صدرت مؤخرا لكي تغطى جوانب شتى من الحضارة المصرية القديمة مثل :

1) J. Shaw and P. Nicholson, British Museum Dictionary of Ancient Egypt (1995) .
2)K.A Bard (ed.), Encyclopedia of the Archaeology of Ancient Egypt (1999).

3) D.B. Redford (ed.), The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt I – III (2001).

ويمكن الاستعانة بالمراجع التالية :

1) H. Bonnet, RÄRG (1952) 130 f., 881.
2) D .B Redford, Notes on the History of Ancient Buto, in: Bulletin of the Egyptological Seminar 5 (1985), 67 ff.
3)H.W. Müller, Gedanken zur Entstehung Interpretation und Rekonstruktion ältester ägyptischen Monumentalarchitektur, in: Ägypten – Dauer und Wandel, Sympssium DAIK Okt 1982 (1985) , 8 ff., Abb. 5, a .
4)W. Kaiser, Zur Südansdehung der vorgeschichtlichen Deltakulturen und zur frühen Entwicklung Oberägyptens , in: M DAIK 41 (1985) ,61ff.
5) W. Helck, Politische Gegensätze im alten Ägypten, in: HÄB 23 (1986) 14 ff.
6) J.Seeher , Gedanken zur Rolle Unterägypten bei der Herausbildung des Pharaonenreiches , in : MDAIK 47, Fs. W.Kaiser (1991) , 313 ff.
7) C.Köhler The Pre – and Early Dynastic Pottery of Tell el- Faraain / Buto , in: E.C.M. van den Brink (ed.), Nile Delta in Transition: 4^{th} - 3^{rd} millennium BC (1992) , 11- 22.
8) M.Bietak , Zu den heiligen Bezirken mit Palmen in Buto und Sais , in: Fs. Thausing (1994) , 1 ff.
9) Th . von der Way , Untersuchungen zur Spätvor - und Frühgeschichte Unterägyptens (1993).
10) Th. Von der Way, Tell el –Faraain / Buto I (1997).
11) D. Faltings, Ergebnisse der neuen Ausgrabungen in Buto – Chronologie und Fernbeziehungen der Buto–Maadi–Kultur neu überdacht , Fs. R. Stadelmann (1998), 35 ff.
12) Toby A. H. Wilkinson , Political Unification towards a reconstruction , in: MDAIK 56 (2000), 377 ff.

عن أقدم الحفائر أو الإشارات :

1) Fl. Petrie and C.T. Currelly, Ehnasya 1904 (London 1905), 36 ff., pls. 43,44.
2) C.C. Edgar, Notes from the Delta , Buto and Chemmis ,in: Ann. Serv. 11(1911), 87 ff

اكتشاف مستوطنة من العصر العتيق بشرق الدلتا

أ.د. محمد إبراهيم بكر*

مقدمة :

علي بعد حوالي خمسة كيلومترات إلي الجنوب الغربي من مدينة كفر صقر مركز الإبراهيمية محافظة الشرقية وإلي الشمال من كفور (أولاد) نجم بحوالي ثلاثة كيلومترات تقع عزبة التل : وهي قرية حديثة العمر نشأت كما قامت مثيلاتها مثل هربيط ،تل الفوزية ،وأبو ياسين ،وطوخ القراموس علي حساب منطقة أثرية كانت في يوم من الأيام مترامية الأطراف ،تقلصت تدريجياً علي أيدي أهالي كل من عزبة التل وكفور نجم وغيرهم ،الذين مارسوا في المنطقة الأثرية كل أنواع التعدي والإيذاء ،واعتبروها ملكاً خاصاً لهم،ينقلون منها الأتربة،(السباخ) ليسمدوا أراضيهم ،ويستخرجوا منها القطع الأثرية يبيعونها لتجار الآثار ،الذي يمرون عليهم بانتظام ليشتروا ما تجمع لدي الأهالي من قطع الآثار الثمينة بأبخس الأسعار،أما القطع الذهبية فمصيرها مباشرة إلي "الصاغة" حيث تصهر لتختفي معالم الجريمة وتضيع قيمتها الأثرية والعلمية إلي الأبد وكنتيجة لاخلاء أطراف التل من الأتربة تباعاً بهذه الكيفية تفقد وتضم مساحات منة كل عام إلي الأراضي المزروعة من حوله إلي ملكية الأهالي بالاحتيال والسرقة وتضيع إلي الأبد معالم أثرية تحتوي علي مصادر تاريخية قيمة ،فلم يتبق من التل الأثري سوي مساحة صغيرة ،قطعها طريقان ترابيان إلي ثلاثة أجزاء :

وصف الموقع الأثري :

القسم الأكبر (أ) جنوب شرقي عزبة التل ومساحته سبعة أفدنه بارتفاع نصف متر إلي متر ونصف عن مستوى الأرض المزروعة ومحاط بالأراضي الزراعية والقسم الثاني يفصله طريق ترابي عن القسم الأول وتبلغ مساحته أربعة أفدنه بارتفاع من 2.5 إلي 4 أمتار ،ومحاط بالأراضي الزراعية ،ويفصله عن القسم الثالث الطريق الذي يصل ما بين كفر صقر في الشمال إلي الخضرية في الجنوب وهذا القسم الأخير مساحته ثلث فدان ويقع إلي الشرق من القسم الثاني.
والتل الأثري بأقسامه الثلاثة يعرف في المراجع الأثرية تحت اسم تل كفور نجم الشاطئ الغربي لفرع النيل القديم التانيتي ،ويعرف حالياً ببحر مويس .وتل نجم كفور أو عزبة التل موضوع هذا البحث يقع بالقرب منة عدة مناطق أثرية كل منها يبدأ بكلمة تل :مثل تل بسطة عاصمة الإقليم 18 وهربيط عاصمة الإقليم تل الفوزية الذي اختفي تماماً تحت الأراضي الزراعية ،وتل أبو ياسين وتل طوخ القراموس ،ويشير هذا التوزيع للمواقع الحضارية القديمة (التلال الأثرية) علي أرض هذه المنطقة أنها كانت عامرة بالنشاط السكاني منذ أقدم العصور ،ربما لوقوعها علي طريق رئيسي يصل ما بين النيل والبحر المتوسط ومنطقة غرب آسيا ،وأقاليم شرق الدلتا بوجه عام كانت عامرة بالمراكز الحضارية علي مر العصور ،وموطنا لعدد كبير من الأقاليم المصرية (حوالي عشرة منها البلامون ،وتانيس (صان الحجر) ومنديس تل الربع وتل بسطه وكان بعضها تمتد إلي أرض سيناء مع فروع النيل الشرقية.
بداية الاهتمام بالتل : بدأ الاهتمام بتل كفور نجم من جانب المختصين بعد الحفائر التي أجراها د. اسكندر أسعد سنة 1961 عندما ظهرت شواهد أثرية عديدة تؤكد نسبة الموقع الأثري إلي العصر العتيق عصر الأسرتين الأولي والثانية،وثبت أثرية المكان .
وفي سنة 1978 نجحت محاولات اغتصاب 1/8 فدان من القسم الثالث الصغير المساحة بأساليب بيروقراطية بالتحايل علي القانون .

* أستاذ الحضارة والآثار المصرية - عميد كلية الآداب الأسبق - جامعة الزقازيق.

ونتيجة لكل ذلك تطلعت الهيئات العلمية لعمل بعض الدراسات المساحية علي تل كفور نجم تمهيداً للإعداد لإجراء حفائر مثل جامعة ميونخ وجامعة لفربول .

حفائر جامعة الزقازيق :

وفي نفس الوقت قام فريق جامعة الزقازيق تحت إشراف د. محمد إبراهيم بكر مؤسس المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم بأعمال المسح الأثري وإعداد الدراسات التمهيدية الشاملة لإجراء حفائر علمية في تل كفور نجم وشرع فريق العمل في إجراء الحفائر في 15 إبريل 1984 في موقع التل (A) وفي أقرب مكان منه لمباني قرية التل وإلي الشرقي منها،وتم اختيار موعد منتصف أبريل إلي منتصف مايو حيث مجاري المياه المجاورة شبه حافة وهو وقت التحاريق أو تنظيف قنوات الري وحيث الحقول المجاورة تتأهب الحصاد ،قبل عمليات الري بطريقة غمر الأراضي بالمياه التي تتسبب في رفع مستوى المياه الجوفية وتعيق إجراء الحفر . ومع ذلك فقد قابلتنا مشكلة اقتراب المياه الجوفية من سطح الأرض مما اضطرنا إلي استعمال ماكينات شفط المياه والتخلص منها باستمرار ،لنتمكن من استئناف العمل في تلك الظروف الصعبة.

قامت بعثة حفائر جامعة الزقازيق بالعمل في موقع آثار عزبة التل في القسم الأكبر (A) منه لأربع مواسم قصيرة أعوام 1984 15 أبريل – 17 مايو ، 1985 ،1988 (21 مارس – 9 أبريل) ،1990 (20 فبراير – 16 مارس) بمساعدة د.محمد عادل عبد المنعم ،د. عبد العزيز آمين ، د. محمد الشحات ، د. محمد حمدي (أعضاء هيئة التدريس بالمعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم).

أسفرت عن اكتشاف أجزاء من منطقة سكنية من عصر ما قبل الأسرات المبكر ،وجبانة من 100 مقبرة معظم محتوياتها سليمة .

أهم النتائج :

في الموسم الأول 1984 تم الحفر في مربعات بلغت مساحتها 900 متر مربع ، في المستوى الأعلى ،الذي يعود إلي بداية عصر الأسرات المبكر ،في جبانة من الأسرة الأولي،وكشف عن ستين مقبرة بيانها كالتالي :

1- حفرة مبطنة بالطوب اللبن ومقسمة قسمين ، القسم الأول يحتوي علي دفنه صاحب المقبرة داخل صندوق أو تابوت من الفخار بخطاء منحني ،في وضع القرفصاء أو وضع الجنين في بطن أمه علي جانبه الأيسر (الرأس ناحية والوجه ناحية) وبالقرب من موضع الرأس وفي بعض الأحيان في داخل التابوت الفخاري الضيق وفي ركن منة وضعت الأواني القيمة من الألبستر والشست ولوحات إعداد الكحل والأساور الحجرية أما الأواني الفخارية الضخمة بما كانت تحتوي عليه من خزين للمؤونة من طعام وشراب فكان مكانها القسم الثاني الملحق بالدفنة.

2- حفرة مبطنة بالطوب اللبن وليس لها مخزن خاص بالقرابين ،تحتوي علي تابوت صغير من الفخار بداخله الدفنة في وضع القرفصاء ،بينما وضعت أواني مختلفة الأحجام والأشكال حول التابوت الفخاري في الفراغات بينه وبين جدران الطوب اللبن .

3- حفرة بدون أي جدران من الطوب اللبن تحتوي علي تابوت من الفخار مشابه لرقم 1،2 السابقين داخلة الدفنة وأواني من الحجر الجيري قرب الرأس ،في حين وزعت الأواني الفخارية خارج التابوت .

4- أواني ضخمة من الفخار داخلها دفنات أطفال ومغطاة بأجزاء من أطباق فخارية .

5- دفنات داخل حفر مستطيلة يختلف اتجاهاتها عن السابقة والهيكل العظمي ممتد علي ظهره والرأس ناحية الغرب ،وجد في ساق أجداها خلخال من البرونز المتأكسد ،وربما من العصور المتأخرة .

والملاحظ أن الأواني والمقتنيات الأخرى تعد بالمئات ،ومعظم الأواني تحمل علامات (أكثر من 150 قطعة) ولكن المفاجأة الكبرى أن نعثر علي اسم الملك نعرمر بصورة واضحة علي أحد الأواني السليمة ومرة أخري علي قطعة فخار مكسورة،وفي الحالة الأولي كان اسم الملك داخل رسم واجهة القصر الملكي وفوقها رسم مكبر للصقر (يبدو كالسمكة البلطي) وفي الحالة الثانية نرى علامة الأزميل (مر) داخل واجهة القصر تعلو علامة أفقية عبارة عن رسم قديم لمقطع (نعر) أي السمكة ،ومن بين المائة والخمسين قطعة التي تحمل علامات مميزة بعضها عليها علامات واجهة القصر فقط.وتحت مجموعة المقابر هذه كشف عن جدار من الطوب اللبن في اتجاه شرق – غرب ينتمي إلي موقع سكني أقدم من المقابر ،وإلي جواره ست أواني مستطيلة من الفخار ومرصوصة إلي جانب بعضها البعض مما يوحي بأن هذا المكان كان يعد فيه أشياء يلزم لتخزينها أن تعبأ في هذه الأواني الضخمة المستطيلة ،بالإضافة إلي وجود بعض قواعد الصوامع الطينية وبقايا جدار آخر من اللبن ،وبقايا فرنين ،ولم نعثر بعد علي مقابر لأصحاب هذه الطبقة التي ترجع إلي المرحلة الأخيرة لعصر ما قبل الأسرات .

وفي حفائر موسم 1985 كشف عن 23 مقبرة مختلفة الأشكال في نفس المستوى الأعلى استكمالاً لعمل الموسم السابق في ذات الموقع وامتداداته :

منها اثنتا عشرة مقبرة من نوع صندوق الفخار ،ومزودة بكثير من الأواني الحجرية من الشست والألبستر والفخار ولوحات من الإردواز (الشست) لإعداد الكحل ،وبعض الحلي وخمس مقابر أطفال داخل أواني فخارية وأربع مقابر مبنية بالطوب اللبن ومقبرتان عبارة عن حفرتين، ودفنتان الهيكلان فيهما راقدان علي ظهريهما والأرجل ممتدة والأذرع أيضاً والرأس ناحية الغرب وإلي جوار أحد الجدران في الطبقة السفلي عثر علي ثماني آواني فخارية طويلة ومرصوصة إلي جوار بعضها وهي مقلوبة في بعضها ليكون جزءاً من جدار للمنطقة السكنية القديمة ،داخلها عدة أماكن بها آثار حريق لأفران ومواقد كانت تخدم أهل القرية.

وفي موسم حفائر 1988 استأنف الحفرة لفترة قصيرة من 21 مارس وحتى 9 أبريل في المربعات السابقة ،وهناك عثر علي بقايا جدران من الطوب اللبن تمتد تحت الأراضي الزراعية المسروقة من التل الأثري من قبل ونظراً لقرب المياه الجوفية من سطح الأرض فإن الحفر تم في ظل ظروف سحب المياه بالماكينات والعمل في الطين وفي المستوى العلوي عثر علي خمسة هياكل عظمية مستلقية علي ظهورها والرأس ناحية الغرب ،وإلي الشمال من إحداها بقايا لثلاثة أواني ،وهذه الدفنات عثر علي مثيلاتها في حفائر الموسمين 1984 ، 1985 .

وعثر علي 17 مقبرة في مستوي العصر العتيق أو عصر الأسرات الباكر وهي الأرقام 95 - 99 - 114 اثنان منها لأطفال داخل أواني فخارية 101 ، 108 والباقي ينتمي إلي الأنواع التي سبق وصفها في الموسمين 1984 ، 1985 ، ومعها أواني فخارية يحمل معظمها علامات ومعها حلي عبارة عن أساور من الشست وألواح الكحل وأواني حجرية اضطررنا لإيقاف العمل تحت ضغط فيضان المياه الجوفية.

وفي الموسم الرابع لحفائر جامعة الزقازيق سنة 1990 استأنف العمل 20 فبراير وحتى 16 مارس وفي الطبقة العليا ظهر 7 هياكل عظمية ممتدة علي ظهرها والرأس ناحية الغرب والأيدي ممتدة أيضاً بجوار الهياكل العظمية ، وأحدها رقم 119 يضع خلخالاً من الحجر في ساقه اليمني ، وليس معه أية قرابين .

أما طبقة العصر العتيق فكشف فيها عن 13 مقبرة ذات قرابين كثيرة ، اثنان منها لطفلين داخل إناءين من الفخار وباقي المقابر نختار منها الأنواع التالية كنماذج فقط :

المقبرة رقم 123 عبارة عن حفرة مستطيلة 167 × 87 سم ومحاطة بجدران من اللبن وحول بقايا الهيكل العظمي 27 قطعة من بقايا القرابين ما بين أواني فخارية وعدد من الأطباق والأقداح من الألبستر ولوحة لإعداد الكحل من الشست ، علاوة علي مجموعة من الخرز والتمائم ، وضمنها تميمة علي هيئة طائر الأيبس من الذهب .

المقبرة رقم 125 وهي حفرة مستطيلة 240 × 180 × 64 سم كانت محاطة ومبطنة ومغطاة بعناية بقوالب محروقة من الطوب 37× 23× 2 سم من جانب ، وإلي الناحية الجنوبية من المقبرة مخزن مخصص للقرابين 165× 26 سم محاط بجدران من الطوب اللبن ومغطي أيضاً بقوالب الطوب المحروقة ضمن مباني المقبرة ، وفي داخل المقبرة نفسها وفي مخزن القرابين 41 إناء ، ولم يعثر علي علامات تفيد أن السقف كانت تحمله أعمدة ، إلا إذا كانت عبارة عن دعامات خشبية محمولة علي سطح الأرضية المغطاة بقوالب الطوب المحروق السابق الإشارة إليها .

المقبرة رقم 127 وهي عبارة عن حفرة مستطيلة كبيرة محاطة بجدران من الطوب اللبن، والأرضية مغطاة بقوالب الطوب المحروق 32×17×3سم ، وفي داخل المقبرة وفي جميع جوانبها من حول الميت وضعت القرابين ، عبارة عن 65 قطعة ما بين آنية مكسورة من الفخار وثلاثة أواني من النحاس في حالة تأكسد كامل ومن خارج المقبرة يوجد بقايا أواني ، وقطع من عظام حيوان ، وبقايا إناء بداخله قطعة أخري من عظام حيوان .

أما بيانات الأربعة تمائم والخرز الذي عثر عليه في المقبرة رقم 123 علي صدر بقايا الهيكل العظمي فهي كالآتي: جعران جسمه مستطيل وظهره محدد بالخطوط التي تقسم الصدر عن الأجنحة ، وبطنه أملس من حجر الحية الأخضر (؟) ومثقوب بطول الجعران لينتظم ضمن العقد ، وتميمة علي هيئة ذبابة مثقوبة أيضاً علي طول جسمها من حجر أخضر داكن ، وتميمة علي هيئة طائر الإيبس من الذهب بساق واحد. وهي من الحالات النادرة من هذا المكان ومن العصر العتيق . وتميمة رابعة لعلها علي هيئة صقر مجنح من العقيق .

الخلاصة:

إن تل كفور نجم عاصر عمليات إزالة طبقات عديدة وحفائر عفوية غير منظمة وسرقة أتربة وعمليات حفر بغرض السرقة مما أضاع معالم طبقات العصور التالية لطبقة العصر العتيق الموجودة حالياً . أما الهياكل العظمية التي عثر عليها فوق طبقة العصر العتيق فمشكوك في تاريخها ، ولها دفنات حديثة نسبياً ، بصرف النظر أن إحداها عثر علي خلخال من الحجر في ساقها .

وحفائر د. بكر في التل الأثري ما هي إلا صرخة استغاثة لإنقاذ هذا الموقع الهام من الاندثار تحت الأرض الزراعية ثم تحت الامتدادات السكانية نتيجة للكثافة السكانية في المستقبل القريب .

إن الموقع الهام لتل كفور نجم علي الجانب الغربي للفرع التانيتي في شرق الدلتا وفي منطقة زراعية خصبة جعلها مقراً ومركزاً إدارياً مهماً منذ العصر العتيق ، مما دعي إلي تواجد موظفين تابعين للقصر الملكي متخذين لهم مساكن لائقة ، ومقابر غنية عثر فيها علي أواني تحمل اسم الملك نعرمر وحلي ذهبية .

جوامع مدينة تونس في العهد العثماني
دراسة تاريخية وفنية ومعمارية

أ.د. محمد الباجي بن مامي*

مرت مدينة تونس بعدة فترات ، فامتازت كل فترة منها بقدوم ممثلين لحضارات مختلفة وهكذا تنوعت مصادر التأثيرات في الناحية الفنية والمعمارية بتنوع منابعها ، واتسم كل عصر بطابعه الذي يميزه عن العصور السابقة . إلا أنه لم يوجد أي انقطاع في سلسلة الحلقات التي تربط بين مختلف هذه الحقبات التاريخية[1].

اختلف مجيء الأتراك العثمانيين اختلافاً تاماً عن الهجرات الأخرى خاصة منها الهجرة الأندلسية ، إذ أن قدومهم كان متصلاً بحضور عسكري و سياسي قوامه الجند . وقد حاول الحكام الجدد بث المذهب الحنفي عن طريق العلم ، فبدؤوا بتأسيس الجوامع والمدارس لهذا الغرض ، وأحيوا ما هرم منها ، وحبست علي المذهب المتبعين له[2] .

كما كان لتأثيرهم الفني والمعماري أهمية لا تقل عن تأثيرهم الثقافي والمذهبي ، مما أعطي صبغة جديدة لفن البلاد ومعمارها وهكذا أدي الوجود العثماني إلي ظهور خصائص واتجاهات فنية جديدة [3]ومن الأكيد أن الحديث عن كل التأثيرات التركية التي عرفتها مدينة تونس، سيحملنا للحديث علي أربعة قرون متواصلة من الحضور العثماني ببلادنا ، لذلك سنهتم في هذا البحث بالعمارة الدينية المتمثلة في الجوامع ، التي تعتبر إحدى العناصر الهامة لهذا الحضور والتي تعطينا فكرة واضحة علي التأثيرات التركية بمدينة تونس .

بالطبع احتج الدايات الأوائل الذين حكموا البلاد إلي إيجاد جوامع خطبة تتسع للجنود العثمانيين الذين استقروا في تونس بداية من سنة 1574م ، وتفيدنا المصادر بأن عددهم كان آنذاك حوالي أربعة آلاف[4]. لهذا الغرض رمم الجامع الموحدي بالقصبة سنة 992 هـ / 1584 م . كما رمم جامع بني خرسان المعروف بجامع القصر سنة 1008 هـ / 1599م [5] . وأدخل العثمانيين بعض العناصر الجديدة علي هذين المعلمين ، من ذلك كسوهم محراب جامع القصبة بالرخام وإضافة المنبر المبني ، وحبس الجامعان علي المذهب الحنفي مما سمح لهؤلاء الجنود من أداء مناسكهم في جوامع خاصة بهم .

بلغ عدد الجوامع المؤسسة بمدينة تونس خلال الفترة العثمانية خمسة ، أسس حاكم البلاد يوسف داي أولها وهو الجامع المشهور باسمه والذي كان يعرف أيضاً بجامع البشامقية[6] ، وتم بناؤه سنة 1021 هـ / 1612 م .

---

* أستاذ ورئيس قسم المسح ودراسة الحضارة الإسلامية بالمعهد الوطني للتراث ـ وزارة الثقافة ـ تونس

[1] H.H Abdelwahab, Coup d, oeil general sur les apports ethniques etrangers en Tunisie , in Rev. Tun . XXIV , (1917) pp305 – 316 et 371 – 379 .

[2] وهو ما حصل للمدرسة الشماعية والمدرسة العنقية ، كما تم ترميم جامع القصبة وجامع القصر وذلك في أواخر القرن x ه /XVI م وحبس كل منهما علي المذهب الحنفي .

[3] Golvin, E SSAI Sur l, architecture religieuse musulmane, p. 59.

[4] ـ أحمد بن أبي الضياف : " اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان " ، الجزء الثاني ، ص 26 تونس 1963 .

[5] ـ الباجي بن مامي " جامع يوسف داي أول المعالم العثمانية بالبلاد التونسية "، مجلة أفريقية ، تونس – 1998، عدد 16، ص 107.

[6] ـالبشامقية هم صنعة البشمق ، وهو الحذاء الذي يلبسه الفقهاء ورجال الدين ، كما لبست النسوة هذا النوع من الأحذية ، وحرف مصطلح البشمق من الكلمة التركية " البشماق " الذي ورد مفهومه في كتاب محمد بن الخواجة " معالم التوحيد " . ص 177.

أما ثاني الجوامع ، فهو الذي أسسه الباي حمودة باشا المرادي سنة 1066 هـ/ 1655 م .
وثالث الجوامع زمنياً هو جامع محمد باي المرادي المعروف بجامع سيدي محرز الذي بدأ هذا الباي في بنائه سنة 1104 هـ / 1692 م ، لكنه توفي قبل إتمامه فأكمله أخوه رمضان باي سنة 1110 هـ / 1699 م ، قبل بناء المئذنة .

كما بني حسين بن علي مؤسس الدولة الحسينية الجامع الرابع سنة 1139 هـ / 1727 م .

وآخر هذه الجوامع هو جامع الوزير يوسف صاحب الطابع الذي انتهي من بنائه سنة 1230 هـ / 1814 م .

جامع يوسف داي:-

أسس إذن يوسف داي أول الجوامع العثمانية بالبلاد التونسية ، وهو الذي تولي الحكم انطلاقاً من سنة 1019 هـ / 1610 م [7]. طالت مدة هذا الداي في الحكم ، إذ بلغت حوالي ثماني وعشرين سنة ، استطاع أن يوجه عنايته خلالها إلي إعطاء نفس جديد للحياة الاقتصادية والعلمية بعد فترة الركود والتراجع التي شهدتها البلاد خلال القرن X هـ / XVI م ، وقد تمكن من ذلك بفضل عدة عوامل من بينها خاصة قدوم نخبة من كبار التجار وأصحاب الحرف الأندلسيين الذين توافدوا علي تونس في عدد كبير قبل توليه الحكم بثلاث سنين [8] وقد حرص علي إيوائهم وتسهيل ادماجهم في الحياة الاقتصادية للبلاد .

هذا ولم يكن إنجاز الجامع نتيجة لتلك الظروف الاقتصادية السانحة ، إذ تم بناؤه بعد سنة فقط بعد تولي هذا الداي الحكم بتونس ، بل يغلب علي الظن أنه كان نتيجة لضغوط سياسية واجتماعية ، ذلك أنه قد مر علي تواجد العثمانيين المتبعين للمذهب الحنفي بتونس أكثر من ثلث قرن لم يحصل خلالها تشييد ولو جامع واحد ، بل اقتصر الولاة كما أشرنا إليه علي تحويل جامعين مالكيين إلي المذهب الحنفي . ولا شك أن الحاجة كانت في أوائل عهد يوسف داي ملحة إلي حد أن الداي المذكور ، أسرع إثر توليه الحكم للأمر ببناء هذا الجامع . فلم تدم الأشغال أكثر من إحدى عشر شهراً (من شوال 1020 هـ / ديسمبر 1611 م - جانفي 1612 م إلي رمضان 1021هـ / 1612 م) مثلما تدل علي ذلك النقيشة ذات الخط النسخي الموجودة بالجامع[9].

هذا ولا يخفي أنه كان للجند دور أساسي في إدارة البلاد ، وحتى في تسمية الحكام عليها ، ولربما قد ازداد عددهم بصفة جعلت من المتأكد إضافة جامع جديد ، لم يفتأ أن أصبح جامع الخطبة الحادية عشر في مدينة تونس [10] فيكون الداي يوسف قد جلب بهذا العمل عطف وتأييد هؤلاء القوم الذين كانوا دوماً مصدر شغب وفتنة .

وقام ببناء هذا المعلم المهندس ابن غالب الأندلسي الأصل [11] لكن بغض الطرف عن هذا الجامع ، شيد يوسف داي مدرسة [12] مجاورة لـــه

---

[7] - حسين خوجة : " ذيل بشائر الإيمان بفتوحات آل عثمان " ، ص 92.

8- H.H Abdelwahab, Coup d, oeil general sur les apports ethniques etrangers en Tunisie , dans Etudes sur les Moriscos Andalous en Tunisie P. 16 , ET J . D. Latham : contribution a l , emigration andalouse et sa place dans l, histoire de la TUNISIE , P. 21.

[9] - يعتبر الجامع الأعظم بتونس أثري المعالم الدينية من حيث وجود نقائش تمدنا بتاريخ المعلم علي مر العصور ، لكننا نلاحظ أن النقائش الموجودة في الجوامع الراجعة للفترة العثمانية ليست بالعديدة ولا يمكن أن تعرفنا بالأطوار التي مر بها كل من هذه الجوامع .

[10] - يستفاد من وقفية المؤسس أن الجامع كان في البداية مسجداً للخمس ، ثم حوله مؤسسه جامعاً للخطبة في سنة 1041 هـ / 1631 م ورتب به إماماً وراوياً لصحيح البخاري ، ورتب فيه خمسة مؤذنين من أبناء الأتراك واثني عشر من أهل البلاد . وهذا حسب وثيقة حبس الجامع الموجودة بأرشيف الدولة . كارتون " د".

[11] - لهذا المهندس أهمية بالغة في حركة البناء والتعمير خلال النصف الأول من القرن XI هـ /XVII م ، ولدينا نقيشة بالجامع الأعظم (جامع الزيتونة) تدل علي قيامه بأعمال بهذا الجامع ، كما أنه أشرف علي بناء المدرسة الموجودة بمقام السيد الصاحب بالقيروان .

وميضأة فوقها مقهى [13] وكذلك كتاباً ، وأضاف إليها سوق البشامقية الملاصقة للجامع ، وسوق الترك وسوق البركة ، وهكذا كونت في جملتها كتلة متكاملة ، تذكرنا " بالكولوليا " التركية .

ولما توفي يوسف داي سنة 1047 هـ / 1637م ، دفنه أبو العباس أحمد في التربة التي أقامها في مدخل الجامع بسوق البشامقية .

يقع الجامع اليوسفي في مدخل المدينة العتيقة من ناحية القصبة بنهج سيدي علي بن زياد ، ومما يجلب الانتباه أن المؤسس اختار موقع جامعه علي مقربة من الجامع الأعظم ، ويمكن تفسير هذه العملية بأن الجند الذين بني من أجلهم هذا الجامع كانوا يقطنون بقرب من هذا الموقع ، فإضافة إلي وجود العديد منهم بقلعة القصبة ، فإن البعض الآخر كان يقطن في المكان الذي تحتله حالياً المدرسة المرادية [14] كما أنه من الممكن أن وجود جامع محبس علي المذهب الحنفي بقرب الجامع الأعظم ساهم في جلب عدد من كبار القوم الذين كانوا يقطنون في هذا الحي للاستماع لدروس الشيوخ المتفقهين علي مذهب الإمام أبي حنيفة ، وبالتالي يعتبر هذا تقوية لصفوف المتبعين لهذا المذهب في بلاد مازال سكانها متشبثين بالمذهب المالكي .

مما يجلب الانتباه أن أول جامع أسس بالبلاد علي يد العثمانيين : ألا وهو جامع يوسف داي ، تأثر في بعض من مكوناته وفي قسم من تصميمه بالمساجد العثمانية ، وهكذا يبدو الصحن الذي يحيط ببيت الصلاة من الجهات الثلاث ـ الشرقية والشمالية والغربية ـ من المميزات النادرة التي قلما نجدها في الجوامع التونسية ، وهي في الحقيقة ظاهرة اختصت بها بعض الجوامع التركية خاصة منها جامع بيالي باشا (PIALI PACHA) الذي أسس باستنبول سنة 992 هـ / 1585 م ، وجامع ياني فاليدي (yani valide) أما بتونس فنجد نفس الشكل ، وهو المشابه لحرفU اللاتينية في ثلاثة جوامع أخرى فقط [15] وهو مالا نجده في الجوامع التي سبقت زمنياً تأسيس الجامع اليوسفي [16] ويتمثل هنا أهم الصحون الثلاثة في الصحن الشمالي ، بينما يتقدم الصحن الشرقي بمساحته المحدودة جداً ، لكنه يمتاز باحتوائه علي محراب يستعمله المصلون خلال فصل الصيف [17] .

لكن ما يجلب الانتباه هو أنه رغم بناء هذا الجامع في بداية القرن XI هـ / XVII م فقد صممت بيت الصلاة حسب النماذج المستعملة من قبل في البلاد ، فأغلب عناصرها تمثل بعض التأثيرات والتقاليد المعمارية المحلية ، وهكذا حصل اختلاف أساسي بين ما يوجد بالصحن ونمط الصومعة والتربة من جهة ، وبين العديد من عناصر بيت الصلاة من جهة أخري ، التي تم تسقيفها عن طريق أقبية متقاطعة [18] وربطت الحدارات ببعضها عن طريق عوارض خشبية . وتختلف بيت الصلاة هذه اختلافاً تاماً عما نجده بجامع محمد باي المرادي (المعروف بجامع سيدي محرز) المسقوف عن طريق القباب المعتمدة علي أربع دعامات ، بينما اعتمد سقف الجامع اليوسفي علي غابة الأعمدة التي تعودنا علي وجودها بأغلب جوامع البلاد .

---

[12] -أدمجت هذه المدرسة خلال عهد الصادق باي في المستشفي الصادقي ، وذلك في سنة 1291 هـ / 1874 م ، لكن مازال هذا القسم علي نفس التصميم الذي كان عليه من قبل .

[13] - يجب أن يربط إنشاء المقاهي في ذلك العصر بالمسائل التابعة للعبادات ، وبطرق التصوف والذكر التي كانت منتشرة بكثرة في القرن XI هـ / XVII م . حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلي مقال
Kahwa, in Encyclopedie de l, Islam, T. IV PP. 469- 475.

[14] - وهي كانت تدعي أيضاً مدرسة التوبة ويفسر ذلك بن أبي دينار بأنها كانت " مسكناً للجند قبل بنائها، ويقع فيها الفجور ، فغير
(الباي) رسمها وجعلت لتلاوة كتاب الله والعلم " . ابن أبي دينار " المؤنس " ..ص 248 .

[15] - وهي جوامع : حمودة باشا المرادي ، ومحمد باي المرادي ، المؤسس كل منهما خلال النصف الثاني للقرن XI هـ / XVII م . وكذلك جامع صاحب الطابع المؤسس خلال الربع الأول للقرن XIII هـ / XIX م .

[16] - اعتقد ج . مارسيه أن شكل هذا الصحن قد استعمل قبل ذلك في جامع المهدية الفاطمي : إلا أن عملية الأسبار التي قام بها ليزين عند إعادة بناء الجامع ، أثبتت أن الجامع الفاطمي كان علي نمط الجوامع الأفريقية الأخرى ذات الصحن المستطيل الشكل ، الذي يتقدم بيت الصلاة في ناحيتها الشمالية ، وتحيط به الأروقة .

[17] -وهو القاسم المشترك بين الجوامع الخمسة موضوع بحثنا هذا .

[18] - هي طريقة مألوفة في سقوف معالم مدينة تونس الدينية منها أو المدنية .

لبيت الصلاة هذه شكل مستطيل ، فعرضها أقل من عمقها ، إذ يساوي عرضها 6/ 7 من عمقها . ونحن نعلم أن شكل بيت الصلاة بصفة عامة يكون العرض فيه أكثر من العمق [19] وبما أننا نعثر في بيت الصلاة هذه علي كثير من المعطيات التي نجدها في الجوامع الأفريقية الأخرى ، فقد كنا ننتظر أن يمثل عرض بيت الصلاة أكثر من هذه النسبة بالمقارنة مع العمق . إلا أن الأبعاد تكاد تكون متوازية (أي شكل مربع) مثلما هو الحال بالنسبة إلي جامع سيدي محرز [20]

تتكون بيت الصلاة من تسع بلاطات ـ أهمها البلاطة الوسطي المواجهة للمحراب ـ وسبع مسكبات ، أكثرها عرضاً المسبكة الموازية لجدار القبلة ، وهكذا تكون بمعية البلاطة الوسطي ، التصميم المعروف حسب شكل T " اللاتينية " . ويتكون السقف كما لاحظنا من أقبية متقاطعة تتسم بالجمال ، وهكذا نضفي علي بيت الصلاة شيئاً من الأناقة أنقذها من المونوتونية أو الرتابة التي كان من الممكن أن تتردى فيها ، ذلك إضافة إلي القبة ذات عقود الزوايا التي تعلو المحراب [21] . بينما لا يجلب الانتباه في واجهة المحراب ، إلا المحراب نفسه والزخرفة الجصية التي تعلوه . وكسي القسم الأسفل لجوف المحراب الذي يتوسط هذه الواجهة باللوحات الرخامية ، وزخرفت الطاقية بنقوش جصية ذات تأثير أندلسي ، كم يتكون العقد الحدوي الذي يحيط بالقسم الأعلى للمحراب من فقرات رخامية متناوبة ، بيضاء وسوداء ،ويحيط به إفريز مقعر ، ويستند هذا القسم علي عضادتين يحد كل منهما من الداخل عمود رخامي يعلوه تاج من الطراز الحفصي . ونمط هذا المحراب جديد بالنسبة إلي جوامع البلاد ، فلم يكن يكسي جوف المحراب بالرخام ، ولم ينتشر هذا النمط إلا مع دخول الأتراك العثمانيين ، أما قبة المحراب فهي مرتكزة علي أربعة عقود ، مشكلة بذلك قاعدة مربعة للقبة التي تتكون من ثلاثة أقسام . ويتم الانتقال من القاعدة المربعة إلي الطابق الأوسط المثمن الشكل عن طريق أربعة عقود زوايا يحتل كل منها أحد زواياها الأربع [22] ويحد المحراب شرقاً ، باب مقصورة الإمام ، وغرباً المنبر ، وهو منبر قار بني بالحجارة وكسي بلوحات المرمر المتعددة الألوان [23] وهو يذكرنا بمنابر جامع القصبة وجامع حمودة باشا ، وجامع محمد باي المرادي والجامع الجديد ، وجامع صاحب الطابع . أما أجمل العناصر التي تحتوي عليها بيت الصلاة فهي الختمة القرآنية التي أثريت في واجهاتها الأربع بنقوش جميلة وبنقيشة تثبت تحبيسها علي الجامع سنة خمس وأربعين وألف للهجرة (1045 هـ / 1635 م) .

من بين العناصر المعمارية التي تلفت الانتباه ، المئذنة وهي أولي الصومعات المثمنة الشكل التي تم بناؤها بالبلاد ، إذ أن جميع الصومعات التي سبقتها زمنياً كانت في أغلبها ذات نمط موحدي ، ولها قاعدة مربعة الشكل ، كما أن لجامع حمودة باشا المرادي والجامع الجديد وجامع صاحب الطابع ، مآذن لها هي الأخرى نفس النمط .

اختلف المؤرخون في مصدر هذا النمط من المآذن ، فأغلبهم يرون أنها من تأثير تركي ، أو ينعتونها " بالنمط الحنفي " ويري البعض الآخر أنها من تأثير أندلسي ، ويستدل الأستاذ **ميكال دي إيبلزا (MICKEL DE EPALA)** علي ذلك بتواجد صومعة بالمرية تتشابه نوعاً ما مع هذا النوع من الصومعات التونسية ، لكن الشيء المؤكد أن المآذن المثمنة الشكل وجدت بتركيا و بمصر و ببعض المناطق التي كانت تابعة للسلطنة العثمانية . و رغم أن المآذن المتواجدة بتركيا

---

[19] ـ مثلما هو الشأن بالنسبة إلي جامع عقبة بالقيروان وجامع الزيتونة والجامع الأعظم بسوسة وغيرها .

[20] ـ من المؤكد أن المهندس اضطر اضطراراً لاختيار هذا التصميم ، لضيق قطعة الأرض التي تصرف فيها لبناء المعلم . لكن من الملاحظ أن الجوامع الأخرى الراجعة إلي الفترة العثمانية ، لها نفس التصميم ، خاصة جامع حمودة باشا المرادي .

[21] ـيفسر هذا الفقر المعماري بالفترة الزمنية الوجيزة جداً التي أنجز خلالها الجامع فهي لم تسمح بإثرائه بعناصر أخري ، هذا إضافة إلي أن الأيالة التونسية لم تسترجع قواها بعد من جراء المصائب التي لحقتها خلال الحرب الأسبانية التركية التي انتهت بانتصار الأتراك سنة 981هـ / 1574 م.

[22] ـ الا أنه تواجدت قباب يتم فيها الانتقال من المربع الأسفل إلي القبة عن طريق عنصر المثلثات الكروية ، كما حصل ذلك في جامع محمد باي ، وتربة البايات وزاوية سيدي إبراهيم الرياحي هذا إضافة إلي قبة قصر دار حسين ، وغيرها .

[23] ـ هذا علي عكس المنابر التي عرفتها أفريقية في السابق وكانت منابر خشبية متحولة .

أكثر رشاقة و طولا من التي نجدها بمدينة تونس ، فمن الواضح أن هذه متأثرة بطريقة مباشرة بتلك ، و هي ربما تأثرت بصفة مباشرة بالصومعات المثمنة الشكل الموجودة ببعض المناطق سوريا و لبنان ، خاصة منها بحلب ؟ لكن نلاحظ أن الفنان التونسي قد أضفي عليها شيئاً من شخصيته و تقاليده مما أعطاها بعداً مميزاً .

من بين العناصر الأخرى الهامة : التربة ، فانطلاقاً من هذه الفترة العثمانية أصبح كل مؤسس لجامع خطبة بمدينة تونس يضيف تربة إلي الجامع ، و هو ما حصل فعلاً بجامع حمودة باشا و كذلك بالجامع الجديد و بجامع صاحب الطابع ، و قد حاول محمد باي المرادي إضافة تربة إلي جامعه إلا أنه توفي قبل إنجازها ، فدفن في تربة أبيه حمودة باشا . و مفهوم إضافة التربة إلي الجامع ، مشرقي بحت و لم يعرف لدينا خلال العهد الحفصي إلا في بعض المدارس (كمدرسة ابن تافراقين و مدرسة القائد نبيل أبو قطاية).

و قد لاحظنا بعد أن المهندس الذي أشرف علي بناء هذا المعلم أندلسي الأصل ، إلا أنه رغم ذلك فإن التأثيرات التي سيطرت علي نمط هذا المبنى فيها امتزاج بين الفن و الهندسة المعمارية المحلية و العثمانية ، لهذا نستغرب من عدم محاولة هذا المهندس استعمال الأنماط الهندسية التي تعود عليها بالأندلس ؟

و هكذا احتوى هذا الجامع رغم بساطته علي عناصر جديدة أدخلها معهم العثمانيون ، كالصحن الذي يمثل شكل Uاللاتينية ، و المئذنة المثمنة الشكل ، و المنبر القار و المكسو بالمرمر ، و كذلك التربة المضافة للجامع ، هذا إضافة إلي المحراب الخارجي الواقع في الصحن الشرقي ، و هو قاسم مشترك بين الخمسة جوامع المؤسسة خلال فترة الأتراك العثمانيين ، و هذه المعطيات تعد من الأهمية بمكان إذ تعرفنا علي عمارة الدايات الأوائل بتونس ، و علي التطور الحاصل مع قدوم الحكام الجدد للبلاد .

جامع حمودة باشا:-

أما ثاني الجوامع المؤسسة خلال هذه الفترة ، فعمارته تشابه في أغلب النقاط الجامع الأول ، و يوجد هذا الجامع وسط الأسواق المحيطة بالجامع الأعظم ، و من أهم أسباب اختيار موقعه هذا هو قربه من جامع الزيتونة إذ لا يفصل بينهما إلا بضعة أمتار ، و هو ناتج عن إرادة الحكام الجدد المتبعين للمذهب الحنفي نشر مذهبهم بين العامة ، و كانوا يعتبرون أن الحل الوحيد لنشر الحنفية هو إنشاء جوامع و مدارس تحبس علي مذهبهم ، و بما أن الزيتونة مثلت علي مر التاريخ معقل العلماء و الشيوخ المالكية ، فإن إنشاء جامع قريب منهم يحبس علي المذهب الحنفي كان يشكل في نظرهم أهم الطرق لدعم وجودهم المذهبي و بالتالي السياسي .

من أهم ما يتمكن إذن ملاحظته هو تأثر مهندس هذا الجامع بنمط جامع يوسف داي و هو ما تصفه المراجع بالنمط التركي . كما تجلب الانتباه بعض الاختلافات الجزئية بين مئذنة جامع حمودة باشا و تلك التي ذكرناها في جامع يوسف داي ، فمنارة جامع حمودة باشا أكثر رشاقة و طولاً من الأخري .

رغم احتواء هذا الجامع علي بعض العناصر الجديدة التي لاحظناها بعد في جامع يوسف داي ، و من بينها خاصة ، الصحون الثلاثة المحيطة ببيت الصلاة ، و المحراب المكسو جوفه بلوحات المرمر و كذلك بروز العناصر النباتية في تزويق قاعدة أطر الأبواب ، كما أن للمنبر هو الآخر نفس طابع المنابر الراجعة للفترة التركية ، و كذلك التربة المشابهة لتربة يوسف داي ، رغم وجود إذن هذه العناصر الجديدة ، فإن الطابع العام يدل علي بقاء التأثيرات المحلية قائمة الذات ، فاطر الأبواب و النوافذ التي تفتح علي بيت الصلاة تذكرنا بما يوجد في أغلب معالم مدينة تونس، خاصة منها الفقرات الرخامية المشعة و المتناوبة البيضاء و السوداء ، و طبيعة البناء نفسه ، و كذلك السقوف المتمثلة في أقبية متقاطعة ، كل هذا دليل علي أن التأثير التركي تمثل في بعض

الأجزاء فقط ، بينما بقي التأثير المحلي (خاصة طابع بيت الصلاة نفسه) متواجداً في النمط العام للجامع و في شكله و كذلك في زخارفه .

جامع محمد باي المرادي:-

ثالث الجوامع و هو ربما أهمها علي الإطلاق ، و رغم إطلاق العامة علي هذا الجامع اسم " جامع سيدي محرز " فهو لا ينتمي بأي صلة إلي هذا الولي ، فقد أسسه محمد باي المرادي في نهاية القرن 17م ، و أطلق عليه اسم " جامع سيدي محرز " لوقوعه أمام زاوية الولي[24] . و أهمية هذا الجامع متأتية من أنه انفرد بالنمط المتأثر بالجوامع التركية ، و هو ما لا نجده إلا في عدد قليل جداً من الجوامع في البلاد العربية. إلا أنه رغم هذا فإن جامع محمد باي ، في شكله العام وفي نواحيه الفنية ، يختلف في العديد من النقاط عن الجوامع التركية عكس جامع محمد علي بقلعة صلاح الدين المعتبر الجامع الوحيد في البلاد العربية الذي يشكل نسخة مطابقة الأصل لجوامع اسطنبول ، كجامع الأحمدية والسليمانية وبايازيت وغيرها ، المتأثرة مباشرة بآية صوفية ، والتي أبدع في تصميمها المعماري سنان ، أما جامع محمد باي فيبدو أنه تأثر في أغلب نواحيه المعمارية وفي هيكله الخارجي بجامع ياني فاليدي (yani valide) .

امتاز هذا الجامع عن غيره إذن ببعض الخاصيات أهمها اعتماد السقف المتكون من قباب متفاوتة الحجم ، علي أربع دعامات ضخمة ، لذلك لا نجد في بيت الصلاة الأعمدة التي اعتدنا وجودها في كل المساجد التونسية ، فلا تحتوي بيت الصلاة هذه علي البلاطات والمسبكات المعهودة .

تبدو بيت الصلاة من الخارج علي شكل هيكل مكعب تتدرج في فضائه المساحات الكروية الشكل ، فتبدو القبة الوسطي مرفوعة علي رقبته تتخللها ثماني نوافذ وتعلوها طاقية ذات شكل نصف كروي ، في حين أن القبيبات الأقل ارتفاعاً لا تتخللها إلا أربع نوافذ ، وتنتهي كلها برمانة من ثلاث عناصر كروية يعلوها هلال .

أول ما يجلب نظر الداخل إلي بيت الصلاة الفاتحة علي الأروقة الخارجية بتسعة أبواب، الدعامات الأربع الضخمة الحاملة للسقف والمتشابهة تقريباً [25] وتأخذ الدعامات مكاناً ممتازاً في وسط القاعة الفسيحة الأرجاء وتجمع بينهما عقود أربعة في شكل نصف دائرة تكون القاعدة المربعة التي تحمل القبة الوسطي الرئيسية . ويتم الانتقال من المربع إلي القسم الأوسط ، بواسطة عنصر المثلثات الكروية . أما بقية المساحة المسقوفة فتحتوي علي أربعة أنصاف قباب ، تساند القبة الرئيسية من جهاتها الأربع ، في حين أن قبيبات أربع أخرى تحتل زوايا القاعدة . وتستند كل من أنصاف القباب والقبيبات علي عقود معترضة تنطلق من الدعامات الوسطي لترتكز علي العضادات المتكئة علي الجدران .

تتقدم بيت الصلاة أروقة تتمادى في الزاويتين الشرقية والغربية مكونة سلسلة متواصلة من البائكات المرفوعة عن طريق أعمدة مرمرية تعلوها تيجان من الطراز التركي المتأثر بالنوع الكورنتي الجديد[26] ويتألف الرواق الجنوبي الغربي المساند لجدار القبلة من ثلاث عقود ، في حين

---

[24] -حسين خوخة : " ذيل بشائر الإيمان بفتوحات آل عثمان " تحقيق الطاهر المعموري – تونس 1976- ص95.

[25] - إلا أنه إذا أمعنا النظر جيداً في هندسة هذه الدعامات ، وفي كيفية تغطيتها بالألواح المرمرية ، فإننا نلاحظ بعض الفوارق الجزئية التي تبين نوعاً من الارتجال ، في إثبات هذه الحلية الرخامية ، وما احتوت عليه من لوحات خزفية .

[26] - يحتوي هذا التاج في كل من زواياه الأربع علي ورقة أقنتة ذات ثلاث شحمات وتنتهي في كل شحمة بشكل حلزوني بارز ، ويتوسط كل ورقتين حز يتوسطه بدوره (في غالب الأحيان) هلال . وأول من وصف هذا النمط بالطراز التركي جورج مارسيه ، لأنه أدخل إلي البلاد في أوائل الفتح العثماني ، لكن مأتاه غير معروف ، وقد صنعت الكثير من هذه التيجان بالبلاد الإيطالية ، وبدأ انتشارها انطلاقا من القرن XI هـ / XVII م

- **G. Marcais, Manuel d, art Musulman. TII, P.904.**
- **J. Revault , l , habitation tansies, P.273.s**

أن الرواق الجنوبي الشرقي يتكون من أربعة عقود [27] أما الواجهة الشمالية فهي تعتبر أهم الواجهات الثلاث ، إذ تشتمل علي رواق متكون من بائكة ذات سبعة عقود . والملاحظ أن المناطق العليا لكل الأروقة قد كسيت بغطاء من حجارة الهوارية الصفراء اللون ، بينما اختصت الزوايا بكسوة من حجارة الكذال الوردي اللون ، والذي يعتبر الرخام المحلي ، والمجلوب من منطقتين قريبتين من المدينة العتيقة ، أولاها بضاحية حمام الأنف والثانية بالوطن القبلي وبالتحديد قريب من القرية الأندلسية : سليمان .

أما بالنسبة إلي المئذنة فقد جرت العادة في مثل هذه الجوامع أن تتحلى بمئذنة شديدة الارتفاع ومثمنة الاضلاع غير أن هذا الجامع لم يساعده الحظ علي استكمال الصومعة إذ أن المنارة الحالية الموجودة في الركن الجنوبي الشرقي المشرفة علي سوق سيدي محرز ، لم تشيد خصيصاً للجامع الجديد ، بل هي من توابع المسجد الصغير القديم المعروف بمسجد الفلاري[28] وهي صومعة مربعة الشكل صغيرة القاعدة لا تتناسق من حيث حجمها وشكلها مع نمط الجامع وفخامة الهيكل ، والسبب في فقدان صومعة تتماشى والنمط المعماري الخاص بالجامع هو موت محمد باي قبل إتمام المئذنة . ثم تبعه أخوه رمضان باي الذي مات قبل اكتمال البناء ، وقد امتنع الخلف من إتمام الصومعة تشاؤماً بمصير السلف .

بالطبع أثري أقسام بيت الصلاة هي واجهة جدار القبلة ، التي تتألف من قسمات أفقية وقسمات عمودية . أما القسمات الأفقية فهي ثلاث : منطقة سفلي تحتوي علي إطارات رخامية وألواح القشاني ، ثم منطقة مغشاة بزخارف الجص المحفور والتي تدعي لدينا بـ " النقشة الحديدة " . وأخيراً ينتهي الجدار بقسم خال من الزخارف ، وفوق ذلك نجد القباب وأنصاف القباب [29] تعلو بيت الصلاة والتي كانت خالية من كل زخارف علي عكس ما هي عليه الآن .

تتشكل الزخارف السفلية من عدة مجموعات عمودية يتوسطها المحراب المكسو تماماً بالمرمر المتعدد الألوان ، الذي تحيط به من الجانبين نوافذ تعلوها كسوة من القشاني (أو مربعات الخزف) [30] المجلوب من مدينة أزنيك [31] والمتميز بنصاعة ألوانه وأناقة الأشكال الزخرفية المستوحاة في أغلبها من العناصر النباتية الطبيعية وهو الطراز الطاغي من حيث الاستعمال [32] وفي أطراف الجدار يتمادي نفس النظام مع استعمال زخارف خزفية من الطراز الأندلسي المتمثلة في أطباق فسيفساء التي تتخذ أشكالاً هندسية والتي تسيطر عليها الأطباق النجمية البسيطة التركيب .

الجدير بالذكر أن مجموع الدعامات والعضادات قد رتبت فيها ألواح من المرمر والقشاني والنقشة حديدة حسب نظام مشابه للذي لاحظناه بالنسبة لجدار القبلة مع تداخل بعض العناصر المميزة . أما بقية جدران القاعة فتتمادي في زخرفتها نفس المواد ونسب الترتيب الأفقي ، مع نظام خاص عمودي في المنطقة السفلي .

من بين أهم عناصر بيت الصلاة المنبر المبني بالحجارة والمزوق بالمرمر مثلما هو الحال بالنسبة إلي بعض الجوامع الأخرى[33] أما تيجان الأعمدة فكلها من النوع المسمي " بالتركي

---

[27] - تواصل استعمال نفس نمط العقود التي تعودت عليها البلاد التونسية منذ قرون عدة ، ولم يغير القدوم العثماني في نمط هذه العقود ، وهكذا بقيت مدينة تونس وفية للعقد الحدوي .

[28] -المؤسس سنة 1039هـ / 1629م حسب محمد بن الخوجة : " معالم التوحيد ". ص 114 . غير أننا نرجح أنه يرجع إلي الفترة الحفصية.

[29]- تمت أعمال النقوش الجصية خلال سنة 1980 ، عند ترميم المعلم .

[30] - يدعي القشاني بالبلاد التونسية : زليز ، وفي الأصل المصطلح هو " الزليج " إلا أن الجيم حرفت إلي الزاي نظراً لثقل نطقها

[31] - لا نجد هذا النمط من القشاني إلا في معلم آخر فقط ، وهو الجامع الجديد الذي كسيت جدران بيت الصلاة فيه بعدد من أنماط مربعات الخزف التركية والمتشابهة مع ما يوجد في جامع محمد باي .

[32] -تدخل في زخارف هذا القشاني العناصر النباتية كالزهور والأوراق القريبة جداً إلي الطبيعة ، ويدخل في ألوانها اللون الأحمر المشهورة به مدينة أزنيك وكذلك الأزرق والأخضر .

[33] - ذكرنا بعد منبر جامع يوسف داي وكذلك منبر جامع حمودة باشا ، هذا إضافة إلي المنبر المضاف بجامع القصبة .

" (22 تاجاً علي 25) وثلاثة من الطراز الحفصي . كما نلاحظ نوعاً ثالثاً يعرف بالأندلسي [34] وهو المستعمل في عمودي المحراب والمنبر .

بالنسبة إلي النقش علي الجص ، استعمل في هذا المعلم طراز أول وهو من تأثير أندلسي يتسم باستعمال العناصر الهندسية المتمثلة خاصة في أطباق النجوم . أما الطراز الثاني فهو من تأثير تركي ، ويتمثل في ألواح يطغي عليها الشكل المنفرد (خاصة المزهريات والنجوم وكوز الصنوبر...) .

الجامع الجديد :-

أما رابع الجوامع فهو الذي أمر ببنائه حسين بن علي تركي مؤسس الدولة الحسينية الذي تولي مقاليد الحكم سنة 1117 هـ / 1705 م [35] أسس هذا الباي ثلاث مدارس خلال الفترة الأولي لحكمه ، وآخر مدرسة أنجزها الباي حسين تم بناؤها سنة 1139 هـ / 1727 م ، قبل سنة فقط من اندلاع الحرب الأهلية التي انقسمت فيها البلاد بين حسينية وباشية [36] .

الجامع الجديد هو أول جامع شيد في الفترة الحسينية [37] وباستثناء هذا الجامع لا نملك مثالاً آخر لجامع استعمل صحنه كمدرسة ، لأنه في صورة بناء جامع ومدرسة في نفس المكان : كجامع ومدرسة التوفيق ثم الجامع اليوسفي والمدرسة ، وكذلك جامع و مدرسة صاحب الطابع ، فإن كلا من المعلمين يكون مستقلاً بذاته . وربما نتج هذا الاختيار عن ضيق المكان الذي تم استغلاله ، وهو علي تطور لمفهوم المدرسة ولتخطيطها ، فالمسجد الذي تحويه كل مدرسة كان يمثل المكان الذي وقع استغلاله للتدريس والصلاة بالنسبة إلي الطلبة والشيخ ، وهنا من الممكن جداً أن اضطر هؤلاء لاستعمال بيت صلاة الجامع .

تعلمنا المصادر أن الأشغال انطلقت سنة 1136 هـ / 1723 م ، وأن الباي حسين أزال ثلاث خمارات كانت توجد قرب المسجد المسدوري وبني عوضها دوراً للسكن . أما بقية المساحة فقد أنجز عليها الجامع والمدرسة وتربة أعدها لنفسه [38] وكتاباً وأول صلاة أقيمت بالجامع كانت ظهر يوم الأحد 14 شعبان 1139 هـ / 16 أفريل 1727 م [39] ويفيدنا الصغير بن يوسف أن الباي حسين أنفق أموالاً طائلة في بناء الجامع والمدرسة وأنه جلب أعمدة الرخام من إيطاليا بينما أتي بالزليج من اسطنبول .

مما يبرهن علي أهمية هذا المكان إحاطة العديد من المعالم الدينية والمدنية بهذه المجموعة التي توجد المدرسة في شمالها ، ويبدو أن العثمانيين اهتموا بهذا الحي اهتماماً خاصاً منذ بداية القرن XIهـ / XVII م ، فقد بني به الداي عثمان قصره الراجع إلي حوالي سنة 1605 م ...

---

[34] - يتميز هذا التاج بزخارف الخطوط المنعرجة ، ونجده في بعض المعالم الراجعة إلي الفترة الحفصية : كزاوية سيدي قاسم الجليزي وميضة السلطان ، كما استعمل في بداية القرن XI هـ / XVII م بدار عثمان داي

[35] - تذكر المصادر أن أصله من جزيرة كريت (حسين خوجة : " ذيل بشائر أهل الإيمان " ص 115 ومحمد سعادة : قرة العين ..."مخطوط ورقة 5. ب ...بينما يري عزيز سامح في كتابه : " الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية " ، إن ذلك غير صحيح (ص 232 - 233) ؟

[36] - حول حياة هذا الباي وتأسيسه لعدد هام من المعالم وترميمه لعدد آخر راجع : حسين خوجة : نفس المصدر ص 115-153 السراج : " الحلل السندسية في الأخبار التونسية " ج 3 ص 55-76 محمد سعادة " قرة العين .." ورقة 92 أ و ب ابن أبي الضياف " اتحاف..." ج 2 ص 100 وما بعدها .

[37] -ابن الخوجة : " معالم التوحيد" ص 132- 133 .

[38] -لاحظنا بعده أن التربة أضيفت في جل الحالات إلي الجامع خلال الفترة العثمانية بمدينة تونس .

[39] - محمد سعادة : نفس المصدر ورقة 44 أ ، وحسين خوجة : نفس المصدر ،ص 161 . والصغير بن يوسف : " المشرع الملكي " ، ص 15.

أول ما يجلب الانتباه بالجامع ، الصومعة المثمنة التي تطل علي الصحن الشرقي للجامع وعلي سوق الصباغين من الخارج ، وتشد بيت الصلاة اهتمام المصلين نتيجة لثرائها الفني والزخرفي والمعماري ، وأول ما يلفت الانتباه هو التصميم المتسم بالطابع المحلي الذي تعودنا عليه في بيوت الصلاة المنشأة خلال الفترة الحفصية ، والتي استعملت ايضاً في الجوامع العثمانية بمدينة تونس كجامع يوسف داي وجامع حمودة باشا المرادي والمختلف عن تصميم جامع محمد باي ، وهو التخطيط المتمثل في قاعة مستطيلة الشكل ، عرضها أكثر من طولها فلها في هذا الجامع من الطول 17.20 م ولها من العرض 19.20 م ، لهذا فإن مساحة بيت الصلاة بالجامع الجديد متواضعة نسبياً .

قسمت بيت الصلاة بالجامع الجديد إلي خمسة أروقة لها نفس الأبعاد وهو ما نلاحظه أيضاً بالنسبة إلي المسكبات الأربع الموازية لجدار القبلة ، وهي تختلف في هذه الناحية عن تصميم الجامع الأعظم وغيره من الجوامع التي تتميز ببلاطة المحراب الأعرض من بقية البلاطات وكذلك الشأن بالنسبة إلي المسكبة الممتدة بطول جدار القبلة ، و التي تمثل أعرض المسكبات ، مما سمح بتكوين التخطيط المتعارف عليه بشكل Tاللاتينية وهو التصميم الأكثر انتشاراً بالبلاد التونسية .

يختلف سقف هذا الجامع عن أغلب الجوامع الأخرى بما فيها الجوامع المؤسسة خلال القرن XIهـ / XVII م ، فهو متكون في كل من طرفيه الأيمن والأيسر من أقبية طولية ، وتتوسطها بالرواق المواجه للمحراب أشكال مقبية ، وهي طريقة سيحصل اعتمادها فيما بعد في جامع صاحب الطابع الذي أثريت فيه هذه الأقبية الطولية بالنقوش الجصية . حملت هذه الأقبية الطولية بالجامع الجديد عن طريق عقود متقاطعة تستند بدورها إلي حدارات تتكون كل منها من حجارة متناوبة بيضاء وسوداء ، وهي محمولة علي أعمدة من الرخام الأبيض المستورد من كرارة ، وهي نفس المادة المستعملة في تيجانها ذات النمط الخليط الذي نلاحظ وجوده في صحن الجامع ، وهو يحتوي علي تأثيرين متداخلين : كورنتي من حيث عنصر الأوراق ، وإيواني من حيث الشكل الحلزوني ، وقد استمده الرومان من هذين الطرازين . بينما للأربعة أعمدة الحاملة لقبة المحراب تيجان من النمط المعروف " بالتركي " والذي نجده في الجوامع التي يطلق عليها " الجوامع الحنفية " لتأسيسها في الفترة العثمانية وتحبيسها علي هذا المذهب . وبعكس أغلب الجوامع الأخرى ، ونتيجة لضيق المساحة ، تمت إضافة طابق علوي في جزء من أقسام الجامع ، إذ خلي وسط بيت الصلاة من هذا القسم المضاف ، وهو مصنوع من الخشب، ذلك ما يسمح بمضاعفة طاقة استيعاب الجامع . ولم تحصل هذه الإضافة إلا خلال القرن الفارط ، فمن الواضح أن عدد سكان الحي ازداد بصفة جعلت الجامع يضيق بالمصلين ، وهو ما دفع إلي إضافة السدة وهي نفسها المستعملة من قبل الخوجات لتلاوة القرآن .

يتسم إذن تصميم بيت الصلاة هذه ، بتواصل الأنماط الموجودة بالبلاد منذ عصور الإسلام الأولي ، غير آن الإطار العام مختلف عن أغلب هذه الجوامع ، خاصة فيما يخص استعمال مربعات الخزف الكاسية للنصف الأسفل لجدار المعلم ، وهو ما نلاحظه أيضاً في جامع صاحب الطابع . لكن رغم تشابه هذه المربعات مع تلك التي لاحظناها بعد في جامع سيدي محرز فإنها تختلف عنها في أشكالها ، وهي تتسم في الجامع الجديد بوجود العديد من أنماط المربعات الخزفية ،وهي التي اشتهرت بها جوامع مدينة اسطنبول كجامع الأحمدية وجامع السليمانية وبايزيت الخ ....

وإن كان النصف الأسفل للجدران مكسواً بمربعات الخزف ، فإن النصف الأعلى مكسو بالنقوش الجصية ،وهي الأخرى متأثرة بالنمط التركي .

ورغم ثراء جميع جدران الجامع بشتي أنواع المربعات الخزفية والنقوش الجصية ، فإن واجهة جدار القبلة تجلب الانتباه بصفة خاصة ، فأول العناصر هو المنبر القار المبني بالحجارة ، وهو يتشابه في نمطه مع الخمسة منابر الأخرى الموجودة بالجوامع الحنفية .

أما المحراب فلا يختلف في نمطه عن بقية المحاريب المتواجدة انطلاقاً من القرن XIهـ / XVII م ، والتي تواصل العمل بها إلي اليوم ، فالنصف الأسفل لهذا المحراب مكسو بسبع لوحات

رخامية ، متناوبة سوداء وبيضاء ، ويعلو كل لوحة شكل معقود علي هيأة محراب. كما خرمت طاقية المحراب بالنقوش الجصية المتمثلة في أشكال هندسية متداخلة ، تتوسط كال منها أشكال عديدة متأثرة بالفن التركي .

آخر العناصر الهامة في بيت الصلاة هي قبة المحراب المحمولة علي أربعة أعمدة ذات تاج عمود " تركي" ، وهي التي لا تختلف في شكلها أو مضمونها عن أغلب القباب التي لاحظناها في بيوت الصلاة بالمساجد ومساجد المدارس وبعض الأضرحة [40] .

لكن مقارنة مع ختمة جامع الزيتونة أو جامع يوسف داي فإن الختمة القرآنية الموجودة بهذا الجامع تعد بسيطة في شكلها ومكوناتها .

جامع صاحب الطابع :-

آخر جامع هو جامع صاحب الطابع الذي يعد آخر المنشآت الدينية العظمي التي أسست خلال الفترة العثمانية بمدينة تونس ، فهو سابع الجوامع الحنفية وآخرها زمناً . وان كانت الجوامع الأخرى التي ذكرناها بعد قد أسست من قبل دايات وبايات ، فمؤسس هذا الجامع الوزير يوسف صاحب الطابع لا ينقص عن هؤلاء في الأهمية إذ لعب دوراً هاماً جداً في حياة البلاد كاد يضاهي به دور البايات أنفسهم [41] فقد بلغ أعلي المناصب وأصبح الساعد الأيمن لحمودة باشا ، باي الأيالة التونسية ، حتى وصل به الأمر إلي أن أوكلت إليه كل الأمور . وكان يعد هذا الوزير أثري شخص في الدولة ، وتأتت ثروته خاصة من التجارة مع البلاد الأوروبية ، وكذلك من استعمال سفنه العديدة في القرصنة ، كما لعب هذا الوزير دور البنوك ، إذ كان يقرض الكثير من وجهاء المملكة مع فائدة طائلة . كل هذا سمح له بأن يكون ثروة طائلة وازت جباية الدولة آنذاك [42] .

كان الابتداء في بناء الجامع يوم الأحد أول محرم 1223 هـ / 1808 م ، وأقيمت أول صلاة في الجامع يوم الجمعة 12 ربيع الأول 1229 هـ / 4 مارس 1814 م . وهي تعتبر من أحسن الفترات الحسينية - وبني صاحب الطابع مع الجامع مدرسته المشهورة باسمه . ويوجد الجامع بقرب من منزل المؤسس ، كما بني عدة منجزات أخرى في نفس الحي [43] وتوجد شمالي الجامع والمدرسة ، الزاوية البكرية ، وغربيها زاوية سيدي شيحة ، وجنوبيها زاوية وسبيل سيدي عبد السلام [44] وهو دليل علي أهمية الموقع .

باشر بناء الجامع وملحقاته [45] المهندس الحاج ساسي بن فريجة[46] ومن المؤكد أن بعض الأسري الأوروبيين ساهموا في البناء . فيفيدنا محمد بن الخوجة : " بوجود أساري كثيرين بدهاليز أبراج غار الملح ، ومعامل ترسخاتة حلق الوادي وسجون تونس " [47] لهذا أذن الباي حمودة باشا بجعل سبعة وعشرين أسيراً من أصيلي مدينة نابولي الواقعة جنوبي إيطاليا [48] في تصرف وزيره

---

[40] - تتكون القبة من ثلاثة أجزاء : أولها مربع الشكل وأثريت أقسامه بنقوش جصية دقيقة الصنع تشبه في شكلها خلايا النحل ، ويتم الانتقال إلي الطاقية عن طريق قسم ثان متكون من عقود زوايا تذكر بشكل المحارات . ونجد في الرقبة عميدات ثمانية (فقدت منها خمسة سيتم وضع أخرى مشابهة لها) بينما كسي أعلي القسم من القبة (الطاقية) بنقوش جصية متمثلة في نجمة مثمنة وسطي ، وينطلق من كل واحد من أجزائها فرع ، وهي تحصر فيما بينها مثلثات ثرية .

[41] - أحمد بن أبي الضياف : " اتحاف أهل الزمان ...." ج 7 ، ص 89 - 100 .

[42] - أحمد بن أبي الضياف : نفس المصدر ، ج7 ، ص 98 .

[43] - خصوصاً منها الحمام ، والذي يعتبر متأثر مباشرة بالنمط التركي والذي تم ترتيبه في سنة 1928 .

[44] - كما نجد قصر مصطفي خزندار علي مقربة من مسكن يوسف صاحب الطابع هذا إضافة إلي عدد من المعالم الهامة الأخري .

[45] - خاصة المدرسة الطابعية والكتاب.

[46] - وهو المدفون بقبة سيدي مصطفي الجزيري داخل الباب الجوفي للجامع .

[47] - محمد بن الخوجة : " معالم التوحيد " ص 140 .

[48] -وهي ربما من بين الأسباب التي جعلت نمط الجامع متأثراً في بعض أجزائه بالفن والعمارة الإيطالية ، خاصة منها أطر الأبواب والنوافذ

لاستخدامهم في البناء . أما النقش علي الجص والزخرفة وغيرها من الأعمال الفنية ، فقد قام بها تونسيون [49] .

تذكر بعض المصادر أنه أتي بالرخام المستعمل في أطر الأبواب والنوافذ وفي صنع الأعمدة وتيجانها ، ولتبليط الأرضية من جنوب إيطاليا (حسب محمد بن الخوجة)[50] أما بن ابي الضياف فيذكر أن أبا محمد حسين المورالي : " وكان من رؤساء شقوف يوسف (صاحب الطابع) ، أنه خصه بنقل الرخام لجامعه من القرنة [51] إلا أنه من الواضح أن الرخام وارد من كرارة ، فقد كان الأيالة التونسية قد اشترت مقاطع رخام بها ، واعتمدت عليها في جل ما بني انطلاقاً من القرن XII هـ / XVIIIم والقرن XIIIهـ / XIXم . وقد جازي الوزير هذا القبطان بأن ملكه السفينة بجميع مدافعها وما يوجد عليها من آلات ، ويبدو أن حسونة المورالي نفسه هو الذي تبرع برخام قبر يوسف صاحب الطابع . كما إحتفظ هذا الأخير بكمية هامة من الرخام والأجر ومربعات الخزف وآلات الردم في مخازنه " ما يبني جامعاً آخر " [52] إلا أنها سرقت كلها بعد موته إلا أن حسنات صاحب الطابع لم تمنعه من أن يموت مقتولاً ، فبعد موت حمودة باشا اغتنم الفرصة أعداء الوزير أبو عبد الله محمد زروق ففتكوا به ، وذلك قبل أن يتم صومعة جامعه سنة 1230 هـ / 1814 م ، ولم يقدم أحد بعد المؤسس علي إتمامها ، ولم تكمل نهائياً إلا منذ حوالي ربع قرن . ودفن المؤسس بتربته في الجامع الذي تعلوه قبة بديعة الصنع تذكرنا في نمطها بقبة التربة الباشية ، خاصة في شكلها وفي حجمها وفي طريقة إثرائها بالنقشة حديدة .

يتم الصعود إلي الجامع عن طريق مدرج أول رئيسي يفتح علي ساحة الحلفاوين وعن طريق مدرج خلفي يذكرنا في نمطه بالمدرج الخلفي لجامع حمودة باشا ، هذا إضافة إلي مدرج ثالث قريباً من مدخل زاوية سيدي شيحة ، يشبه في نمطه مداخل زاوية سيدي عبد القادر وزاوية سيدي قاسم الجليزي وكذلك دار لصرم ... [53] .

لا يختلف في تصميمه وفي عناصره المعمارية عن بقية الجوامع المؤسسة خلال الفترة التي تلت انتصاب الاتراك العثمانيين بالبلاد . فللصحن شكلU اللاتينية ، وهو يحيط ببيت الصلاة من ثلاث جهات : الأقسام الشرقية والشمالية والغربية ، كما تظل بيت الصلاة هذه ثلاث أروقة أهمها علي الإطلاق ذلك الذي يوجد في الناحية الشمالية للصحن هو متكون من بائكة ذات تسعة عقود لها شكل حدوي ، وهي محمولة عن طريق أعمدة مجزعة . أما التيجان فهي من النمط التركي الذي انتشر آنذاك ، غير أن الصدفة المحلية للقسم الأسفل للتاج تعتبر من العناصر الجديدة بالنسبة إلي تيجان الأعمدة بصفة عامة ، كما تعلوها زئبقة طويلة تنتهي في الأعلى بهلال ، وإن كان الهلال من العناصر المضافة والمتميزة بالنسبة إلي تيجان هذا الجامع ، كما أن ورقة الأقنثة التي تنحدر انطلاقاً من الشكل الحلزوني الموجود في كل من الزوايا الأربع للتاج ، لها شكل قلما نعثر عليه في تيجان الأعمدة الأخرى .

نلاحظ في قصر دار حسين أن يوسف صاحب الطابع هو الذي أضاف فيه القسم الثاني للطابق العلوي بما فيها الصدفات البحرية التي تعلو النوافذ المحيطة بهذا الصحن ، ونجد في الجامع نفس نمط هذه الصدفات التي تعلو هي الأخرى النوافذ والأبواب الفاتحة علي بيت الصلاة والمظلة للأروقة ، لكن تلك الموجودة بالجامع تعتبر أثري بكثير وأجمل من الموجودة بدار حسين ، فقد زخرفت من الداخل بأشكال تضفي عليها جمالاً فتاناً .

كما أن المئذنة هي من نفس نمط المنارات الأخري التي نلاحظها في جوامع يوسف داي وحمودة باشا والجامع الجديد ، لكن يمكن اعتبار مئذنة صاحب الطابع أكثر رشاقة وأناقة وارتفاعاً من الأخريات. وبنفس المكان الذي أشرنا إليه في جامع محمد باي المرادي وجامع حمودة باشا

---

[49] - محمد بن الخوجة: نفس المرجع ، ص 140 .
[50] - محمد بن الخوجة : نفس المرجع .
[51] -ابن أبي الضياف : " اتحاف أهل الزمان ...." ج 7 ، ص 97 .
[52] - راجع ابن أبي لضياف : نفس المرجع ، ج 7 ، ص 97 .
[53]-وهي كلها معالم مرتبة موجودة داخل مدينة تونس العتيقة .

والجامع الجديد ، ونجد أيضاً محراباً خارجياً بجامع صاحب الطابع ، أي في الصحن الشرقي ، وهو يشبه في نمطه وفي زخارفه المحاريب الراجعة إلي النصف الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي وبداية القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، فإن كان القسم الأسفل مكسواً بلوحات من الخزف ذات التأثير المغربي ، فقد حليت الطاقية بنقوش جصية مقسمة إلي خمسة أجزاء متأثرة بالنمط الأندلسي والتركي علي حد سواء .

أما بيت الصلاة نفسها فهي تتكون من سبع مسكبات لها كلها نفس الأبعاد . وهي منفصلة عن بعضها عن طريق أروقة يبلغ عددها تسعة ، لها هي الأخري نفس الأبعاد . ويمتاز جامع صاحب الطابع بسقفه المتكون من أقبية طولية يبلغ عددها سبعة ، لها اتجاه شرق ـ غرب ويحدها يمنة ويسرة قبوان طوليان آخران لكل منهما اتجاه شمال ـ جنوب ، وهي كلها مزخرفة بنقوش جصية بديعة ، إلا أننا نلاحظ اختلافاً في أنماط الزخارف بين القبو والآخر ، وتمثل في مجملها تأثيرات تركية ، وهي تتكون من مزهريات وغصون وأوراق وزهور ، ثم نجد في البعض الآخر أطباق نجوم صغيرة تتوسط مربعات متكونة من أشكال هندسية الخ ...مما يضفي علي هذه السقوف الكثير من الجمال والبهجة ، وهي تذكرنا في شكلها وفي نمط نقوشها بقبو طولي موجود بإحدى قاعات تربة البايات ، فهي ترجع الأخري إلي بداية القرن الماضي ، هذا إضافة إلي القباب السبع ، توجد أربع منها بزوايا بيت الصلاة ، وتتشابه كل اثنتين في زخارفها. إذ توجد بالناحية الجنوبية (شرق المحراب وغربه) قبتان لهما نفس الشكل ، فقاعدة كل قبة مربعة الشكل ، ولها في زواياها الأربع عقد زاوية محلي هو الآخر بنقوش جصية ، ويتم الانتقال إلي الطاقية عن طريق رقبة مستديرة الشكل . أما القسم الأخير لكل من هذين القبتين فقد حلي في وسطه عن طريق نجمة تنطلق نحو أطباق نجمية ذات تأثير تركي ، وإن كان للقبتين الأخريين الموجودتين بالزاوية الشمالية والشمالية الغربية نفس شكل القبتان الأوليين، فتختلف زخارف طاقيتهما عن القبتين الأخريين ، فلهذه نجمة مثمنة تتفرع عنها ثمانية ضلوع ، تتوسط كل منها مزهرية . كما توجد قبة خامسة تواجه قبة المحراب من الناحية الشمالية وهي تعلو الباب الأوسط الذي يفتح علي بيت الصلاة من ناحيتها الشمالية ، وبالطبع فإن وجود أربع قباب بزوايا بيت الصلاة ، إضافة إلي قبة المحراب وقبتين أخريين ، يشكل نمطاً فريداً من نوعه بمدينة تونس .

أما الأعمدة المجزعة والتيجان التي تعلوها فلها نفس الشكل الذي لاحظناه بالنسبة إلي الأعمدة الحاملة للأروقة الخارجية . كما أن العقود لها نفس شكل عقود بائكات الصحن ، وهي تشابه في نمطها الأعمدة الموجودة بدار البارون درلنجي وكذلك أعمدة دار باش حامبة ....

يبان ثراء الجامع في الواجهات الداخلية لبيت الصلاة التي كسيت بلوحات الرخام المستورد من كرارة والتي تعلوها مربعات الخزف ،وينتهي الجدار في قسمه الأعلى بنقوش جصية بديعة الصنع. أما جدار القبلة فيتوسطه المحراب ، وهو يعتبر تطور بالنسبة إلي محاريب الجوامع الأخرى الراجعة إلي القرن XIهـ / XVIIم و XII هـ / XVIIIم . فجوف المحراب مكسو بلوحات رخام تذكرنا بتلك التي نجدها في تربة البايات وكذلك بدار البارون درلنجي وبقصر باردو ...وهو نفس الرخام الذي كسيت به طاقية المحراب[54] ، كما يستند العقد الحدوي للمحراب علي عمودين مجزعين لهما لون أسود .

تعتبر قبة المحراب هي الأخري فريدة في نوعها ، إذ كسيت كل أقسامها السفلي انطلاقا من المربع ، ثم الرقبة التي تتلوه والتي تتخذ شكلاً مثمناً ، بلوحات من المرمر التي يحد كل واحد منها إفريز من الرخام الأسود . أما الطاقية فكسيت بعشرة صفوف أفقية من النقوش الجصية المخرمة التي تذكر بخلية النحل ، وهو نمط نادر لا في تونس فقط بل وحتى خارجها .

كما أن المنبر يشبه في نمطه بقية المنابر التي لاحظناها في الجوامع المؤسسة خلال القرنين الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي والثاني عشر هجري / الثامن عشر ميلادي

[54] ـ صنع هذا المرمر الأبيض من قطعة واحدة ، أما الأقسام المجوفة فقد وضع داخلها مستطيلات من الرخام الملون المكون من قطع صغيرة الحجم ويبلغ سمكها سنتم واحد .

، لكن تفنن الصانع هنا في تزويقه بالرخام ، مما جعل منه أجمل المنابر القارة والمبنية بالبلاد التونسية .

للجامع إذن طابع خاص به ، فهو من أكثر الجوامع تأثراً بالنمط التركي ، فرغم وجود العناصر المستوحاة من الطابع الإيطالي والمحلي ، فإن الشكل العام برهن علي أن الفن والعمارة التركية كانا لهما تواجد متميز في بداية القرن الماضي .

هكذا نري أن الحضور العثماني في الخمسة جوامع هذه كان متميزاً ، فرغم مواصلة اعتماد الأنماط المحلية في بعض عناصرها ، اتجه البناة والمؤسسون إلي الأخذ عن الفن والعمارة التركية . رغم تساؤلات العديد من المؤرخين والمستشرقين ان كان من الممكن التأكيد علي وجود فن ومعمار عثماني بالبلاد التونسية ، وبمدينة تونس بالذات، كما أن البعض منهم حاول تقليل شأن هذا الحضور أو مسحه تماماً ، لكن جامع محمد باي المرادي ، وكذلك تربة الباي تفيد هذه الأراء . كما أن الجوامع الأخرى تعتبر دليلا قاطعاً علي الحضور العثماني .

أولاً وبالذات عنصر الصحن ذي النمط الجديد الذي يحيط ببيت الصلاة من ثلاث جهات (الشرق الغرب الشمال) والذي عوض الصحن المستطيل الشكل .

2- المنبر المبني والمثري بلوحات المرمر .

3- المحراب المغشي بالمرمر.

4-ظهور تيجان أعمدة جديدة في بداية الفترة العثمانية ، والتي ليس لها أي علاقة بالتأثيرات التركية ، لكن نتيجة لظهورها خلال تلك الفترة ، أصبح يطلق عليها : " تاج العمود التركي " .

5- وجود محراب بالصحن الشرقي لكل جامع ، وهو مالا نجده قبل وصول الأتراك العثمانيين.

6- من بين أهم العناصر الجديدة ، المئذنة المثمنة الشكل ، فهذا النمط من المآذن أدخله يوسف داي ، وتبناه فيما بعد الدايات المراديين والبايات الحسينيين ، أما الصومعة الموحدية الشكل ، فاستغني عنها لفائدة المآذن الجديدة .

7- تربة المؤسس التي انطلقت مع جامع يوسف داي .

8-البعض من هذه الجوامع : خاصة منها الجامع الأول " يوسف داي " والأخير ،جامع صاحب الطابع ، حصل إلحاقها بمجمع اجتماعي واقتصادي وثقافي .

هذه البعض من نماذج التأثيرات العثمانية بمدينة تونس ، إلا أنها لا تمثل إلا قسماً من هذا الحضور الثري ، الذي نشاهده في العديد من المعالم الأخرى ، خاصة منها الترب والقصور وغيرها . غير أن هذه الجوامع الخمسة حافظت علي معمارها وعلي عناصرها الأولي ، بينما فقدت جل المعالم الأخري الراجعة إلي نفس الفترة وخاصة منها القصور والدور الفخمة والمقامات بطابعها الأول والعديد من عناصرها المتميزة وهذا نتيجة لعدة عوامل من بينها خاصة تقسيمها وتجزئتها وإعادة بنائها .

قانون كرك اللاّ (كرك الله) ومذبحة الإسكندرية (خريف عام 215م) وتبرئة كرك اللاّ العربي الكنعاني من دم الشعب المصري

أ.د.محمد بهجت قبيسي (*)

هذا البحث هو جزء من كتاب عنوانه: (الكنعانيون والآراميون العرب في الإمبراطورية الرومانية من القرن الأول قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي).

لا أظن أن هذه الصفحات القليلة كافية لتبرئة إمبراطور لاكَهُ بعض المؤرخين المغرضين أمثال _ديوكاسيوس)، لكني أرجو أن أوفق إلى ذلك.

وبداية لا بد من الإشارة إلى الثوابت التالية :

الثابت 1- لقد كُتب التاريخ القديم حسب الفكر التوراتي، أو الفكر الإغريقي، ولقي في الآونة الأخيرة تناغماً بين الفكرين عدا قلة قليلة أمثال دوبون سومير و أندريه بيجانيول. حيث يعترف الأول أن اللغة الآرامية هي أقرب للعربية الفصحى من العبرية[1] ، ويصف الثاني أن أسرة كرك اللاّ (كرك الله) هي الأسرة العادلة بالإمبراطورية الرومانية[2].

الثابت 2- لقد قام بعض العرب المحدثين أصحاب الأرض ببعض القراءات المنهجية بعين عربية خالية من العصبية الشوفانية (نسبة إلى شوفان)، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما جاء بدراسة الأستاذ الدكتور مصطفى العبادي في تبرئة العرب من حريق مكتبة الإسكندرية[3] إنما لا تزال هذه الكتابات في بداياتها.

وفي بحثنا عن قانون كرك اللاّ (كرك الله) [الذي منح الهوية الرومانية لكافة السكان الذين تَظِلُّهم سماء الإمبراطورية] والتي كانت حكراً على إيطاليا وبعض سكان (راقودا) الإسكندرية وبعض سكان دفنا / إنطاكية وآخرين قلائل. وأما باقي سكان الإمبراطورية فهم مُستمعَرون يُعَدّون من طبقة العبيد. وجاء قانون كرك اللاّ (كرك الله) ليحرر هؤلاء واستثنى المجرمين فقط[4] .

في بحثنا عن هذا القانون الذي يعتبر أساس مذبحة الإسكندرية، لا بد لنا من دراسة ناحيتين هامتين:

الأولى : أصل هاتين الأسرتين المتصاهرتين العريقتين اللتين أنجبتا كرك اللاّ (كرك الله):

1- أسرة شمسي غرام العربية الآرامية التي سكنت مدينة حمص، ومنها والدة كرك اللاّ (كرك الله) [جوليا دُومنا] في حمص.

2- الأسرة العربية الكنعانية التي سكنت مدينة لبدا (في ليبيا الآن)، والتي منها والد كرك اللاّ (كرك الله) [سبطيم سفير][5] والتي عُرفت بالأسرة السيفيرية أو ما نطلق عليه الأسرة

(*) **أستاذ محاضر في جامعتي حلب وتشرين سابقاً.**

(1) سومير دوبون،الآراميون، دار الأماني، طرطوس، سوريا، ص131.

(2) PIGANIOL-ANDRE,HISTOIRE DE ROME-PARIS 1954 . P- 395.

(3) العبادي مصطفى، العصر الهلنستي، مصر، دار النهضة العربية بيروت، 1981، ص ص 149 – 205.

(4)استثنى المجرمين فقط ولم يستثن المصريين كما جاء لدى البعض.

(5)ورد اسم سبطيم بحرف الطاء في النقوش العربية التدمرية:

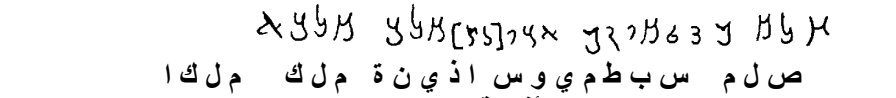

ص ل م س ب ط م ي و س ا ذ ي ن ة م ل ك م ل ك ا

صلم سبطيم (يوس) أذينة ملك ملوكا

المرجع: CORPUS, C.I.S

السبطية أو السافرة كما جاء في التراث العربي العدناني [6] وذلك نسبة إلى سبطيم سفير وهي تضم أربعة أباطرة : سبطيم سفير، وكرك اللاّ (كرك الله) وإله الجبل، (إلا جابالوس) واسكندر سفير.

إن دراسة هاتين العائلتين من الناحية الوطنية والثقافية، تكشف لنا مضامين القوانين السبطية. أما ثقافياً فكانت الأسرتان من أتباع المدرسة الفلسفية الرواقية والتي أسسها زينون الكنعاني القبرصي.

فأما عائلة شمسي غرام:

فقد اشتهرت بتاريخها الوطني أثناء الحكم السلوقي في بلاد الشام في القرن الأول قبل الميلاد وكانت أساساً في إنهاء الحكم السلوقي بعد تعاونها مع بومبي، فإذا قسمنا تاريخ الإغريق في بلاد الشام إلى ثلاث فترات :

1- فترة الإسكندر المقدوني الأممية.
2- فترة السلوقيين العنصرية (غير المعلنة) والتي بدأت بعد موت الإسكندر الأكبر وانتهت عام 167 ق.م.
3- والفترة الثالثة فترة فرض الأغرقة التي بدأها أنطيوخس الرابع سنة 167 ق. م أثناء احتفالات دفنا.

وهنا برزت المقاومة العربية (الكنعانية – الآرامية – النبطية – الأعرابية) (للفترة الثالثة) بأجلى صورها (167 – 65 ق.م)، فقامت الثورات ضد الأغرقة، وكان على رأس هؤلاء الثوار عائلة شمسي غرام التي قضت على أنطيوخس الثالث عشر آخر ملوك السلوقيين ، إلا أن بومبي لم يُوَفِّ العرب حقهم واستبعد شمسي غرام وأكثر حكام الأقاليم وتجاهل طلباتهم الوطنية.

هذا من الناحية الوطنية. أما من الناحية الثقافية، فقد فتحت جوليا دُمنا[7] والدة كرك اللاّ (كرك الله) عيناها على التحرر والثقافة فقد كانت جوليا دمنا فتاة شرقية عربية آرامية متحضرة في ثقافتها المميزة وحضارتها الشرقية الرفيعة عن بنات الغرب الرومانيات، فقد كانت تغشى المجالس العليمة[8] التي كان جدها وأبوها يعقدانها للحجاج اللذين يفدون إلى الشرق للتبرك والتنعم والتنبؤ[9] في حمص وهي أمور لم تكن الفتيات الرومانية يتمتعن بها،وعلى هذا فقد اتصفت هذه الفتاة بصفات لم يُقدّر لغيرها أن يحملنها[10] (أي والدة كرك اللاّ)، وأضافت إلى امتيازاتها فيما بعد, وفي نظر زوجها، أنها ولدت لسبطيم في (ليون) لوج دونم بفرنسا سنة 188 ميلادية إبنها البكر الذي أطلقت عليه اسم (بأس يان) على اسم جده لأمه، لكنه عُرف فيما بعد باسم عربي آرامي آخر هو كرك اللاّ[11] CARACALLA ، ومعنى كرك اللاّ أي قدرة الله[12](كرك الله).

أما عائلة سبطيم سفير (والد كرك اللاّ):

فتعود في تاريخها إلى لوقا سبطيم قاتل بومبي عام 48 ق.م، والذي له مع سبطيم سفير صلة قربى بعيدة على ما تذكر جود فري تورتون[13]، وذلك رداً على عدم حصول أهالي المنطقة على ما كانوا يتوقعونه من القائد الروماني بومبي[14] (وهنا يظهر لنا التناغم الوطني الذي كان بين عائلة شمسي غرام العربية الآرامية وعائلة سبطيم العربية الكنعانية) في موضوع بومبي.

---

(6)ابن منظور، معجم لسان العرب مادة سفر .

(7) جوليا دمنا حفيدة شمسي غرام الأول (القرن الأول قبل الميلاد) وابنة شمسي غرام الثاني(القرن الثاني الميلادي) .

(8) جود فري تورتون، ص 105.

(9) المرجع السابق، ص 32-34.

(10)المرجع السابق، ص 34.

(11) المرجع السابق، ص 34.

(12) HEBREW AND ENGLISH LEXICON OF THE TESTMENT . P. 501.

هذا القاموس الذي سرق منه درايفر DRIVER نقوش الأرض وكلماته ليضيفها إلى قاموس جيزنيوس (1815) ليعتبرها عبرية.جاء في القاموس ص 501: كرك تعنى لفّة، حزمة، أما في اللغة الأكادية فتعني مرجل، أمبيق (ذو القدرة). وفي العاميات الزراعية لبلاد الشام لفظ كركة تعني أمبيق المستعملة في استخراج ماء الزهر المقطّر. والأمبيق يحمل معنى القوة والقدرة، وهذا في فقه اللغة يعتبر مدلول.

(13) جود فري تورتون، ص 105

(14) هـ. جونز ، مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ص 62.

وتشير المصادر أن جدّ سبطيم سفير المباشر واسمه لوقا سبطيم سفير (75م)، كان شخصية كبيرة في مدينة لبدا الكنعانية الإفريقية . وقد أهدى إليه الشاعر (ستاس) واحدة من قصائده عندما رُفعت المدينة إلى رتبة مستعمرة حوالي 110م زمن تراجان فقد شغل لوقا سبطيم الجد مناصب متعددة فقد كان قاضياً في لبدا ثم حاكماً قبل أن ينتقل إلى روما ليصبح أحد أعضاء المجلس التشريع وقاضياً فيها[15] (لنلحظ ذلك : أن الجد كان في مجلس التشريع وقاضياً في روما) ما دمنا نبحث في مقدمات قانون كرك اللاّ (كرك الله).

كما تشير المصادر أن والد سبطيم (جد كرك اللاّ) كان من رتبة الفرسان ولهذا أقام سبطيم سفير بعد تسلمه السلطة في روما تمثالاً لأبيه في لبدا سنة 201م.

أما سبطيم سفير، ولكون والده أحد الفرسان الميسورين[16] فقد استطاع أن يتابع تعلُّم البلاغة والقانون حتى بلوغه سن الثامنة عشر على يد معلمين من قرطاجة ومادورا (MADAURE) في إفريقيا، ولم يكُ هؤلاء المعلمين يَقِلُّون في شيء عن أندادهم في روما[17].

كانت لغة عائلة سبطيم سفير البيتية هي العربية الكنعانية التي يتكلم بها أهالي قرطاجة (راجع أحد النقوش العربية الكنعانية في نهاية هذا البحث)، وتعلم سبطيم اللغتين اللاّتينية واليونانية إلا أن لهجته الكنعانية ظلت مؤثرة على لاتينيته حتى أصبح إمبراطوراً في روما، ويذكر المؤرخون أن لهجته كانت أسلم من لهجة أخته التي زارته في روما مما أثار استهزاء وسخرية سكان روما[18] (حسب أقوال المؤرخ ديو كاسيوس الذي كان يكره هذه الأسرة) .

وأما فيما يتعلق بالاهتمام بالنسب في المنطقة العربية فهذا ما يؤكده رينيه دسّو في كتابه تاريخ سورية قبل الإسلام[19]

بالإضافة إلى أن أول اتحاد نسائي قام في روما أوجدته جوليا سواي ميّاس ابنة أخت جوليا دُمنا[21] (والدة كرك اللاّ)، ناهيك عن المجالس الفلسفية التي كانت تعقدها جوليا دُمنا في كل من روما ودفنا/إنطاكية.

هذا غيض من فيض عن الأسرتين وتاريخهما الوطني والثقافي.

أما الفكر الإيديولوجي الذي جمع الأسرتين هو المدرسة الفلسفية الرواقية. وفي هذه العجالة نشير إلى ثلاث مدارس فلسفية كانت سائدة:

1- الأولى هي الرواقية، ونستطيع أن نشبّهها (إن جاز التعبير) بأحد الأديان السماوية.
2- الثانية هي الأبيقورية، ونستطيع أن نشبّهها بفلسفة (الغجر – النور – الجبسي) للحياة.
3- الثالثة هي الكلبية، ونستطيع أن نشبّهها بحياة الهيبّيين اليوم.

المدرسة الرواقية:

مؤسّسها زينون الكنعاني القبرصي، واسم زينون كاسم خلدون، حيث الواو والنون هي لاحقة كنعانية، فأقول: قاسي = قاسيون، حرم = حرمون، كفر = كفرون، خالد = خلدون، زيد = زيدون، صيد = صيدون. نشر مدرسته سنة 300 ق.م في أثِنا تحت أحد الأروقة، لذا سُمِّيَت بالرواقية.

من تعاليمها:

- وحدة الجنس البشري.
- المساواة بين الناس.
- عدالة الدولة.
- تساوي قيم الرجال والنساء.
- احترام حقوق الزوجة.
- الإحسان والحب والطهارة والتسامح والإحسان إلى الآخرين.
- الشعور الإنساني حتى في حالة الضرورة القاسية التي تقضي بمعاقبة المجرم بالإعدام.

كل هذه وسواها تملأ كتب الرواقيين[22].

---

(15) J . BABELON, P. 60 .
(16) J . BABELON, P . 59 .
(17)جود فري تورتون ص 23 – 24 + J.BABELON, P. 59-62
(18)جود فري تورتون ص 23 – 24 + J . BABELON, P. 59
(19)دسوّ رينيه، تاريخ سورية قبل الإسلام ص ؟؟
(21) جود فري تورتون، ص 199-200.
(22) عيسى اليازجي، مآثر سوريا في العصر الروماني، ط1، بيروت، ص147.

والمثير أن هذه المدرسة أصبحت عماد فكر كل صاحب عقيدة سياسية أو أخلاقية أو دينية[23]. حتى أن بعض فلاسفة الفكر الإسلامي مثل صدر الدين الشيرازي المتوفّى سنة 1640م، أخذوا من هذه المدرسة، وسمّاها الشيرازي بالمدرسة الإشراقية، وسمّى أهلها أنهم حكماء أصحاب نقاوة الأذواق وأهل الإشراق[24].

قانون كرك اللاّ (كرك الله):

لم يكن قانون كرك اللاّ (كرك الله) وليد ساعته، بل كان مهيّئاً من أيام أبيه سبطيم سفير الذي كلّف فقهاء القانون، معتنقي المدرسة الفلسفية الرواقية، وأهمّهم:

- با بنيان الآرامي الحمصي.
- ألب يان الكنعاني الصوري (من مدينة صور).

ولم يُكتب لفلسفة زينون الرواقية أن تخرج إلى حيّز التطبيق إلاّ بعد 500 عام على يد أبناء جلدته الكنعانيين السيفيريين لتصبح عالمية على مستوى الإمبراطورية.

قبل القوانين السبطية كان هناك قانونان:

الأول: وهو القانون الروماني الأساسي، وكان موضوعاً لمدينة معيّنة، ولفئة محدودة من المواطنين.

الثاني: الذي أضافوه وسمّوه قانون الشعوب[25].

إلاّ أن كليهما لم يوفّيا الغرض الذي أراده السبطيون السافرة الرواقيون.

والمعروف أن سبطيم سفير والد كرك اللاّ (كرك الله) كان أحد الأباطرة القلائل الذين درسوا القانون، وعندما تسلّم السلطة، لم يشأ أن يعمل على إحداث تغيير قانوني كامل ومفاجئ لأن ذلك سيؤدّي إلى تغيير اجتماعي مفاجئ أيضاً بما يصاحب ذلك من فوضى أمنية ضارّة[26]. وعندما بدأ بالتسلسل التدريجي أقام مجالس المدن الديمقراطية، ثم أكمل ابنه كرك اللاّ (كرك الله) تلك الخطوة بإصدار قانون الرعوية الرومانية لكافة سكان الإمبراطورية. وبذلك تحقّقت المدرسة الفكرية الرواقية بتوحيد نظرة الدولة إلى كافة سكانها ومحاولة تحقيق المساواة ليس فقط بين الطبقات بل بين جنسي الطبيعة، وعلى هذا تساوى الرجال بالنساء، وهو أمر يتحقّق لأول مرة في روما بعصريها الجمهوري والإمبراطوري. وبرزت المرأة بصورة رسمية وقَبِلَها الشعب منذ جوليا دُمنا، وجوليا ميسا، وجوليا سواي ميّاس وجوليا مامايا، وبت زبّاي / زنوبيا.

وقامت القوانين على النظرة الإنسانية لبني البشر التي يلفّها الحب والطهارة والتسامح. فقانون كرك اللاّ (كرك الله) لم يعمل على تنزيل الطبقة الأرستقراطية، بل رفع الطبقة الفقيرة والمستعبَدة إلى تلك الطبقة.

يقول المشرّع الرواقي ألب يان أحد مشرّعي هذه القوانين:

[العدالة اتّجاه ثابت مُلزم لإعطاء كل ذي حقٍّ حقّه، وسُنَنْ القانون الوضعي تقضي بأن تحيا حياةً شريفة وألاّ تُسيء إلى أحد، وفقه التشريع هو علم الإحاطة بكل ما هو إنساني وسماوي، هو علم التفريق بين ما هو حق وما هو باطل][27].

ولعلّ أبرز الجديد في قوانين السبطيين وبخاصة قانون كرك اللاّ (كرك الله) كان حق التصويت، وحق تولّي الحكم، وحق الاتجار، وحقوق الأبوة والوصية والميراث، وعدم جواز جلد المواطنين أو قتلهم إلا بعد تقديمهم للمحاكمة[28].

ومن الثابت أن مجموعة جوستنيان (527 – 565 م) القانونية الشهيرة اعتمدت في صياغة أكثر موادها على با بنيان الحمصي، وألب يان الصوري.

وهكذا كان عصر سبطيم سفير عصر التشريع الذهبي في روما، كما كان عصر أغسطس بالنسبة للأدب[29]، كما وصف روستفت زف القانون الروماني زمن سبطيم سفير بقوله: [ظهر القانون

---

(23) المرجع السابق، ص147.

(24) صدر الدين الشيرازي، الحكمة المتعالية، ج1، إيران، قم، ص13.

(25) عيسى يازجي، ص149.

(26) يمكن مع الفرق الشاسع طبعاً إجراء مقارنة مع ما جرى في الاتحاد السوفيتي المعاصر عندما وُضعت قوانين مفاجئة لتغيير واقع سياسي معيّن.

(27) عيسى يازجي، ص151، عن: ROMAN STOICISM, CH12 (197).

(28) المرجع السابق، ص119.

الروماني لآخر مرة في أنبل مظاهره وأكثرها بهاءً]. ويضيف: [ولا حاجة بنا إلى الإسهاب في هذا الموضوع الذي شاع واشتهر][30].

مذبحة الإسكندرية خريف عام 215 م ، وعمر كرك اللاّ 27 عاماً:

اختلق المؤرخون في سرد أحداث المذبحة بين مبالغ ومُقلّ مع أن بعضهم يشير إلى تأثير إصدار قانون الرعوية الرومانية (قانون كرك الله) في تفجيرها. ويبدو أن إصدار القانون أدى إلى نقمة الموسرين وكبار رجال السلطة الذين ساء هم أن يساوي القانون بينهم وبين عامة الشعب في الحقوق والواجبات، ولا سيما في مصر ورأت المعارضة التي ناهضت سلطة كرك اللاّ(كرك الله) سابقاً في صدور القانون فرصة للتحرك وبخاصة بعد نقل الفرقة العسكرية الرومانية من مصر إلى منطقة الراين[30].

تقول الروايات :

بدأ التمرد على شكل حملات بالسخرية من الإمبراطور بإصدار تماثيله على شكل تماثيل الإسكندر[31]، وتطوّر التمرّد ليصبح على شكل حركات سرية تسخر من المقدسات وتحرق المباني الحكومية ويبدو أن تسارع تفاقم المشكلة أعجز الحاكم الروماني في الإسكندرية "هِراكليتوس" عن القيام بأي عمل لإعادة النظام.

وصلت إلى الإمبراطور وهو في حربه مع البارثيين على الفرات أنباء أقلقته فعلاً، مع سلسلة من النكات الساخنة التي هزئ بها المترومنون الإسكندرانيون من إمبراطورهم (هذا عن رواية ديوكاسيوس) بشكل سافل، ومجموعة من الحكايات عن علاقة محرّمة بين الإمبراطور ووالدته جوليا دُمنا.

وكان كرك اللاّ (كرك الله) قبل سفره لمصر لإخماد الفتنة قد ترك والدته جوليا في دفنا/ إنطاكية لتستلم التقارير من جميع أنحاء الإمبراطورية وتستقبل المبعوثين وتقضي أوقات فراغها مع أصدقائها في مناقشة موضوعات فلسفية وأدبية كانت تعقدها في صالات ومنتجعات إنطاكية التي اشتهرت بمباهجها الروحية والمادية[32].

وتقول الروايات أيضاً :

وصل الإمبراطور إلى الإسكندرية خريف عام 215م، وادّعى أنه أتى لزيارة قبر الإسكندر المقدوني وللاشتراك في أعياد الإله سيرابيس. وقد صدّقه الأهالي واحتفوا به بعد أن ملّوا الفتن واشتاقوا لرؤية من يضع حداً لها، وهكذا أُلقيت الزهور ونثرت العطور وعزفت الموسيقى في شوارع المدينة لدى مروره[33]، وفي الليل أحاطت به وبموكبه المشاعل وأوصلته إلى هيكل الإله سيرابيس حيث قدّم القرابين وزار قبر الإسكندر.

وفي الصباح أعلن عن دعوته الشباب الأقوياء الأصحّاء للتجمّع في الساحة حتى يختار منهم كتيبة تسمّى كتيبة الإسكندر الكبير. وقد لبّى كثير من شباب الأسر النبيلة تلك الدعوة للانخراط في تلك الكتيبة، وحضر الآباء الفخورون بأبنائهم ليروا العرض العسكري للأبناء الذين كانوا يرتدون أفخر الملابس العسكرية ويطوفون في الشوارع، وكان الجميع يتوجّهون بألسنة الشكر والمديح إلى الإمبراطور[34].

وما أن تكامل توافد الجميع من أبناء الأسر النبيلة في الإسكندرية مع عدد كبير من أبناءهم حتى انسحب الإمبراطور من مكان الاجتماع بعد أن أصدر الأوامر بإبادة الجميع، وخلال لحظات رهيبة فقدت الإسكندرية زهرة شبابها وعدداً كبيراً من رجالاتها وزعاماتها. وتذكر تورتون: [ولإتمام انتصاره، ولمنع مجرد التفكير بالعصيان، بنى كرك اللاّ (كرك الله) سوراً عبر المدينة قطعها إلى نصفين وجعل على السور حرساً. وكانت راقودا / الإسكندرية ثاني أكبر مدينة في الإمبراطورية من حيث عدد السكان].

---

(29) جود فري تورتون، ص96.
(30) روستفت زف، ص480.
(30) جود فري تورتون، ص 163
([31]) المرجع السابق، ص 163 .
(32) المرجع السابق، ص164.
(33) المرجع السابق، ص164.
(34) المرجع السابق، ص 165.

لقد ساوت قوانين السافرة السبطيين بين أهل الريف والمدن[35]، كذلك أعفى القانون الفقراء من أعباء البلدية إضافة إلى المجدّين العاملين في المدينة حتى لو كانوا من أصحاب الثروة[36].

تبرئة كرك اللاّ (كرك الله)أنه كان ضد الشعب المصري:

الحالة الإجتماعية في مصر:

لا شك أن الحالة الاجتماعية في مصر كانت مزرية، فلا مكان للمواطنين المصريين أصحاب الأرض في الحياة السياسية والاجتماعية.

ويذكر روستفت زف في هذا الصدد: [شعر اليونانيون في مصر بأنهم السادة والحكام، ولم يكن يطرأ على أذهانهم قط أن يُشركوا السكان الأصليين المنبوذين في الحقوق، إنما اعتبروها حقوقاً مكتسبة لهم بالفتح وحافظوا عليها بقوة السيف. ولو حاول الملوك أن يطبّقوا مثل هذا الرأي، لأعتبر اليونانيون القاطنون بالبلاد هذا الاتجاه خيانةً وإثماً وافتئاتاً على حقوقهم المقدّسة في مصر. وقد عمّ هذا الشعور بالبطالمة وأباطرة الرومان، وقد بدأ البطالمة بالنظر إلى مصر على أنها ملك خاص لهم غنموه بحق الفتح، وأصبحت مصر لذلك (بيتهم) أو ضيعتهم الخاصة، في الوقت الذي كان فيه السكان الأصليين رعايا أذلّة، عليهم أن يكفلوا (بيت) مليكهم بأعمالهم وأقوالهم][37].

ويضيف ميخائيل روستفت زف بالقول: [وإذا نظرنا إلى الجانب الآخر رأينا اليونانيون رفقاء الملك ينتمون إلى جنس الملك وينتسبون ربما إلى مدينته نفسها، ولهذا كان من الطبيعي أن يَعْهَدَ إليهم الملك بإدارة (بيته) وألاّ يسمح قط للمصريين باعتلاء المناصب الإدارية العليا. لا جرم بعد أن قام المصريون بثورات في المدة الأخيرة ساعد على اندلاعها ضعف الحكام. لقد حاول البطالمة أن يجدوا في جيش مصري وكهنة مصريين ما يحدّ من التطلّع السياسي إلى الجيش اليوناني والسكان اليونانيين. ولكنهم لم يذهبوا قط إلى حد الاندماج في المصريين والظهور حقاً بمظهر ملوك مصر خلفاء الفراعنة[38]. وعلى هذا فقد كانت أسمى الوظائف الرئيسية في إدارة البطالمة موصدة الأبواب في وجوه المصريين، إلا إذا تشبّهوا تماماً باليونانيين (إي إذا تأغرقوا) واندمجوا في عداد اليونانيين المقيمين].

وهناك بردية هامة ذكرها روستفت زف في الصفحة 359 من رسالة أحد المصريين المتأغرقين لبعض الأخوة اليونانيين يقول فيها متودّداً: [ربما نظرتم إليّ يا أخوتي على أنني همجي أو مصري ليس من بني البشر]. وكما قال عمر بن عبد العزيز τ: [رغبتك في زاهدٍ فيك ذُلُّ نفسٍ، وزهدُك في راغب فيك قلّة حظ].

هذه هي الحالة في مصر عامة وفي الإسكندرية بخاصة، حيث لم يكن يُسمح للمصري إلاّ أن يكون تابعاً ومن خلال ممارسته الأعمال الصناعية فقط[39]، فقد كانت الأعمال الصناعية بالنسبة لليوناني مذلّة وتُعتبر من الأعمال الدنيئة[40].

ومن خلال وصف مصادرنا للمذبحة، يمكن ملاحظة أن التمرد قام به بعض المواطنين الأغنياء[41]، ولا وجود للفقراء في هذا التمرد.

ويمكن ملاحظة أن كرك اللاّ (كرك الله) طلب فقط شباب الإسكندرية من الأسر النبيلة ومعظمهم من الإغريق والرومان للانخراط في الكتيبة (الفخ)، وطلب آباءهم للاحتفال بهم، ولم يطلب شباباً من الطبقة الوسطى والفقراء ومعظمهم من المصريين. كل هذه الأمور تفسّر لنا أن الحادثة كانت مدبّرة للإنتقام من أفراد الطبقات الأرستقراطية المتأغرقين[42] والمترومنين الذين افتروا على أنفسهم نتيجة الأنانية والشعور بالتفوق الطبقي في بلد مارسوا فيه السيادة على أبناء البلد الأصليين الذين ساءهم أن يساويهم القانون بهم.

---

(35) روتفت زف، ص487.

(36) المرجع السابق، ص 486.

(37) المرجع السابق، ص 359.

(38) المرجع السابق، ص359.

(39) جود فري تورتون، ص163.

(40) المرجع السابق، ص163.

(41) المرجع السابق، ص164.

(42) في إحدى البرديات، كتاب (لأحد المصريين المتأغرقين) يذكر فيها: [ربما نظرتم إليّ يا أخوتي على أنني همجي أو مصري ليس من بني البشر]. لقد كانت هذه الكتابة في وقت متأخر من القرن الثالث الميلادي، ونظن بفترة اسكندر سفير (222 – 235) أو بعده. المرجع: روستفت زف، ص 359.

وعلى هذا، فإن ما أُشيع من أن كرك اللاّ (كرك الله) قام بهذه المذبحة لأنه يكره الشعب المصري غير مقبول في مناقشاتنا لمجريات الحوادث، إلاّ إذا اعتبرنا الإغريق والرومان والمتأغرقين والمترومنين فقط هم الشعب المصري. بل يمكن أن يقال العكس، إذ أن كرك اللاّ (كرك الله) كان صديقاً ومحبّاً للشعب المصري بدليل ما تذكر مصادرنا من أن حارس كرك اللاّ (كرك الله) الشخصي بعد المذبحة كان مصرياً[43] اسمه [سر أبيون]، والذي بقي سنتان حارساً له حتى اغتيال الإمبراطور. وقد نبّه المصري سر أبيون كرك اللاّ (كرك الله) عن مؤامرة سمعها لاغتياله. فكيف يكون كرك اللاّ (كرك الله) ضد الشعب المصري وحارسه الشخصي مصرياً؟.

خلاصة القول في تبرئة كرك اللاّ (كرك الله) من دم المصريين الأصلاء المستضعفين:

1- لقد كانت الهوية الرومانية [قبل قانون كرك اللاّ (كرك الله)] محصورة في سكان إيطاليا وبعض سكان الإسكندرية وإنطاكية من اليونانيين والرومان والمصريين المتأغرقين والمترومنين.
2- مقولة روستفت زف في أن القانون الروماني زمن السبطيين السافرة قد بلغ أنبل مظاهره.
3- وصف أندريه بيجانيول الأسرة السبطية بأنها الإمبراطورية العادلة للسلالة السيفيرية (أي السافرة) [L'EMPIRE EGALITAIRE DE LA DYNASITIE DES SEVERES]، بمعنى أن قانون كرك اللاّ (كرك الله) كان آخر تطوّر قانوني لجعل سكان الإمبراطورية سواسية في الحقوق والواجبات ولأول مرة في تاريخ الإمبراطورية الرومانية. وبذلك أصبح المصري الريفي والمدني حراً مساوياً للإغريق والرومان والمتأغرقين والمترومنين.
4- أن حارس كرك اللاّ (كرك الله) الشخصي بعد المذبحة كان سر أبيون المصري.
5- إن إقامة السور الذي قسّم الإسكندرية إلى قسمين يفسّر لنا أمرين:
   أ- أن في كل جانب من السور فئة اجتماعية معيّنة، ومن المؤكّد أن نصف الإسكندرية كان للمصريين من أبناء الأرض، والنصف الثاني للمتأغرقين الذين نال أبناءهم نتائج المذبحة.
   ب- من المرجّح أيضاً أن كرك اللاّ (كرك الله) أقام السور خوفاً على البقية الباقية المتأغرقة من الشعب المصري .

ونتيجة لذلك، فإننا لا نبرّئ كرك اللاّ (كرك الله) من مذبحة الإسكندرية، لكنّنا نبرّئه من دم المصريين الأصلاء أصحاب الأرض المستضعفين، داحضين ما جاء به أكثر المؤرّخين الذين اعتمدوا على (ديوكاسيوس) الحاقد على هذه الأسرة.

ومن نتائج توالي قانون كرك اللاّ (كرك الله) المتواترة حتى اليوم، أن كافة الشعوب غير الرومانية سُمّيت بالروم بعد القانون، فالعربي الآرامي روم، والكنعاني روم، والنبطي روم، واليوناني روم، والألماني روم. وهي مدلول لتعني الحرية [التي أتى بها كرك اللاّ (كرك الله)]. وهكذا امتد ذلك إلى المذاهب المسيحية أيضاً ، فنرى: روم كاثوليك، روم أرثوذكس. حتى المسيحي اليوناني سُمّي روم أرثوذكس. ولا ننسى أن الجرماني شارلمان سمّى مملكته بالإمبراطورية الرومانية المقدّسة، وهو جرماني لا يمتّ للرومان بصلة.

ولا بد لنا من الإشارة ثانية إلى ما قاله أندريه بيجانيول في كتابه [تاريخ روما] واصفاً أسرة سبطيم سفير بأنها: [الأسرة العادلة في الإمبراطورية الرومانية] ولها الفضل في وضع القانون الروماني الذي يفتخر به العالم حتى الآن.

كما جاء في الحديث عند الاخباريين العرب [العدنانيين]:

{[السافرة أمة من الروم]. وفي حديث سعيد بن المسيّب: [لولا أصوات السافرة (وهي أمة من الروم) لسمعتم وجبة الشمس، ووجبة الشمس وقوعها إذا غرُبت}. والحديث يدل على أنه لولا عدالة السافرة لوقعت الشمس عند مغربها من كثرة الظلم (وهذه كناية)[44].

---

(43) BABELON, P.197.

(44) لسان العرب، مادة: سَفَرَ.

نقش كنعاني يُمَثِّل شاهدة قبر
يعود تاريخه للقرن الثاني قبل الميلاد وُجِدَ في جزر البليار (شرق إسبانيا)

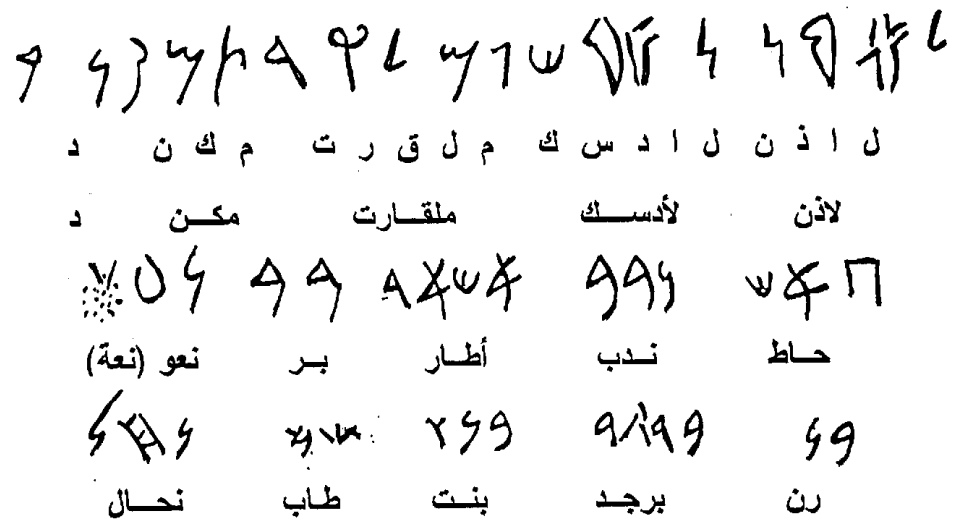

اللفظ: لإذن لأدسك ملقاريت مكِّن دَ، حاط، ندب، أطار، بر نَعْوَ (نعوَه). رن: برجد بنت طاب نحّال.

التفسير: لأذنٌ لقدسك (لأدسك) مَلَكْ قاريت (مَلَكْ القريـة، مَلَـكْ المدينـة)، مكِّن دَ (هذا الذي بالقبر)، حاط وندب وأطار ابن (بر) النعوة (وهو الكـاهن المسؤول عن الدفن)، (هذا) قبر (رَنْ) برجد بنت طاب نحّال.

نقش كنعاني يُمَثِّل شاهدة قبر
يعود تاريخه للقرن الثاني قبل الميلاد وُجِدَ في جزر البليار (شرق إسبانيا)

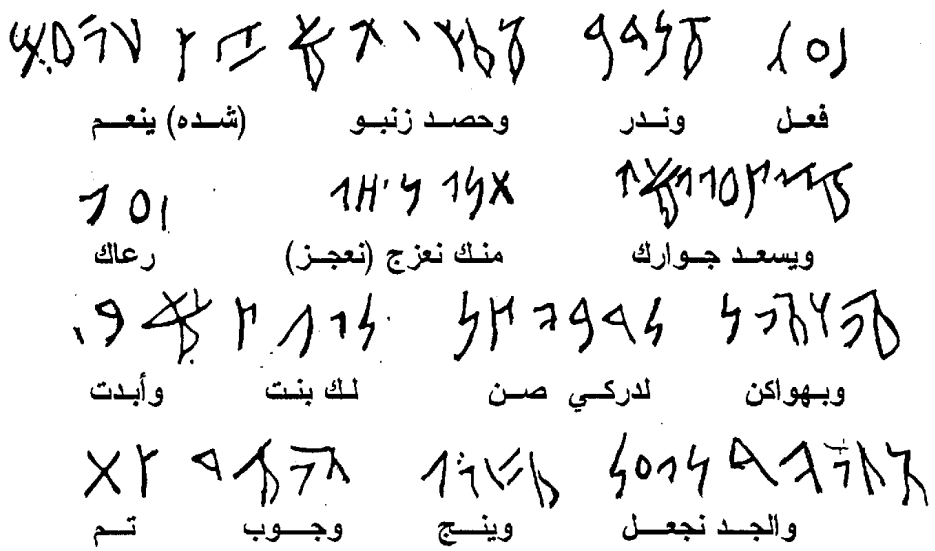

اللفظ: فعل و ندر و حصد زنبو، شدّه ينعمْ، و يسعد جوارك، منك نعزج رعاك وبهواكن لدركي صن، لك بنت و أبدت، و الجد نجعل و ينج، وجوب تم.

التفسير: فَعَلَ ونَدَرَ وحَصَدَ ذنبه، شُدَّهُ (إليك أيها الإله) يَنْعُم، ويسعد جوارك. منك نعجز رِعاك. وبهواكُن (أيها الإله) لطريقي (لدركي) صُنْ. لك بنتٌ وأبدَت (ماتت)، و(الإله) الجد نجعل، وينجُ، وجوبٌ تم (أتمّ واجباته الدينية).

ملاحظة: خط النقش رديء فلا تمييز بين (د – ر – ب) لأنها متشابهة:

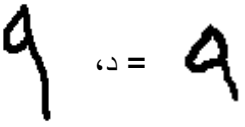

نقش عربي كنعاني وُجِدَ في جزيرة سردينيا (التابعة لإيطاليا اليوم)
ويرجع تاريخه إلى القرن الثامن قبل الميلاد

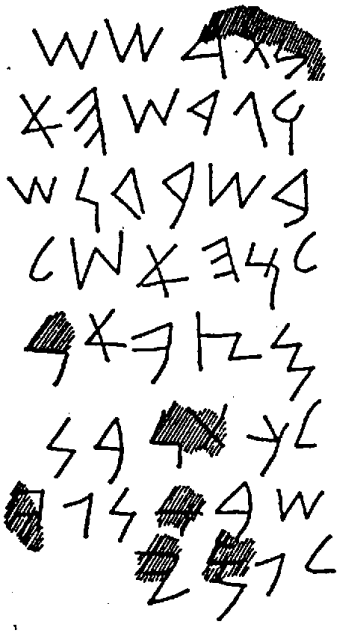

ب ت ر س س	بيت راس (س)
ن ج ر س هـ ا	سنجير رأسها
ب س ر د ن س	بـ سردينا (س)
ل م هـ ا س ل	سلامها سلام
م ص ر ا م	(م) صور أم
ل ك ت ن ر ن	مملكة نورا (ن)
س ب و ن ج ر	ننسب ونجير
ل ف م ي	لفمي

اللفظ: بيت رأس، سنجير رأسها بسردينا، سلامها سلام صور أم مملكة نورا، ننسب ونجير لفمي.

التفسير: (العاصمة) بيت راس، سنجير رأسها بـ (جزيرة) سردينيا، سلامها سلام (مدينة) صور، (حيث صور) هي أم مملكة نورا، ننسب (ننسبها) ونجيرها، لفمي.

المصادر والمراجع العربية العدنانية

1- بيجانيول أندريه، تاريخ روما.
2- تورتون جود فري، أميرات سوريات حكمن روما، نقلها للعربية خالد أسعد عيسى وغسان أحمد سبانو، دار الريم للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1987.
3- جونز هـ، مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ترجمة إحسان عباس، عمّان، 1987.
4- دوسّو رينيه، تاريخ سوريا قبل الإسلام.
5- سومير دوبون، الآراميون، دار الأماني، طرطوس، سوريا.
6- روستفت زف، التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للإمبراطورية الرومانية.
7- العبادي مصطفى، العصر الهلنستي، مصر دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
8- قاموس لسان العرب، ابن منظور.
9- شيرازي صدر الدين، الحكمة المتعالية، ج1، إيران، قم.
10- يازجي عيسى، مآثر سوريا في العصر الروماني، ط1، بيروت، 1991.

المصادر والمراجع الأجنبية

1- BABELON JEAN, IMPERATRICES SYRIENNES, EDITION ALBIN, MICHEL, PARIS, 1957.
2- CORPUS, INSCRIPTIONUM SEMITICARUM PARS, SECUNDA, TOMUS, III, 1926.
3- HEBREW AND ENGLISH LEXICON DICTIONARY.
4- GIBBON E., THE DECLINE AND FALL OF THE ROMAN EMPIRE, NEW YORK.
5- PIGANOL ANDRE, L'HISTOIRE DE ROME, PARIS, 1954.
6- ROSTOVTZEFF M. THE SOCIAL AND ECONOMIC HISTORY OF THE ROMAN EMPIRE, OXFORD, SECOND EDITION, 1957.

الحضارتان الوهرانية والقفصية في المغرب القديم

أ.د. محمد بيومي مهران •

تقديم :

يقسم "ماك برني " العصر الحجري القديم الأعلى إلي أربعة مراحل متعاقبة[1]،ففي أوله تسود المنطقة الشرقية – الجبل الأخضر – صناعات تنسب إلي "كهف حجفة الضبع " (حكفت الضبعة " يعزي قدومها من الشرق ، ثم يلي ذلك النطاق ،منطقة صناعات شظايا ،تمثل الأطوار النهائية من "اللفلوازية" ،وإن حلت محلها بعد ذلك صناعات "حكفت الضبعة " التي يصل تأثيرها إلي تونس ،وشرق الجزائر.

وهناك مرحلة ثالثة – يفترض لها " ماك برني " (الفترة 10.000 – 9.000 ق.م) – تسود فيها الصناعات الوهرانية ومنطقة الساحل الليبي حتى برقة ،وربما مصر السفلي ،وفي المرحلة الرابعة – والتي يفترض لها "ماك برني" الفترة (9.000 – 5.000 ق.م) تأخذ "الحضارة القفصية " في الازدهار والانتشار " لتشمل كل الشمال الأفريقي ،وتحل محل " الوهرانية "وإن كانت القفصية تتطور في "سرت"[2] إلي نوع من الصناعات القزمية المتميزة (microlithic) يمكن أن نسميها " الميكروليثية السرتية " .

هذا وتتمثل حضارة العصر الحجري القديم الأعلى في حضارتين الواحدة :الحضارة الوهرانية (الحضارة الإيبرو- مغربية)[3] والأخرى الحضارة القفصية ،وقد توصل إنسان هذه المرحلة –والتي تمثلت في عدد من المواقع الأثرية المنتشرة فيما بين منطقة الجبل الأخضر في ليبيا وحتى ساحل المحيط الأطلسي – إلي صنع أسلحة حجرية دقيقة عرفت باسم "الأدوات الميكروليثية " الأمر الذي يدل علي خبرة دقيقة بالصناعات الحجرية[4].هذا ويذهب أستاذنا الدكتور الناضوري[5] – طيب الله ثراه – إلي أن هناك عدداً من المواقع الأثرية التي تمثل الانتقال الحضاري من العصر الحجري القديم الأوسط إلي العصر الحجري القديم الأعلى ،ذلك لأن هذه النقلة إنما كانت في مواقع أثرية رئيسية ثلاثة ،في منطقة الجبل الأخضر الليبية تمثل منطقة كانت

• أستاذ آثار مصر القديمة والشرق الأدني – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية .

[1] - قارن تقسيمات أخرى : تذهب إلي تقسيمها إلي ثلاث مراحل : الأولي وهي المرحلة السابقة علي القفصية ،وأما المرحلتان الأخريان : فهما متزامنتان ومعاصرتان للحضارة القفصية .

[2] - سرت: أو سرته : هي قسنطينة الحالية في شرق الجزائر ،وكانت عاصمة نوميديا الشرقية وكان أهلها النوميديون هم سكان المغرب القديم ،أثناء حكم القرطاجيين في شمالي أفريقيا .هذا وتطورت القفصية في سرته إلي نوع من الصناعات (القزميه)microlithic ويمكن تسميتها " الميكروليثية السرتيه " وقد عرفت سرته أيام الرومان كمركزهام لشحن الحبوب إلي روما ،وقد خربت عام 311 ق.م في حرب أهلية ،ثم أعاد بنائها "قسنطين الأول " (311-337 م) ،ثم استولي عليها الفرنسيون عام 1837 م ،ثم تحررت علي أيام الثورة الليبية الحالية .

(حسن الشريف : تقييم مقارن لمواقع حضارات عصور ما قبل التاريخ – مجلة البحوث التاريخية – العدد الثاني – طرابلس 1986 – ص241 – 242 . محمد بيومي مهران : المدن الكبري في مصر والشرق الأدني القديم – الجزء الثاني – الشرق الأدني القديم – الإسكندرية 2000، ص 392 .

[3] - الإيبرو-مغربية : مصطلح أطلق علي حضارة موقع مويلح (وهران الجزائر) علي أساس وجود صلة تربط حضارة النصال في أسبانيا ،والوهرانية في شمال أفريقيا ،غير أن الأبحاث أثبتت عدم وجود هذه الصلة ،هذا فضلاً عن أن البعض عرب المصطلح (Iberoumdurisien) إلي "إيبرو-موريتانيا " ،وهذا خطأ لأن موريتانيا إسم أطلقه الرومان علي مملكتي : موريتانيا القيصيرية في غرب الجزائر ،وعاصمتها شرشال ،وموريتانيا الطنجية في المغرب الأقصى ،وعاصمتها " طنجة " ،هذا فضلاً عن أن الملاحة ،عبر جبل طارق ، لم تبدأ حتى عام 4000 ق.م (أنظر : محمد بيومي مهران : المغرب القديم – الإسكندرية 1990 م ص 16.

[4] - رشيد الناضوري : المغرب الكبير 75/1 –82 (الإسكندرية 1966 م) .

[5] - نفس المرجع السابق : ص 106- 108 .

تدريجية ،شأنها في ذلك شأن غيرها من مراحل الانتقال .وعلي أية حال :فأول مناطق الانتقال الحضاري هذه ،إنما كان كهف "حجفة الطيرة" (حكفت الطيرة)[6] وتقع علي مبعدة 24 كيلا من مدينة "بني غازي" عند تقابل الصحراء مع الوادي الساحلي ،حيث عثر علي آثار مرحلة الانتقال في أرضية الكهف ،فضلاً عن الصناعات النصلية ،وخاصة الأسلحة الميكروليثية،والأزاميل الدقيقة .

وثانيهما : كهف "حجفة الضبعة " في "برقة" حيث عثر علي أسلحة كثيرة مختلفة الأحجام ،مما يؤكد اعتبارها منطقة انتقال حضاري ،ذلك لأن التوصل إلي صناعة حجرية جديدة ، لا يعني أبداً الانقطاع الفجائي عن التقاليد الحضارية السابقة ، وإنما كان المفروض منطقياً أن يسير التقليدان جنباً إلي جنب حتى يحل الجديد محل القديم .

وثالثهما: "كهف هوافتيح" [7] والذي تعتبر طبقاته الأثرية بمثابة سجل حي لتاريخ الإنسان في هذه المرحلة ، وما تلاها حتى العصر التاريخي، حيث عثر علي كميات كبيرة من الأسلحة الحجرية المشابهة لصناعة حجفة الطير ، ولنتحدث الآن عن الحضارتين : الوهرانية والقفصية .

6- يقع مثلث العاترية أيضاً في هذا الكهف ،وقد بحث فيه الإيطالي (Petroochi) عام 1941 م وكذلك (ماك برني) في عام 1948 م (mc Burney ,op – cit , p . 192) .

[7] - كهف هوافتيح (Haua fteah) كشفت عنه بعثة كمبردج فيما بين عامي 1951، 1955 م ، علي مقربة من سوسة في ليبيا - إلي الشرق قليلاً من مرسي سوسة وهي "أبولونا القديمة " بمنطقة الجبل الأخضر ، وأرخ له " كربون 14 " فيما بين 9000 ،7000 سنة قبل الميلاد ، ويعد هذا الكهف من أكبر وأوسع كهوف عصور ما قبل التاريخ ، وربما في كل حوض البحر المتوسط ، وهو نصف دائري ، وقطره 80 متراً ، ويبعد عن ساحل البحر ببضعة مئات من الأمتار ، وفي سطحه آثار من عهد الاستيطان الإغريقي (القرن 7 ق.م)، ثم آثار الليبيين القدامى ،ثم أدوات من العصر الحجري الحديث ، ومع أن عمق الحفريات وصل إلي 13.50، غير أن عمق الترسيبات غير معروف (انظر : محمد بيومي مهران : المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم 402/2 - 408

- C.B .M m c Burney , The Hawa Fteath (Cyrenatca) and the Stone Age of the south – East mediterranedn , comlrdge, 1967.

أولا : الحضارة الوهرانية

تنسب هذه الحضارة إلي مدينة "وهران "[8] الجزائرية ، وقد كشف عنها "بول بالاري" (PAUL PALLARY) في عام 1899م في " وادي مويلح " علي مقربة من مدينة مغنية في غرب الجزائر ، وقد أطلق علي هذه الحضارة اسم " إيبرو ـ مغربية " ، اعتقادا منه أن هناك صلة تربطها بحضارة العصر الحجري القديم الأعلى في شرق أسبانيا ، وإن أثبتت المقارنة بين المواقع المختلفة عدم وجود هذه العلاقة ، ومن ثم فقد أطلق عليها "فوفري" اسم " الحضارة الوهرانية "[9] .

غير أن موقع "مويلح " إنما كان متوسط الأهمية ، وأقل شأنا من موقع " أفلوبوريمال" بين " جيجل " و " بجاية " في شرق الجزائر ، هذا فضلاً عن انتشار مصطلح " إيبرو ـ مغربية " في الأبحاث الأثرية ، الأمر الذي أدي إلي الإبقاء علي هذا المصطلح رغم عدم دقته. وعلي أية حال ، فالحضارة الوهرانية : حضارة ساحلية ، وصناعتها غير دقيقة ، ومن مادة رديئة ، بل ويعدها الباحثون من أفقر صناعات عصور ما قبل التاريخ ، ويقسمونها إلي ثلاثة مراحل : الأولي: وهي سابقة للحضارة القفصية ، وتوجد في موقع واحد قرب مدينة" قفصة" في تونس، حيث الأدوات الكبيرة ، وعدم وجود أدوات ميكروليثية ، ثم نتجه شمالاً إلي موقع " سيدي منصور " في تونس أيضاً حيث وجدت الأزاميل القزمية . وكانت المرحلتان الثانية والثالثة معاصرة لها وإن تميزت المرحلة الثانية بالأدوات الميكروليثية فضلاً عن تلك التي صنعت من عظم ، وقد وجدت في مواقع عميقة في المغرب الأقصى مثل كهف الخنزيرة ، و دار السلطان، " ومغارة تافورالت " [10] .

هذا وقد وجدت المرحلة الثالثة في "مغارة كلوفاتا " في الجزائر ، وقد تميزت بأدواتها الميكروليثية وأنها تمثل " أوج الحضارة الإيبرو ـ مغربية " [11] . وقد اختلف الباحثون في تحديد مكان هذه الحضارة الوهرانية من سلم التطور الحضاري في هذا العصر ، فهنا من يراها متأخرة جداً من الناحية الزمنية ـ أي أنها معاصرة للمرحلة الأخيرة من الحضارة القفصية ـ ومن يراها ذات أسبقية في الصناعة النصلية ، علي أساس أن بعض المواقع الأثرية في نواحي مدينة الدار البيضاء ، إنما تحوي خليطاً من الآثار الوهرانية ، ومن ثم فإن لهذه الحضارة الوهرانية أولوية في الصناعة في المغرب.

علي أن هناك وجهاً ثالثاً للنظر يذهب أصحابه إلي وجود صلات حضارية بين " حضارة كهف هوافتيح في برقة والحضارة الوهرانية في الجزائر ، هناك وجه رابع للنظر يذهب أصحابه إلي الاعتقاد في وجود صلات حضارية بين المواقع الساحلية الأسبانية ، والمواقع الوهرانية المغربية، وإن اختلفت آراء أصحاب هذا الاتجاه في أيهما المصدر الأصلي لهذه الحضارة ؟ هل هو الجانب المغربي أم الجانب الأوربي ؟[12]

---

[8] ـ وهران : ميناء علي البحر المتوسط ، في شرق الجزائر ، أسسها التجار من عرب الأندلس في القرن العاشر الميلادي ، وقد تداولها (في القرن 16- 18) الأسبان والأتراك ، ثم احتلها الفرنسيون في عام 1831 ، وحتى تم تحريرها في عام 1964 ، وكانت في تلك الفترة أهم القواعد البحرية الفرنسية في شمال أفريقيا ، كما أنها قاعدة مقاطعة وهران (الموسوعة العربية ص 1969) .

[9] ـ قارن : رشيد الناضوري : المرجع السابق ص 116- 117 .

[10] ـ دار السلطان : هي مغارة تقع علي مبعدة 6 كيلو ، جنوب غرب الرباط ، وتتكون من بقايا مواقد نيوليتية ذات تقليد قفصي ، ثم مجموعة من النصال و المحكات وفخاره أكثر تطوراً من فخار رديف ، وزخرفته جد متفوقة ، وقد عثر فيه وفي المغارات والكهوف الساحلية المواجهة للمحيط الأطلسي علي عدد من البقايا العظمية الإنسانية فقد كانت تلك الكهوف والمغارات مأوي في تلك المناطق منذ عصور ما قبل التاريخ (محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص 62 .

[11] - R. Vaufrey, Prehistore de l'Afrique , I, Le maghreb EL messon Paris , 1955 , p . 88-89.
L.Balout rehistoire de l' Afrique du nord , paris 1955 , p . 304

[12] -رشيد الناضوري : المرجع السابق ص 115 - 117.

وأياً ما كان الأمر فإن الحضارة الوهرانية ، إنما قد انتشرت في تونس والجزائر والمغرب وإن اختلفت مواقعها من الساحل ـ قرباً أو بعداً ـ ففي تونس : وجدت مواقع : أكاريت ، وأدواته مطابقة لأدوات " كحفت الطير " في ليبيا ، و" أوشتاتا" وقد كشف عن هذا الموقع في عام 1952م، ويعتبره البعض من أقدم مواقع الحضارة الوهرانية في الشمال الأفريقي ، وفي " قلعة الصنم " علي الحدود بين تونس والجزائر [13].

وكانت مواقع الحضارة الوهرانية في الجزائر مواقع ساحلية تمتد من " عنابة " (بونة الصريحة شمال شرق الجزائر) وحتى أقصي الغرب الجزائري ، وقد وجدت في عنابة وسوق وهران وبجاية وأما في الوسط الجزائري ، فتبعد المواقع عن الساحل ، ويتمثل ذلك في اختراق إنسان " مشتا العربي " [14] (حامل الإبيرو ـ مغربية) للهضاب العليا ، كما في موقع " الهامل " ـ علي مبعدة 250 كليلاً من الساحل ، وتشير القواقع البحرية في هذه المواقع علي اتصال بالمواقع الساحلية . ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلي أن موقع " أفلوبوريمال" (Aflu Bou Rhummel) علي مقربة من بجاية في الجزائر ـ إنما يعد من أكثر المواقع أهمية لهذه الحضارة فلقد عثر " أرمبورج " في حفائر عام 1928 ، علي حوالي 60 هيكلاً عظمياً ، فضلاً عن مجموعة من الآلات الحجرية وغيرها .

وهناك موقع " كولوماناتا " علي مبعدة 20 كيلو شمال تيارية ، 120 كيلاً من الساحل ـ وقد قدم لنا تتابعاً طبقاً لثلاث مستويات حضارية من أسفل إلي أعلى (وهرانية ، ثم قفصية عليا ، ثم عصر حجري حديث) ، هذا فضلاً عن أن صناعته ذات سمة وسطي ، لتحول نحو القفصية، وقد أطلق عليها " الكلوماناتية " . ولعل من الجدير بالإشارة أن الحضارة في هذه المرحلة (من حضارة العصر الحجري القديم الأعلى) إنما تتميز بوضوح الجانب الفكري بشكل عام ، وتشير النقوش والرسوم التي تركها لنا إنسان هذه المرحلة علي جدران الكهوف والأرصفة الصخرية، إلي حاجته إلي التعبير الذي بدأ يزداد نمواً حتى وصل آخر الأمر إلي قدرته علي التعبير بالكتابة، فضلاً عن الإشارة إلي درجة في التصوير والتعبير، ربما لم يصل إليها حتى نهاية عصور ما قبل التاريخ .

وعلي أية حال فلقد أفادتنا هذه الرسوم وتلك النقوش في معرفة طرق المعيشة والملابس ووسائل الصيد وأدواته ، لإنسان هذا العصر ، فضلاً عن الظروف المناخية والنباتية وقت ذاك ، ودور إنسان هذا العصر في الإسهام الفني في المغرب ، والذي سوف يمتد علي نطاق واسع في مرحلة العصر الحجري الحديث ، وأخيراً فهناك ما يشير إلي ممارسة أعمال أولية في النحت . بقيت الإشارة إلي عادة "تقطيع العظام البشرية " في مرحلة القفصية العليا ، ففي " مشتا العرب" عثر علي غطاء جمجمة كان قد نشر وثقب وصقل وفي " كولوماناتا" (Columnata)في غرب الجزائر ، عثر علي فك سفلي ، نشر كذلك ، وخضب بالمغرة ، ربما لأن هذه العظام كانت

---

[13] - L.Balout , op – cit , p. 375 – 377

[14] - مشتا العربي : كان مشتا العربي سكناً لأقوام طوال القامة (172 سم في المتوسط) وكانوا مستطيلي الرؤوس ولهم جبهة ضيقة وشفاة طويلة وربما كانوا أول من اتخذ المغرب موطناً ، وكانوا يمارسون عادة خلع الأسنان القاطعة ، ثم بدأ يظهر تحول نحو قصر الرأس ونحافة الجسم، في مناطق معينة أظهرها " "كولوماناتا " (Columnata) في غرب الجزائر ، وذلك حوالي عام 6000 ق. م . وهناك من يذهب إلي أن القوم من أصل غربي ، لوجود شبه بينهم وبين " إنسان كرومانيون " و " إنسان جزر كناريا " غير أن البعض إنما يري أن ذلك أمراً بعيد الاحتمال ، لان "الجوانشيين" (Guanches) رغم أنهم متشابهون " أنثروبولوجيا " لرجال " مشتا العربي" غير أنهم يختلفون عنهم في الحرف والصناعات والعادات ، فضلاً عن أن الحضارة= =الوهرانية لم تأت من أوربا لأنها ظهرت قبل بداية الملاحة عبر المضايق (حوالي الألف الرابع قبل الميلاد) ومن وإلي صقلية ، وهناك ما يحمل علي الظن بأن أصولها شرقية وربما أتت من شمال سودان وادي النيل ، ومن ثم فماداموا قد أتوا تحت ضغط من الشعوب المهاجرة فلا ريب أن " الإيبريين ـ الموريتانيين " قد اتخذوا ملاجئ في التلال ، ويمكن أن يعتبروا أحد العناصر الأنثروبولوجية لسكان الجبال (جيهان ديزانج: تاريخ أفريقيا العام ـ اليونسكو 1985 ص 831- 832 .

M.C. Chamla , les hommes epipaleolitheques de Columnata, (Algerie Occidentale) mem . C.A.P.E, x v , 1970 , p . 113 – 114 .

- انظر محمد بيومي مهران : المدن الكبرى 2/ 411 – 412 (الإسكندرية 1999).

تستعمل كتعاويذ ، وربما بغية استلهام بعض أصحاب هذه العظام [15] هذا وقد بدأت الثقافة "الإيبرية الموريتانية " ـ بالمعني الدقيق للكلمة ـ في الاختفاء في نهاية الألف التاسعة قبل الميلاد ، ولم يحدث فجأة في كل مكان ، ومع ذلك فقد حلت محلها الثقافة القفصية في "قورينائية"[16]) (Cyrenacia (إقليم برقة) ولكن استسلامها أمام الثقافات المحلية في الجزائر الغربية ومراكش ، إنما كان مشوباً بالتردد ولا يوجد دليل علي وجودها في السواحل الشمالية لتونس ، أو في الجزر الساحلية الصغيرة ، وإنما تركت آثاراً قليلة في " منطقة طنجة " وإنه لأمر بعيد الاحتمال جداً ، أن تكون قد وصلت إلي " جزر كناري " ـ كما هو الشائع ـ ذلك لأن " الجوانشيين ") (Guanchesرغم أنهم مشابهون " أنثروبولوجياً" لرجال مشتا الغربي ، فإنهم لا يماثلونهم في الحرف الصناعية والعادات.

ومن الجدير بالإشارة ، أن هذه الثقافة لم تأت من أوربا ، وذلك لأنها قامت قبل بداية الملاحة عبر المضايق ، ومن وإلي صقلية ، وهناك ما يحمل علي الظن بأن أصولها إنما كانت أصولاً شرقية ، وربما أتت من " شمال سودان وادي النيل " ومن ثم فمادام أصحابها قد أتوا تحت ضغط من الشعوب المهاجرة فلا ريب في أن " الإيبريين ـ الموريتانيين " (الإيبرو ـ مغربيين) اتخذوا ملاجئ في التلال ، ويمكن اعتبارهم أحد العناصر الأنثروبولوجية لسكان الجبال [17]. ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلي وجود صلات حضارية بين شرق البحر المتوسط ـ وخاصة فلسطين ـ وعلي الأخص مدينة " أريحا " [18] ، وبين المواقع الليبية في "حكفت الطيرة" و" حكفت الضبعة "

---

[15] -محمد بيومي : المغرب القديم ـ الإسكندرية 1990 م . ص 19ـ 21 .، حسن الشريف : دراسة تاريخية لحضارة المغرب القديم أثناء العصر الحجري الحديث ـ الإسكندرية 1975 ص 78 ـ 83 .

- H. Camps- Falrer , matiere et Art molilier dans la prehistoire nord – Africaine, Saharienne, mem . CRAPE , PARIS, 1966 ,P.206, 243.

[16] ـ أنظر (محمد بيومي مهران : المدن الكبري في مصر والشرق الأدني القديم 2/ 401ـ 402) حيث أقام الدوريون في عام 630 ق.م مستعمرة " قورينة " بشمال أفريقيا فضلاً عن الإضرار بالمصالح المصرية ، وربما بتجارة اليونانيين ، مما دعا إلي تدخل الفرعون "واح إيب رع " (أبريس 595 -589 ق.م)وإن فشلت حملته وقتل عند "مومفيس " (كوم الحصن ، مركز كوم حمادة ـ بحيرة) أو علي مقربة من " الطرانة " (سخت مافكا) (أنظر : محمد بيومي مهران : مصر 3/ 656- 658.

ـA.H. Gardiner , Egypt of the pharaohs, p 361- 362 .

ـA.A Cook , CAH, III, 1969 , P. 401.

-Herodotus , II, 169.

[17] ـ جيهان ديزانج : البربر الأصليون ـ كتاب تاريخ أفريقيا العام ص 432 (تورينو1985)

-L. Balout, op – cit , p. 23.

[18] ـ أريحا (جريكو = j erico) ومعناها " مدينة القمر " أو " مكان الروائح العطرية " وهي مدينة هامة تقع علي مبعدة 8 كيلاً غربي نهر الأردن ، 27 كيلاً شمال شرق القدس ، أما " أريحا " التي جاء ذكرها في التوراة ، فمكانها " تل السلطان " علي مبعدة ميل واحد من مدينة " أريحا " الحديثة ، وقد أثبتت الحفريات التي أجريت في " تل السلطان " أن " أريحا " واحدة من أقدم مدن العالم ، وقد اكتشف فيها فخار من أقدم فخار العالم ، فضلاً عن آثار الحضارة النطوفية ، عصوره متصلة حضارياً ، تؤكد الانتقال الفعلي نحو مرحلة الاستقرار وانتاج الطعام (أي مرحلة ما قبل النيوليتية) كما عثر علي آثار مرحلة العصر الحجري الحديث الصميم ، ابتداءً من الطبقة التاسعة . وكان أول من قام بالحفر في " أريحا" "إرنست سيللين "و " كارل فنرنجر" في الفترة (1907 - 1909 م) ثم " جون جارستانج " في الفترة (1930 - 1936 م) ثم " مس كاثلين كنيون " منذ عام 1952 . انظر : محمد بيومي مهران : بنو إسرائيل 2/ 605 ، ورشيد الناضوري : جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا 1/ 117 - 119 ، 240 ، قاموس الكتاب المقدس 1/ 59 .

E . Sellin and C. Watzinger, Jericho , 1913 .

- J And B.E. Garstang , THE Story of Jericho, 1940 .

K. M. Kenyon , Archaeology In THE Holy Land, London , 1970 , P. 13- 43

- K . M . Kenyon , In PEQ , 1992 , P . 62 – 82 , 1953 , P . 18 – 95 ,1954, P . 45 – 63 , 1955 , P. 108 . 117 , 1956 , P. 67 – 82 , Scientifis American , 90 , 1954, p. 76 – 82.

و " كهف هوا فتيح " أثناء العصر الحجري القديم الأعلى ، وإن هذه التأثيرات أو الصلات ، إنما قد تمت عن طريق" دلتا النيل " .
غير أنه لم يعثر علي آثار هذه الحضارة في المنطقة ، فيما بين دلتا النيل وخليج سرت في ليبيا ، وفي نفس الوقت وجدت في هذه المنطقة أدوات " الحضارة العاترية " [19] واستمرت حتى العصر

---

[19] - الحضارة العاترية : موضع حضاري في وادي جبانة قريباً من قسطنطينية في الجزائر ، علي الحدود بين تونس والجزائر وكان "فريدريك مورو " أول من أشار إلي " الصناعة العاترية (العاطرية) في عام 1888 م وذلك عندما التقط "أدوات مذنبة " في "وادي سليحة " (جنوب غرب قفصة) وإن كان "كرير" قد سبقه إلي ذلك ،عندما نشر عام 1886 م عن مواقع ما قبل التاريخ في وهران ووصفها بأنها "موستيرية " هذا مع أن الحضارة العاترية – رغم تشابهها مع الحضارة الموسيترية في كثير من الوجوه – إنما تختص بالأدوات المذنبة.

A.Balout , prehistore de L, Afrique du nord , Arts et metiers Graphiques , paris,1955,P.269.

وفي عام 1919 م نشر " ريجاس" =

= m. Reggasse , Etudes de Palethnologie maghreline (nouvelle serie) , L , Anthropologie, 25, 1919-1920 .

دراسة عن التقنيات الحجرية القديمة في شمال أفريقيا" كما أشار إلي اكتشاف الموقع الموستيري النموذجي (اللأوبيرة) ، ثم اكتشف " بئر العاتر " وعثر فيه علي الصناعة العاترية - تحت عمق ثلاثة أمتار في نفس الطبقة - مع الصناعة الموستيرية ، ونذ ذلك التاريخ دأب "ريجاس " علي علي استخدام " مصطلح العاترية " بدلاً من " الأبيرة " ثم أقر " مؤتمر مونبليه " عام 1929 م هذا المصطلح ، ويعني " التقنيات الموستيرية ذات الأدوات المذنبة " - أم الخير العضون : العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر وشمال أفريقيا منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد _الإسكندرية 1988 ص 7 . هذا وقد وجدت " العاترية " بمظهرها الصميم في كثير من المواقع والطبقات الأثرية في جميع أنحاء المغرب ، فوجدت في الرسومات السطحية لوادي جبانة ، ووادي جوف الجمل وكاف الأحمر ، ووادي سرديس ، وفي رمال جبل عواش ، وفي عقلة شعاشع ، وفي كل رسومات مقاطعة قسطنطينة ، وفي رواسب الرمل الأحمر ، علي طول الساحل الجزائري في كارمية وضواحي بنزرت وغيرها . وفي كهوف المملكة المغربية في الخنزيرة وفي الرواسب السطحية لوادي جوربا ، وكهوف دار السلطان وتافورال وبيت مليل والحنك R.Vaufrey, Op-cit , p. 106. وفي هذا العصر ربما استعمل الإنسان - بجانب الحجر _ الأخشاب والجلود والعظام وبيض النعام أو قشوره، كما بدأ يدرك حقيقة وجود قوي خفية تتحكم في حياة الإنسان والحيوان والنبات والطبيعة ، بل وحاول تجسيم هذه القوي في أماكن معينة لكي يحاول استرضاءها ضماناً لحياته ومصيره رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص 105 . هذا وتذهب " كاتون طومسون " إلي أن موقع " الخنزيرة " (طبقة أ) في المغرب الأقصى ، إنما يمثل أقدم مرحلة للعاترية في الشمال الأفريقي

G. Caton – Thompson, The Aterian Industry, Its Palce and Signitidnce In the Paleolithic world , in JRAI, V , 1946, P.115 ثم انتشرت جنوب الأطلسي الصحراوي في العصر العاتري الوسيط ، ثم إلي الشرق حيث وجدت بعض المواقع العاترية في ليبيا - كما في وادي ماصودا ، ووادي درنة اللذين اكتشفهما " ماك برني " في عام 1949 ، ووصفهما باللفلوازية الموستيرية - ومن ثم فقد أصبحت منطقة الجبل الأخضر في ليبيا ، بمثابة جسر انتقال الحضارة العاترية من الشرق إلي الغرب أو العكس . وتذهب " كاتون طومسون " إلي أن العاترية سرعان ما انتقلت إلي الواحات المصرية _ سيوة والداخلة والخارجة (1) انظر عن هذه الواحات (محمد بيومي مهران : المدن الكبري في مصر والشرق الأدني القديم 1/ 207 -212) . حوالي العصر الحجري القديم الأعلى المبكر -محمد بيومي مهران : مصر 1/ 127 - 132 . بدليل وجودها في واحة الخارجة فوق طبقة اللفلوازية مباشرة

G.Caton- Thompson and E.W.Gardiner, Kharga Oassis In Prehistory, London ,1952, P.31.
ويذهب أستاذنا الدكتور أحمد فخري - طيب الله ثراه - إلي أن " ستون كان " و " كومنجتون "إنما قد عثرا في " واحة سيوة " علي بعض الأدوات التي نسباها إلي تأثيرات غربية (شمال أفريقيا) ووصلت مصر ، أثناء العصر الحجري القديم الأعلى - محمد بيومي مهران : مصر 1/ 127 - 132 . وعلي أية حال ، فهناك من يذهب إلي أن الصناعة العاترية (العاطرية) إنما قد وصلت مصر في العصر الحجري القديم الأوسط نفس المرجع السابق : ص 123 - 126 . ولعل أهم مواقعها إنما كانت تلك التي كشف عنها " ساندفورد " في محافظة قنا (في نقادة انظر عن " حضارة نقادة محمد بيومي مهران : مصر 1/ 180 - 188 ، 193 - 194 " وفيما بين دندرة

الحجري الحديث بدون انقطاع ، ومن ثم فقد بدأ العلماء في البحث عن طريق آخر لمرور هذه الحضارة من غربي آسيا إلي ليبيا .
هذا وقد أصدر " فيلب جيمس " في عام 1983 م دراسة عن 27 موقعاً أثرياً في المنطقة فيما بين أسوان والأقصر[20] ، وتنتمي جميعها إلي العصر الحجري القديم الأعلى وكان من بينها موقعان يقعان علي مبعد 8 كيلاً شمال غرب آسيا [21] (ربما غرب مدينة " حسفنت القديمة")[22] (

انظر عن دندرة " محمد بيومي مهران : المدن الكبري في مصر والشرق الأدني القديم 1/ 77-79 ." والمراشدة فضلاً عن تلك التي علي مقربة من نجع حمادي ، إلي جانب ما كشف عنه " سيلجمان " في ضواحي الأقصر) انظر عن الأقصر (طيبة) " محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص 70 - 72 . وفي محافظة سوهاج في العرابة المدفونة ، علي مبعدة 10 كيلاً من البلينا ، كما وجدت في أسيوط
. هذا وقد كشف " كاتون طومسون " عن وفرة من الصناعات العاطرية في واحة الخارجة.
G.Caton- Thompson and E.W.Gardiner, In Gl, LXXX , 1932, P. 404.
بل أن هناك ما يشير إلي وصول النماذج العاطرية ، التي وجدت في مصر ، إلي المملكة العربية السعودية.
R.M. Gramly, In JNES, 30 , 1971, P. 177 –185. – G.Caton- Thompson , in JRAI , 1946 , P. 89 .

[20] - أسوان : كانت أسوان عاصمة الأقليم الأول من أقاليم الصعيد ، ويدعي "تاستي" بمعني " أرض الإلهة ساتت " انظر : محمد بيومي مهران : المدن الكبري في مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول = =مصر،ص 57 -63 . معبودة جزيرة سهيل ، وكانت عاصمة الإقليم حتي الأسرة السادسة والعشرين (664- 525 ق. م) هي "آبو" أو " يب" وأطلق عليها الأغارقة اسم "إليفانتين " (اليفنتين - اليفانتينا) ربما لأنها كانت مركز تجارة العاج ، وربما لأن الفيلة كانت تستقر فيها في عصور ما قبل الأسرات . هذا وقد انتقلت العاصمة من " آبو " - وهي جزيرة أسوان الحالية - إلي أسوان في العصر الصاوي ، وكانت أسوان تدعي منذ الأسرة العشرين (1184 - 1087 ق .م) " سونو" في المصرية بمعني " السوق " ثم " سويني " (سييني) في الإغريقية و" سوان " و"سويان" في القبطية ثم " أسوان " في العربية . ويشير اسم أسوان بمعني السوق إلي دورها في التجارة بين مصر والنوبة والسودان ، هذا ونظراً لتحكم جزيرة "يب " وأسوان في مدخل مصر الجنوبي ، فقد أقيمت في كل منها قلعة ومن ثم فإن البرديات الآرامية من القرن الخامس ق. م إنما تتحدث عن " يب القلعة " و" سونو " القلعة ، غير أن أسوان بدأت تفقد مركزها كمدينة حدود في الدولة الحديثة (1575- 1087 ق.م) عندما قسمت النوبة علي أيام الرعامسة إلي قسمين إداريين ، الأول : النوبة السفلي وعاصمتها " عينبة" (ميعام) - علي مبعدة 250 كيلاً جنوبي خزان أسوان والثاني : النوبة العليا وعاصمتها "عمارة غرب " علي مبعدة 115 كيلاً جنوبي وادي حلفا ، 455 كيلاً جنوبي أسوان ومن المعروف أن الثورة المصرية الكبري (410- 404 ق.م) التي قامت ضد الفرس من أسوان وانتهت بتدمير معبد الجالية اليهودية تماماً ، ثم سرعان ما امتدت إلي الدلتا ، ثم إلي كل أنحاء البلاد ، ولمدة ست سنوات كانت فيها نضالاً سافراً عنيفاً بين مصر وفارس ، وانتهت بتحرير البلاد من ربقة الاستعمار الفارسي ، وقيام الأسرة المصرية الثامنة والعشرين (404 - 399 ق. م). محمد بيومي مهران : مصر 1/ 201- 202 ، 2/ 242-249 ، 3/ 681 – 682 .
- A.E . Cowley , Aramaic Papyri of the fifth Century B.C. ,Oxford, 1923.
- H.Kees, Ancient Egypt, London. 1961. P.308- 330 .
- P.Lacau et Hcheurier, une Chapelle de Sesostris IER a karnak,1956, p.220-21.
- A.H. Gardiner, Onom., II, p.1-6.

[21] - إسنا : - تمثل إسنا آخر مراكز محافظة قنا جنوباً ، وتقع علي مبعدة 50 كيلاً شمال إدفو ، و55 كيلاً جنوب الأقصر وقد عرفت بالاسم الديني " بر - خنوم " (بيت المعبود خنوم) ، كما سمي معبدها " حوت خنوم " (مقر خنوم) ، وأما اسمها المصري فهو " إيونيت " كما سميت " تا سني " أو " سني " هذا وسميت في العصر اليوناني " لاتوبوليس " وهو نوع من السمك كان يرمز به للمعبودة " نين " التي كانت تعبد في المدينة وكان ذلك السمك مقدساً ، وأما أهم معبودات المدينة فهو " خنوم" وزوجتاه " نب - ورت " و " منخيت " . وكانت إسنا مدينة هامة في عهد الدولة الحديثة ، حيث شيد ملوكها معبداً للإله خنوم في الأسرة الثامنة عشرة (1575 - 1308 ق . م) تهدم مع الزمن ، قد عثر علي خرطوش يحمل اسم الملك " تحوتمس الثالث " (1490 - 1436ق .م)، ثم قام ملوك الأسرة السادسة والعشرين (664 - 525 ق.م) بترميمه ثم أعيد تشييده في عهد بطليموس السادس (180- 145 ق.م) حيث أصبحت إسنا عاصمة لإقليم "نخن " (البصيلية) - بدلاً من "نخب" (الكاب) التي كانت قد حلت محل "نخن" ومازال هذا المعبد قائماً ، وقد أضيف إليه في العصر الروماني " بهو الأعمدة الضخم " من أيام " كلوديوس " (41-45 م) و"فسباسيان " (69 - 79 م) ، وقد نقشت علي جدران المعبد نصوص دينية هامة ، جعلت لهذا المعبد مكانة خاصة بين الآثار الهامة في مصر ، ويرجع آخر نقش منها إلي عهد الإمبراطور " ديكيوس " في عام 250 م ولم يتم حفر المعبد للآن ، هذا فضلاً عن أن جزءاً كبيراً من إسنا القديمة مايزال تحت منازل المدينة الحالية ، وأما جبانة إسنا الأثرية فتقع شمال غرب المدينة

المطاعنة الحالية) ، وقد عثر فيها علي كميات ضخمة من النصال بلغت في المرقع الأول 10194 ، وفي الثاني 21502 نصلاً ، وأن أحد الموقعين يشبه تشذيب أدوات "أوشتاتا" (Ouchtata) وأن الموقع الثاني (وقد انتقل إليه أصحابه من الموقع الأول) إنما يشبه كثيراً ـ من حيث التقنية والشكل ـ موقع " الهامل " ـ والذي يبعد عن الساحل بحوالي 250 كيلاً ـ وقد خضع الموقعان لعملية التأريخ عن طريق " كربون 14 " المشع [23] ، فأرخ لهما بفترة لا تقل عن 14000 أو 15000 سنة قبل الميلاد ، ومن ثم فهما سابقان لموقعي شمال أفريقيا [24]. وانطلاقاً من كل هذا ، إنما يتفق "فيلب جيمس " مع " بالوه " علي ان التأثير الذي وقع علي شمال أفريقيا ، إنما قدم من الشرق ـ من السواحل الليبية أو من وادي النيل ـ وليس من الصحراء ، وأنه لم يكن مقصوراً علي الأداة فحسب ، وإنما امتد كذلك إلي الملامح الجسمانية ـ خاصة وأن إنسان النوبة وقت ذاك ، إنما كان يشبه رجل مشتا الغربي[25] ـ ومن ثم فإن أصل " الحضارة الإيبرو- مغربية "(الوهرانية) من وادي حلفا (السودان)وليس من مصر ، خاصة وقد كشف " فاربردج " فيما بين عامي 1961 ،1962 م علي ستة مواقع ذات أدوات ميكروليثية، ميزتها أنصال ذات القاعدة في منطقة وادي حلفا (340 كيلاً جنوب أسوان) وأطلق عليها " حضارة حلفا " .

هذا وتظهر أهمية هذا الكشف في أمرين ، الواحد : أنه يكشف لنا عن أول صناعة ميكروليثية في أفريقيا، والآخر : أنه تم في هذه المواقع الستة تطور الصناعة من الشظية إلي النصال، و(هي تقنية جديدة) . ولعل من الجدير بالإشارة أن هذه الصناعة ميكروليثية تماماً ومبكرة جداً في أفريقيا ، ولا علاقة لها " بالحضارة السبيلية[26] " (نسبة إلي قرية السبيل في مجاورات كوم أمبو[27]ـ بمحافظة أسوان) وتمثل صناعة نصال قزمية في وادي النيل ، ومبكرة عن باقي مناطق

الحالية بحوالي 4 كيلاً ، وعلي مقربة من " حاجر إسنا " (2) محمد بيومي مهران : مصر 72 ـ 74 . ، المدن الكبرى : 68/1 -69 .

- D.Derchain , the Excavaition at ESANA, 1905- 1906, Warminster, 1947.

- S.Sauneron, Esna, 1-7, 1959-1975.

بقيت الإشارة إلي أهم الأعياد التي جاءت علي معبد إسنا ، هي : عيد رفع السماء ، عيد عجلة الفخراني (إشارة إلي الإله الخالق خنوم) انظر عن "خنوم" (محمد بيومي مهران : الحضارة المصرية القديمة ، 1/ 380 - 382) . ، ورحلة الإلهة "نيت"أنظر عن "نيت "(محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص 409 - 410) . من سايس ـ سايس : عاصمة الإقليم الخامس من أقاليم الدلتا (نيت محيت) وهي في المصرية " ساو" وفي اليونانية سايس ، وفي العربية صان الحجر ، علي مبعدة 7 كيلاً شمال بسيون غربية ، وكانت عاصمة مصر في العصر الصاوي (664 ت 525ق.م) . صراع رع ضد البشرية (أسطورة هلاك البشرية وإنقاذها) انظر : محمد بيومي مهران : الحضارة المصرية القديمة ـ الآداب والعلوم 43/2- 49 .

[22] -حسفنت : وهي " أصفون المطاعنة ": سادسة مدن إقليم " نخن" (البصيلية _ الإقليم الرابع) ، وتقع علي مبعدة 11 كيلاً شمال غرب إسنا ، 3 كيلاً شمال غرب "كيمان المطاعنة " وكان اسمها الديني " إمنتي= =حور "(أي موطن الإله حور في الغرب) ، وأما اسمها المدني فهو " حوت سنفرو " (أي قصر الملك سنفرو) وفي أخريات عصر البطالمة (332- 31 ق .م) سميت " إسفنيس" وفي القبطية " حاس فون " (حسفنت حاسي فون) . محمد بيومي مهران : المدن الكبرى ، 1/ 69 .

[23] ـ أنظر عن التقويم بكربون 14 المشع (محمد بيومي مهران : مصر ، 1/ 270 ـ 274) (الإسكندرية 1988) .

- W.F. Liliy, Radiocarbon Dating, Chicago, 1952.

- R.M. Derricourt, Radio Carbon Chronology for Egypt and northern and western Africa , JAH, 14, 1937.

[24] Phillips James, THE Nile Valley final Paleolithic and External Belations university microfilms international , Aim Allor, michign , U.S.A, 1983, P.35, 130,202.

[25]Ibid ., P. 130, 202.

[26] ـ أنظر عن الحضارة السبيلية (محمد بيومي مهران : مصر، 1/ 201- 208).

-أنظر عن " مشتا العربي " (محمد بيومي مهران : المغرب القديم ـ الإسكندرية ، 1990 ، ص 19 .

[27] ـ كوم أمبو : وتقع علي مبعدة 45 كيلاً شمالي أسوان ، 165 كيلاً جنوب الأقصر ، وهي في المصرية "نبيت " (نبي أونبية) ، وفي القبطية " إنبو" أو " أمبو" وفي اليونانية " أمبوس " ويرجع تاريخ كوم أمبو إلي أيام الدولة الوسطي (2052- 1786ق.م) وإن لم توجد بها آثار سابقة للأسرة الثامنة عشرة (1575- 1308 ق.م) حيث قام" أمنحتب الأول " (1550- 1528 ق.م) بإصلاحات في المعبد القائم هناك منذ زمن سابق ، وفي أثناء

أفريقيا ولقد أرخ لها "كربون 14" بحوالي 7000 سنة قبل الميلاد ، وتمثل النصال فيها نسبة 92.7% من مجموع أدواتها [28] . هذا وقد نزحت هذه الحضارة شمالاً إلي "إسنا" بمحافظة قنا ، وسكن أصحابها في غربي " حسفنت " (المطاعنة الحالية ـ مركز إسنا)
كما وجدت في النوبة المصرية في بلدة " بلانة " [29] (30 كيلاً شمال وادي حلفا) ويؤرخ لموقع بلانة بحوالي 14.000 سنة قبل الميلاد (طبقاً لكربون 14) ، ويؤكد " وندورف " أن الحضارة " الإيبرو- مغربية " إنما قد ظهرت في شمال أفريقيا حوالي 12500 سنة قبل الميلاد ، وقد نزحت من مصر ـ وليس من أوربا ـ وأن أصحابها إنما كانوا يعيشون علي طول نهر النيل، قبل أن تنتقل إلي شمال أفريقيا ، ومن ثم فإن موقعي "وادي حلفا " و "بلانة" إنما هما سابقان زمنياً ، وبالتالي فهل يمثلان السلف المباشر للحضارة
" الإيبرو- مغربية "

ثانياً : الحضارة القفصية

سميت هذه الحضارة "بالقفصية" نسبة إلي المدينة الرومانية القديمة (Capsa) في جنوب تونس ،وهي قفصية الحالية ،في إقليم "قسطيلة" شمالي شط الجريد في تونس . هذا ويمثل " حقل الحلزون" أو " الرماديات "الموقع النموذجي لهذه الحضارة وكان "دي مورجان" أول من حدد سمتها الصناعية [30] ، معتمداً علي المادة الأثرية من موقع "المقطع[31] " وقد قام كل من " فوفري" و"جوبير" بحفائر في هذا الموقع .وقد ظهر أصحاب هذه " الحضارة القفصية "منذ حوالي سبعة آلاف سنة قبل الميلاد ، وهم قوم ذو قوام طويل رشيق من جنس البحر المتوسط وإن لم يخل من الصفات شبه الزنجية ، وقد ازدهرت القفصية في منطقة غير محددة تماماً ، وإن كانت علي وجه اليقين في الجزء الداخلي دون الامتداد في منطقة غير محددة تماماً وإن كانت علي وجه اليقين في الجزء الداخلي دون الامتداد فيما يبدو إلي أقصي الحدود الغربية لشمال أفريقيا ، أو إلي الصحراء الجنوبية حوالي عام 4500 ق.م [32] . هذا وقد أطلق العلماء الفرنسيون علي مواقع الحضارة القفصية " الحلزونيات " أو" الرماديات " (Escargatieres) وهي ركام من الرماد أو الحجارة التي استعملت كأواني للطبخ لنوع من القواطع ، وتبلغ أبعادها أحياناً (200م طولاً × 50 م عرضاً × 5م ارتفاعا) هذا فضلاً عن الأدوات الحجرية التي كان يستخدمها الإنسان . وتدل

الحكم المشترك بين تحوتمس الثالث (1490_ 1436 ق.م) و" حتشبسوت" (1490 - 1468ق.م) أقيمت بوابة من الحجر الجيري كما أضاف " رعمسيس الثاني " (1290- 1224 ق.م) إضافات إلي المعبد . وفي عهد البطالمة أصبحت "كوم أمبو" عاصمة لمقاطعة " أورمبيت" ، وفي عهد بطليموس الخامس أبيفانس (205_ 180ق.م) بدأ في بناء " معبد كوم أمبو الكبير " ولم ينته العمل فيه إلا علي أيام الإمبراطور الروماني " ماكرينوس " (217_ 218م) أي أن بناء المعبد وزخرفته استغرق حوالي أربعة قرون ، أي ضعف المدة التي استغرقها بناء معبد إدفو (237- 57ق.م) وقد كرس للمعبود ين " حور الكبير " و" سوبك" فضلاً عن أنه يمثل نموذجاً رائعاً للعمارة و النحت في العهد البطلمي . نفس المرجع السابق، ص 61- 63. بل وحتى الألوان الزاهية التي زخرفت بها تفاصيله المعمارية ، ومازالت في بعض الحالات رائعة - أنظر عن "كوم أمبو " بالتفصيل (محي الدين عبد اللطيف إبراهيم ـ كوم أمبو ـ القاهرة ، 1970) .

[28] - أم الخير العضون : العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر وشمال أفريقيا منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد ، الإسكندرية، 1988 ، ص 38 - 41 .

- F. Wendorf , The Prehistory of nubia , I, 1968, P.457.

[29] - وولتر إمري : مصر وبلاد النوبة ، ترجمة تحفة حندوسة ، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ، 1970 ، 57_ 90.

[30] J. DE Morgan, Les Premieres Civilization. Paris, 1951.

[31] - المقطع : هو الوقع الأثري النموذجي للحضارة القفصية ، ويقع علي مبعدة 14 كيلاً شمال غرب مدينة " قفصة" ويتكون من ثلاث مرتفعات ، الأولي : شمال غرب قفصة ، والثاني : علي مبعدة كيلو متر شمال شرق قفصة ، والثالث : علي الضفة الغربية لوادي بياش علي مبعدة كيلو مترين جنوب شرق قفصة .

[32] - جيهان : ديزانج : تاريخ أفريقيا العام ، تورتنو - إيطاليا ، 1985 ، ص 432 .

- G.Camps- fabrer, matiere et Art molulier dans la prehistoire nord – Africaine, Saharienne, mem .

- CRAPE, Paris, 1966, p.206, 243.

الهياكل العظمية التي عثر عليها في الرماديات ، علي أن الإنسان القفصي ـ والذي استمر وجوده حتى " العصر الحجري الحديث[33] " ـ مختلف عن إنسان " مشتا العربي " (حامل الحضارة الإيبرو ـ مغربية) ، وأنه من جنس البحر المتوسط، وأنه كان يحمل ملامح زنجية ، وقد مارس الإنسان القفصي عادة صقل الحجارة في صنع الكرات المثقوبة ـ والتي ربما كان يستخدمها لدق وطحن الحبوب البرية ، وإن لم يثبت عدم معرفته للزراعة ، كما استخدم الفخار ، ومارس عادة قلع الأسنان بطرق تختلف عند الرجل عندها عند المرأة فبعضهم تقلع أسنانه السفلية ، وإن لم يعرف الهدف من هذه العادة حتى الآن [34] . وهناك ما يشير إلي بداية التعبير الفكري عند إنسان الحضارة القفصية ، الأمر الذي سوف تتحدد ملامحه بصورة واضحة في العصر الحجري الحديث ، هذا فضلاً عن ممارسة النقش علي قشور بيض النعام ، ثم صياغتها في حبات لنظم عقود الزينة ، ومن المعروف أن استعمال قشور بيض النعام ، إنما كانت من مظاهر الصناعات الأصلية في الشمال الأفريقي في المرحلة التي أعقبت " الحضارة العاترية[35] ". هذا وقد انتشرت الحضارة القفصية حول موارد المياه ، والأماكن صعبة المنال في تونس وشرق الجزائر ، وخاصة في منطقة " تبسة " حيث وجد بها ما يزيد عن تسعين " رمادية " ولعل من أهم مواقعها : عين مترشام ، وبئر أم علي ، وعين دوكازة ، وبئر حميرة ، وعين عيلان ، وادي مدفون ،وكف ركنية ، وخنقة موحاد ، وفم السلجة ، وفج إبراهيم ، والمقطع ، ورديف . وتشير مواقع سكني القفصيين هذه ـ فيما يري بالوه ـ إلي أن القوم إنما كانوا غزاة ، لا يحسون بأمان فردي أو جماعي ـ ومن هنا كانت سكناهم في مواقع صعبة المنال ، فضلاً عن سيطرتهم علي موارد المياه[36] . علي أن " القفصية الصميمة " لم تمتد في غير الجزء القاري من جنوب تونس ، وتتفق حدودها مع مقاطعة قسطنطينة الجزائرية ، ولا تصل إلي الساحل الشرقي، كما أنها في الغرب لا تتعدى الكتل الجبلية لجبال أطلس ، ولا تتجاوز شمالها ، ثم هي بعد ذلك لا وجود لها في الصحراء أو مقاطعات الجزائر ووهران ، فضلاً عن المغرب الأقصى، ومن ثم فقد ذهب البعض إلي أن القفصية الصميمة ، إنما هي مرحلة حضارية قصيرة الأجل[37]. وأما "القفصية العليا" فقد شملت كل منطقة القفصية الصميمة ، فضلاً عن أنها زحفت إلي الشمال ولكن دون الاتجاه نحو الشرق ، ووصلت إلي الحد الشمالي للهضاب العليا ولكن دون بلوغ البحر ، وأما من جهة الغرب فهي لم تتجاوز خط التصنيف لمدينة الجزائر ، الذي يري فيه "فوفري" الحد الغربي للقفصية العليا ، وعلي أية حال فقد ارتبط انتشار الحضارة القفصية بأماكن وفرة الظران [38]. هذا وقد قسم "بالوه" الصناعة القفصية إلي مرحلتين ، مرحلة "القفصية النموذجية" في أدوات كبيرة من نصال وأزاميل ثم تطورت إلي "القفصية الحديثة" والتي تتميز باتجاه صناعتها إلي الأدوات القزمية واتخاذ الأشكال الهندسية ، وقد أرخ "كربون14 " للمرحلة النموذجية في موقع " المقطع " بفترة تتراوح فيما بين 6650+ 400 سنة قبل الميلاد ، وللفترة الحديثة في موقع " الماء الأبيض " في "تبسة" بالجزائر ، بحوالي 5050 + 200 سنة قبل الميلاد [39]. وقد ظهرت القفصية في" كهف هوافتيح" في الطبقة (E) والتي امتدت زمنياً فيما بين عامي 9000 ، 7000 ق.م ، وفي هذا الكهف تبدأ الحضارة القفصية في الانخفاض في عدد الأزاميل والمحكات في الطبقة " الأيبرو ـ مغربية " ، ثم ظهور اللون الأحمر علي النصال الكبيرة ، ووجود قشور بيض النعام مزخرفة بأشكال هندسية، ورصف

[33] -أنظر عن العصر الحجري الحديث في المغرب القديم (محمد بيومي مهران : المغرب القديم، الإسكندرية، 1410 هـ / 1990م ص 33 - 56 .

[34] R.Fauvrey, la Prehistoire de L' Afrique, I,Le maghreb, Paris, 1955,P.127,257.

L. Balout,Prehistoire de L,Afrique du nord, Arts et metiers graphiques,paris,1955,p.18.

[35] H. Alimen, op- cit, p.78.

[36] L.Balout, op-cit, p.399.s

[37]R.Vaufrey , op-cit , p. 195.

[38]- Ibid, p. 241.s

[39] H. Alimen, op- cit, p.82.

عقود من هذه القشور[40] ولعل من الأهمية أن عدداً من الباحثين إنما ينسبون آثار بعض المواقع الأثرية المصرية إلي الصناعات القفصية ـ بما في ذلك المستوي الثالث لقرية السبيل في مجاورات مدينة كوم أمبو ـ بمحافظة أسوان ، وصناعة حلوان القزمية ،وكل ما نسبه "ساند فورد " و" أركل " إلي الصناعة السبيلية الحديثة ، اعتماداً علي أن الصناعة القفصية إنما قد وجدت في الشمال الأفريقي ، وفي سورية وفلسطين ـ أي في غرب مصر وشرقها ـ ومن ثم فمن الصعوبة بمكان ، أن لا توجد هذه الصناعة في مصر ، وأما قلة المواقع القفصية في مصر ، فترجع إلي أن القوم في أرض الكنانة ، إنما كانوا يقتربون من السكني من شواطئ النيل ، وأن الطمي الحديث للنيل ربما قد طمس بقايا الصناعة القفصية في تلك المواقع [41] . ولعل أهم المواقع التي نسبت للحضارة القفصية إنما هي ستة مواقع ، اكتشفها الأمير كمال الدين حسين في منخفض عين دالة ، وفي شمال واحة الفرافرة في الصحراء الغربية وتبعد هذه المواقع الستة عن ينابيع المياه ، بما لا يزيد عن أربع كيلومترات، ومن أدواتها : شظايا ، بعضها طويل ، وآخر قزمي ، فضلاً عن مكاشط ومحكات مقعرة ، ونصال مثلمة ، ومواقد صغيرة مع كسرات من قشور بيض النعام [42] . هذا وقد عثر " جيرودي كوتفيل " علي مواقع الصناعة القفصية في منطقتين ، الواحدة : حول طيبة (الأقصر) وتنتشر حول وادي المدامود[43] بين الأقصر و خزام (علي مبعدة 15 كيلاً شمال الأقصر) فضلاً عن مواقع أخري في مصر العليا (الصعيد) علي مقربة من الصحراء الشرقية وكانت المنطقة الثانية في الفيوم [44] عند قناة هوارة ـ علي مقربة من مدينة غراب ـ وفي عزبة

---

[40] **C.B.M.MC Burney, the Haw-fteath (Cyrenatca) and The stone Age of the south – East mediterranean, Cambridge, 1967, p.333.**

[41] **R.P.Bovier- Lapierre, L,Egypte Prehistorique, precis de l'Histoire de L'Egypte , LE Caire, 1932 , p.34.**

[42] **Kamel EL – Din Hussein et R.P. Bovier- lapierre, Recentes Explorations dans le Desert Lilyque – BIE, 1929 – 1930 , XII , LE Caire, p . 123- 126.**

[43] **ـ المدامود (مادو = madu) : وتقع علي مبعدة 5 كيلاً شمال الأقصر و هو المدينة الرابعة في الإقليم الرابع (طيبة _ طود _ المدامود) وقد عثر فيها علي معبد تدل بقايا نقوشه علي أنه من عهد " منتوحتب الأول " مؤسس الأسرة الحادية عشرة (2052 -1991 ق. م) ثم اهتم به ملوك أواخر الدولة الوسطى (2052 - 1786 ق. م) ، فضلاً عن إضافات من عهد " سيتي الأول " (1309 - 1291 ق. م) و " رعمسيس الثاني " (1290 - 1224 ق . م)، ثم أعيد بناؤه علي أيام البطالمة (333 - 31ق.م) وأضاف إليه الرومان بعض المباني ، كما فعل " تبيريوس " (14 - 37 م) عندما أقام البوابة المؤدية إلي حرم المعبد (محمد بيومي مهران : المدن الكبري في مصر والشرق الأدني القديم ، الجزء الأول ، مصر ، الإسكندرية ، 1999 ، ص 72 .**

[44] **ـ الفيوم : تقع علي مبعدة 80 كيلاً من القاهرة ، وفي الصحراوات التي تمتد إلي الغرب من وادي النيل ، في واحة غنية ، تشغل مساحة قدرها 50 كيلاً ، وتسمي اليوم " الفيوم " (بمعني اليم أو البحيرة) ، فضلاً عن بحيرة في أطرافها ، كانت تصل إليها مياه فيضان النيل ، عن طريق لسان من الأرض الخصبة ، عرضه 8 كيلاً وكانت في بادئ أمرها عبارة عن مستنقعات واسعة مملوءة بالمياه ، وفي الأسرة الخامسة (حوالي 2480 - 2340 ق . م) جففت الأجزاء الأكثر قرباً عن طريق عمل جسور ، وشيدت هناك مدينة "شيدت" ـ هي كيمان فارس الحالية حيث عثر علي معبد "سبك " وقد بقيت منه أعمدة كبيرة من الجرانيت الوردي علي هيئة البردي ، كما عثر علي عدد من حمامات العصر اليوناني الروماني ، إلي جانب مجموعة كبيرة من الأواني والمسارج والتماثيل الفخارية والعملات البرونزية ، وأوراق البردي التي تسربت إلي مختلف متاحف العالم ، كما عثرت بعثة إيطالية علي بقايا قرية يونانية رومانية (محمد بيومي مهران : المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم 1/ 112) . بمعني "البحيرة " ثم أطلق عليها في العصور المتأخرة "بايوم" بمعني " اليم أو البحيرة " ثم وردت في القبطية " فيوم " وفي العربية " الفيوم " ، بعد إدخال أداة التعريف . وقد أسماها اليونان "كركوديلو بوليس" بمعني " مدينة التمساح " نسبة إلي معبودها " سبك " ـ أنظر عن المعبود "سبك " (محمد بيومي مهران : الحضارة المصرية القديمة ،2/ 392ـ 394) . كما أطلق عليها "بطليموس الثاني " (284 - 246 ق.م) اسم زوجته " إرسنوي " عندما اختار إقليم الفيوم لتنفيذ مشروعاته في الري، وأقطع الكثير من أرضه لليونانيين الذين أقاموا هناك مدناً كثيرة . هذا وكانت البحيرة التي تشغل منخفض الفيوم تسمي في الدولة القديمة (حوالي 2780 - 2280 ق .م) " تاحنت - إن - مرو" ، وفي العصر الإغريقي " بحيرة موريس " ومازالت بقايا منها تعرف حالياً باسم " بحيرة قارون " . وتعتبر حضارة الفيوم -من أقدم مواقع العصر الحجري الحديث في مصر ـ أنظر عن العصر الحجري الحديث في مصر (محمد بيومي مهران : مصر ، 1/ 134ـ 163 .)**

جورج ، وجنوب جبال الروسي وقد وجدت أدوات هذه المواقع علي السطح . ويذهب الآثاري " جيرودي كوتفيل" إلي أن هذه الصناعة القفصية الوافدة متقنة الصنع ومتوفقة علي السبيلية سابقتها ، ومن ثم فهو يستبعد احتمال أن تكون الحضارة القفصية قد تطورت من الصناعة السبيلية ، وإلي هذا القول يذهب " أدموند فينيار" أيضاً ، أضف إلي ذلك أن بعضاً من الباحثين إنما ينسبون آثاراً لهذه الحضارة "المستيرو- قفصية " في شمال مدينة حلوان بين خط السكة الحديد وعزبة الوالدة [45] ويعتقد " جيرودي كوتفيل " أن مصر شاركت في تطور الصناعة الحجرية في شمال أفريقيا فضلاً عن احتمال تطور صناعة قفصية في مصر مشابهة " للإبيرو- مغربية" وذلك لوجود الآلات الميكروليثية في موقع حلوان ، عند فتحة وادي حوف، وفي كوم أمبو ، بمحافظة أسوان [46]. وعلي أية حال فرغم إمكانية وصول مؤثرات قفصية إلي مصر في هذه الفترة من خواتيم العصر الحجري القديم الأعلى فلعل من الأفضل التحفظ بشأن هذه الآراء - وخاصة تلك التي تري في كل صناعة وجدت في مصر في أعقاب الموستيرية إنما هي صناعة قفصية أو قفصية متطورة [47] إذ أن كل ما عثر عليه إنما هو "لقية" سطحية لبعض القطع والآلات الحجرية زعم مكتشفوها أنها قفضية - كما في نواحي أسوان والمدامود وحلوان في الوادي ، وعين دالة في الصحراء الغربية ومنخفض الخارجة [48]

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلي موقع " نفاية السكر " علي مقربة من مصنع السكر في نجع حمادي بمحافظة قنا - وعلي مقربة من المدينة الرومانية " ديوسبوليس بارفا" [49] حيث كشف

إن لم تكن أقدمها جميعاً (حوالي عام 5000 ق.م) حيث كشف عن قريتين تدلان علي الاستقرار ، ومرحلة الزراعة ، وأما موقع "حضارة الفيوم (ب) " فيرجع إلي العصر الحجري النحاسي (فيما بين 4500 ، 4200 ق . م) . - أنظر عن العصر الحجري النحاسي (محمد بيومي مهران : مصر ، 1/ 164 - 176 ، الإسكندرية ، 1982 م) . ولعل أهم المشروعات الزراعية في الفيوم ، إنما هو " سد الفيوم " الذي أقامه" أمنمحات الثالث " (1843 - 1797 ق. م) رغم أن هناك ما يشير إلي أن المشروع إنما قد بدأ منذ أيام " سنوسرت الثاني " (1897 - 1877 ق.م) - من ملوك الأسرة الثانية عشرة (1991 - 1786 ق.م) هذا فضلاً عن أن" سد الفيوم" هذا ، إنما كان ثاني سد أقامه المصريون القدامي ، فلقد سبقه إلي الوجود سد آخر أقيم علي "مدخل وادي جروي " - كان عرض وادي جروي 240 قدماً ، وعمقه فيما بين 40 ، 50 قدماً ، وسمك السد 143 قدماً ويتكون جزؤه السفلي من أحجار صغيرة مختلطة بالطين تعلوها كتل متراصة كأنها درجات سلم ضخم وهو أقدم سد في العالم ويقدر عمره بنحو خمسة آلاف عام أي أقيم في أوائل عهد الدولة القديمة - وقد تم التأريخ له علي ضوء الآنية الفخارية التي خلفها العمال هناك ، وعلي طريقة بناء واجهته التي تشبه إلي حد كبير طريقة بناء أهرامات الأسرتين الثالثة والرابعة (محمد بيومي مهران : مصر 2/ 622 - 626 ، المدن الكبرى 1 / 110 - 114) . علي مبعدة 13 كيلاً جنوب شرق حلوان - وذلك ليمد عمال محاجر المرمر في تلك المنطقة بالمياه - جيمس بيكي : الآثار المصرية في وادي النيل ،3/ 45 - 46 ،(مترجم) .

A.H.Gardiner and I.H.Bell , the name of the late moeris , JEA, 29, 1943, P.37-50 .

A.H.Gardiner , Onom, II, p.115- 117.

- Strabo,XVII, 809F .

- Herodotus, II, 129,148-149.

- H. Gauthier, Dictionaire des noms Geographiques contenus dans les Textes hieroglyphiques, III, P.72, V, P. 23.

- H. Kees , Ancient Egypt , London , 1961, p. 219 – 230 .

- أنظر : محمد بيومي مهران : المدن الكبري ،1/ 110 - 115 .

[45]-A.J.Arkell and K.S. Sandford, Paleolithic man and the Valley in upper and middle Egypt, p. 116-118.

[46]G. Cotteville , L'Egypte avant L' Histore, BIFAO, 33 , 1933, P.40.

[47]Ibid, p.28.

[48]G. Caton –Thompson, man, 32, 1932,p.131-133.

[49] -ديوسبوليس بارفا: ومكانها الآن بلدة " هو " علي مبعدة 5 كيلاً ، جنوب غرب نجع حمادي بمحافظة قنا - وربما كانت " هو " هذه تصحيفاً للإسم المصري القديم " حو" أو " حات " والتي كان اسمها الكامل " حوت سخم نوت " عاصمة الإقليم السابع من أقاليم الصعيد ويعني " حوت سخم " " قصر الصاجات " كما سميت " هو" كذلك " كنمت " بمعني الكروم ، وهو اسم "واحة الخارجة". - أنظر عن واحة الخارجة : محمد بيومي مهران : المدن الكبرى ، 1/ 207 - 208 . المعروفة بخمرها ، وكانت تتبع الإقليم السابع هذه من الناحية الإدارية . هذا وقد كشف " أدموند فينيار " علي مقربة من مصنع السكر الحالي بنجع حمادي ، قريباً من مدينة

"أدموند فينيار" عن مجموعة من الآلات الحجرية تتميز بوجود مجموعة كبيرة من الأزاميل فضلاً عن بعض المحكات ، وقطع أخري مشذبة ذات نمط خاص ـ ونظراً لأن الإزميل هو "آلة الصناعة الأوريناسية " المميزة إلي جانب اعتبارات تقنية أخري ـ فقد نسب "أدموند فينيار " هذا الموقع إلي " الأوريناسية الأوربية " وأن سكان هذا الموقع إنما جاءوا إلي مصر من سورية أومن تونس[50] . وقد أثار رأي " فينيار " هذا جدلاً بين العلماء فذهب الآثاري الألماني "هرمان يونكر" (1885-1962 م) إلي أن هناك شبهاً بين "موقع نجع حمادى" هذا وبين المستوي الثاني للسبيلية ، وأنهما ربما كانا متعاصرين ، ويصلان إلي بداية القفصية، بينما المستوي الثالث ـ والأكثر تطوراً ـ إن هو إلا "القفصية " نفسها [51] وأما "دي مورجان" فقد عثر في مواقع سطحية تنتمي إلي هذه المرحلة علي فؤوس صنعت بنفس التقنية التي صنعت بها فؤوس نجع حمادي[52] .ويذهب الدكتور سليمان حزين إلي أن الأزاميل لا تعتبر دليلاً مميزاً للعصر "الباليوليتي الأعلى" فقد وجدت في فلسطين في زمن " الأشولية العليا" كما عثر في " أرمنت" علي أزاميل بعضها يشبه تلك التي عثر عليها الآثاري الفرنسي "أدموند فينيار " في نجع حمادي ثم يخلص بعد عدة مقارنات بين بعض الآلات الحجرية في الموقعين ـ إلي أن الواحد منها إنما يعاصر الآخر، وأنهما ينتميان إلي " عصر الحجر والنحاس" [53] . علي أن هناك افتراضاً عكسياً يذهب أصحابه إلي أن "السبيلية بمصر العليا" إنما هي المهد الذي ولدت فيه " الحضارة القفصية " وكل صناعة ميكروليثية أخري غير أن "بالو" إنما يذهب إلي أن تقويم السبيلية لا يعتمد علي تقويم الطبقات ، وأن انقطاع الصلة بين "إنسان نياندرتال" (حامل الصناعة الموستيرية) و " إنسان الصناعة القفصية " لا يتفق مع وجود صلة تطور ومن ثم فإن البعض إنما يري أن السبيلية والقفصية حضارتان ميكروليتان متشابهتان إلي حد كبير ـ من حيث التقنية والشكل وخاصة في المرحلة الأخيرة من تطورهما، غير أن هذا الاتجاه لم يعد أن يكون مجرد فرض، وليس نظرية علمية، فضلاً عن أن يكون حقيقة تاريخية[54] .

" ديوسبوليس بارفا " عن مجموعة من الأدوات الحجرية التي تنتمي إلي مرحلة العصر الحجري القديم الأعلي ، رأي " هرمان يونكر " أن هناك شبهاً بينها وبين المستوي الثاني للحضارة السبيلية في مجاورات كوم أمبو ـ وأنهما ربما كانا متعاصرتين . محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص 52 .

– W.M.F.Petrie, Diospolis Parva, London, 1901

- [50] E.Vignard,une station Auurignacienne Anag-Hammadi (Haute Egypte) , station du champ de Bagasse , BIFAO, XVIII, 1921, P. 1-20.

[51] H.Junker, Bericht uler die von der Akademie de Wissenschaften in wien nach dem westdelta Entsendete Expedition, wien, 1928, p. 14.

[52] J.DE.morgan, La Prehistoire Orientale, II,L,Egypte et L,Afrique du nord , Paris, 1926, fig. 86,88,p.31,82.

[53] S.A.Huzayyin , The Place of Egypt in prehistory Acorrelated studyof climates and cultures of The old world , Mie, 43, 1941, p. 292.

- R. mond and O.H.myers. cemeteries of Armant, London, 1937 , p.198-199.

[54] ـ أم الخير العقون : المرجع السابق ، ص 52 .

- L.Balout, op- cit , p. 416 .

فكرة التماثل والاتزان في العمارة الإسلامية
عرض للاتجاهات الحديثة
في الثنائية في العمارة الإسلامية

أ.د. محمد محمد الكحلاوي•

المدلول في الثنائية :

يهتم موضوع هذا البحث بأبراز ملامح فكرة الثنائية في العمارة الإسلامية ويوضح مفهومها الفني و الجمالي والعقائدي في مخططات العمائر الدينية و المدنية .

وفي الحقيقة أن كلمة الثنائية " Duality Or dualty"[1] ليست مصطلحاً دارجاً في العمارة ، بل وليس لها تعريف فني لدى المعماريين ، ولكن ينطبق مدلولها اللغوي ، مع التوصيف الفني لعدة مصطلحات فنية منها التماثل "Symetrie[2]" التناظر "Symetrie[3] " " والتناظم "Reyularte[4]"والتكرار[5] " La Repetition "والاتزان " Balance [6] " وهذة المصطلحات تستخدم في التوصيف الفني لإبراز القيم الجمالية في الفن المعمار ي أو الفن الزخرفي .

مقدمة :

هذا البحث يعالج درباً من دروب القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ومن الجدير بالذكر أن منبت هذه القيم قد خضع لعدة مؤثرات بيئية وعقائدية ، تشبع بها المعماريون المسلمون إلي جانب العامل الديني وأثره في توحيد رقعة واسعة امتدت من أواسط آسيا شرقاً إلي المحيط الأطلسي غرباً ، ووصلت بلاد الأندلس شمالاً[7] فشملت بذلك أمماً عديدة ذات سمات مختلفة وبالتالي أمكن التمييز بين عمارة إسلامية في مصر، وعمارة إسلامية في تركيا ، وأخري في بلاد فارس أو في بلاد الأندلس أو في الهند ...إلخ

• أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية – كلية الآثار – جامعة القاهرة .

[1] - جاءت هذه الكلمة في قواميس اللغة بمعني ثنائية التضاد أي الخير والشر أو ذو الطبيعتين.

أنظر :

The Oxford english dictionary, 1994p219

وأنظر :

The American Heritage dictionary Of The english Lanaguage , third edition,1992

وأنظر :

Aristol , "Politics "translated , by Benjamin Jowiett. 1991

وجاءت في نفس المعني " dualism " أنظر

David " E " stannard , shrinking history : On freud and the failure of psychohistory ,1980

[2] - التماثل هو الإتزان المطلق الموفق للعناصر التشكيلية في التكوين أو هو التكرار المطابق و المعكوس لمجموعه من عناصر معمارية أو زخرفية بالنسبة لمحور ما . يحيي حمودة : التشكيل المعماري ، دار المعارف 1990 م ص 153 .

[3] - هو تناوب عنصران متكرران مع عنصر آخر شريطة أن يكون العنصرين المتكررين متماثلين أنظر عفت يحيى حمودة : نظريات وقيم الجمال المعماري دار المعارف 1981 ص 214

[4] - تعريفه هو التساوي الخارجي الناتج من التكرار المستمر لعنصر واحد معين. ألفت : نظريات ص213 .

[5] التكرار هو التتابع المستمر لنفس العنصر المتشابه معه في الشكل والأبعاد ، حمودة : التشكيل ص 140 .

[6] - الاتزان هو تحقيق الاتزان بين الكتلة والحجوم في الإنشاء الواحد بحيث تكون طريقة توزيع هذة الكتل بشكل متناسب ومتناسق أنظر مصطفي غريب مصطفي : ظوابط ومؤشرات لغة الشكل والتشكيل المعماري والعمراني مع ذكر خاص لحالة مدينة القاهرة رسالة ماجستير – غير منشورة – كلية الهندسة – جامعة القاهرة 1996 م ص142 .

[7] - صلاح الدين البحيري : عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها في الفنون حوليات كلية الآداب – جامعة الكويت الرسالة الثانية عشر في التاريخ 1402 هـ / 1982 م .

ومع هذا فقد ظل الانتماء الإسلامي رائداً ومرشداً للفكر المعماري المحلي لتلك الأقطار والذي اتسم دائماً بالروح والطابع والعقيدة الإسلامية [8] ونضجت معها القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ،وتوحدت مميزاتها في طرز العمارة في شرق العالم الإسلامي وغربه،والفضل في ذلك يرجع إلي اهتمام المعماريين المسلمين بمبدأ استخدام النسبة والتناسب في أعمالهم الفنية وذلك تكيفاً مع حكمة الخالق في خلقة ،ومسترشداً بما في الكون من تناظم واتزان، وقد عبرت عن ذلك وأفاضت مجموعة أخوان الصفا[9] في شرح النسبة فقالوا " أعلم أن النسبة علي ثلاثة أنواع أما بالكمية ،وأما بالكيفية ،وأما بهما جميعاً فالتي بالكمية يقال لها نسبة عددية ،والتي بالكيفية يقال لها نسبة هندسية والتي بهما جميعاً يقال لها نسبة تأليفية موسيقية [10] " أما عن استخدام النسب في الأعمال الفنية فقالوا :" أن حكم المصنوعات وأتقن المركبات وأحسن المؤلفات ما كان تركيب بنيته وتأليف أجزائه علي النسب الأفضل ،والنسب الفاضلة هي المثل،المثل ونصف والمثل والثلث والمثل والربع والمثل والثمن[11]" .

أي أن النسب 1:1، هذه هي النسب التي ارتضاها ذوق المعماري والفنان المسلم ، وقد عرض أخوان الصفا تطبيقاً لهذه النسب من خلال صورة جسم الإنسان ،وأضحوا تفاصيل هذا التناسب بين جميع أعضاء الجسم فقالوا:" أن الباري ﷻ جعل طول قامة الإنسان مناسباً لعرض جثته وطول ذراعية مناسباً لطول ساقيه وطول رقبته مناسباً لطول عمود ظهره ....إلخ فإذا تأملت واعتبرت كل عضو من أعضاء بدن الإنسان وجدته مناسبا لكل عضو من أعضاء الجسد بنسبة أخري لا يعلم كنه معرفتها إلا الله جل ثنائه الذي خلقها وصورها[12]".

وقد أعطي أخوان الصفا مثالاً نموذجياً لذلك تطبيقاً علي جسم الطفل الرضيع فقالوا : "إن الصغار من المواليد يكونون ألطف بنيه وأظرف شكلاً وصورة لقرب عهده من فراغ الصانع منها " وعلي ذلك قام أخوان الصفا بدراسة لمقاييس جسم الطفل دراسة تفصيلية ونجحوا في إيجاد علاقة متناسبة فقالوا :" إذا ما خرج الطفل من الرحم صحيح البنية تام الصورة فكان طول قامته ثمانية أشبار بشبره سواء ... وإذا فتح يديه ومدها يمنة ويسرى كما يفتح الطائر جناحيه أوجد ثمانية أشبار ،والنصف من ذلك عند ترقوته ، والربع عند مرفقيه، وإذا مد يديه إلي فوق رأسه ووضع رأس البركار علي سرته ، وفتح رؤوس أصابع يديه ثم أدير إلي رؤوس أصابع رجليه كان البعد مساوياً عشرة أشبار بزيادة ربع طول قامته [13]".

ووفقاً لتلك الدراسات التي قام بها أخوان الصفا حول النسب نجد أن المعماريين المسلمين قد تبنوا هذه الأفكار وطبقوها في جميع أعمالهم المعمارية بهدف تحقيق التناسب[14]الأجمل والأكمل[15]، وقد طبقت أحدث الدراسات الأثرية في مجال العمارة الإسلامية تلك النسب التي نبه إليها أخوان الصفا وقامت تلك الدراسات بعمل تطبيقات علي العمارة الإسلامية في مصر ،وأوضحت النتيجة

[8] - ألفت نظريات ص23 .

[9] - رسائل أخوان الصفا وخلان الوفا المجلد الأول – قسم الرياضيات والفلسفيات -الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة – القاهرة – 1996 م وهم عبارة عن جماعة ظهرت في مدينة البصرة وكانوا علي المذهب الإسماعيلي ،وقد ألفوا موسوعة علمية ضخمة تحتوي علي عدة رسائل ،وهي تعد أقدم موسوعة علمية في العالم ، ويرجع تاريخ هؤلاء إلي القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي .

[10] - أخوان الصفا : الرسالة السادسة من المجلد الأول – القسم الرياضي ص 245 – 246 .

[11] - أخوان الصفا : الرسالة الخامسة (م) الأول – (ق) الرياضي ص 246 – 247 .

[12] - أخوان الصفا : الرسالة الخامسة (م) الأول – (ق) الرياضي ص 223 – 224 .

[13] - أخوان الصفا : الرسالة الخامسة (م) الأول – (ق) الرياضي ص 166 – 168 .

[14] - ألفت حمودة : نظريات ص 244 .

[15] - عن فكرة التناسب في العمارة الإسلامية أنظر عبد الباقي إبراهيم : تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية ، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية -القاهرة – 1987 ص 35 وانظر محمد علي أبو ريان ، فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة – دار المعارف .

أن جميع مخططات العمائر الدينية قد خضعت للنسب الجمالية المستنبطة من تناسبات الجسم الإنساني[16] الذي خلقة الله سبحانه وتعالي .

وعلي هذا كانت النسب والتناسب في العمارة الإسلامية من أهم ملامحها الفنية التي حافظ عليها المعماري المسلم وراعاها في منشآته وأعماله الفنية ،وربما كانت فكرة الثنائية في العمارة كان الوازع عليها يكمن في مراعاة النسب والتناسب ،وبخاصة بين العناصر المتكررة أو المتماثلة أو المتوازنة أو المتناظرة .

وفي الحقيقة أن فكرة الثنائية في العمارة لم تقف عند مفهوم واحد بل تعددت جوانبها وتطبيقاتها في العمارة ، وكذلك في الفنون ، وعلي هذا أصبح لها صور عديدة منها علي سبيل المثال الثنائية بين عنصرين متماثلين أو عنصرين غير متماثلين ،وكذلك الثنائية بين منشأتين متجاورتين ،أو متناظرتين لمنشئ واحد ولكن لكل منهما وظيفة خاصة ، أو الثنائية بين عناصر متكررة في منشأة واحدة أو الثنائية بين وحدتين متجاورتين بوظيفة واحدة ، وعلي هذا يتضح أن المعماري المسلم قد تبني فكرة الثنائية في عمائره ليس بقصد جمالي فقط ،بل كان من ورائها أيديولوجية قابعة في تكوينه الفني والإنساني ،ذلك التكوين الذي خلق الله عليه الإنسان في أحسن تقويم من ثنائيات ظاهرة ومتماثلة ومتوازنة فأنف الإنسان كان المحور الذي تماثلت علي جانبية العينين ،والرأس كانت المحور لتماثل الأذنين ،والصدر كان المحور لتماثل وتكرار اليدين،والجسم كان المحور لتماثل الرجلين ولهذا انعكس هذا التماثل الذي خلق الله علية الإنسان فيما صنعه الإنسان بيده ،وقد أراد الإنسان بذلك أن يخرج ما يحمله من تلك التوازنات المتماثلة علي ما أنتجته يديه من تحف أو من أعمال معمارية وعلي هذا استقبل المعماري المسلم تلك الأفكار وترسخت في مفاهيمه وهذا ما يجعلنا نؤكد بأن فكرة الثنائية لدي المعماري أو الفنان المسلم لم تكن مجرد اقتباس من فنون سابقة بل هي استرجاع لما في النفس البشرية من توازن وتماثل وتناسب وكذلك لما في الكون من توازن وتناظم وإيقاع .

وسوف أعرض في هذا البحث لكافة المفاهيم التي ارتبطت في معناها بفكرة الثنائية في العمارة الإسلامية ، ثم اتبع ذلك بعرض لأهم ملامح الثنائية في العمارة الإسلامية في العالم الإسلامي.

أما عن دراسة المفاهيم التي ارتبطت في معناها بفكرة الثنائية فسوف أتناولها من خلال منظورين أثنين هما.

أولاً : المنظور الديني والعقائدي للفكرة الثنائية وينقسم هذا المحور إلي قسمين :-

أ- الثنائية في فنون وعقائد الحضارات القديمة .

ب- الثنائية في القرآن الكريم بوصفها الأسس التي استند عليها الفن الإسلامي في تطبيقه لمفهوم الثنائية .

ثانياً : المنظور المعماري والفني للثنائية وفقاً للاتجاهات الحديثة وينقسم هذا المحور إلي أربعة أقسام :

أ- الثنائية بمفهوم التماثل في العمارة الإسلامية

ب- الثنائية بمفهوم التناظر في العمارة الإسلامية

جـ- الثنائية بمفهوم التكرار في العمارة الإسلامية

د - الثنائية بمفهوم الاتزان في العمارة الإسلامية

ثالثاً : عرض لأهم ملامح الثنائية في العمارة الإسلامية في العالم الإسلامي وينقسم هذا العرض إلي ستة أقسام :

أ- الثنائية في مخططات العمائر الدينية في العمارة الإسلامية

ب- الثنائية في مخططات العمائر المدنية في العمارة الإسلامية

جـ –الثنائية في مخططات العمائر الضريحية

---

[16] - عصام عرفة محمود : التناسب الهندسي والجمالي بالعمارة الإسلامية منذ فجر الإسلام حتى القرن الرابع عشر الميلادي مقالة منشورة بمجلة المؤرخ المصري الصادرة عن كلية الآداب جامعة القاهرة العدد الثامن عشر يوليو 1997 م ص 88 – 89 .

د- الثنائية في العناصر المعمارية في العمارة الإسلامية
هـ –الثنائية في مخططات العمائر الخيرية
و – الثنائية في مخططات عمائر التحصينات الدفاعية

أولاً : المنظور الديني والعقائدي لفكرة الثنائية

أ - الثنائية في فنون وعقائد الحضارات القديمة

عرفت حضارة مصر القديمة فكرة الثنائية من خلال اعتقاد المصري القديم في أن عالم المشرق هو عالم الأحياء ،وأن عالم المغرب هو عالم الموتى .وكان هذا المفهوم العقائدي لدي المصري القديم يمثل حجر الأساس في اعتقاده بفكرة الثنائية اعتقاداً راسخاً[17]لهذا انعكست هذه الفكرة في جميع أعماله المعمارية والفنية فتراه علي سبيل المثال إذا صور المصري القديم أسد المشرق في جانب تجده علي الجانب الآخر يصور أسد المغرب،وهذا ما جعله يطلق علي الفرعون (نب – تاوي) أي سيد الأرضين.

كذلك دعمت فكرة الثنائية في فنون الحضارة الفرعونية من خلال فكرة الوحدة التي كانت تربط مملكة الجنوب بمملكة الشمال والتي كان يرمز لها بالتاج المزدوج الذي كان يتقلده الفرعون علي رأسه،وكان الملك "دون" هو أول من وضع التاج المزدوج علي رأسه، ثم الملك "نعرمر" الذي وضع علي رأسه التاج الأبيض رمزاً لمملكة الجنوب في الصعيد والتاج الأحمر رمزاً لمملكة الشمال في الدلتا[18] وقد انعكس هذا الفكر بدوره علي العمائر الدينية وبخاصة في المعابد حيث ظهرت الثنائية بشكل أكثر وضوحاً في مخططات المعابد التي خططت من قسمين متماثلين من علي جانبي الخط الوهمي الذي يمتد من وسط بيلون المدخل إلي قدس الأقداس ، كذلك تظهر الثنائية الملكية المصرية في الأفنية المزدوجة وواجهات المعابد ومن أمثلتها واجهة معبد "نتزابرخت" الذي عرف فيما بعد باسم معبد "زوسر" ،الذي يقع بسقارة ويرجع بناءه إلي عهد الأسرة الثالثة[19]،كذلك ظهرت الثنائية في حضارة مصر القديمة في طريق الكباش الممتد علي جانبي مدخل معبد أمون في الكرنك ،وكذلك في المعبد الجنائزي للملك (نب حبت رع) منوحتب[20]،ومن أمثلتها الواضحة أيضاً في العمارة الفرعونية نجدها في البابين الوهميين في مقصورة الأميرة عشايت[21] ،وكذلك في واجهة معبد الوادي لهرم خفرع[22].

الثنائية في الحضارتين اليونانية والرومانية :

تميزت التشكيلية الثنائية في مفهومها الفني بالسمة الإيمانية في جميع الفنون سواء كانت معمارية أو زخرفية وبخاصة في العمارة الدينية في مصر خلال العصرين اليوناني والروماني ويمكن القول بأن السمة الإيمانية (العقائدية) للتشكيل الثنائي تقترن دائماً بالتكوين الفكري والديني السائد في العصرين اليوناني والروماني ،فالفلسفة ،علي سبيل المثال اهتمت عند اليونانيين بإبراز مذهب الثنائية وذلك لتبرير عمليات الخلق ،وهو ما نجده في فلسفة أفلاطون وأرسطو والفلسفة الأفلاطونية الحديثة[23]".ومع ظهور عصر الإيمان وهي الفترة ما بين القرنين الأول وحتى القرن

---

[17] - ياروسلاف تشرني : الديانات المصرية القديمة – ترجمة أحمد قدري – القاهرة 1987 ص 48
[18] - علي موسي رضوان : تاريخ الفن في العالم القديم 1997 م ص21، اللوحة 19
[19] - إسكندر بدوي : تاريخ العمارة المصرية القديمة ،ترجمة محمود عبد الرازق ،وصلاح الدين رمضان – إصدارات هيئة الآثار 1990 م ص 161 ، 174 .
[20] - أنور شكري : العمارة في مصر القديمة : الهيئة العامة للكتاب 1970 م ص 376
[21] - شكري : العمارة ص 377
[22] - شكري : العمارة ص 509 اللوحة 52
[23] - عن المزج الفلسفي الفني خلال الفترة ما بين القرنين الثالث وحتى الثامن الميلادي رؤية أفلاطون عن الفن من خلال وجود عالمين، وهي ثنائية فلسفية طبقت في الحركة الفنية المعاصرة ،وبصفة خاصة المجتمعات الشرقية أنظر :

G . Prnard : Esthetique et gitique Paris, 1946. PP, 97 , F.F

السادس الميلاديين سادت مجموعة من الأفكار العقائدية التي سيطر عليها إبراز شخصية السيد المسيح من خلال تكوين ثنائي قائم علي إبراز الوسط فإن الفلسفات الدينية كالغنوسيه،المانويه والمسيحية الشرقية والغربية قد ساهمت في إبراز الوحدانية القائمة علي الثنائية تحت مفهوم الخير والشر ،الأب والإبن ،والشمس والقمر ،والأرض والسماء ،والعالم السفلي والعالم العلوي ،والعالم المعقول واللامعقول وهي جميعها ثنائيات أبرزت من خلالها أفكار دينية تخدم المجتمع المصري حينذاك[24]. ولم يكن مفهوم الثنائية في الزخارف الفنية والجدارية والمعمارية له أي تأثير إيماني أو فلسفي قبل ظهور المسيحية ،فظهور المسيحية وانتشار المذاهب الفلسفية قد ساعد علي خلق حالة من التكوين الفني التي تعتمد في أساسها علي إبراز وحدة العمل الفني من خلال مجموعة من الثنائيات المضادة أو المتشابهة ،والتي كانت تعتمد في مقامها الأول علي الرمزية والتجريدية والتي جاءت من خلالها الوحدات الزخرفية سواء كانت وحدات آدمية أو نباتية أو هندسية كرؤية جديدة تخدم المفهوم الديني السائد حينذاك[25]وهناك أمثلة كثيرة يمكن من خلالها إبراز الفن المسيحي في مصر قبل ظهور الإسلام فالملاكان حول صورة السيد المسيح يعتبران أحد أهم الأسس الفنية في إبراز صورة السيد المسيح في المنتصف كذلك التكوين المعماري لنظام البازيليكا المسيحية يوحي للداخل بأن مجموعة الأعمدة الثنائية في الصالة أنها وضعت خصيصاً بتلك الكيفية لإبراز قدس الأقداس أو المحراب الأمامي الذي هو هدف الداخل لتلك البازيليكا وبالتالي فإن إزدواجية الأعمدة داخل البازيليكا المسيحية ،وكذلك ثنائية الأعمدة التي تحمل الخلفية يعطي للتعبير خصوصية كما هو داخل الحنية فلا يهتم بالشق الزخرفي المستخدم في العمارة المسيحية من هذا المنطق.

ويمكن اعتبار أن المفهوم الإيماني (العقائدية) للثنائية كما جاء في مضمونها الفلسفي في أنها معدة خصيصاً لإبراز الجديد أو المخصص الأساسي وسط المنظر، ويمكن إدراكها بصورة كبيرة من الناحية التطبيقية علي الفن القبطي المصري آنذاك ،فلدينا العديد من القطع الأثرية سواء كانت منفذة في الصور الجدارية أو في قطع نحتية أو عناصر معمارية [26]مع الأخذ في الاعتبار إن الثنائية التشكيلية للزخارف تختلف كما في مضمونها التفسيري الفني عن التكرارية[27]في الوحدة الزخرفية .فالتكرارية الزخرفية عناصر فنية تخضع للبيئة والموروث الحضاري والذوق العام للمجتمع ويمكن أن تستخدم فيها عناصر فنية بعيدة عن المفهوم الإيماني ،بينما الثنائية في الفكر المسيحي مرتبطة إلي حد ما بالمفاهيم الإيمانية ولا يمكن إدراكها إلا من خلال تفسير الوحدة الزخرفية المستمدة أصولها من الفكر الديني .

=وانظر أيضاً :

Da Keyser la Signfcation de L5 art dans Les Enneades , de plotin louvain 1922. PP .29-52 .

[24] - عن الغنوسية ومفهوم الثنائية في مصر والتي ارتبطت عقائدياً مع الشخصية والعقلية المصرية ربما وحتى الفتح العربي الإسلامي لمصر أنظر :

Foerster (s) : Gnosis Oxford, 1972 vol. 1.pp 30-34

وانظر أيضاً :

كتاب راعي هرمس الذي يحتوي علي بداية الفلسفة الثنائية للعوالم الكونية يمكن الرجوع إلي :

G Van Mooyel : the mysteries of Herms trismegistes, utreck, 1995, pp 3-23
Bouly wissowa (RE). Vol VIII col . 792 – 795, 799 – 823.

[25] - وعن مفهوم الثنائية من خلال أسطورة حورس المصورة في معبد أدفو الذي يرجع للعصرين اليوناني والروماني أرجع :

Bllak man .(F.) The Cosecration of on Egyption temle according to the use of Edfu, in : Gortnl . of Egypt , Archeology Vol , xxxvIIi pp 32-33, vol , xxIx pp, F.F.

[26] - وعن مفهوم الرمزية في التعاليم السحرية والدينية التي عاصرت وجودها في مصر خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين. أنظر :

Quasten (G) : Initiation aux Pres de L ,E Glise , vol , 2. 1952 . London 1952 . pp12-13.

وأنظر أيضاً :

Murray (R) : Symbols of church and kingdom serrad comprdug pp277-374 spe , 280-289.

[27] - عن الثنائية بالمفهوم التكراري أنظر صى14 من البحث .

فالشكل الزخرفي له علاقة شديدة بالتكوين الوظيفي للعنصر المستخدم فلا يمكن تقليل هذا الدور الذي تؤديه تلك العلاقة في تفسير لوحة دينية للسيد المسيح وسط اثنين من الدرافيل
فالثنائية هنا تحدد لنا مفهوم اتجاه الدرافيل فإذا كان اتجاه الدرافيل إلي أعلي حول هالة المسيح،فمعني هذا أن وظيفة الثنائية هنا تعطي انطباعا أنها رمز للمؤمنين ،وأن هناك ارتباط بين الوظيفة التي تلعبها ثنائية الدرافيل وبين صور السيد المسيح وفي هذه الحالة لا نستطيع أن نؤكد أن الثنائية التشكيلية قد أعطت علاقة بين الشكل والوظيفة المستخدمة من أجلها[28] وهناك مثال آخر حيث يمكن تمييز مجموعة كبيرة من الصور الجدارية واللوحات النحتية التي استمر استخدامها في الفن القبطي حتي القرن 11، 12 م في أديرة كثيرة مثل دير القديس أبوللو في باويط وأديرة قنا ووادي النطرون والبحر الأحمر[29] .

ب - الثنائية في القرآن الكريم بوصفها الأسس التي استند عليها الفن الإسلامي في تطبيقه لمفهوم الثنائية .

لم يقتصر مفهوم الفن الإسلامي لفكرة الثنائية في الفن والعمارة الإسلامية علي الاقتباس من فنون الحضارات القديمة فقط ،بل نمت هذه الفكرة ،وتبلورت وتطورت في الفنون الإسلامية بشكل واضح إلي أن أصبحت من أهم مميزات وملامح الفن الإسلامي وأكثرها وضوحاً عن غيرها من الخصائص الأخرى ،ويرجع ذلك إلي مجموعة من المفاهيم والقيم التي غرسها الدين الحنيف في نفس كل مؤمن ،والتي تقوم علي معرفة الله الواحد الأحد في كل ما خلق إذ أمرنا الله سبحانه وتعالى بالتدبر والتعقل والتفكر في آياته الكثيرة التي سيرها لنا الله في قرآنه الكريم من أجل أن نتدبر فكرة تعاقب الليل والنهار والشمس والقمر في اتزان وتساوي بين الضياء والظلام قال تعالي في سورة ياسين " لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون[30] والآية السابقة تعطي تصوراً كاملاً لمفهوم التوازن الذي أوجده الله في الكون ليتفكر أولي الألباب والأبصار ، "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها[31]" وفي مضمون الآية السابقة إبداع لعظمة الخالق وقدرته في أن يسير للنفس الواحدة توأمة لها تسكن إليها ،ويجعل من الأثنين واحداً ومن الواحد اثنين ثم يصهرهما في نفس واحدة .

كذلك سير الله سبحانه وتعالي في قرآنه الكريم مفهوم الثنائية والتشابه الذي قدر الله علي مخلوقاته من إنسان وحيوان ونبات وجماد فقال تعالي واصفاً خلقه بأنهم صنوان وغير صنوان ومتشابهات وغير متشابهات ،وفي سورة الرحمن تظهر الثنائية في قولة تعالي" ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فبأي آلاء ربكما تكذبان[32]" وفي سورة الواقعة استشعر الفنان المسلم فكرة الثنائية بمفهوم التناظر والتقابل في قولة تعالي " علي سرر موضونة متكئين عليها متقابلين" وفي سورة الحاقة يوضح القرآن الكريم التماثل العددي في أعداد الملائكة الحاملين لعرش الرحمن فقال تعالي" ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية[33] " وفي سورة النبأ تتضح معالم الثنائية في قولة تعالي " وخلقنكم أزواجاً[34] " ويتأكد نفس المعني في سورة التكوير في قولة تعالي "وإذا النفس زوجت[35] " وفي سورة الحج يؤكد الله سبحانه وتعالي علي الثنائية التي

---

[28] - وعن التفسيرات الرمزية في الأناجيل عند اللاهوتي " اجونيس " انظر :

G.G Maydieu : La Procession , de logos d , apres le commentaire d , Origene sur L' orrangile de literature d , Ecclisien vol 135 , 1934 , pp 3-70 . spe 15-20 .

[29] - Maydieu : op . cit .p 69 .

[30] - سورة يس آية رقم 40 .

[31] - سورة الروم آية رقم 21 .

[32] - سورة الرحمن الآيات 46-47-48-49-50-51-52-53 .

[33] - سورة الحاقة آية رقم 17

[34] - سورة النبأ آية رقم 8

[35] - سورة التكوير آية رقم 7

ينعم بها المؤمنون في جنة النعيم في قولة تعالي من كل زوج بهيج[36] " وفي نفس المعني نجدها في سورة الرعد في قولة تعالي " ومن كل الثمرات جعل فيها من كل زوجين اثنين[37] " أما في سورة الملك فتأتي الثنائية بمفهوماً آخر حيث أوردها الله سبحانه وتعالي بمفهوم يؤكد علي رؤية المتدبر في الكون فقال تعالي " ثم أرجع البصر كرتين يرتد إليك البصر خاسئاً وهو حسير[38]" صدق الله العظيم .

وتتضح قدرة الخالق في تحديد ملامح الثنائية في خلق الإنسان نفسه " ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم[39] " ويؤكد الخالق علي الثنائية في الإنسان في قولة تعالي " ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين[40]" ويظهر من خلال مضامين الآيات السابقة أن الفنان المسلم استقي فكرة الثنائية في أعماله الفنية ولهذا ازدانت الفنون الإسلامية سواء كانت زخرفية أو معمارية بطابع فني اتسم بالتماثل والتناظم والاتزان وهذا نقرأة بوضوح علي العمارة الإسلامية سواء في مخططاتها أو في عناصرها وعلي هذا أصبحت العمارة الإسلامية مصدراً خصباً تتجلى فيه أنماط وأشكال متعددة لمفهوم الثنائية سواء كانت قائمة علي التماثل أو علي الاتزان أو علي التكرار وهذا ما سوف يكشف عنه موضوع هذا البحث .

المنظور المعماري والفني للثنائية وفقاً للاتجاهات الحديثة :

أولاً : الثنائية بمفهوم التماثل (Symmtery)

وهي الحالة التي يتماثل فيها العمل الفني تماثلاً رأسياً أو أفقياً أو بمعني أن يتماثل جانبي العمل الفني اليمين مع اليسار أو يتماثل نصف العمل السفلي مع العلوي[41] أو يكون العمل الفني مكوناً من وحدات متماثلة وتختلف الآراء حول القيم الجمالية في الأعمال الفنية التي تتصف بالتماثل إذ يجد فيها البعض جمالاً علي حين يرى البعض عكس ذلك[42] .

حيث يري أصحاب الرأي الأول أن في التماثل جمالاً وإيقاعاً ، أن التماثل في العمل الفني يضفي علي الموضوع جمالاً ،وأن التماثل لا يفتت وحدة الصورة ،فالعناصر المتماثلة التي يتكون فيها موضوع الصورة يرتبط بعضها ببعض برباط وثيق وهو تماثلها ،ومن ثم فإن العناصر جميعها تؤلف كلاً واحداً أو تؤلف وحدة كاملة ويستندون في ذلك علي التماثل القائم في جسم الإنسان فهو تماثلاً بين الجانبين الأيمن والأيسر ،وفي الطبيعة أيضاً موضوعات لا تحصى تقوم علي التماثل الكامل في أجزائها[43] .

ولما كانت السيمترية أو التماثل تثير أحساساً بالجدية والوقار والهدوء والاتزان لذلك تري صلاحيتها بالنسبة للموضوعات الجادة وبخاصة في المباني الدينية والمعابد والمساجد والكنائس[44] .

أما أصحاب الرأي الآخر الذين لا يروا في التماثل جمالاً فهم يميلون للمدرسة الحديثة المعاصرة التي لا تعترف بفكرة التماثل في التكوين الفني ، حتى لو كانت الطبيعة تماثلية ،إذ يقولون أن الموضوع المتماثل يشتت ويرهق النظر في الجري في اتجاهين متضادين ،فإن كان التماثل بين القسمين الأيمن والأيسر فالبصر يستقر أولاً في المركز في وسط النصفين المتماثلين

---

[36] - سورة الحج آية رقم 5

[37] - سورة الرعد آية رقم 3

[38] - سورة الملك آية رقم 6

[39] - سورة التين آية رقم

[40] - سورة البلد الآيات أرقام (8 , 9 , 10)

[41] -عبد الفتاح رياض : التكوين في الفنون التشكيلية دار النهضة 1973 م ص 103 – 107

[42] - Jenny A. Baglivo and dodk E. Graver incidence and symmetry in design and architecture : London 1991 , pp 266 – 269

[43] - عبد الفتاح نفس ص 105 .

[44]- Jenny : op – cit p 270 .

،ثم يسير نحو أحد الجانبين وهذا يرهق البصر ويبعث علي الملل نحو أحد الجانبين ولهذا فهم يرون أن التماثل غير مستحب من الوجهة الجمالية .

التماثل مع التنويع :

وهناك رأي ثالث بين الرأيين السابقين ،حيث يري أصحاب هذا الرأي أنه لابد من أن يكون التماثل مصحوباً بتنويع ،فالوحدة إذا تكررت برتابة فهي في الحقيقة ترهق العين ، أما إذا تكررت وحصرت بينها فراغات ذات شكل جديد ،فهي تضيف للعمل الفني تنويعاً مشبعاً للإدراك[45] وهذا ما نشاهده بين العناصر الزخرفية المتقابلة أو المتدابرة بين محور معين[46] وكذلك نجده في العناصر المعمارية المتماثلة أو المتقابلة من علي جانبي الواجهة أو المداخل أو القبة ويعد مبدأ التماثل في الفنون ذات طبيعة عضوية أو غير عضوية ويتوفر للشكل المتماثل حسابات رياضية تتفق ونظريات التماثل والنسبية[47].

ومن الجدير بالذكر أن تطبيق فكرة الثنائية بمفهوم التماثل في العمارة الإسلامية ،كانت أكثر الملامح وضوحاً ونضوجاً سواء في المخططات أو في العناصر المعمارية ،فبالنسبة لمخططات العمائر الدينية ،نجد أن فكرة المعماري في تطبيق الثنائية تنطلق من الداخل وبالتحديد من كتلة المحراب بوصفها مركز التخطيط ،فإذا تخيلنا وجود خط وهمي ينطلق من منتصف المحراب إلي منتصف الحائط المقابل له في ظلة المؤخرة لوجدنا تكراراً يجمع بين التوازن التام من خلال التكرار المعماري لجميع عناصره الواقعة علي جانبي المحراب بشكل متماثل بدأه المعماري من تخطيط المحراب نفسه ،حيث جعله عبارة عن دخلة عميقة في جدار القبلة يتوجها من أعلي طاقية معقودة ترتكز أرجلها من الجانبين علي عمودين بواقع عمود في كل جانب أو عمودين علي كل جانب أو ثلاثة أعمدة علي كل جانب ....إلخ . أنظر اللوحة رقم (54).ويتبع ذلك تكرار متماثل لكافة العناصر الأخرى الواقعة علي جانبي المحراب .

ثانياً : التناظر " Symetre "

وتعريف التناظر هو تناوب العنصر التكراري مع عنصر آخر يتكرر معه ،وأن كل من هذين العنصرين مماثل لنفسه دائماً ،ومغاير للعنصر المتناوب معه أما في الحجم أو الشكل أو اللون مثل مجموعة من الفتحات المتساوية تماماً وتحصر بينها مساحات صماء متساوية معها بحيث ينتج عن هذين العنصرين تناوب وتكرار[48] ويتضح هذا الأسلوب الفني في الفنون الإسلامية في تكوينات الأرابيسك[49]

ثالثاُ : الثنائية بمفهوم التكرار

والتكرار ذو علاقة وثيقة بالتكوين ،وتعريف التكرار هو التتابع المستمر لنفس العنصر،ويمكن أن يظهر بتتابع عدد معين من العناصر المتشابهة ،ولكنها مختلفة في أبعادها ،ويمكن للتتابع أن يؤسس علي متوالية متزايدة أو متناقصة منتظمة أو غير منتظمة[50] ،ومن أمثلتها في العمارة الإسلامية ،هو تكرار العناصر بشكل ثنائي مثال ذلك ثنائية الدخلات الرأسية المتكررة في واجهات مجموعة السلطان قلاون بالنحاسين 683 هـ / 1284 م أو ثنائية فتحات النوافذ المتكررة علي واجهات العمائر الدينية ومن أمثلتها تكرار النوافذ الثنائية في واجهة مدرسة

---

[45] - عبد الفتاح رياض : التكوين ص 14 .

[46]- Herman Weyl : Symmetry , London , 1992 , p 9.

[47]- Ibid , p5

[48] - ألفت حمودة : نظريات ص 214 .

[49] - Eva Wilson : Islamic Design , London , 1994 , p 9 .

[50] - حمودة : التشكيل ص 140 .

السلطان قلاون 683 هـ / 1284 م أنظر الشكل رقم (53) وواجهة مدرسة السلطان حسن بن قلاون 757 هـ / 1356 م أنظر الشكل رقم (27) والتكرار أنواع منها :-

- تكرار منتظم : وهو ينشأ من تكرار عنصر ما متشابه دائماً في شكله وأبعاده ومن أمثلته في العمائر الدينية النوافذ الواقعة بواجهات مسجد عمرو بن العاص 212 هـ / 831 م وكذلك فتحات النوافذ الواقعة بواجهات مسجد أحمد بن طولون 264 هـ / 881 م .
- التكرار المتدرج : ويقصد به تكرار عناصر متشابهة متدرجة الأبعاد إلي التزايد أو التناقص ،ويظهر هذا النوع من التدرج في العمارة الإسلامية في أعداد الدخلات المعقودة التي تتوج طواقي المحاريب من أبرز أمثلتها محراب مسجد بيجامبوري بالهند 725 هـ / 1351 م ومحراب مسجد موتي (اللؤلؤة) في الهند 1069 هـ / 1659 م كذلك ظهر هذا النوع من التكرار في عقود المداخل من أمثلتها عقود مدخل مدرسة الناصر محمد بن قلاون بالنحاسين 735 هـ / 1335 م وعقود مدخل عبد الرحمن كتخدا في جامع الأزهر 1167 هـ / 1753 م ،كما يتضح التكرار المتدرج في مجموعة المآذن الرمزية في ضريح تاج محل 1041 هـ / 1631 م أنظر اللوحة رقم (38) .

ويرجع مبدأ التكرار في العمارة الإسلامية إلي جذور عرفتها البيئة العربية الصحراوية في شبه الجزيرة العربية ،حيث نجد في الخيام المتشابهة المتكررة والمتجاورة إلي جانب مجموعات النخيل والتي تعطي هي الأخرى تكرار في وسط الصحراء الممتدة ،أن هذه العناصر المتكررة بلا ملل حتى لا تثير في نفس المشاهد إحساساً برهبة تأخذ به إلي حيث المطلق اللامحدود ،أن للصحراء إيقاع واحد بالتالي يشعر سكانها شعوراً واحداً[51]، ومن ذلك يمكننا أن نستشف أثر التكرار وانعكاسه كسمة أساسية جوهرية في العمارة والفنون الإسلامية ،وكذلك أيضاً يمكن أن يكون مبدأ الثنائية في العمارة قد ارتبط بمبدأ التكرار[52] .

رابعاً : الثنائية بمفهوم الاتزان

يعني الاتزان في المفهوم المعماري تحقيق الانسجام بين الكتل والحجوم في الإنشاء الواحد ، بحيث تكون طريقة توزيع هذه الكتل في التصميم بشكل متناسق ومتناسب[53] .

والاتزان ينقسم إلي نوعين أساسين :

- أولهما : اتزان استاتيكي ،وهو إيجاد تشكيلات معمارية متماثلة حول محور الاتزان .
- ثانيهما : اتزان ديناميكي : وهو نتيجة سيطرة عنصر من عناصر التكوين علي باقي العناصر من ناحية الشكل أو الحجم أو الموضع[54].

يمكن لنا بلورة أشكال الاتزان في العمارة الإسلامية علي النحو التالي :

- أ. الاتزان في الفراغات والكتل :

ويظهر هذا النوع من الاتزان في وجود عنصر حاسم ترتبط به العناصر بطريقة توزيع متوازنة بالنسبة له ،بمعني آخر يشكل هذا العنصر المحور الذي تلتف حوله باقي العناصر المعمارية.وهذا النوع من الاتزان نجده في صحون المدارس الإسلامية ذات الإيوانات أو الظلات حيث يرتبط الصحن بمجموعة الإيوانات التي تلتف من حوله بطريقة متوازنة ،ومن أهم أمثلته : مدرسة السلطان قلاوون بالنحاسين 683 هـ / 1282 م – ومدرسة السلطان الناصر محمد بالنحاسين 735 هـ / 1335 م – ومدرسة السلطان الناصر حسن بن قلاوون 757 هـ / 1356 م –ومدرسة

[51] - أحمد أمين : فجر الإسلام ص 45 .
[52] - ألفت : نظريات ص33.
[53] - مصطفى غريب مصطفي عبده : ضوابط ومؤشرات لغة الشكل والتشكيل المعماري والعمراني ، مخطوط رسالة ماجستير جامعة القاهرة 1996 م ص 143 .
[54] - غريب : التشكيل المعماري ص 143 .

السلطان برقوق بالنحاسين 786 هـ / 1384 – ومدرسة الصاحبية بدمشق[55] 643 هـ/ 1245 م – ومدرسة الفردوس في حلب 633 هـ / 1235 م والمدرسة البوعنانية في فاس 757 هـ / 1356 م – ومدرسة خارجيرد في إيران 849 هـ / 1445 م.

الاتزان بسيطرة عنصري التكوين :

ويقصد به سيطرة عنصر رئيسي عالي التكوين المعماري للواجهات ويؤدي ذلك إلي الإحساس بالجذب لهذا العنصر فيؤدي ذلك إلي الإحساس بالتوازن[56].
ومن أمثلته في العمارة الإسلامية النافذة المستديرة التي تعلو كتلة المحراب كأعين ثور أعتبرها المعماري المسلم عنصر رئيسي يخالف في شكله فتحات النوافذ الأخرى،ومن أمثلتها واجهة مدرسة السلطان المؤيد شيخ 818 هـ / 1415 م – وواجهة السلطان قايتباي 883 هـ/ 1478 م – واجهة مدرسة الأمير أزبك اليوسفي 900 هـ / 1494 م .

الاتزان في التشكيل والتكوين :

ويقصد بهذا النوع من الاتزان سيطرة عنصر رئيسي يتوسط مخطط المدينة ويمثل نقطة جذب حركية[57] ومن أمثلتها موقع المسجد الجامع بالنسبة للمدينة ،أما عن مفهوم الثنائية بالنسبة للاتزان فهي تعد قاعدة أساسية تحكم الاتزان الأستاتيكي الذي يعتمد علي وجود عنصرين أو أكثر متماثلين حول المحور الواحد[58] وهذا ما نقرأه بكثرة في تقسيمات واجهات العمائر الدينية حيث اعتاد المعماري أن يماثل بين أعداد الدخلات الواقعة علي جانبي المدخل الرئيسي ومن أبرز أمثلتها في العمارة الإسلامية جامع الأقمر 519 هـ / 1125 م حيث وازن المعماري الفاطمي بين الدخلات الرئيسية الواقعة علي جانبي كتلة المدخل ،وكذلك نجدها في جامع الصالح طلائع 555 هـ / 1160 م في البائكة التي تتقدم كتلة المدخل الرئيسي ،ومن أمثلتها أيضاً واجهة بائكة السقيفة التي تتقدم مشهد السيدة رقية 527 هـ / 1133 م .
وخارج مصر نجدها في في مسجد كلان 790 هـ / 1387 م أنظر الشكل رقم (16) في الواجهة الرئيسية وفي مسجد بيجامبوري ،في الهند 725 هـ / 1325 م هذا الاتزان من علي جانبي كتلة المدخل المحورية أنظر الشكل رقم (74) كما ظهرت الثنائية التي تتماثل من علي جانبي محور رئيسي في مساجد الأندلس ومن أبرز أمثلتها المداخل الواقعة في الضلع الغربي لجامع قرطبة حيث وازن المعماري بين الدخلتين الواقعتين علي جانبي فتحة المدخل[59] ،أنظر اللوحة رقم (56 مكرر) .

الثنائية في مخططات العمائر الدينية :

تعد مخططات العمائر الدينية من أكثر الأمثلة وضوحاً لتطبيق فكرة الثنائية ،حيث اعتاد المعماريون المسلمون مراعاة ذلك في معظم مخططاتهم ،وتتضح ثنائية التخطيط من الداخل وذلك إذا مررنا خط وهمي من وسط كتلة المحراب إلي منتصف كتلة المدخل المقابلة له في ظلة المؤخرة ،حيث يتبين لنا تماثل وتكرار المخططين لحد التطابق وذلك نتيجة حرص المعماري علي تحقيق الاتزان الداخلي للمبني انطلاقاً من نقطة المحراب وكان الغرض من ذلك تثبيت أنظار صفوف المصلين في التركيز علي محور المحراب بوصفه هو المركز الذي ماثل المعماري من علي جانبية عناصر التكوين ،وعدم تشتيت أنظارهم في عناصر متباينة ومن أقدم نماذج مخططات

---

[55] - عبد القادر الريحاوي : العمارة في الحضارة الإسلامية : جامعة الملك عبد العزيز – جدة 1989 م ص 266 .
[56] - الريحاوي : العمارة ص 266
[57] - الريحاوي : العمارة ص 343
[58] -غريب : نفس ص 143
[59] - عبد العاطي محمد : أوراق أندلسية – بنغازي 1990 م –ص 244 .

العمائر الدينية التي راعى فيها المعماري فكرة الثنائية ،نجدها في تخطيط قبة الصخرة 72 هـ / 692 م حيث يحتوي التخطيط العام علي أربعة مداخل محورية فإذا مررنا خط وهمي بين منتصف أي مدخلين متقابلين ،فسوف نجد تطابق وتماثل علي الجانبين الآخرين الواقعين علي جانبي الخط الممتد وهذه حالة فريدة في العمارة الإسلامية ،وذلك نظراً لآن مركز التخطيط ليس محراباً ولكن هي الصخرة المقدسة التي تتوسط التخطيط الرئيسي من الداخل ،أنظر الشكل رقم (1) أما مسجد سامراء بالعراق 235هـ / 850 م فنجد التماثل في الثنائية التي أوجدها المعماري من علي جانبي الخط الوهمي الذي يمتد من كتلة المحراب إلي منتصف المئذنة التي تقع علي محور الضلع المقابل للمحراب من الخارج ،وقد جاء تخطيط مسجد أحمد بن طولون في مصر علي غرار تخطيط جامع سامراء في العراق أنظر الشكل رقم (2) وفي المساجد التركية بالأناضول تتضح معالم فكرة الثنائية بشكل أكثر وضوحاً حيث تميزت مساجد تلك المنطقة بصفة خاصة نتيجة لصغر حجمها مما ساعد علي تغطيتها بالكامل[60] وأمكن رؤية ثنائية التخطيط **أولاً** : من الداخل من خلال الخط الوهمي الذي يمر بوسط كتلة المحراب امتداداً لكتلة المدخل الواقعة في منتصف الضلع المقابل للمحراب و**ثانياً** : رؤية ثنائية من الخارج من خلال مجموعة التغطيات التي وزعت هي الأخرى وفقاً للمحورية التي اختطت بها المسقط الأفقي ،ومن أمثلتها في المساجد التركية جامع بلدرم في بورسة القرن 7هـ / 13م حيث يتضح فيه ثنائية التخطيط في المسقط الأفقي للدور الأرضي والمسقط الأفقي للتغطيات التي تماثلت من علي جانبي قبة المحراب (أنظر الشكل رقم 3) ومن أمثلتها أيضاً جامع السلطان أورخان في أزنيق (شكل رقم 4) وجامع أجليار في بورسة من القرن 7هـ (شكل رقم 5) وجامع أورهان بك في بورسة 1339 م (شكل رقم 6) والجامع الكبير في بورسة 1396 ،حيث تتضح ثنائية التخطيط في المسقط الأفقي وثنائية التغطيات في توزيع القباب بشكل متماثل من علي جانبي بلاطة المحراب (شكل رقم 7) ومن أمثلتها أيضاً الجامع القديم في أدرنة 1402 م شكل (8)[61] واستمرت ثنائية التخطيط في المساجد العثمانية في القرنين 8 ، 9 الهجريين ومن أمثلتها أيضاً جامع مراد باشا في أستانبول 1469 م ومسجد روم محمد باشا في استانبول 1490 م (شكل رقم 9) ومن الجدير بالذكر أن المساجد العثمانية بعد فتح القسطنطينية قد حافظت علي الثنائية في مخططاتها ومن أمثلتها مسجد بايزيد الثاني في استانبول1501 م (شكل رقم 10) ومسجد شاه زاده في استانبول 1543 م (شكل رقم 11) ومسجد السليمانية في استانبول 1550 م ومسجد مهرماه في استانبول 1555 م[62]وفي اليمن ظهرت ثنائية التخطيط في المدرسة الأشرفية 810 هـ / 1407 م (شكل رقم 12)وفي مصر ظهرت الثنائية في مخططات العمائر الدينية وبخاصة في المساجد الفاطمية ومن أمثلتها جامع الأزهر 359 هـ / 970 م وجامع الحاكم بأمر الله 402 هـ / 1013 م وكذلك اتضحت ملامح الثنائية في مخططات العمائر الدينية في العصر المملوكي ومن أهم أمثلتها خانقاة الناصر فرج بن برقوق 803 هـ (شكل رقم 13) ومدرسة السلطان المؤيد شيخ بالقاهرة 818 هـ / 1505 م وفي المغرب الأقصى ظهرت الثنائية في مخططات العمائر الدينية ون أهم أمثلتها مدرسة البوعنانية بفاس 756 هـ[63] أنظر (الشكل رقم 14) وفي مساجد الهند اتضحت ثنائية التخطيط بشكل أكثر نضوجاً ووضوحاً ومن أهم أمثلتها مسجد كليركا في الهند 769 هـ / 1363 م (شكل رقم 15) ومن أمثلتها أيضاً في الهند مسجد كيلان 790 هـ / 1387 م (شكل رقم 16) ومسجد موذكي 894 هـ[64] / 1288م ومسجد

[60] - طللا شعبان : المدارس الباقية في قونية والقاهرة خلال عصري سلاجقة الروم والمماليك البحرية،رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآثار – جامعة القاهرة 1995 م ص 68 .

[61] - أصلان أبا : فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد عيسى – استانبول 1987 م ص 33-40 .

[62] - هدايت تيمور : مسجد الملكة صفية رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الآثار-جامعة القاهرة -1977 م – ص ص 44 –54 .

[63] - محمد محمد الكحلاوي : المدارس المغربية مقالة منشورة بمجلة العصور – العدد الأول 1990 م ص 127 .

[64] - سعد الحليبة : مساجد مدينة دلهي في الهند رسالة ماجستير غير منشورة –كلية الآداب قسم الآثار والمتاحف جامعة الملك سعود 1995 م ص 78 .

وزير خان في لاهور 1634 م (شكل رقم 17) وفي إيران ظهرت الثنائية في مخططات عمائرها الدينية ومن أبرز أمثلتها المدرسة الغياثية في إيران 1438 حيث يتضح في مسقطها الأفقي الثنائية في التخطيط ،وكذلك الثنائية في توزيع العناصر وبخاصة التغطيات (أنظر الشكل رقم 18) ومن نماذج العمائر الدينية الإيرانية التي لعبت فيها الثنائية دوراً بارزاً في التخطيط مسجد شاة عباس في بأصفهان في القرن 15 م (أنظر الشكل رقم 19)[65] وإلي جانب الثنائية التي رأيناها في التخطيط الواحد في النماذج السابقة والتي تعبر عن اتخاذ المعماري من كتلة المحراب المحور الرئيسي الذي يماثل ويوازن من علي جانبيه كافة العناصر المتقابلة أو المتناظرة ،نجد نوعاً آخر من الثنائية في التخطيط ولكن في إطار معماري جديد ،وهي الثنائية التي تجمع بين مخططين منفصلين أو متجاورين ومتشابهين ولهما وظيفة واحدة ومن أمثلة هذا النوع مسجدي جامع المنصور في بغداد حيث أزيد في المسجد القديم مثله وذلك طبقاً لوصف ابن الخطيب البغدادي (أنظر الشكل رقم 20)[66] ومن أمثلتة أيضاً جامع الكتبية بمراكش 541 هـ حيث أضيف للمسجد القديم زيادة متشابهة علي المسجد الأول (أنظر الشكل رقم 21)[67] ووجد هذا النموذج في مصر في المدرسة الصالحية حيث شيدت هذه المدرسة من مدرستين متماثلتين من حيث التخطيط لكن منفصلتين[68] وتتميز هذه المنشأة بأن المعماري قد خططها منذ إنشائها علي هذا النحو أي أنة لم تكن هناك مدرسة سابقة عن الأخرى من حيث تاريخ البناء وقد ربط المعماري بين المدرستين بواجهة واحدة ومدخل واحد ومئذنة واحدة (أنظر الشكل رقم 22)[69] كذلك عرفت العمائر الدينية المملوكية نماذج متعددة لثنائية تجمع بين منشأتين لمنشئ واحد لكل منشأة وظيفة خاصة ومن أبرز هذه الأمثلة كتلتي المدرسة والضريح للسلطان المنصور قلاوون 683 هـ (أنظر الشكل رقم 22) وتقليداً علي ما صار علية المعماري في المدرسة الصالحية نجد أن المعماري المملوكي قد اقتبس تلك الفكرة في الربط بين منشأتين للسلطان قلاوون عن طريق الواجهة الواحدة والمدخل الواحد والمئذنة الواحدة (أنظر الشكل رقم 22) ومن أمثلة هذا النوع مدرسة قجماس الإسحاقي 885 هـ / 1480 م ومدرسة وقبة السلطان الغوري 903 هـ / 1504 م .

ومن خلال العرض السابق يتضح لنا أن المعماري قد طبق فكرة الثنائية بشكل صريح من الداخل وفي بعض النماذج نقرأ تلك الثنائية من الخارج ،من خلال مجموعة من التغطيات التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالتقسيم الأرضي للمسقط الأفقي .

الثنائية في عمارة المآذن :

كانت المآذن من أكثر الوحدات المعمارية التي تعبر عمارتها عن فكرة الثنائية في العمارة الإسلامية حيث وصلتنا العديد من المساجد التي كرر فيها المعماري وحدة المئذنة في المسجد الواحد ،وهذا التقليد علي الرغم من كونه له جذور قديمة في المساجد المبكرة مثل الصوامع الأربع في مسجد الرسول "ص" بعد زيادة الوليد[70] والصوامع الأربع في مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط في عهد مسلمة بن مخلد الأنصاري في عام 53 هـ[71] إلا أن بعض الباحثين ذهبوا إلي أبعد من ذلك حيث ربطوا تعدد المآذن في المسجد الواحد إلي تأثيرات معمارية قديمة فعلي سبيل المثال أراد بعض الباحثين أن يربط بين وجود المسلتين علي جانبي المعابد المصرية القديمة وبين

---

[65] - **Nader Ardalan and laieh Bakhtiar : the Senese Of unity , the sufitradition in Persian architectures , London 1979 , pp 54 -56 .**

[66] - **كريزول : الآثار الإسلامية المبكرة ترجمة – عبد الهادي عبلة – دمشق 1988 م ص 45 .**

[67] - **الكحلاوي : مساجد الموحدين الدينية في المغرب -رسالة دكتوراه غير منشورة -كلية الآثار – جامعة القاهرة – 1987 م – ص 45 .**

[68] - **أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها – الجزء الثاني - العصر الأيوبي 1969 م ص 45 .**

[69] - **الكحلاوي : أثر اتجاه القبلة وخط تنظيم الطريق علي مخططات العمائر الدينية بمدينة القاهرة – مقالة بمجلة كلية الآثار – جامعة القاهرة – ص 98 – 99 .**

[70]- **Sauvaget (Jean) la masquee omeyyade de Madine , 1947 , p 118**

[71] - **ابن دقماق (إبراهيم بن محمد) الإنتصار لواسطة عقد الأمصار – بيروت ص 62 .**

وجود المئذنتين في عمارة المسجد[72] أما في إيران فقد أصبح لمعظم المساجد منذ القرن التاسع الهجري مئذنتان تحفان بالمدخل وتختفي قاعدة كل منهما خلفه ،باستثناء المئذنتين علي جانبي المدخل الرئيسي لمسجد جوهر باشا في إيران فأنهما ظاهرتان من أجل أن تضفي علي المدخل ضخامة وارتفاعاً[73].وقد أرجع بعض الباحثين ظاهرة شيوع إنشاء مئذنتين في المساجد الإيرانية إلي تأثيرات.

قديمة حيث تأثر المعماريون الإيرانيون بالأعمدة التي كانت تقام لعبادة الشمس في العصور القديمة في النهضة الإيرانية[74] ونفس التعليل الذي قيل حول تعدد المئذنة في المساجد المصرية أو الإيرانية قد قيل عن تعدد فكرة المئذنة في المساجد الهندية حيث أرجع بعض الباحثين هذا الأسلوب إلي تأثيرات من الأبراج الهندية القديمة[75] وفي الواقع أن اختلاف الباحثين في تحديد أصل واحد لفكرة تعدد المآذن في المسجد الواحد لهو دليل علي ضعف تلك الآراء والدليل علي فكرة تعدد المآذن في المساجد ترجع إلي القرن الأول الهجري أي قبل أن تلعب تأثيرات الحضارات القديمة دورها المباشر في العمارة الإسلامية كما أن فكرة تعدد المآذن في المسجد الواحد ربما يكون الوازع علي إنشائها هو كبر مساحة المسجد ،وهذا الأمر من السهل أن نرصده علي المساجد التي تضم أكثر من مئذنة[76] ،هذا من جانب ومن جانب آخر بماذا يعلل أصحاب الآراء السابقة المآذن التي تنتهي قمتها برأسين أو بأربعة رؤوس ، هل لدينا مسلة برأسين أو هل لدينا أعمدة في المعابد الإيرانية القديمة برأسين أو لدينا أبراج في المعابد الهندية برأسين في الواقع لم يكن هناك أدنى شك في أن للعمارة الإسلامية أيدولوجيتها الخاصة بها مثلها في ذلك مثل فنون العمائر الأخرى من حقها الاقتباس وكذلك من حقها الابتكار ولذلك فأن فكرة تعدد المآذن في المسجد الواحد هي درب من دروب القيم الجمالية في العمارة الإسلامية هذا بالنسبة لبعض المساجد التي توجد بها أكثر من مئذنة وبخاصة في الأناضول وإيران والهند أما في مصر والشام فإن الوازع علي تعددها كان له صبغة وظيفية ترتبط بالآذان وانتشاره وكذلك مشاهدة المؤذن من جميع جهات المسجد ودليل علي ذلك أن بعض المساجد التي تعددت فيها المآذن لم تكن مآذنها متماثلة مع بعضها أو متناظرة وهذا ما سوف تكشف عنة تلك الدراسة عند استعراضنا لتعدد المآذن في مساجد العالم الإسلامي ،فمن الجدير بالذكر أن مصر كانت من أقدم الأقطار قاطبة التي عرفت فكرة تعدد المآذن في المسجد وذلك منذ زيادة مسلمة بن مخلد الأنصاري عام 53 هـ في مسجد عمرو بن العاص حيث أضاف أربع صوامع في أركان المسجد كما سبق وأن أوضحت لكن هذه الصوامع قد اندثرت الآن والمآذن الحالية تعود إلي عصر مراد باشا[77] وفي العصر الفاطمي

---

[72]- **Hoay (John) Islamic architectures New Yourk , 1975, p 66 .**

[73] **- تختلف المآذن الإيرانية عن سائر مآذن مساجد مصر والشام وشمال أفريقيا في أنها لا طبقات لها ،ولا نوافذ بالمئذنة الإيرانية وهي عبارة عن بناء شاهق مبني لذاته ،وكذلك لم تكن تستخدم المآذن الإيرانية في الآذان وذلك بسبب كثرة ارتفاعها وإنما كان يقف المؤذن هناك فوق سطح المسجد للآذان : زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية – ص 51 ، 52 .**

[74] **- زكي : الفنون - ص 52 .**

[75]-**Sharma , (Y.D.) Deilhi and Neighbourhood New Deilhi published by The director general archaeological Survey of India .1990 , p ,117 .**

[76] **- هذا باستثناء المساجد العباسية في سامراء والمتوكلية والقطائع حيث وازن المعماري بين ضخامة مساحة المسجد وبين ارتفاع المئذنة ولذلك أقامها المعماري خارج حدود المسجد حتى لا تشغل قاعدتها جزء من مساحة المسجد الداخلية .**

[77] **- يقال أن الأفضل شاهنشاه هو الذي بنى المئذنة الكبيرة والمئذنة السعدية سنة 515 هـ وقد حدد بن دقماق موضع هذه المئذنة الأخيرة فوق الباب الجامع ،وقد ذكر القلقشندي أنة كان للجامع خمس مآذن اثنتان منهما فوق الجدار القبلي وهما عرفة والكبيرة وثلاثة علي الواجهة البحرية وهي الجديدة والسعيدية والمستجدة وتقع المئذنة الجديدة فوق الطرف الشرقي للواجهة البحرية ، وأما المئذنة المستجدة فهي تقع في الركن الغربي من الواجهة البحرية .**
أنظر القلقشندي (أبي العباس أحمد علي) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء – طبعة - 12 جزء – 1977 م – جـ –المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، ص ص 442 – 443 .

ظهرت باكورة الطراز المصري في عمارة المسجد وبدأت مخططاتها تمتاز بالتنوع والابتكار وانعكس هذا بالطبع علي عناصرها المعمارية والزخرفية ،ويأتي جامع الحاكم بأمر الله نموذجاً رائعاً في إظهار ومراعاة الجوانب الجمالية في العمارة الإسلامية وذلك من خلال توزيع العناصر المعمارية وفق أسلوب فني يتسم بالثنائية المتماثلة والمتوازنة ويظهر ذلك بوضوح من خلال المئذنتين الواقعتين في الركنين الجنوبي والشمالي من الواجهة الرئيسية (أنظر الشكل رقم 44) وعلي هذا فإن عمارة مسجد الحاكم تسجل أقدم ثنائية في المآذن المصرية الباقية ،وقد اتزنت ثنائية مئذنتي جامع الحاكم من علي جانبي كتلة المدخل البارزة (أنظر الشكل رقم 24) وفي العصر المملوكي استمرت فكرة الثنائية في العمائر الدينية ولكن في إطار ضيق نجدها في مسجد الناصر محمد بن قلاوون بقلعة الجبل 735 هـ / 1335 م وهما يؤكدان علي أنة ليس من شرط الثنائية التماثل أو التناظم ،حيث أنهما غير متماثلتين ولا متناظرتين ولكن ينطبق عليهما الثنائية بمفهوم التكرار أو التناظر أنظر الشكل رقم (25) . وفي مسجد السلطان حسن بميدان القلعة وجدت الثنائية في المئذنتين الواقعتين علي جانبي كتلة القبة الضريحية ولكنهما غير متماثلتين ولكنهما متناظرتين أنظر الشكل رقم (26،27) وفي المملوكي الجركسي وجدت الثنائية في مئذنتي خانقاة الناصر فرج بن برقوق 803 هـ / 1400 م وهما متماثلتان ومتناظرتان أنظر اللوحة رقم (1) والشكل رقم (28) . واستمر هذا التقليد في ثنائية المئذنتين الواقعتين علي برجي باب زويلة والتابعتين لمسجد ومدرسة السلطان المؤيد شيخ 818هـ/14م وهما متماثلتين ومتناظرتين أنظر الشكل رقم 29 واللوحة رقم (2) واستمرت ثنائية المآذن في المساجد التركية في مصر ومن أمثلتها مئذنتي مسجد محمد علي باشا في القلعة 1265 هـ / 1848 م انظر الشكل رقم (30) ومن الجدير بالذكر أن المآذن المصرية قد انفردت بظاهرة المآذن ذات الرأسين أو المئذنة متعددة الرؤوس ، وهي ثنائية جديدة لم تعرفها مآذن العالم الإسلامي اللهم إلا مثالاً فريداً وجد في مدينة توزر التونسية حيث اشتهرت إحدى مآذن مساجدها بوجود رأسين ،وربما كان هذا من التأثيرات المصرية علي العمارة الإسلامية في تونس . أما عن أمثلتها في المآذن المصرية فنجدها في مئذنة قانيباي الرماح 9011 هـ / 1503 م انظر اللوحة رقم (4) وفي مئذنة السلطان الغوري بالأزهر 915 هـ/ 1509 انظر اللوحة رقم (15) أما عن المآذن المتعددة الرؤوس فمن أمثلتها في مصر مئذنة مدرسة السلطان الغوري 909 هـ / 1504م وربما ترجع فكرة ثنائية رؤوس المآذن أو تعددها في المساجد إلي فكرة تعدد المذاهب ، كذلك عرفت بلاد الشام فكرة تعدد المآذن ومن أشهر أمثلتها المآذن الثلاثة في الجامع الأموي بدمشق [78]انظر اللوحة رقم (6) أما في العراق فتأتي ثنائية المآذن من أهم ملامح العمارة الإسلامية هناك وربما كان هذا تأثيراً واضحاً من العمارة الدينية الإيرانية ومن أبرز أمثلتها في المآذن العراقية المآذن الأربعة بجامع موسى بن جعفر الصادق والتي وزعت بثنائية واضحة انظر اللوحة رقم (7) كذلك ظهرت ثنائية المآذن العراقية في عمارة المشاهد هناك ومن أبرز أمثلتها المئذنتان الواقعتان علي جانبي الواجهة الرئيسية لمشهد الإمام علي بن أبي طالب بالنجف[79] انظر اللوحة رقم (9،10) ومن أمثلتها أيضاً المئذنتين المتماثلتين في مشهد الإمام العباسي بمدينة كربلاء [80] انظر اللوحة رقم (11) وفي المساجد السلجوقية ظهرت الثنائية واضحة في عمارة المآذن بشكل أكثر وضوحاً مما يجعلها تدخل ضمن أهم مميزات عمارة المسجد هناك ويرجح بعض الباحثين أن فكرة ثنائية المآذن في المساجد والمدارس السلجوقية ترجع إلي تأثرها بالعمارة الإيرانية حيث ظهرت منذ عهد الإيلخانات والتيموريين والصفويين[81] وفي الحقيقة أن ثنائية المآذن السلجوقية واضحة الأمر الذي يجعلها

وانظر : محمود أحمد : جامع عمرو بن العاص – المطبعة الأميرية 1930 م ص 26 .

[78]- William Lyster:

The citadel of Cairo , A history and guide Cairo 1993 pp 29 –30 .

[79] - الريحاوي : العمارة العربية في سورية – دمشق 1985 م ص 34 .

[80] - شريف يوسف : تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور منشورات وزارة الإعلام – بغداد 1982 م ، ص 472-473

[81] - يوسف : العمارة ص 473 .

تدخل ضمن أهم مميزات العمارة الدينية هناك ومن الجدير بالذكر أن معظم أمثلتها هناك تقع علي جانبي المدخل الرئيسي ومن أبرز أمثلتها المئذنتان الواقعتان علي جانبي المدخل الرئيسي في مدرسة جفتة بالأناضول انظر اللوحة رقم (12) ، ومن أمثلتها أيضاً مئذنتي المدرسة الخاتونية في أرضروم انظر اللوحة رقم (13) ومئذنتي مدرسة كوك انظر اللوحة رقم (14) وجميع هذه المآذن تمتاز بأنها متماثلة ومتوازنة من علي جانبي محور المدخل الرئيسي البارز عن سمت الواجهة [82].
أما في إيران فتظهر ثنائية المئذنة هناك بشكل معمارياً يختلف عن مثيلتها في العراق والأناضول حيث امتازت المآذن هناك بأنها أكثر رشاقة وارتفاعاً وقد غطيت أبدانها ببلاط القيشاني وكثرت فيها الحطات المقرنصة واختفت من أبدانها الشرفات وانتهت قمتها بشرفة واحدة علاوة علي حطات مقرنصة وفي الحقيقة تعد المآذن الإيرانية من إبداع ما أنتج المعماري المسلم في إيران[83]
وقد وزعت المآذن الإيرانية بشكل ثنائي متماثل من علي جانبي إيوانات المداخل الرئيسية ومن أشهر أمثلتها المئذنتان المتماثلتان والواقعتان علي جانبي إيوان المدخل الرئيسي في مسجد الشاة بأصفهان 1025 هـ / 1616 م أنظر اللوحة رقم (15) ومن أمثلتها أيضاً المئذنتان المتماثلتان الواقعتان علي جانبي إيوان المدخل في مدرسة شهارباغ بأصفهان 1118هـ / 1706 م انظر اللوحة رقم (16) ومن أمثلتها أيضاً مسجد الجمعة بأصفهان القرن 7هـ / 13م[84]انظر اللوحة رقم (18) . ومن الجدير بالذكر أن مآذن إيران لم تندمج بمداخل العمائر الدينية فقط بل وجدت لها نماذج في العمائر التجارية ومنها الثنائية في المئذنتين المتماثلتين الواقعتين علي جانبي مدخل سوق مدينة يزد بإيران انظر اللوحة رقم (19) . ومن الجدير بالذكر أيضاً أن التأثيرات الإيرانية انتقلت إلي أقطار آسيا الوسطى حيث وجدت الثنائية في العناصر المعمارية في العمائر الدينية بشكل واضح ومن أمثلتها المئذنتان المتماثلتان الواقعتان علي جانبي إيوان المدخل الرئيسي في مجمع جوهر شاد في هرات أفغانستان[85] انظر اللوحة رقم (20) ومن أمثلتها أيضاً المئذنتان المتماثلتان والواقعتان علي جانبي المدخل الرئيسي في ألو جامع ببروسة انظر اللوحة رقم (21) ومن أمثلتها المئذنتان الواقعتان علي جانبي سقيفة المدخل في جامع هزار بمدينة سمر قند[86] اللوحة رقم (25) .
وفي تركيا لعبت الثنائية دوراً بارزاً في العمائر الدينية وتوضح أمثلتها الباقية هناك أن المعماري التركي قد تقبل هذه الفكرة وبلورها في عمائره الدينية والمدنية ، وليس أدل علي ذلك إلا كثرة النماذج التي تعبر بكل وضوح علي أن المعماري التركي قد اعتبرها سمة أساسية في عمائره ومن أبرز أمثلتها المئذنتان المتماثلتان والواقعتان علي جانبي الواجهة الرئيسية في جامع بايزيد الثاني في اسطنبول انظر اللوحة رقم (23) ومن أمثلتها أيضاً المئذنتان المتماثلتان في جامع السلمانية في اسطنبول انظر شكل رقم (32) وكذلك المئذنتان المتماثلتان الواقعتان علي جانبي الواجهة الرئيسية في جامع السلطان أحمد في أسطنبول انظر اللوحة رقم (24) ومن أمثلتها أيضاً المئذنتان المتماثلتان في جامع الشاة زادة 1583 م في أسطنبول والمئذنتان المتماثلتان في جامع مراد الثالث 1583في اسطنبول ومن أمثلتها أيضاً المئذنتان المتماثلتان في مسجد السلطان أحمد الأول 1609 م في أسطنبول [87] وكذلك المئذنتان المتماثلتان في مسجد نور عثمانلي 1748 م والمئذنتان المتماثلتان الواقعتان علي جانبي الواجهة الرئيسية في جامع دولما باشا 1853 في اسطنبول انظر اللوحة رقم (25) ، كما وجدت الثنائية في المئذنتين المتماثلتين الواقعتين علي جانبي الواجهة الرئيسية في جامع النصرتي 1826 م في اسطنبول اللوحة رقم اللوحة (26) وأخيراً وجدت

[82]- Brahim (A.) and Sadi (B.) : Vakiflor Dergisi , Ankara , 1984 ,p . 193 .
[83] - عكاشة : العمارة ص 121 .
[84] - الريحاوي: العمارة في الحضارات ص 533 - 540 .
[85] - عفيفي بهنسي : الفن الإسلامي – دمشق 1990 م للوحة (22) .
[86]- Sheila; op . cit , pp 26-27 .
[87]- Sozen (M.) The Evaluation of Turkish Art and architecture , Istanbul , 1992 .pp .154-171 .

الثنائية في المئذنتين الواقعتين علي جانبي الواجهة الرئيسية في جامع الخواجة أكثري القرن 13 م في اسطنبول انظر اللوحة رقم (27) .
أما في العمارة الهندية فقد ظهرت الثنائية بشكل واضح أيضاً بحيث أصبحت تمثل السمة الرئيسية للعمائر الإسلامية بشكل عام في الهند ومن أشهر أمثلتها هناك المئذنتان المتماثلتان الواقعتان علي جانبي واجهة إيوان القبلة في مسجد الجمعة انظر اللوحة رقم (28) ومن أمثلتها أيضاً المئذنتان اللتان علي جانبي مدخل ظلة القبلة في مسجد الجمعة في لاهور اللوحة رقم (29) كما وجدت في المئذنتين الواقعتين علي جانبي المدخل الرئيسي لجامع بور سكري اللوحة رقم (30) ومن أمثلتها أيضاً المآذن الأربع التي وزعت بشكل ثنائي علي واجهات مسجد الجمعة[88] في أجرا انظر اللوحة رقم(31) .
وفي الحقيقة يظهر التأثير السلجوقي واضحاً في فكرة ثنائية المآذن التي تكتنف المداخل الرئيسية، وأن كان هناك بعض الآراء التي ترجح أن هذه الظاهرة من تأثيرات المعابد الهندية القديمة [89]
أما في اليمن فقد ظهرت الثنائية أيضاً في المئذنتين المتماثلتين الواقعتين علي جانبي الواجهة الرئيسية وجامع الأشرفية بتعز [90] انظر اللوحة رقم (32) .
وبعد أن عرضنا نماذج الثنائية التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالمئذنة في شرق العالم الإسلامي نجد أن غرب العالم الإسلامي لم تظهر فيه ثنائية المآذن بينما ظهرت الثنائية هناك في عناصر معمارية أخري لا تقل في أهميتها عن عنصر المئذنة .

الثنائية في مخططات العمائر المدنية :

لم تقتصر فكرة الثنائية علي مخططات العمائر الدينية وعناصرها فقط بل وشملت فكرة الثنائية في العمائر الإسلامية كل أفرع العمارة الدينية والمدنية والخيرية والضريحية والدفاعية ،وهذا ما يهدف إلي الكشف عنة موضوع هذا البحث ، وعلي ذلك كان استعراضنا لمخططات العمائر المدنية في العمارة الإسلامية أمراً مطلوباً وذلك من أجل أن نستكمل تتبع فكرة الثنائية علي مخططاتها ، ومن الجدير بالذكر أن أكثر العمائر المدنية قد خططت من علي محور داخلي ممثل في كتلة الصحن ثم قام المعماري بتوزيع باقي وحدات المبني من علي جانبي الصحن وفق فكرة الثنائية بمفهوم التماثل أو بمفهوم الاتزان ،وهذا ما تؤكده نماذج القصور الأموية ، ولكن قبل أن أعرض لها بالتفصيل يلزم أن أنوه إلي أن فكرة الثنائية في عمائر القصور لم تكن وليدة العصر الأموي ، ولكن هناك أمثلة في عمائر الحضارات القديمة في إيران والعراق تؤكد أن التخطيط الثنائي في القصور قد عرف قبل العصر الإسلامي .ومن أمثلة ذلك قصر شيرين في إيران الذي يرجع للقرن 3 الميلادي [91] يتضح من المسقط الأفقي وشكل المنظور العام أن القصر قد راعي المعماري في تخطيطه فكرة الثنائية بالتماثل أو بالتكرار من علي جانبي كتلة الصحن انظر الأشكال أرقام 32 ، منظور عام للقصر ، و33 المسقط الأفقي .
أما في العصر الإسلامي فنجد مجموعة من القصور التي وصلتنا من الفترة المبكرة قد خططت من الداخل وفق نظام يتفق مع منظور التوازن والتكرار حيث يتضح في قصر المشتي ببادية الشام الثنائية بمفهوم التماثل من خلال التخطيط الداخلي الثلاثي حيث وازن المعمار بين المنطقة الوسطي والمنطقتان الواقعتان علي جانبية [92] انظر الشكل رقم (34) كذلك نجد الثنائية في القسم

---

[88] - انظر : Sharma , op . cit , 128.

[89]- Brown (B.): Indian Architecture in Islamic Period , Bombay D.B. P 121 .

[90] -عبد الفتاح عبد العليم البركاوي : تقارير أثرية من اليمن – المعهد الألماني للآثار بصنعاء 1982 جـ 1 ص 45 .

[91]- Pop (A.U.) : A survey of Persian art 6 Vols . London 1938 –9. Vol.1.

[92]- Hoag (J.) Western Islamic architecture , London .1963 p 20 .

الخاص بقاعة العرش حيث ماثل المعماري بين الوحدات السكنية الواقعة علي جانبي القاعة البازيلكية [93]-انظر الشكل رقم (34) .
وفي قصر الطوبة ظهرت الثنائية في تكرار التخطيط العام للقصر حيث يتألف القصر من مخططين متشابهين إلي حد التطابق [94]إنظر شكل رقم (35).
وتتضح معالم فكرة الثنائية أيضاً في المنظور الخاص بقصر الحير الشرقي شكل رقم (36) حيث يتضح تكرار التخطيط الداخلي على جانبي الصحن –أنظر الشكل رقم (36) .
أما القسم الداخلي للقصرين الشرقي والغربي فهما يوضحان أنهما خططا وفقاً لمنظور الثنائية المتماثلة راجع الأشكال رقم (37،38).
ويستمر وجود فكرة الثنائية في مخططات القصور الأموية من خلال الشكل رقم (39) والذي يضم نماذج لمجموعة من القصور يتضح في مسقطها الأفقي فكرة التماثل والتكرار والاتزان بين الوحدات الواقعة على جانبي الفناء المركزي ،أما في العصر العباسي فيؤكد تخطيط قصر الأخيضر على استمرار فكرة الثنائية في تخطيطه الخارجي والداخلي ،فعن ملامح الثنائية في عمارة قصر الأخيضر من الخارج نجدها في الدخلات المزدوجة التي تقع بين الأبراج الخارجية وقد صممت هذه الدخلات في ثنائيات ةاضحة من خلال منظور الثنائية المتكررة[95] - انظر الشكل رقم (40) .
وفي مصر ظهرت الثنائية في العمائر المدنية ومن أقدم نماذجها القصران اللذان كانا موقعهما بمدينة الفسطاط حيث أشار إلي ذلك المؤرخ ابن دقماق عند ذكره لخطط الفسطاط فقال عن موضع يعرف بين القصرين "ما بين دار عمرو الصغرى والموضع المقابل لحوفة الأصطبل- قيل لذلك بين القصرين أنه بنى في الدار الصغرى قصر علي تربيع الكعبة والقصر الآخر منهما قصر عمرو بن مروان بن الحكم "[96]كذلك عرفت مدينة القاهرة الفاطمية نفس المسمى حيث جمعت الثنائية بين موقعي القصر الشرقي الفاطمي الكبير ، والقصر الغربي الفاطمي الصغير وكان يفصل بينهما القصبة العظمى التي عرفت بعد ذلك بشارع بين القصرين [97] نسبه إليهما – انظر الشكل رقم (41) ، ومن الثنائيات في الدور المصرية تلك الثنائية التي تربط بين منزل آمنة بنت سالم ومنزل الحاج محمد سالم بن جلكم الجزار ، وهما متصلين ببعضهما عبر قنطرة[98] .
وفي تركيا وجدت الثنائية في تخطيط بعض القصور والحمامات ، ومن أمثلتها حمام القصر باسطنبول شكل (42) حيث يتضح في القطاع المنظوري والمسقط الأفقي للحمام المذكور الثنائية من منظور التماثل والتكرار وأيضاً الاتزان بين الوحدات المعمارية التي تكون منها الحمام ، كذلك ظهرت الثنائية في أشكال التغطيات التي ارتبطت بالتقسيم الأرضي لمخطط الحمام – انظر الشكل رقم (42) . كما ظهرت الثنائية في خان أسعد باشا في دمشق وذلك في القبتين اللتين تغطيان القاعتين الجانبيتين[99] - شكل 42 مكرر .

الثنائية في العمارة الضريحية :

تؤكد مخططات العمائر الضريحية وعناصرها علي وجود فكرة الثنائية به بشكل واضح بل يمكن أن نعتبره سمة رئيسية في بعض العمائر الضريحية في بعض أقاليم العالم الإسلامي[100]

---

[93]- Hoag ; op,cit , p .20 .

[94]- Corlier (P.) : Recherches Archeologiques Au Chateau De Qastal (Jordanic Annual of The Department of ammon 1984 N,XXVIII_pp382,283 .

[95]- Hoag ; op,cit , p ,22-23.

[96] - ابن دقماق : الانتصار جـ 4 ، ص 8 .

[97] - المقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمد) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار – دار صادر بيروت – جـ2 ص 375 .

[98] -عبد الرحمن زكي : موسوعة مدينة القاهرة – القاهرة 1969 – ص 45 .

[99] - الريحاوي : العمارة في الحضارة ص 503 .

[100] - Blair : op . cit , pp 274 – 276

ومن الجدير بالذكر أن الثنائية في العمارة الضريحية قد وجدت علي أنماط معمارية مختلفة وقد وجدت من خلال منظور وتماثل أو متكرر أو متزن ، وهذا ما سوف تكشف عنة تلك الدراسة .
ففي مصر ظهرت الثنائية واضحة في قبتي عاتكة والجعفري 514 هـ / 1120 م منذ العصر الفاطمي [101] انظر اللوحة رقم (33) ، ثم بدأ هذا النمط يتطور في العمائر الضريحية بمصر وبخاصة في العصر المملوكي ومن أبرز أمثلتها القبتان المتجاورتان في خانقاة سلار وسنجر الجاولي [102] 703 هـ / 1303 م – انظر اللوحة رقم (34) . ومن الجدير بالذكر أن هاتين القبتين غير متماثلتين انظر الشكل رقم (43) ، وفي مدرسة الأمير صرغتمش بشارع الصليبة 756 هـ / 1356 م توجد قبتان إحداهما خصصت للدفن والأخري خصصت في تغطية إيوان القبلة والقبتان غبر منظمتان وكذلك غير متماثلتان ، ولكن الصلة الوحيدة بينهما هو ثنائية وجودهما متجاورتان في منشأة واحدة بدون وظيفة واحدة – انظر الشكل رقم (44). وتضم مدرسة أم السلطان شعبان 771 هـ / 1370 م قبتان متجاورتان في منشأة واحدة ولكنهما غير متماثلتان [103] تذكرنا بقبتي سلار وسنجر ، انظر الشكل رقم (43 ، 45) ، ومن الجدير بالذكر أن القبتين المتجاورتين في مدرسة أم السلطان شعبان قد خصصتا للدفن انظر الشكل رقم (45).
ومن أهم ملامح الثنائية أيضاً في العصر المملوكي البحري نجدها في القبتين المتماثلتين الواقعتين علي جانبي الإيوان الرئيسي في التربة السلطانية[104]القرن 8هـ / 14 م انظر اللوحة رقم (36) ومن أمثلتها أيضاً القبتان اللتان تكتنفا إيوان القبلة في منشأة المنوفي وكذلك في القبتين اللتين تمتنفا إيوان القبلة في خانقاة أم أنوك[105] ، وقد استمر هذا التقليد الذي يعبر بكل وضوح عن رسوخ فكرة الثنائية في العمارة الضريحية في مصر من خلال بعض العمائر الدينية المملوكية الجركسية ومن أبرز أمثلتها :
القبتان المتماثلتان والمتناظرتان في خانقاة الناصر فرج بن برقوق بصحراء المماليك[106]وقد وزعت القبتان علي جانبي إيوان القبلة من خلال منظور ثنائي يتسم بالاتزان من علي جانبي محور قبة المحراب انظر الشكل رقم (46) واللوحة رقم (36) ، وقد اقتبس معماري مدرسة المؤيد شيخ فكرة وجود تربتان علي جانبي إيوان القبلة من خانقاة الناصر فرج بصحراء المماليك[107]
أما عن نماذج القباب الضريحية المزدوجة في مبني واحد في العالم الإسلامي فنجدها في أقاليم متعددة منها الأضرحة المزدوجة بمنطقة الأناضول ومن أمثلتها هناك قبتان في تربة أرخان بك[108]شكل (47) والتي تشتمل علي قبتين غير متماثلتين ولكنهما متجاورتين وغير ملتصقتين ويضمهم مبني واحد وهي تشبة إلي حد كبير قبتي عاتكة والجعفرري –انظر اللوحة رقم (33) والشكل رقم (47) ، وفي بخارى بجامعي كيلان لوحة (37) وعبد الله ازاز لوحة رقم (37) مكرر .
ومن أمثلة ثنائية القباب الضريحية في الأناضول أيضاً نجدها في قبتي قبة خليل باشا انظر الشكل رقم (48) ، وكذلك في قبتي تربة سمبل أفندي شكل رقم (49) وتلك النماذج تؤكد علي توافر العمارة الضريحية بالأناضول علي وجدود فكرة الثنائية فيها[109].

---

[101] - فكري : مساجد القاهرة – العصر الفاطمي ص 1 .
[102] -سعاد ماهر محمد : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية 1977 جـ 3 ص 143 .
[103] -ميرفت عيسي : مدرسة أم السلطان شعبان – رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الآثار – جامعة القاهرة 1977 ص 68.
[104]- Blair : op . cit , pp 99.
[105] - حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ص 187 .
[106] - صالح مصطفي لمعي : التراث المعماري الإسلامي في مصر – بيروت 1975 – ص 101 .
[107] - الكحلاوي :أثر اتجاه القبلة ص 101 .
[108]- Ibrahim : op ., cit . p 116 .
[109]- Ibid . p 116 .

أما في الأضرحة الهندية فهي تعد مدرسة حافلة بنماذجها الفريدة التي يتضح فيها الثنائية بشكل صريح وواضح بل يمكن أن نؤكد أن فكرة الثنائية هناك هي التي يقوم عليها أصل التخطيط لجميع المباني الضريحية دون استثناء حيث قامت تلك المباني علي ثنائية سواء في التخطيط أو في العناصر المعمارية المكونة للضريح[110] قامت علي فكرة واحدة وهي الثنائية تقوم علي الاتزان من خلال محور القبة المركزية انظر اللوحة رقم (39) .

وفي ضريح السلطان جاهير بدلهي تتضح ملامح الثنائية في التخطيط (المسقط الأفقي)، وكذلك في العناصر المعمارية وبخاصة الأبراج التي وزعت وفق ثنائية تقوم علي الاتزان من محور المدخل البارز في الواجهة الرئيسية وأيضاً علي محور بروز كتلة المحراب علي الواجهة الشمالية انظر الشكل رقم (51) . وضريح السلطان همايون اللوحة رقم (40) تتضح ملامح الثنائية في التخطيط الأرضي والعناصر المعمارية التي وزعت بثنائية تقوم علي الاتزان من محور إيوان المدخل ومن أمثلتها أيضاً اعتماد الدولة في أجرا انظر اللوحة رقم (41) . وكذلك ضريح السلطان أكبر في سكندرا [111] انظر اللوحة رقم (42). والشكل رقم (52) وفي إيران ظهرت الثنائية في مخططات الأضرحة ومن أبرز أمثلتها ضريح خواجا رابي بمدينة مشهد[112] القرن 17 م انظر الشكل رقم (50) وفي العراق ظهرت ثنائية القباب الضريحية في مشهد الكاظميين الأمامين موسى بن جعفر وحفيدة أبو جعفر محمد بن علي الجواد [113] انظر اللوحة رقم (38) .

ثنائية العناصر المعمارية :

قسم المعماري المسلم واجهات عمائره إلي دخلات تجاويف رأسية راعى في توزيعها أسلوباً فنياً قائماً علي ثنائية واضحة مستخدماً فيها المفاهيم الفنية للثنائية القائمةة علي التماثل أو الثنائية القائمة علي التكرار أو الثنائية القائمة علي الاتزان .

فعلي سبيل المثال نجد في تقسيمات الواجهات الخارجية لقصر الأهخيضر تقسيماً ثنائياً قائماً علي التكرار حيث كرر المعماري عنصر الدخلتان المتجاورتان علي امتداد واجهات القصر من الخارج ، وكان يفصل بين كل دخلتين ببروز البرج المدعم للأسوار انظر الشكل (40) . أما في مصر وفي المساجد الفاطمية أوجد المعماري الفاطمي علي واجهات مساجده ثنائية قائمة علي الاتزان والتماثل في نفس الوقت ويتضح ذلك جلياً في واجهة جامع الأقمر 519هـ من خلال الدخلتين المتماثلتين والواقعتين علي جانبي المدخل الرئيسي انظر اللوحة رقم (43) أما في واجهة جامع الصالح طلائع الفاطمي 555 هـ فنجد ثنائية قائمة علي الاتزان في بائكة السقيفة الخارجية والتي تتكون من بائكة خماسية ميز المعماري الوسطي بأن جعلها أكثر اتساعاً ثم ماثل من علي جانبيها بفتح بائكة ثنائية علي كل جانب انظر اللوحة رقم (44) . أما في العصر الأيوبي فقد حافظ المعماري علي ظاهرة تقسيم واجهات عمائره الدينية ومن أبرز أمثلتها المدرسة الصالحية وواجهة ضريح الإمام الشافعي .

كما ظهرت ثنائية الدخلات الرئيسية في واجهات في العمائر الدينية المملوكيةومنأمثلتها واجهة مجموعة السلطان قلاوون 683 هـ / 1284 م حيث نظم المعماري التجويفات الرأسية في ثنائيات متكررة علي امتداد الواجهة انظر الشكل رقم (53) ، أما في عمارة المنزل بمنطقة نجد بالمملكة العربية السعودية نجد هناك ثنائية علي بعض واجهات الدور النجدية تتمثل في واجهتي المجلسين الواقعين علي جانبي الواجهة الرئيسية[114] –انظر الشكل رقم (54) .

ثانياً : الثنائية في التغطيات

---

[110]- Brawn : op ., cit . p , 119 .

وانظر كذلك

Shorma : op ., cit . p64.

[111] - الريحاوي : العمارة في الحضارة الإسلامية ص 577- 581 .

[112]- Karimi (A.): The Timurid Architecture of Iran and Turan , 1989 , p 101 .

[113] - شريف يوسف : تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور . منشورات وزرة الثقافة والإعلام – العراق 1982 ص 462 .

[114] - الحواس : منازل حائل – ص 48 .

ومن أهم ثنائيات العناصر المعمارية ثنائية التغطيات حيث أوجدها المعماري وقام بتوزيعها في عمائره وفق أسلوب فني قائم علي ثنائية متماثلة ومتوازنة ومن أمثلتها القبتان الواقعتان علي البلاطة الوسطى بجامع القيروان وهي قبة المحراب ، وقبة الصحن [115] انظر اللوحة رقم (44) والشكل رقم (55) . ومن أمثلتها قبتي المحراب والصحن بجامع الزيتونة [116] .

أما في العمائر السلجوقية فقد لعبت التغطيات المقببة دوراً بارزاً في عمائرها ، وقد وزعت تلك القباب وفق أسلوب فني قائم علي ثنائية واضحة نفذت بأساليب مختلفة منها وجود قبتان متجاورتان متماثلتان علي البلاطة الوسطى في جامع ديلاس باي انظر اللوحة رقم (46)، ومن أمثلتها أيضاً القبتان المتجاورتان المتماثلتان علي البلاطة الوسطى في جامع عيسى بك[117] انظر شكل رقم (56) . كذلك وجدت الثنائية في القباب من خلال منظور فني قائم علي الاتزان من خلال محور رئيسي ومن أمثلتها القبتان المتماثلتان الواقعتان علي جانبي سقيفة المدخل في جامع عمر باي في بورسة ،انظر شكل رقم (57) . ومن أمثلتها أيضاً القبتان المتماثلتان الواقعتان علي جانبي القبة الرئيسية في جامع خاتون في طوقات شكل رقم(58) . ومن أمثلتها أيضاً وجامع أورخان في اسطنبول شكل رقم (59)[118]ومن أمثلتها أيضاً القبتان المتماثلتان الواقعتان علي جانبي كتلتي المسجد والمدخل الرئيسي في مدرسة ألوغ بك في سمرقند[119]شكل رقم (60). ومن أمثلتها أيضاً القبتان المتماثلتان الواقعتان علي جانبي إيوان القبلة والإيوان المقابل له في مدرسة قرة طاي انظر شكل رقم (61)[120] ، من أمثلتها أيضاً القبتان المتماثلتان الواقعتان علي جانبي إيوان القبلة في مدرسة أنجة منار في قونية انظر شكل رقم (62)[121] ومن أمثلتها أيضاً القبتان المتماثلتان الواقعتان علي جانبي القبلة في مدرسة صرجالي في قونية شكل رقم (63)[122]، من أمثلتها أيضاً القبتان المتماثلتان الواقعتان علي جانبي إيوان القبلة في مدرسة أرتكوش في ولاية فيون شكل رقم (64)[123]، ومن أمثلتها أيضاً القبتان المتماثلتان الواقعتان علي جانبي إيوان القبلة في مدرسة قاو في قونية شكل (65)[124] من أمثلتها أيضاً القبتان المتماثلتان الواقعتان علي جانبي إيوان القبلة في مدرسة يوسف بن يعقوب قي الأناضول شكل (66)[125].

كذلك ظهرت ثنائية القباب في مساجد ومدارس الأضرحة الهندية ومن أهم أمثلتها القبتان المتماثلتان الواقعتان علي جانبي القبةالمركزية في مسجد موذكي [126] في الهند شكل (67) . ومن أمثلتها أيضاً القبتان الواقعتان علي جانبي القبة الوسطى في جامع اللؤلؤة [127] انظر اللوحة رقم (47) ، والشكل رقم (68) ، كذلك ظهرت ثنائية القباب بين قبتين متجاورتين وزعها المعماري بشكل متوازن من علي جانبي القبة الوسطي في جامع جمعة خان بدلهي[128] انظر الشكل رقم (69) .

---

[115] - فكري : المسجد الجامع بالقيروان ص 83 .

[116] - السيد عبد العزيز سالم : مساجد ومعاهد – مجلة الشعب عدد 78 ص 165 .

[117]- Blair : op . cit , p. 172.

[118] - طلال : مدارس قونية ص 224 .

[119] - الريحاوي : العمارة في الحضارة الإسلامية ص 535 .

[120] - أصلان آبا : فنون الترك ص 81.

[121] - أصلان آبا : فنون الترك ص ص 105 –106.

[122]- Kuran (A.): Anadolu Medresrlri Ankara , 1969 . p 73 .

[123]- Kuran : op. Cit , p 81 .

[124]- Ibid , p 94 .

[125]- Ibid , p 95.

[126]- Shorma , op. Cit . p 61 .

[127] - الحليبة : مساجد دلهي ص 175 .

[128] - الحليبة : مساجد دلهي ص 88 .

ثالثاً : الثنائية في الأفنية

ومن ملامح الثنائية في العناصر المعمارية الإسلامية فكرة تعدد الأفنية وفق ثنائية قائمة علي الاتزان ومن أمثلتها الفناءان الواقعان علي جانبي ظلة القبلة في جامع المهدية في تونس[129] شكل رقم (70) ومن أمثلتها أيضاً الفناءان المتماثلان الواقعان علي جانبي ظلة القبلة في جامع حسان بالرباط[130] شكل رقم (71) . ومن أمثلتها في العصر السلجوقي نجدها في الفنائين الواقعين في منشأة مدرسة شفتا منار في مدينة قيصرية شكل رقم (72) ،وفي إيران ظعرت ثنائية الأفنية في جامع الشاه وذلك في الفنائين الواقعين علي جانبي كتلة المسجد[131] انظر الشكل رقم (19) ومن الجدير بالذكر أن فكرة ثنائية الأفنية قد تطورت وأصبحت تصل إلي خمسة أفنية في المسجد الواحد ووزعت وفق أسلوب فني متماثل ومتوازن من خلال صحن أوسط يكتنفه من الجانبين صحنين في كل جانب[132]انظر اللوحة رقم (48) لمسجد القصبة بمراكش ،ومن أمثلة المساجد التي تعددت صحونها من خلال ثنائية واضحة في توزيعها مسجد كيركي في الهند حيث يحتوي المسجد علي أربعة صحون وزعت بأسلوب فني متماثل[133] . ومتوازن انظر الشكل رقم (74) ومن أمثلتها أيضاً الصحون الأربعة في مسجد كيلان بالهند [134] شكل (73) .

رابعاً : الثنائية في النوافذ التوأمية

ومن أهم ملامح الثنائية في العمارة الإسلامية تلك الثنائية التي تجمع بين نافذتين متجاورتين ومتماثلتين وقد عرف هذا النوع من النوافذ باسم التوءمية وأقدم أمثلتها وجدت في عمائر الغرب الإسلامي [135]،ومن اقدم أمثلتها النوافذ التوءمية في جامع القرويين بفاس 242ه.[136] انظر اللوحة رقم (49-50)ومن أمثلتها أيضاً النوافذ التوءميه في جامع الزيتونة 242هـ.وكذلك النوافذ التوءمية في جامع سوسة 256هـ. أما المشرق فقد ظهرت بكثرة على واجهات العمائر الدينية وقد اعتبرها الآثاريين أحد مظاهر التأثيرات الغربية على العمارة المشرقية ومن أمثلتها في مصر النوافذ التوءمية في واجهه مدرسة السلطان قلاوون 683هـ.انظر الشكل رقم (51)ومن أمثلتها النوافذ التوءمية في جامع الأمير شيخو 756هـ.وكذلك في النوافذ التوءمية في واجهه جامع اولجاى اليوسفي 774هـ.وأيضاً في واجهه مسجد أم السلطان شعبان ،وكذلك في النوافذ التوءمية في واجهه مسجد الماس الحاجب انظر شكل رقم (75) ومن أشهر أمثلتها في مصر أيضاً النوافذ التوءمية في مئذنة أحمد بن طولون من عصر السلطان لاجين وكذلك النوافذ التوءمية في مئذنة سلار وسنجر الجولي 703 هـ ومن أمثلتها في العصر المملوكي والجركسي نجده في النوافذ التوءمية في جامع أيتمش البجاسي 785 هـ والنوافذ التوءمية في مدرسة القاضي يحيي زين الدين بشارع بورسعيد 848 هـ وكذلك في النوافذ التوءمية في قبة قاني باي الرماح وأخيراً في النوافذ التوءمية في واجهات خانقاة وسبيل السلطان الغوري 909 هـ .

خامساً : الثنائية في فتحتي المنبر والمحراب

تعددت أوجه ثنائية العناصر المعمارية في العمارة الإسلامية بشكل واضح ينم علي حسن تصرف المعماري ويؤكد علي مدى نجاحه في توظيفه للعناصر المعمارية وفقاً لاحتياج الوظيفة ومن أمثلة ذلك تلك الثنائية التي وجدت في المساجد النجدية حيث أوجد المعماري وسط حائط القبلة دخلة عميقة ومتسعة تشرف علي ظلة القبلة من خلال عقدين ترتكز أرجلهما علي عمود أوسط دائري الشكل ، بحيث استغل المعماري فتحة العقد اليسرى محراباً بينما استغل فتحة العقد

---

[129]- Alexandre , (L) Mahdiya , Recherches D'Archeologie Islamique ,Paris ,1965.p 88.

[130] -الكحلاوي : عمائر الموحدين ص 258 .

[131]- Ardalan: op.cit, p98 .

[132] -الكحلاوي : عمائر الموحدين ص 191 .

[133]- Brown , op , cit , p 24 .

[134]- Fonshause (H.)Deilhi PAST and present New Delhi , London 1991 , p 65 .

[135]- Shafi'I(F) : West Islamic influences on architecture in Egypt before the Turkish period . 1955.p33.

[136]- Terrasse (H) : L'Grande Mosquee de Karawien,p19.

اليمنى منبراً بعد أن رفع قاعدتها[137] أنظر اللوحة أرقام (52،53) .وربما يكون هذا التصميم هو الذي أثر في وجود حجرتين متماثلتين علي جانبي كتلة المحراب ومن أمثلة ذلك ما نجده في مساجد ومدارس المغرب والأندلس انظر نموذج من هذا التصميم في الحجرتين اللتين علي جانبي محراب مسجد المدرسة البوعنانية بفاس [138] 757 هـ اللوحة رقم (54) .

سادساً : الثنائية في الأعمدة الحاملة لطاقية المحراب :

ومن ملامح الثنائية في العمارة الإسلامية تلك الثنائية التي أوجدها المعماري المسلم في الأعمدة أو مجموعة الأعمدة الحاملة لطاقية المحراب حيث اعتاد المعماري في أن يماثل ويوازن بين الأعمدة الحاملة لأرجل طاقية المحراب في جميع عمائره الدينية إذ نجده في نماذج يكتفي برفع طاقية المحراب علي عمودين بواقع عمود في كل جانب ومن أمثلة ذلك محراب المدرسة الطيبرسية الملحقة بجامع الأزهر 709 هـ / 1309 م وكذلك في محراب المدرسة الأقبغاوية الملحقة هي الأخري بالجامع الأزهر . أما في المغرب من أمثلتها محراب جامع القيروان ، وفي الأناضول نجده في محراب مسجد بروسة ،وفي بعض نماذج المحاريب يضاعف المعماري من عدد الأعمدة الحاملة لطاقية المحراب فيجعلها عمودين علي كل جانب ومن أمثاتها محراب جامع ابن طولون ومحراب جامع قرطبة ومحراب جامع آق سنقر ومحراب جامع مدرسة السلطان حسن بن قلاون 757 هـ وفي بعض النماذج ضاعف المعماري من أعداد الأعمدة الحاملة لطاقية المحراب لتصل إلي ثلاثة في كل جانب ومن أمثلتها محراب المسجد الأقصى، ومحراب قبة السلطان قلاون، وأخيراً محراب مسجد النور سي في تركيا أنظر اللوحة رقم(55).

الثنائية في الروافع (الدعائم والأعمدة) :

ومن ملامح الثنائية في العناصر المعمارية تلك الثنائية التي تجمع بين عمودين علي قاعدة واحدة وتاج واحد ومن أمثلتها الدعامة المزدوجة في جامع بيجامبوري بالهند انظر اللوحة رقم (56). كذلك وجدت ثنائية بين عمودين لكل منهما تاج وقاعدة منفصلة ولكن متجاورين من أجلل رفع أرجل العقود ومن أقدم أمثلتها ما نجده في جامع القيروان بتونس، وأيضاً في جامع الأزهر بالقاهرة.

الثنائية في أبراج المداخل والزوايا:

ومن ملامح الثنائية في العمارة الإسلامية وبخاصة في منطقة آسيا الوسطى والهند تلك الثنائية التي نجدها في الأبراج التي تكتنف زوايا المداخل أو النواصي في مساجد ومدارس إيران وسمرقند والهند. ومن أبرز أمثلتها في العمائر الدينية بالهند الثنائية في البرجين المدمجين في زاويتين المدخل وزاويتي بروز المحراب في جامع بيجامبوري بالهند أنظر اللوحة انظر اللوحة رقم (57)[139] ومن أمثلتها أيضاً البرجين المدمجين في زاويتي كتلة المدخل في جامع كيلان بالهند شكل رقم (71)[140]. وفي سمرقند نجدها في البرجين المتناظرين في مدرسة رجيستان في سمرقند انظر اللوحة رقم (58) [141] ومن أمثلتها أيضاً البرجان المتماثلان والمتناظران في مدرسة شير دار بسمرقند انظر اللوحة رقم (59) . ومن أمثلتها البرجان المدمجان في بوابة مسجد يزد[142] في إيران انظر اللوحة رقم (59) مكرر .

الثنائية في اتساع البلاطتين الجانبتين:

تنفرد بعض بلاد المغرب والأندلس ببعض المساجد التي خططت من بلاطات تسير عقودها عمودية علي جدار المحراب، إلي جانب ما ميز به المعماري البلاطتين الواقعتين في الضلعين

---

[137] - سعود الشويش : مساجد نجد الأثرية رسالة ماجستير غير منشورة – قسم الآثار والمتاحف – كلية الآداب – جامعة الملك سعود 1995 م – ص 68 .

[138] - الكحلاوي : المدارس المغربية بحث منشور في مجلة العصور عدد يناير 1991 م – ص 123 .

[139]- Brawn . op . cit , p 128 .

[140]- Ibid. p 111.

[141]- Sheila op . cit . p 45 .

[142]- Ibid. p 14 .

الشرقي والغربي بأن جعلهما أكثر اتساعاً علي غرار البلاطة الوسطى، والملامح الفنية في تلك الثنائية جاءت من خلال تماثل البلاطتين وفقاً للاتزان الذي توفره البلاطة الوسطى، ومن أمثلتها البلاطتان الواقعتان في الجانبين الشرقي والغربي بجامع تينملل 540 هـ انظر الشكل رقم (76). ومن أمثلتها أيضاً البلاطتان الواقعتان في الجانبين الشرقي والغربي في جامع بأشبيليه[143] 591 هـ انظر الشكل رقم (77) .

الثنائية في العمائر الخيرية :

لعبت العمائر الخيرية وبخاصة المائية منها دوراً أساسياً من بين العمائر الإسلامية لما لها من أهمية مرتبطة بشكل مباشر بالطهارة وسقاية الماء ... إلخ .

ولهذا اهتم المعماري المسلم اهتماماً خاصاً بها وأفرد له كل العناصر المعمارية والفنية التي تبرزها ولهذا طبق المعماري فكرة الثنائية في عمارتها. ومن أهم أمثلتها، السقايتان المتماثلتان والمتقابلتان في جامع القرويين بمدينة فاس وإن كان هذا التصميم يعد اقتباساً من سقايات قصر الحمراء[144]، إلا أن وجودها في صحن جامع القرويين يمثل تطوراً جديداً في عمارة السقايات المغربية[145] انظر اللوحة رقم(60)والشكل رقم (78). وقد تكرر وجود سقايتان في منشأة واحدة في مسجد الأندلسيين بفاس، ولكن بصورة تختلف عن مثيلاتها في جامع القرويين حيث قام المعمار في العصر السعدي ببناء سقايتين علي جانبي المدخل الكبير انظر اللوحة رقم(61) والشكل (79) وكلا السقايتان قد أعدت لسقاية الماء والوضوء ولم تقتصر الثنائية علي السقايات المغربية فقط بل عرفت الأسبلة المشرقية ثنائية مماثلة لها حيث وجدت أبنية تضم سبيلين في منشأة واحدة ومن أبرز أمثلتها في العصر المملوكي الجركسي السبيلان الواقعان علي جانبي واجهة خانقاة الناصر فرج بن برقوق بصحراء المماليك 811 هـ / 1411م وقد قام المعماري المملوكي بمراعاة التماثل والتوازن بين عمارة السبيلين انظر اللوحة رقم(36) الشكل رقم (13). واستمر هذا التقليد في تركيا حيث بني سبيل السلطان أحمد باسطانبول من سبيلين علي جانبي كل منهما حوضان وقد جاء توزيع الأحواض وفقاً لأسلوب فني متوازن من محور شبابيك السبيل[146]انظر اللوحة رقم (62) .

[143] - الكحلاوي : عمائر الموحدين ص 113 ، 148.

[144]- Fidalgo (M) Real Alcazar of Ceville Madrid , 1995 , p 33.

[145] - الكحلاوي : السقايات المغربية بمدينتي فاس ومراكش –مقالة منشورة بمجلة كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي العدد الرابع 1995م ص 339 ،340.

[146]- Blair : op . cit . 230 .

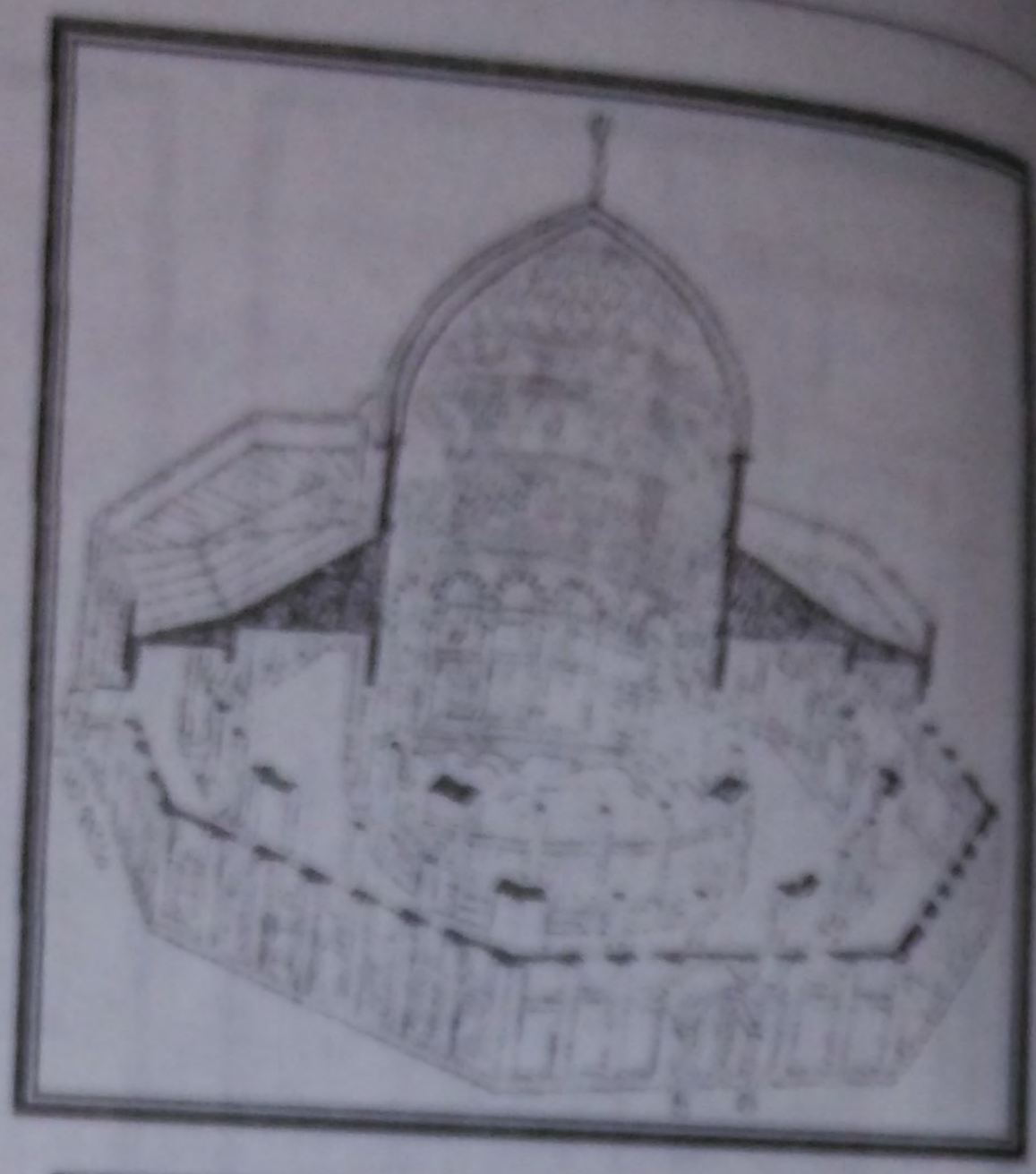

شكل رقم (١)
قبة الصخرة
وتتضح الثنائية فى تكرار
التخطيط وتماثله من منتصف
قطاع القبة
عن Andro

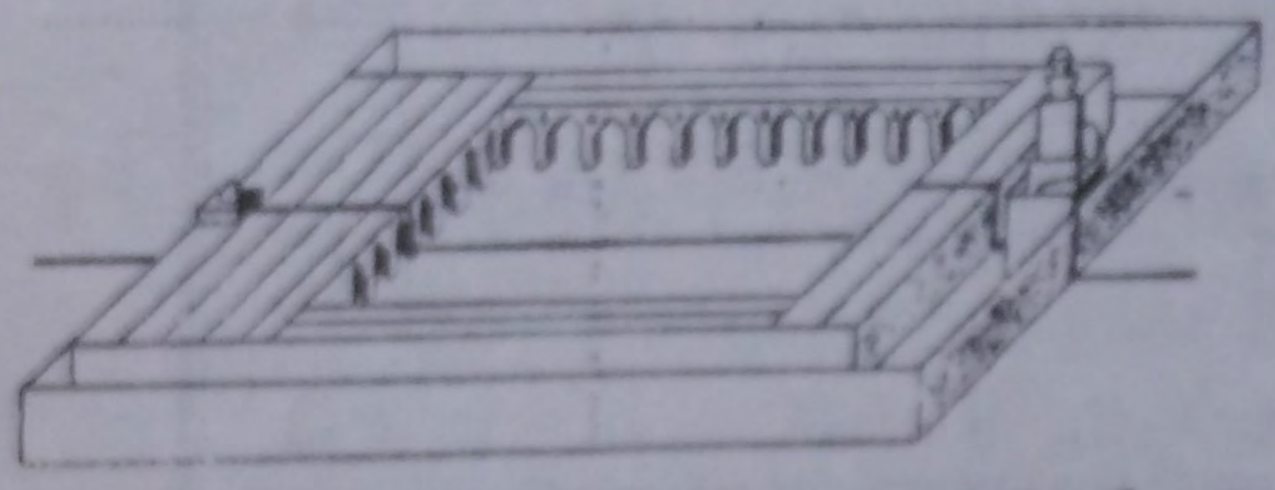

شكل رقم (٢)
جامع أحمد بن طولون
وتتضح الثنائية فى تكرار التخطيط وتماثله
على جانبى الخط الوهمى

عن الباحث

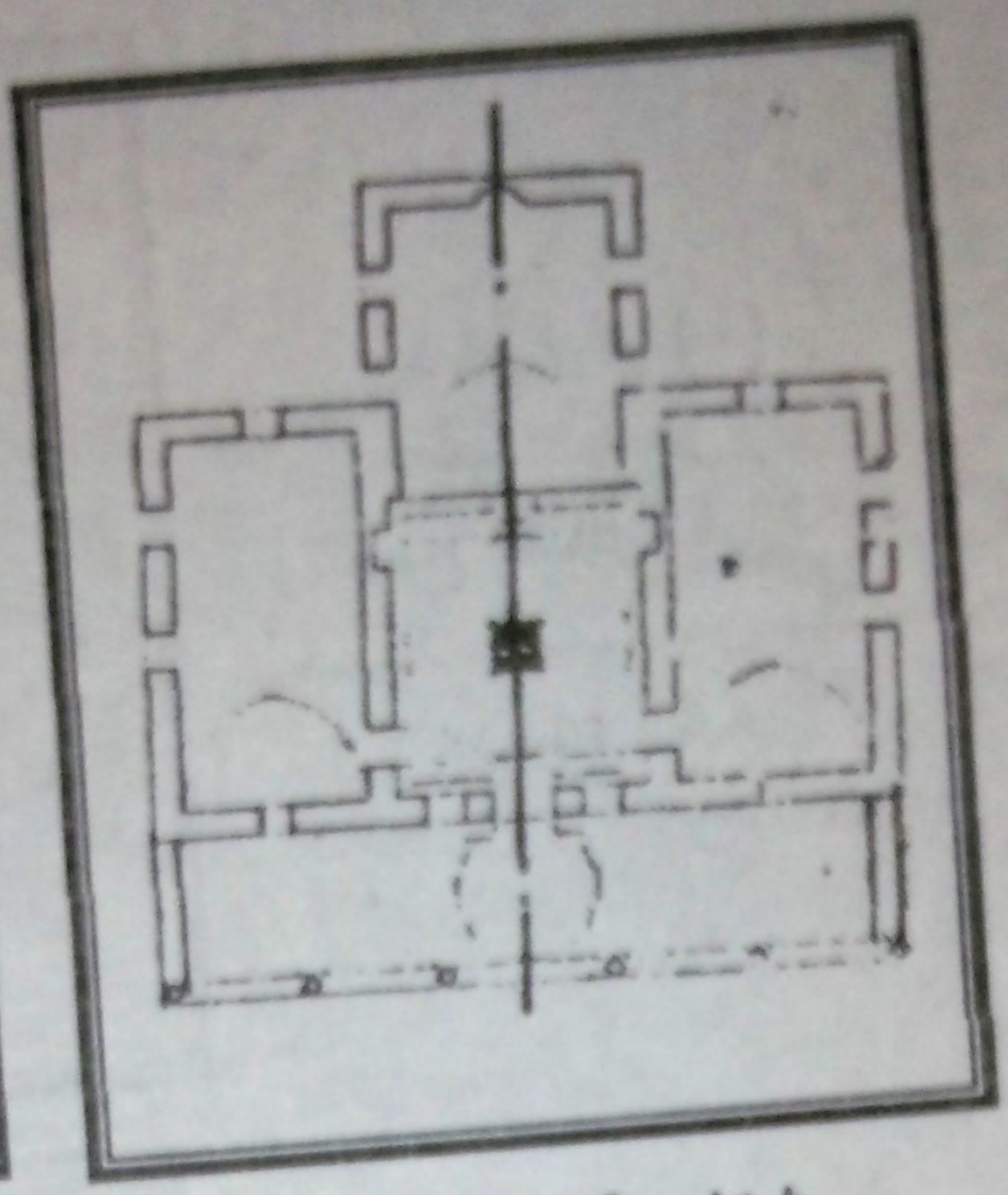

شكل رقم (٣)
جامع يلدرم فى مدينة بورسة

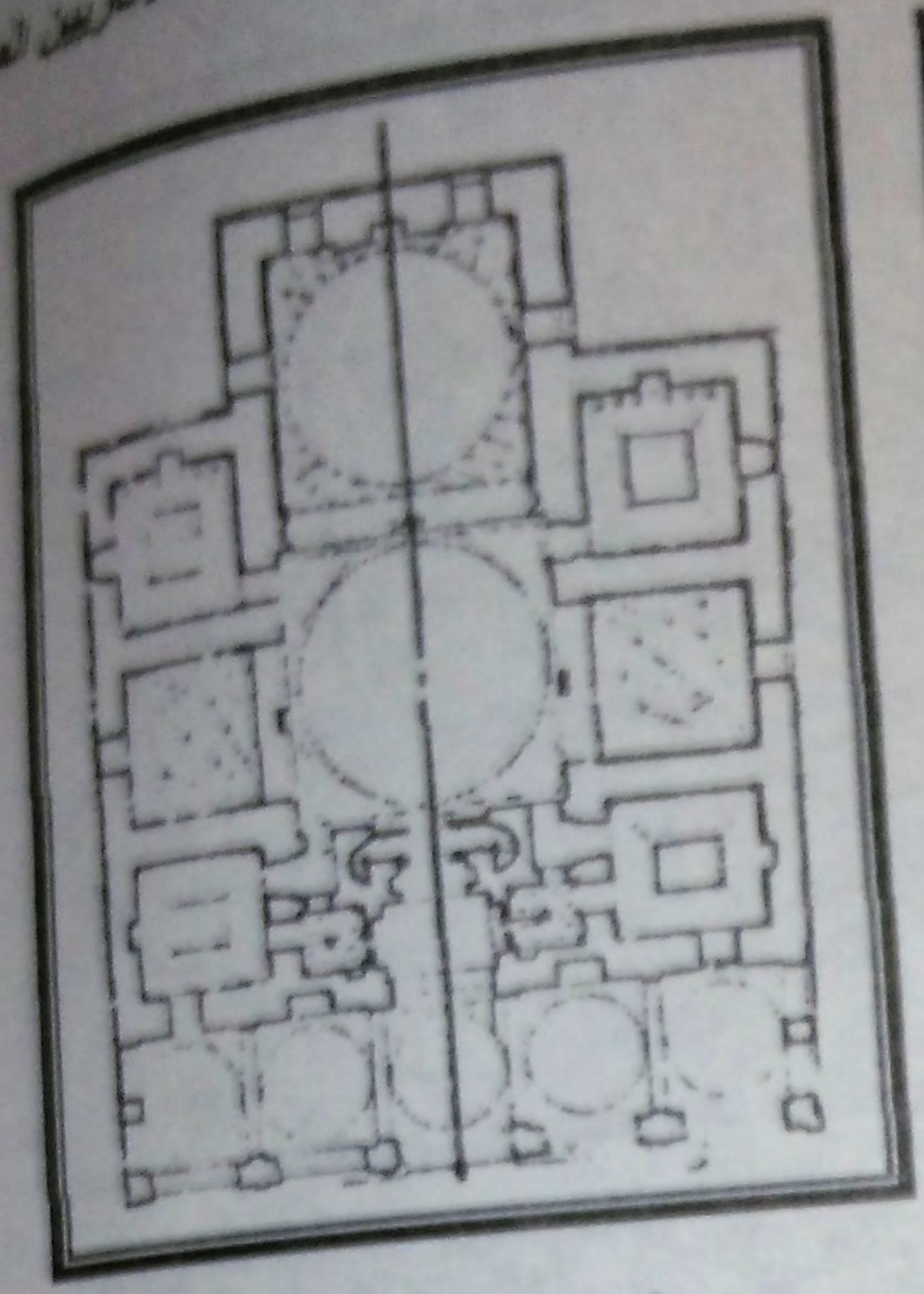

شكل رقم (٤)
جامع السلطان أورخان فى ازنيق

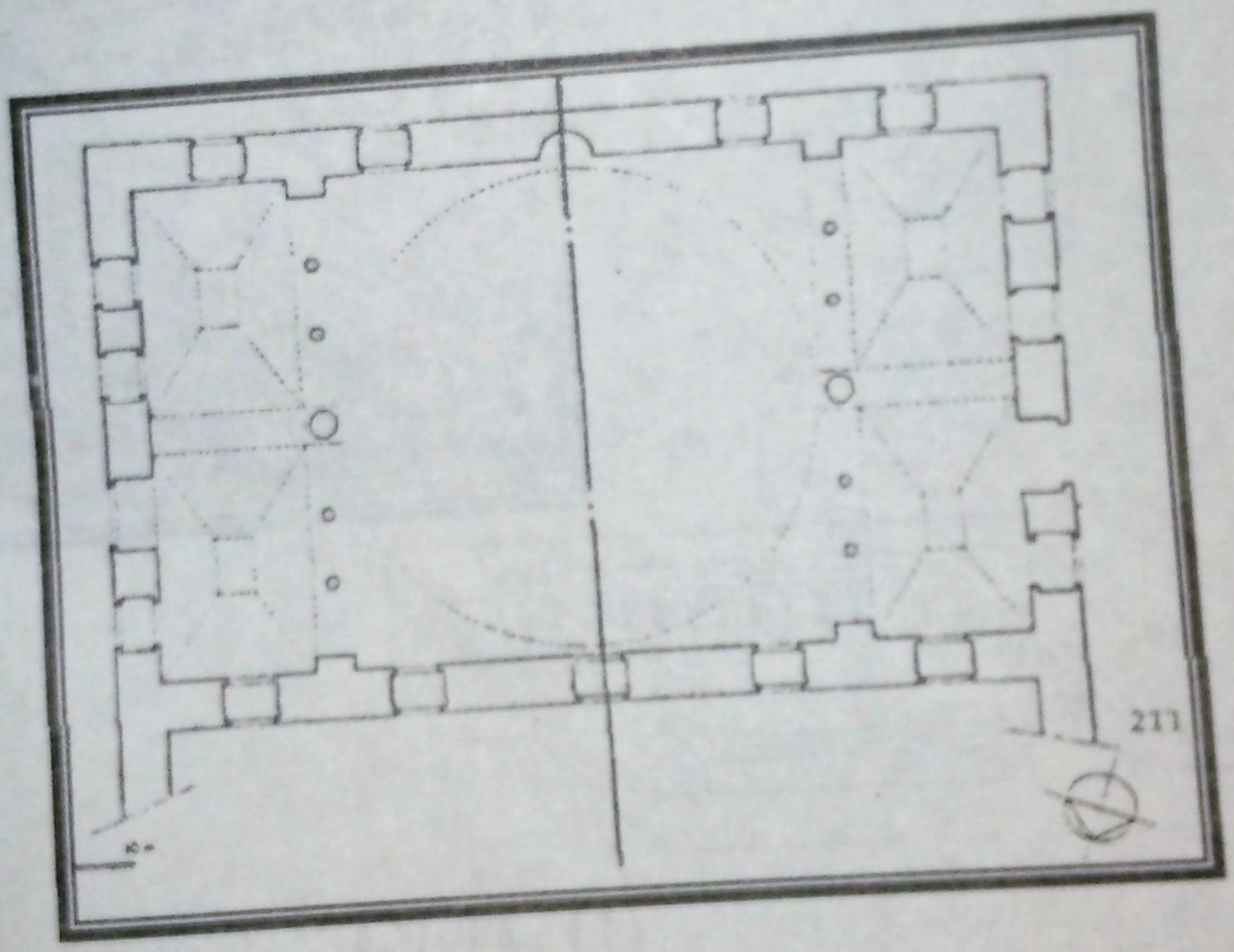

شكل رقم (٥)
جامع اجليار فى قونية
عن أصلان آبا

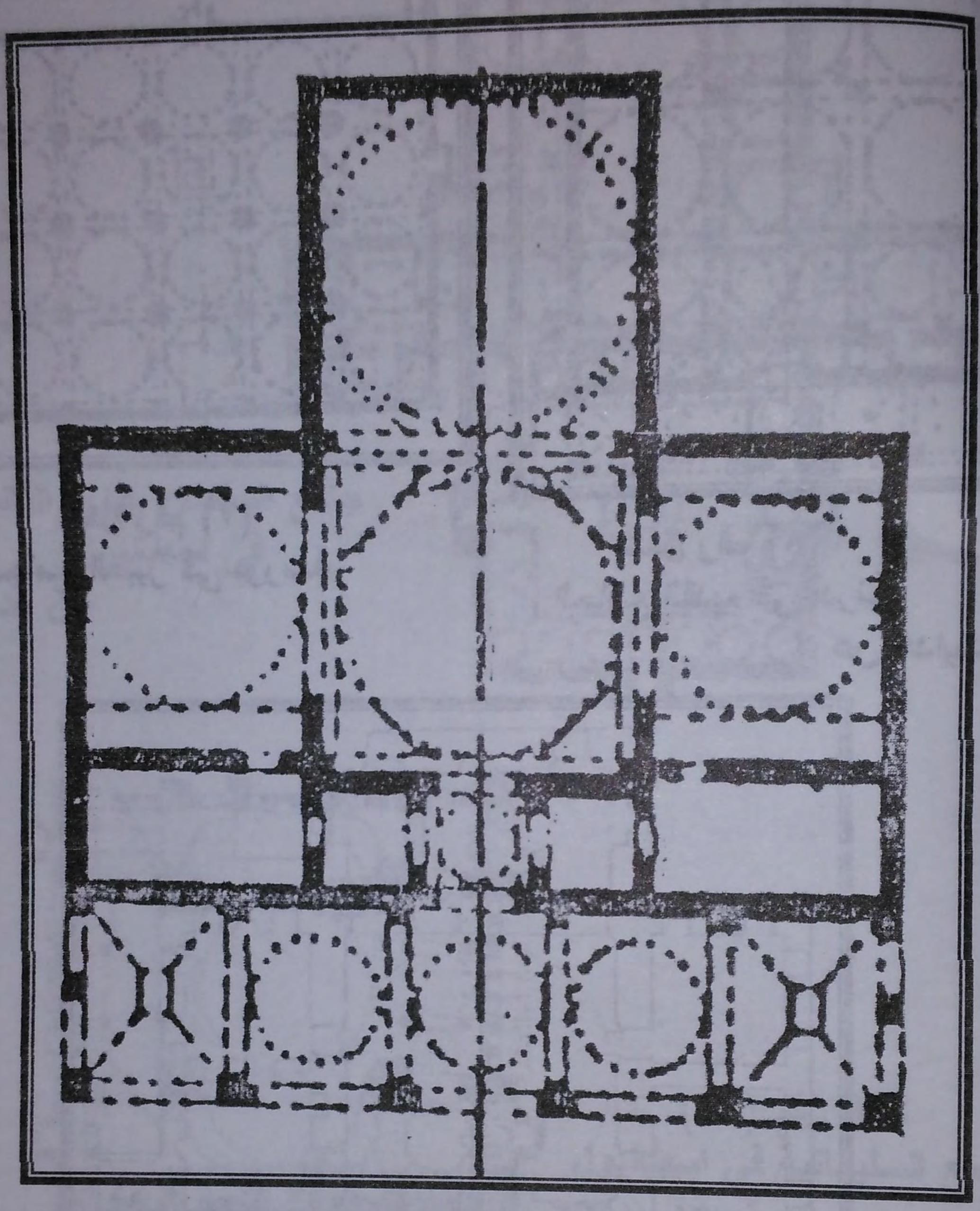

شكل رقم (٦)
جامع أورهان فى بورسة
عن هدايت

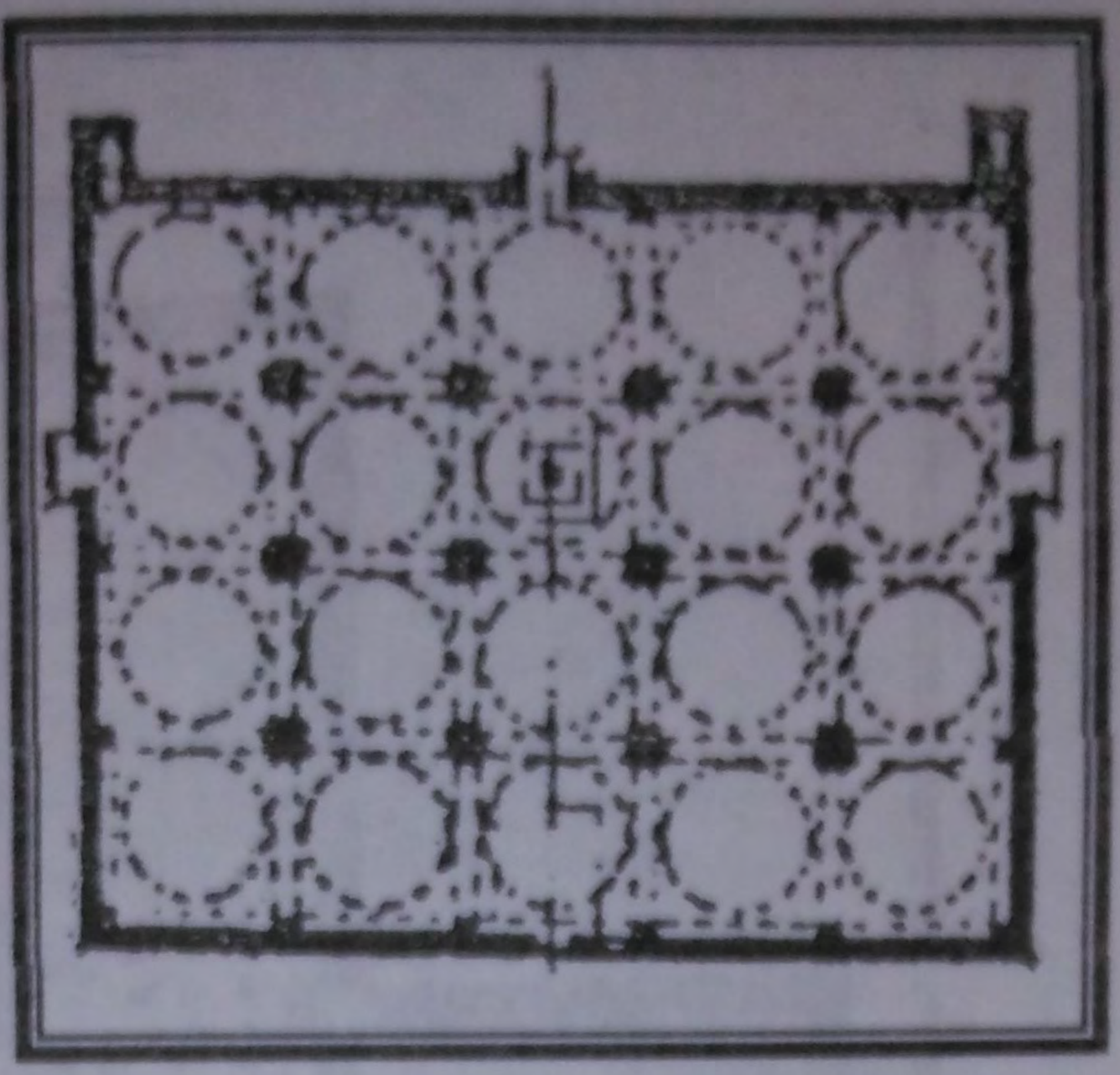

شكل رقم (٧)
الجامع الكبير فى بورسة

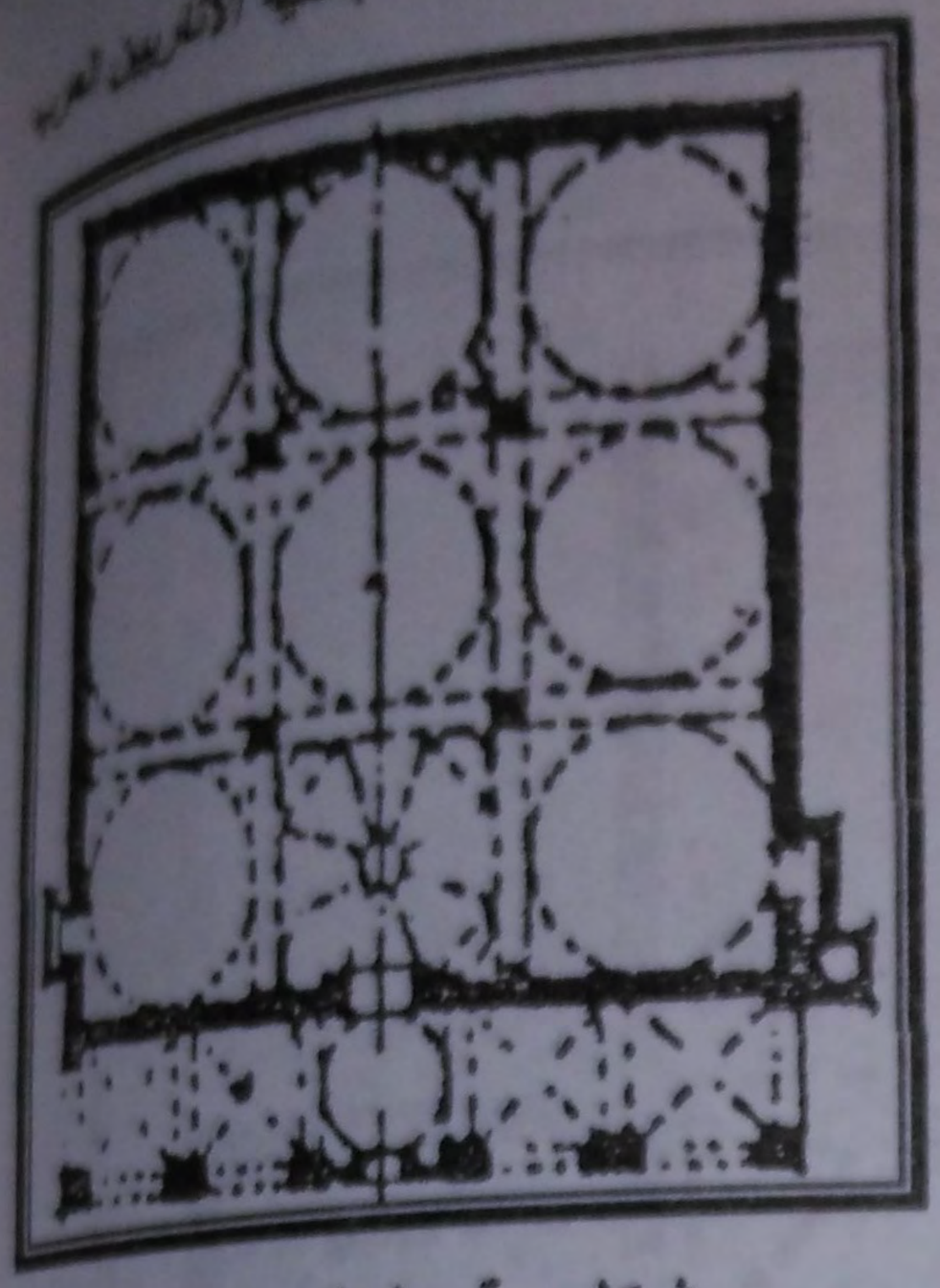

شكل رقم (٨)
الجامع القديم فى أدرنة
عن هدايت

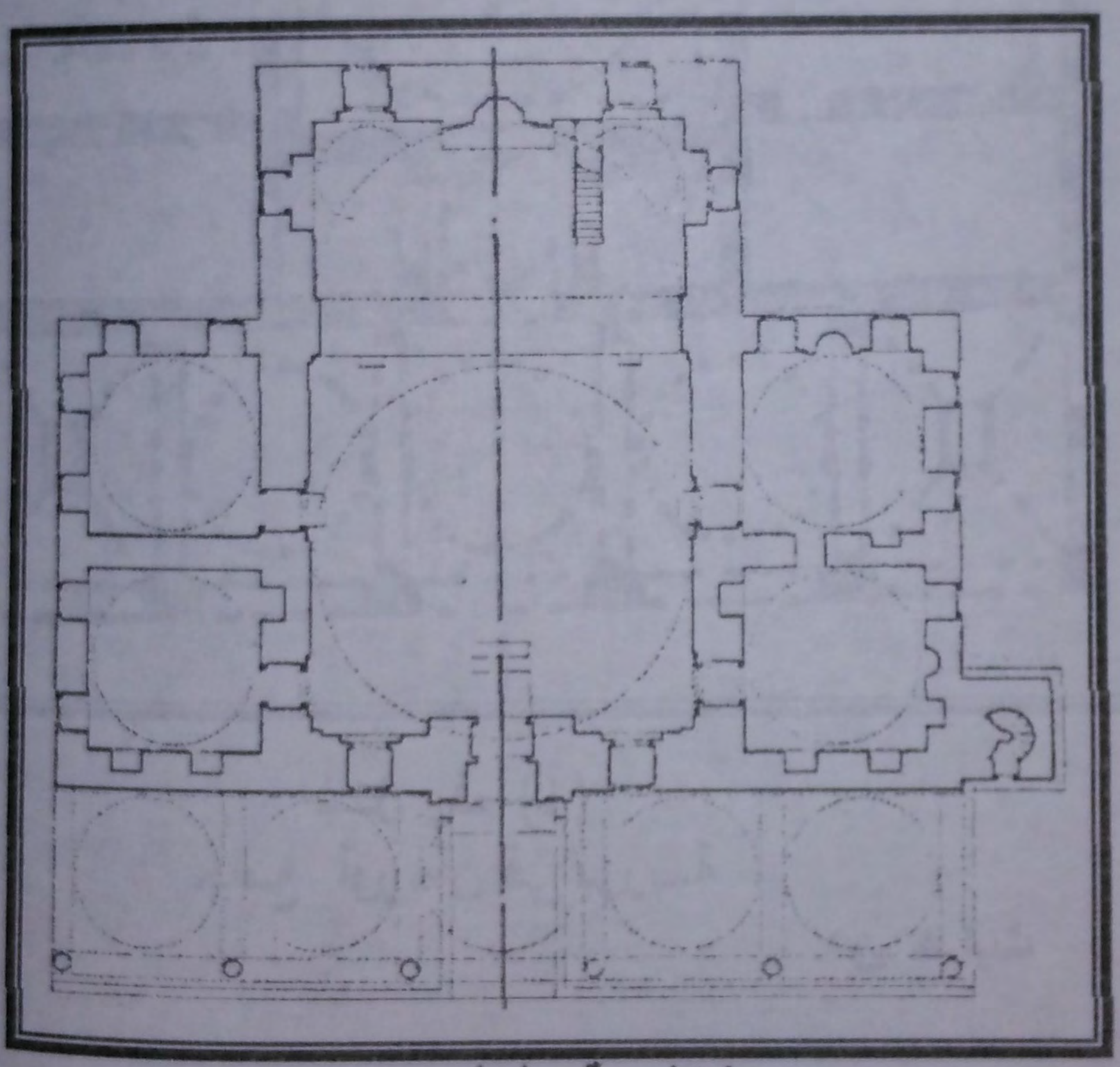

شكل رقم (٩)
جامع روم محمد فى مدينة اسطانبول
عن أصلان آبا

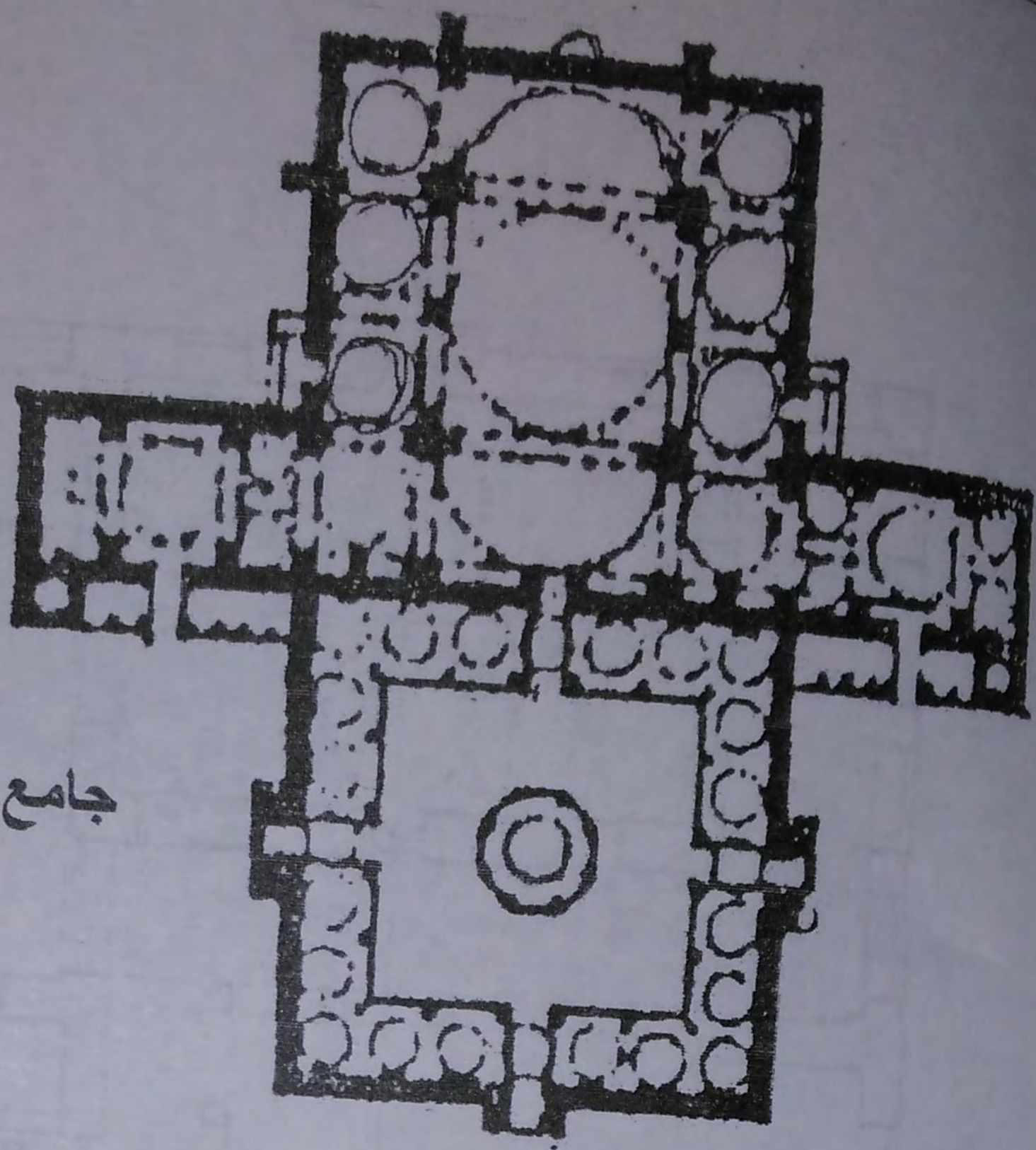

شكل رقم (١٠)
جامع السلطان بايزيد الثانى
فى اسطانبول
عن هدايت

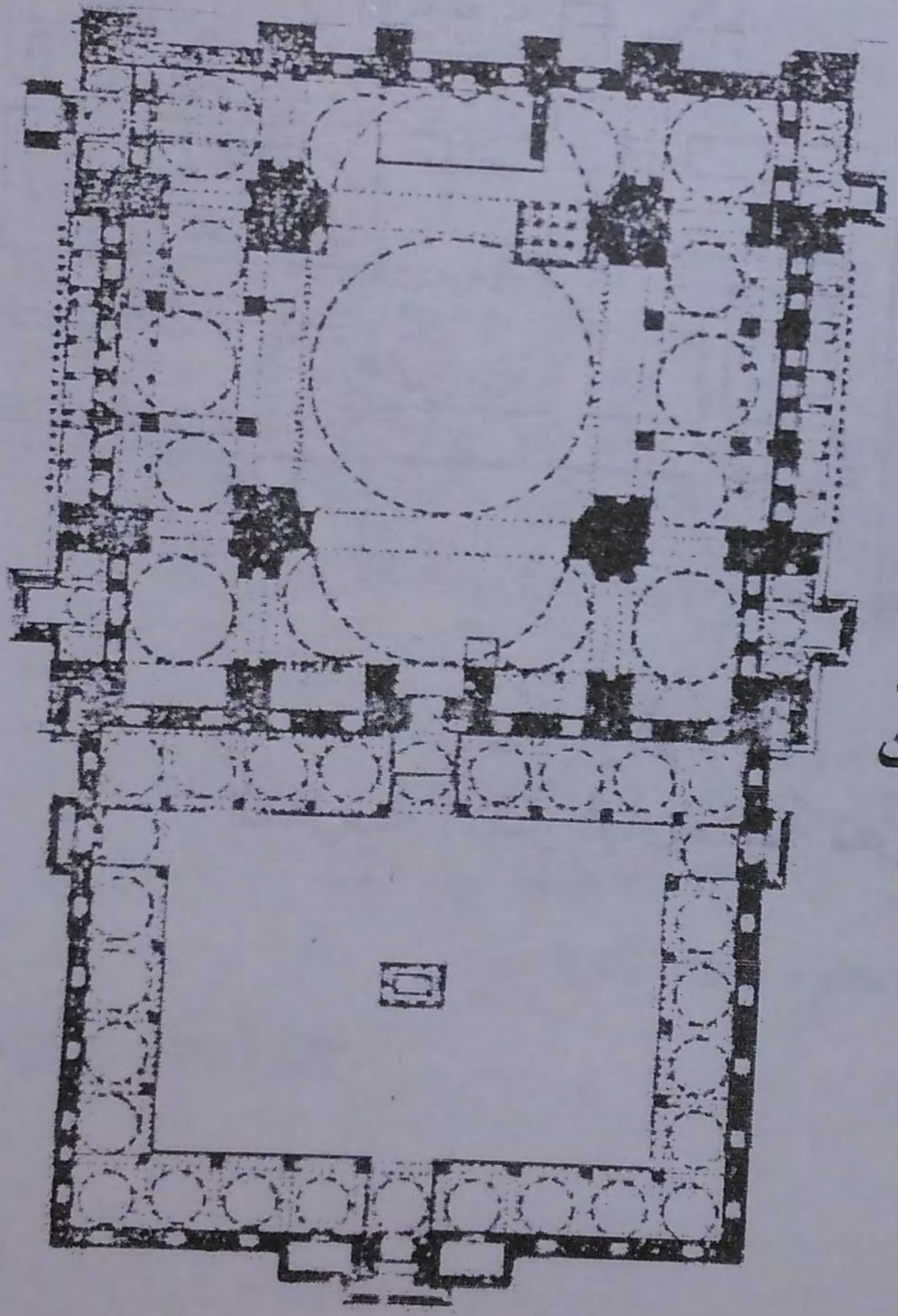

شكل رقم (١١)
جامع السليمانية فى اسطانبول
عن هدايت

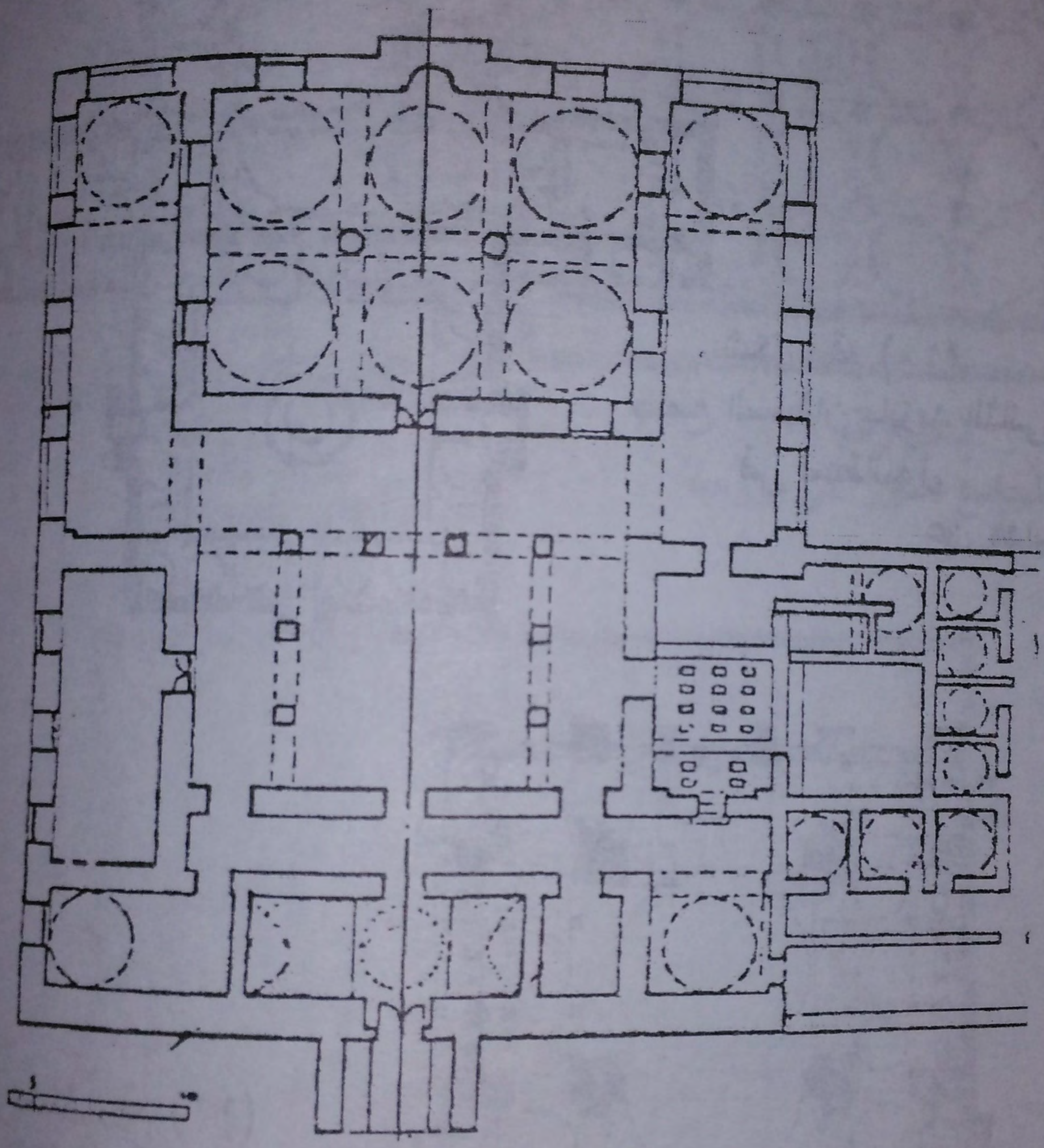

شكل رقم (١٢)
المدرسة الأشرافية بمدينة تعز باليمن
عن عبد الله الراشد

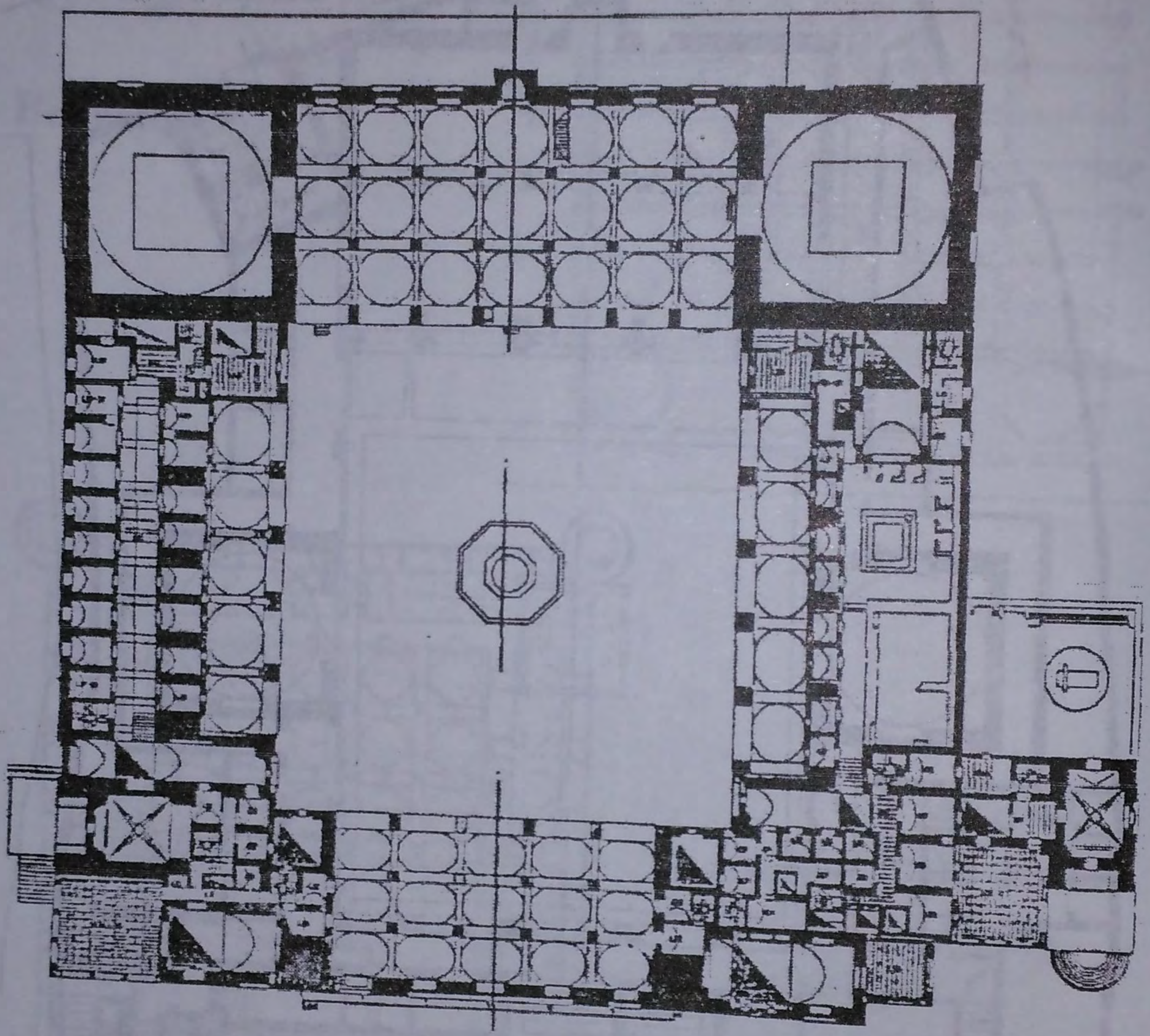

شكل رقم (١٣)
خانقاة الناصر فرج بن برقوق، بصحراء المماليك - بالقاهرة
وتتضح الثنائية فى تكرار التخطيط وتماثله
من على جانبى الخط الوهمى

عن لمعى والباحث

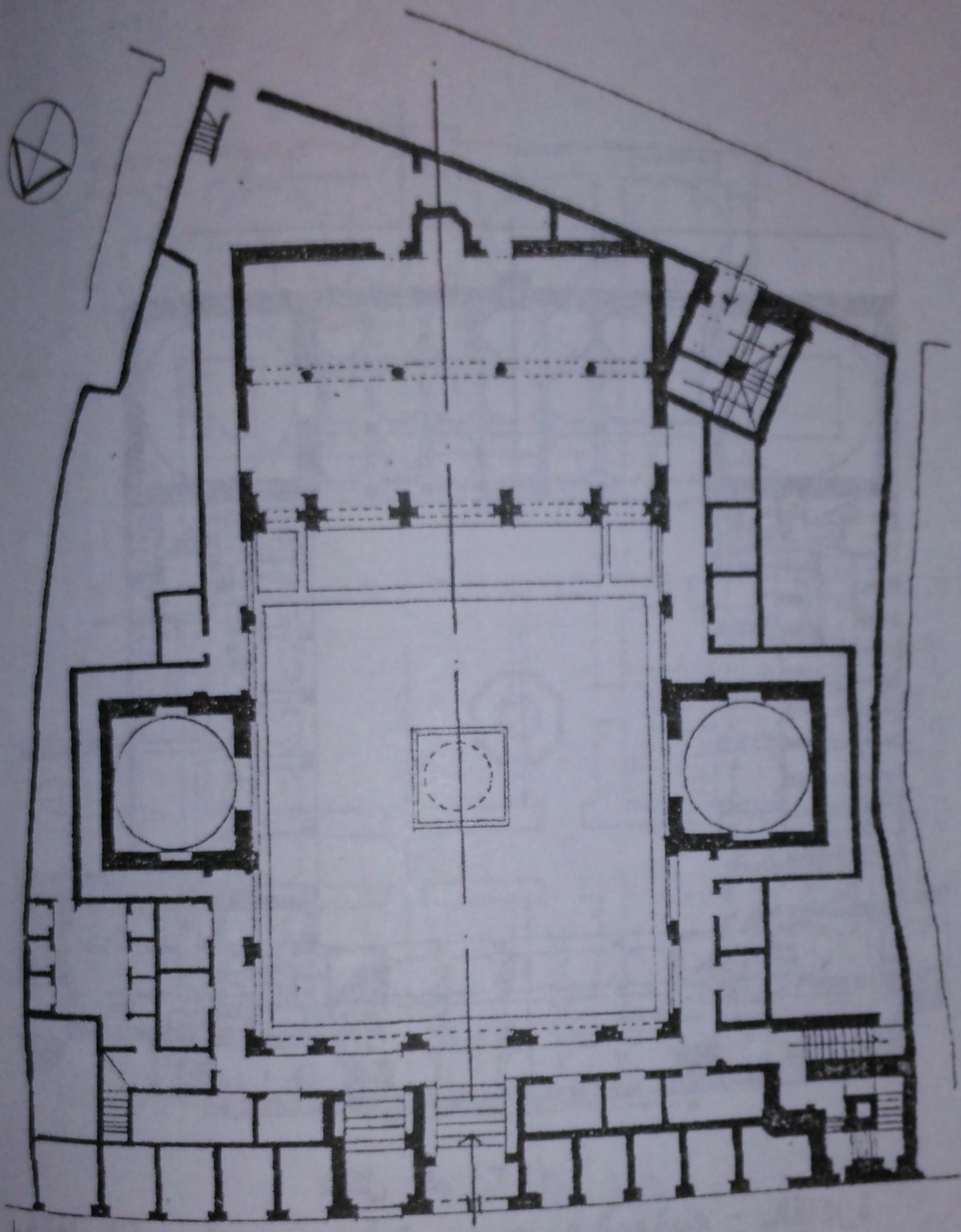

شكل رقم (١٤)
مسقط أفقى للمدرسة البوعنانية بفاس
عن Terrasse

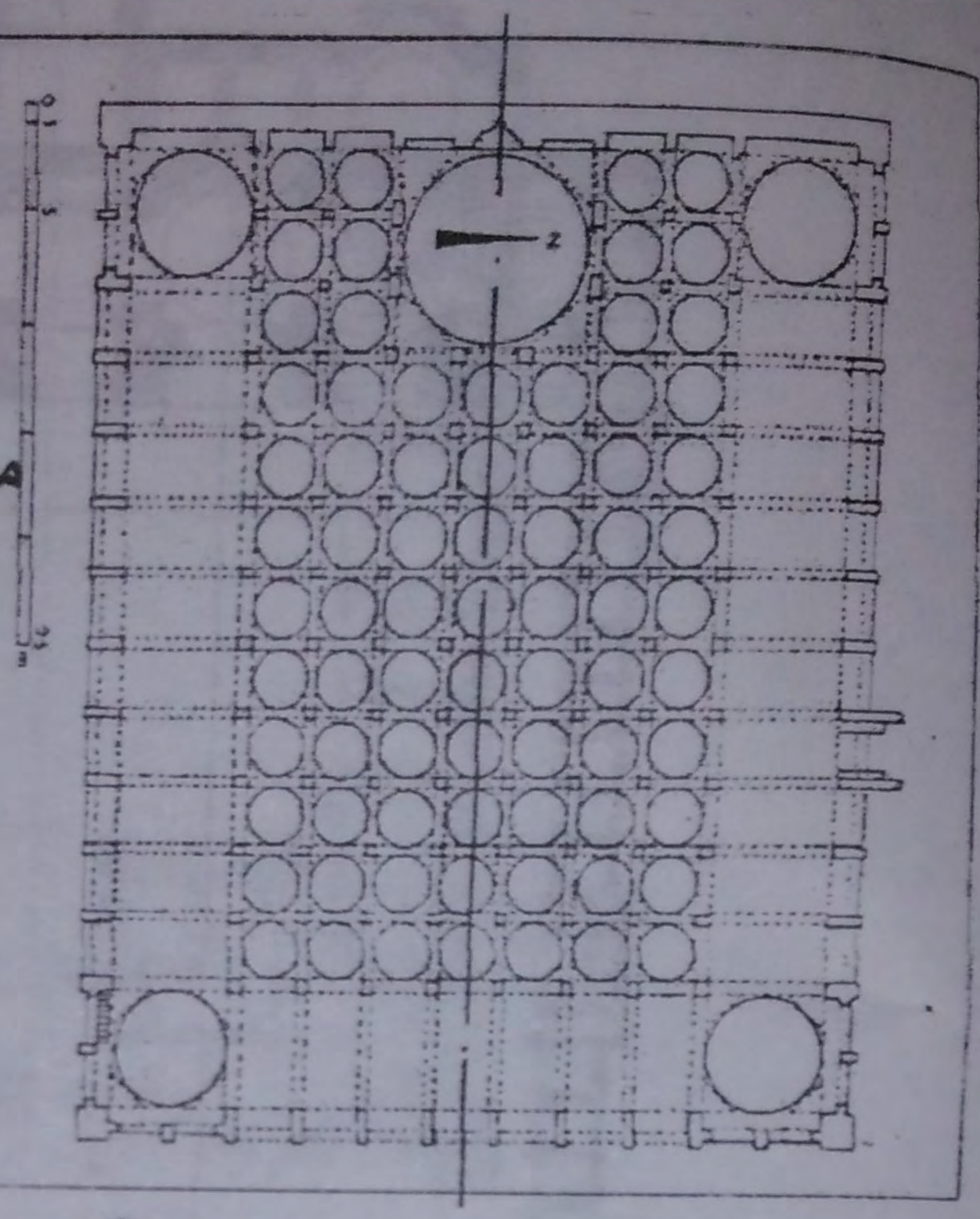

شكل رقم (١٥)
مسقط أفقى لمسجد كيركا فى الهند
عن Brawan

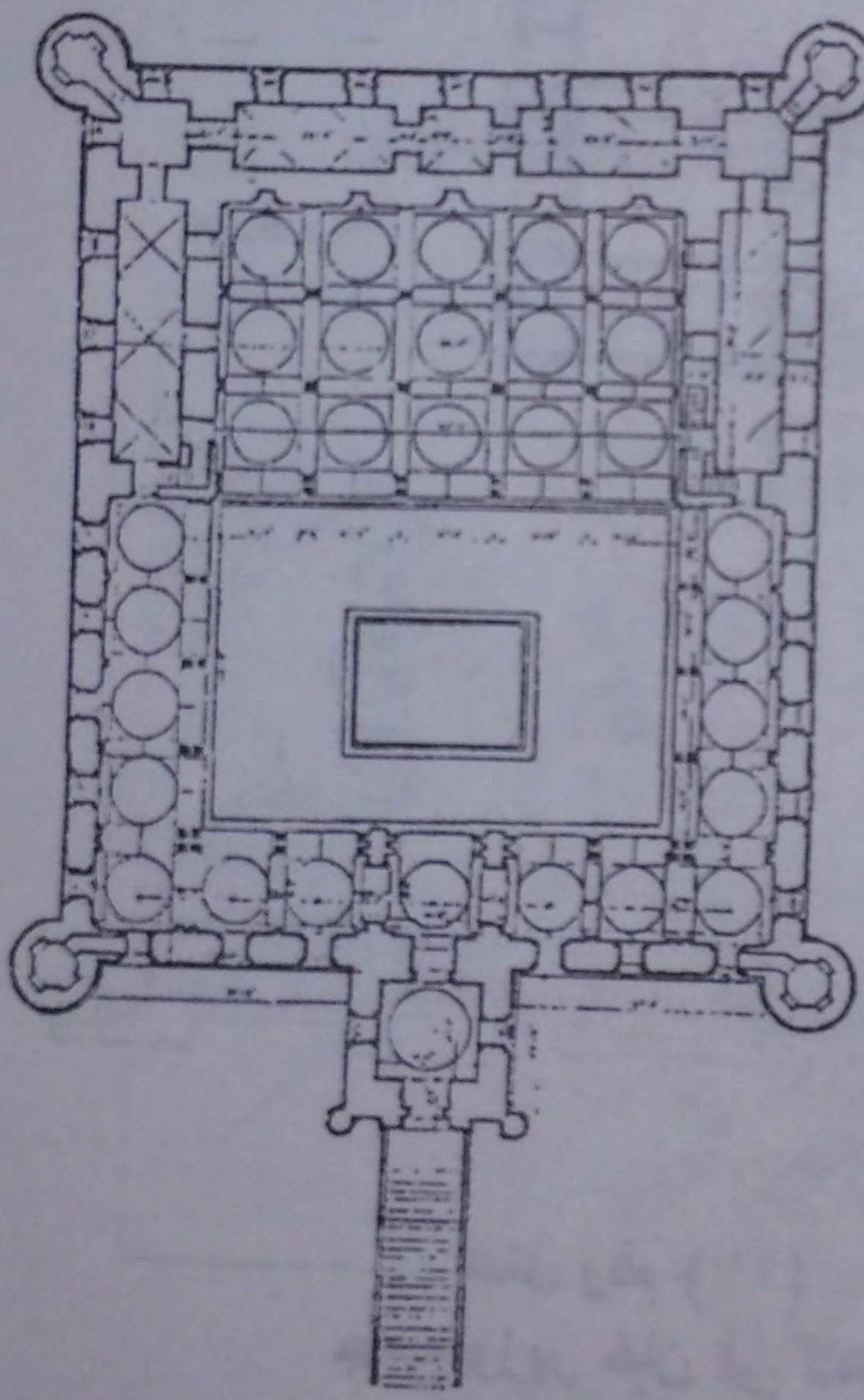

شكل رقم (١٦)
مسقط أفقى لمسجد كلان فى دلهى
عن الحلية

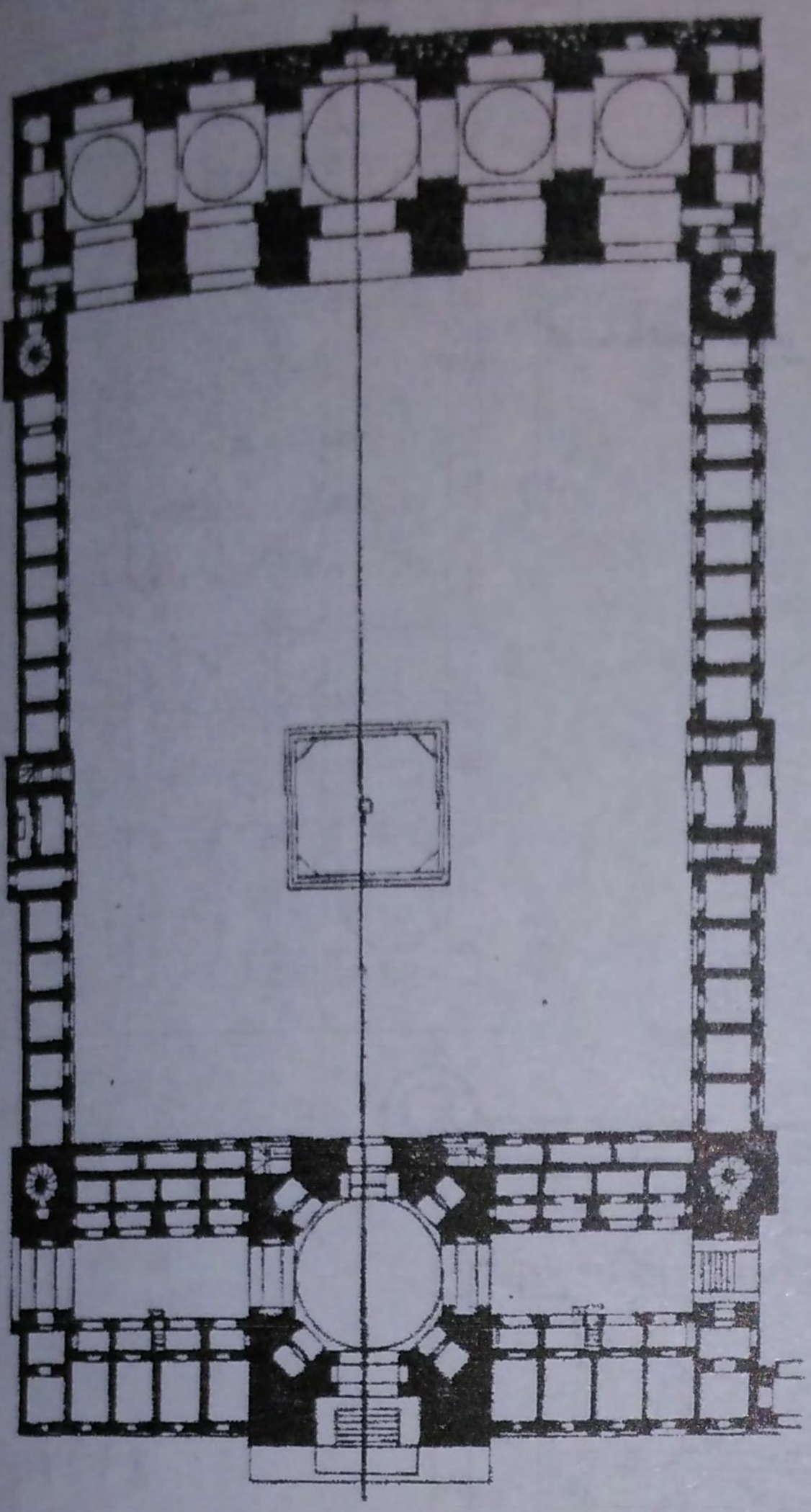

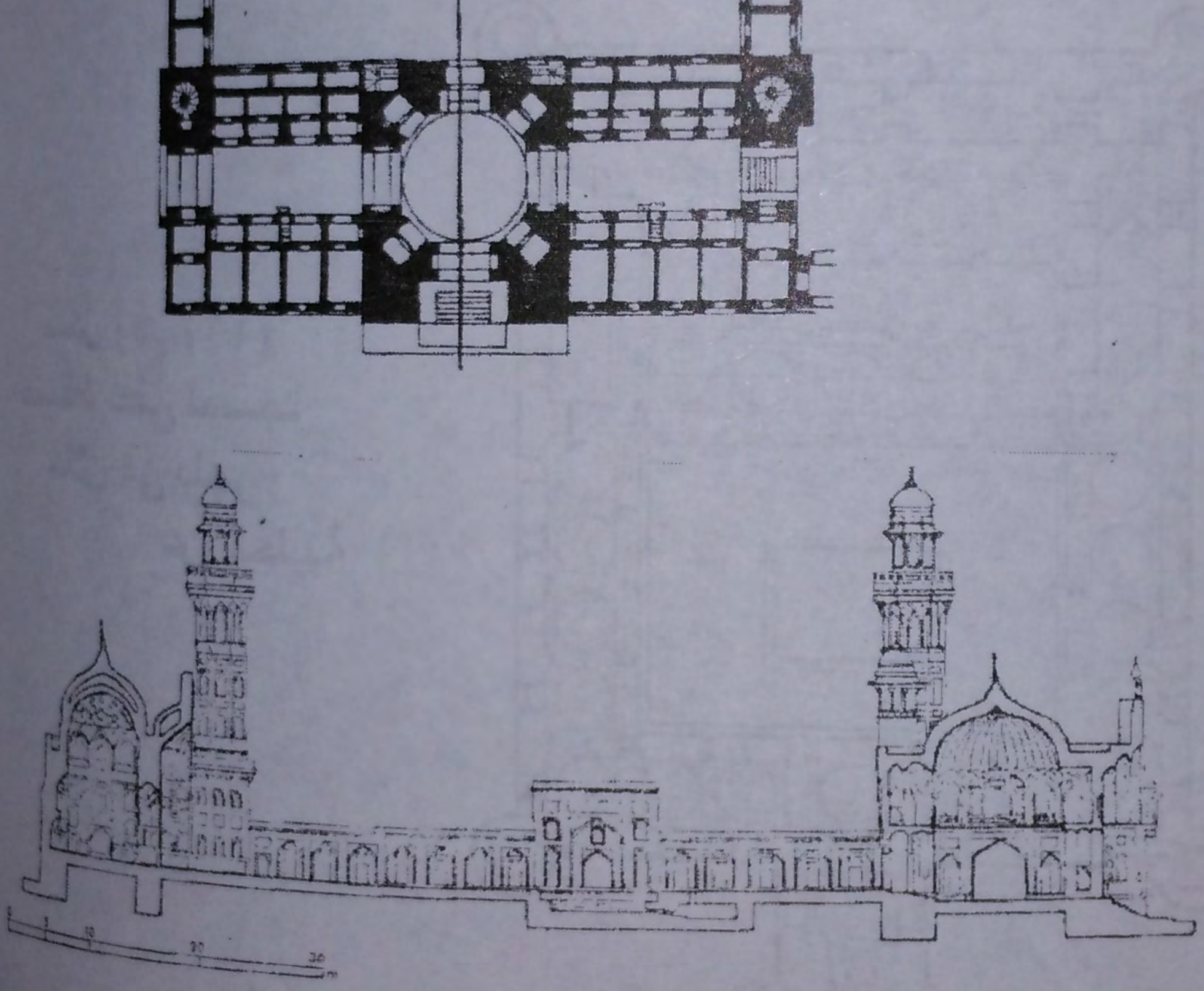

شكل رقم (١٧)
جامع وزير خان فى لاهور
عن Brawan

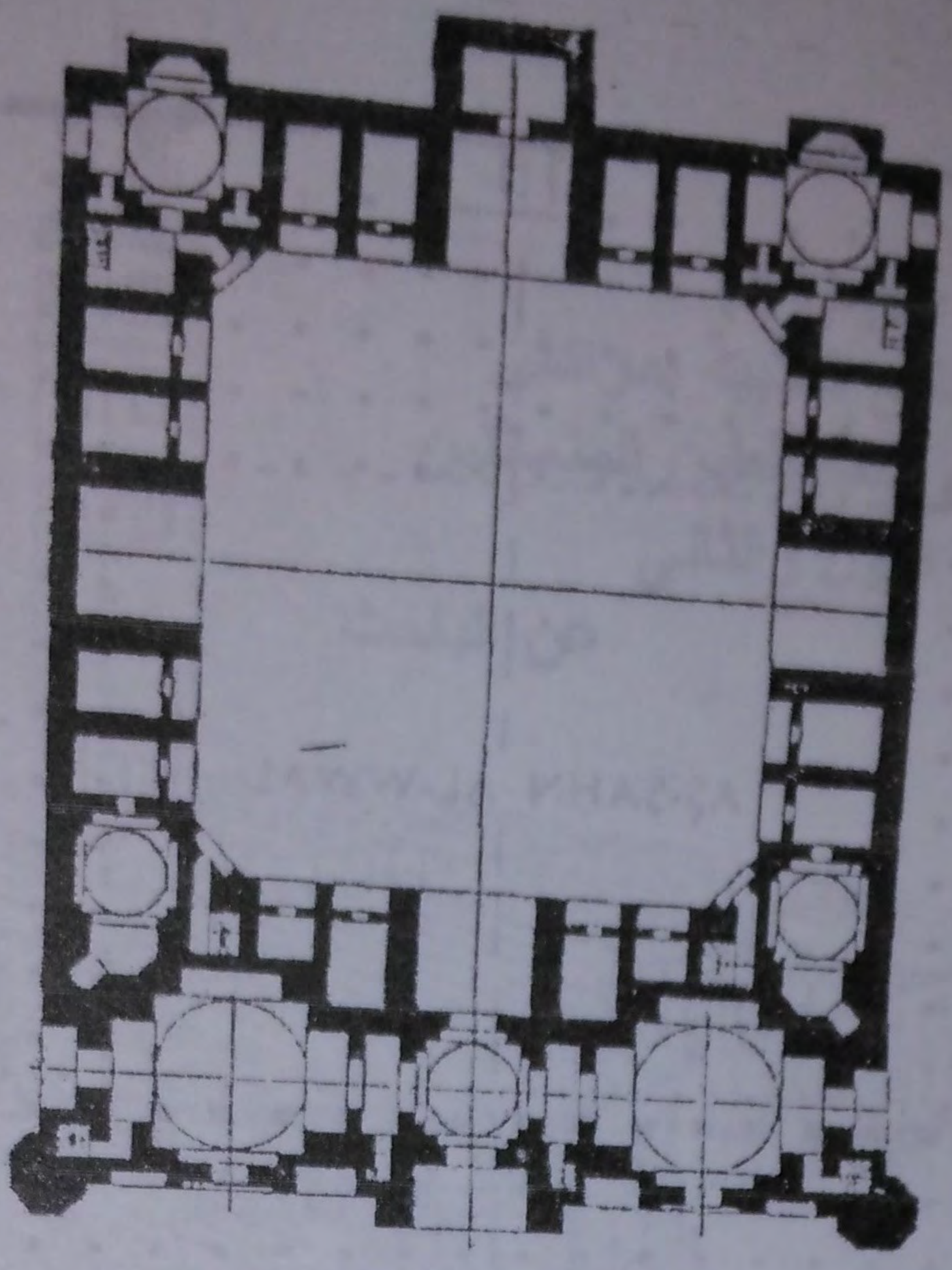

شكل رقم (١٨)
المدرسة الغياسية فى مدينة خراجرد بايران
عن بوب

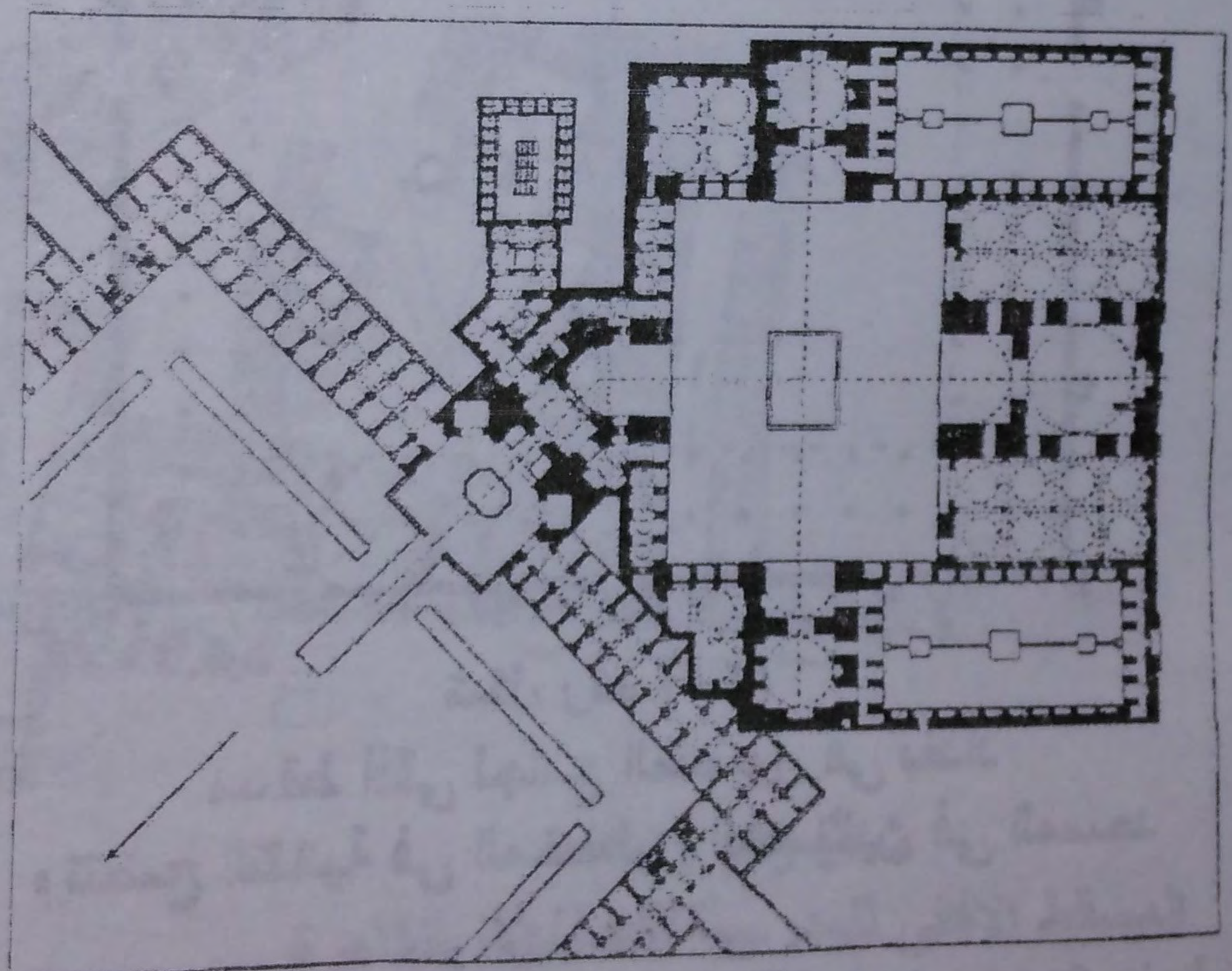

شكل رقم (١٩)
مسقط أفقى لمسجد الشاة بمدينة أصفهان
عن بوب

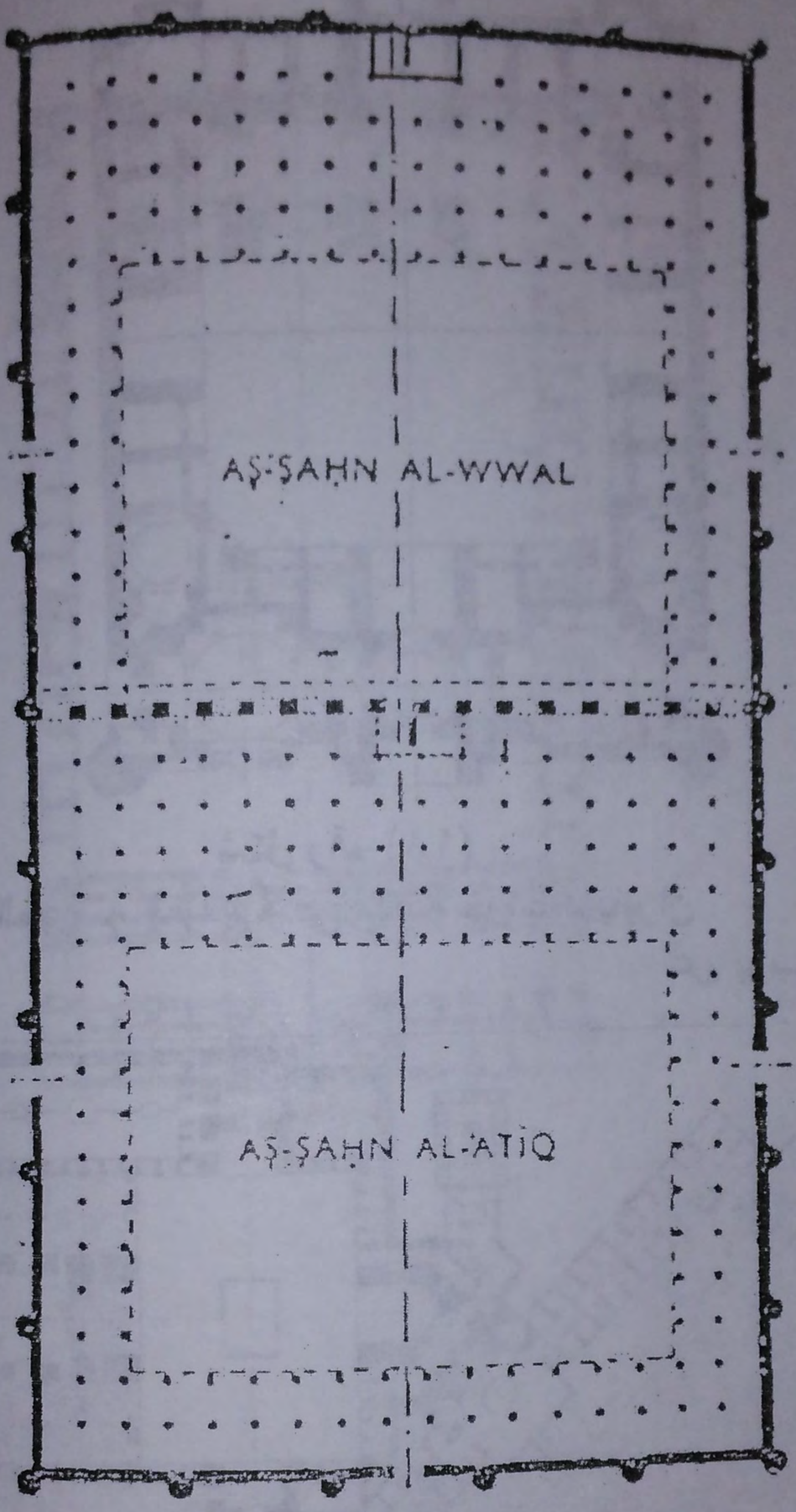

شكل رقم (٢٠)
مسقط أفقى لجامع المنصور فى بغداد
وتتضح الثنائية فى المخططين المتماثلين فى المسجد
الأول والثانى

عن كريزول

شكل رقم (٢١)
مسقط أفقى لجامع الكتبية بمراكش
وتتضح الثنائية فى المخططين المتماثلين
للمسجد الأول والثانى
عن الباحث

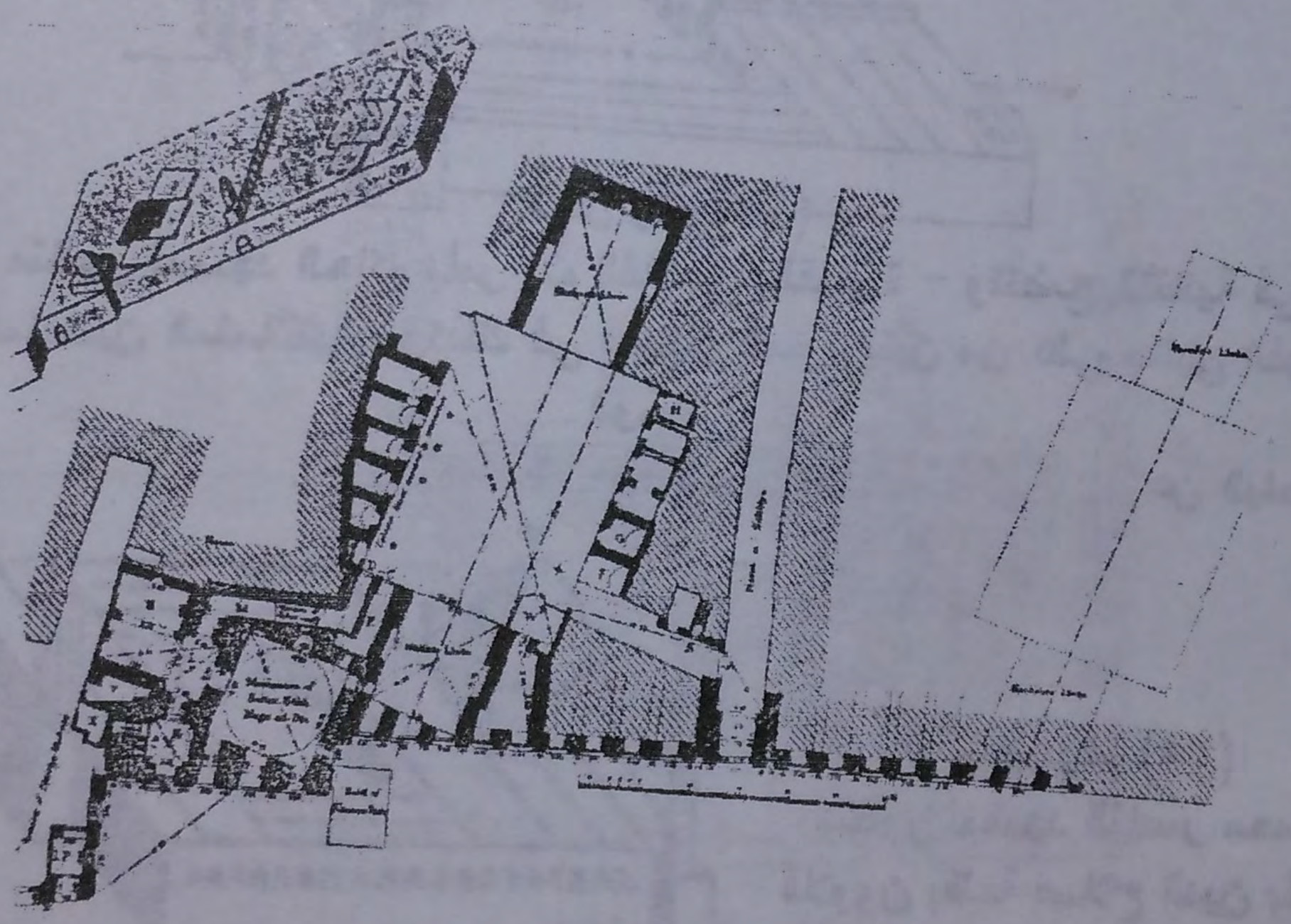

شكل رقم (٢٢)
المسقط الافقى للمدرسة الصالحية بالقاهرة
وتتضح الثنائية فى توأمة التخطيط
عن فكرى

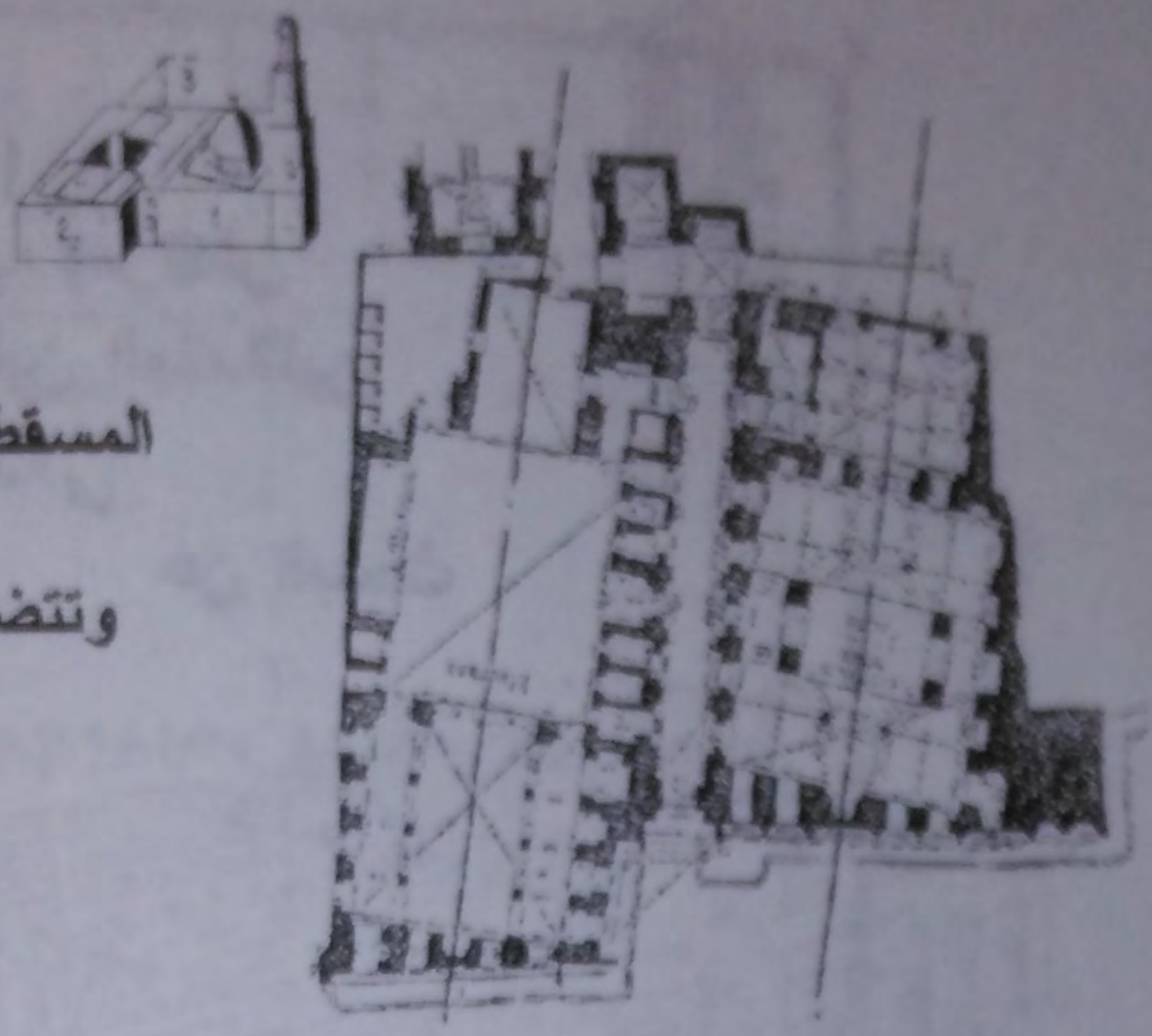

شكل رقم (٢٣)
المسقط الافقى لمجموعة السلطان قلاوون بالقاهرة
وتتضح الثنائية فى المخططين
عن لمعى والباحث

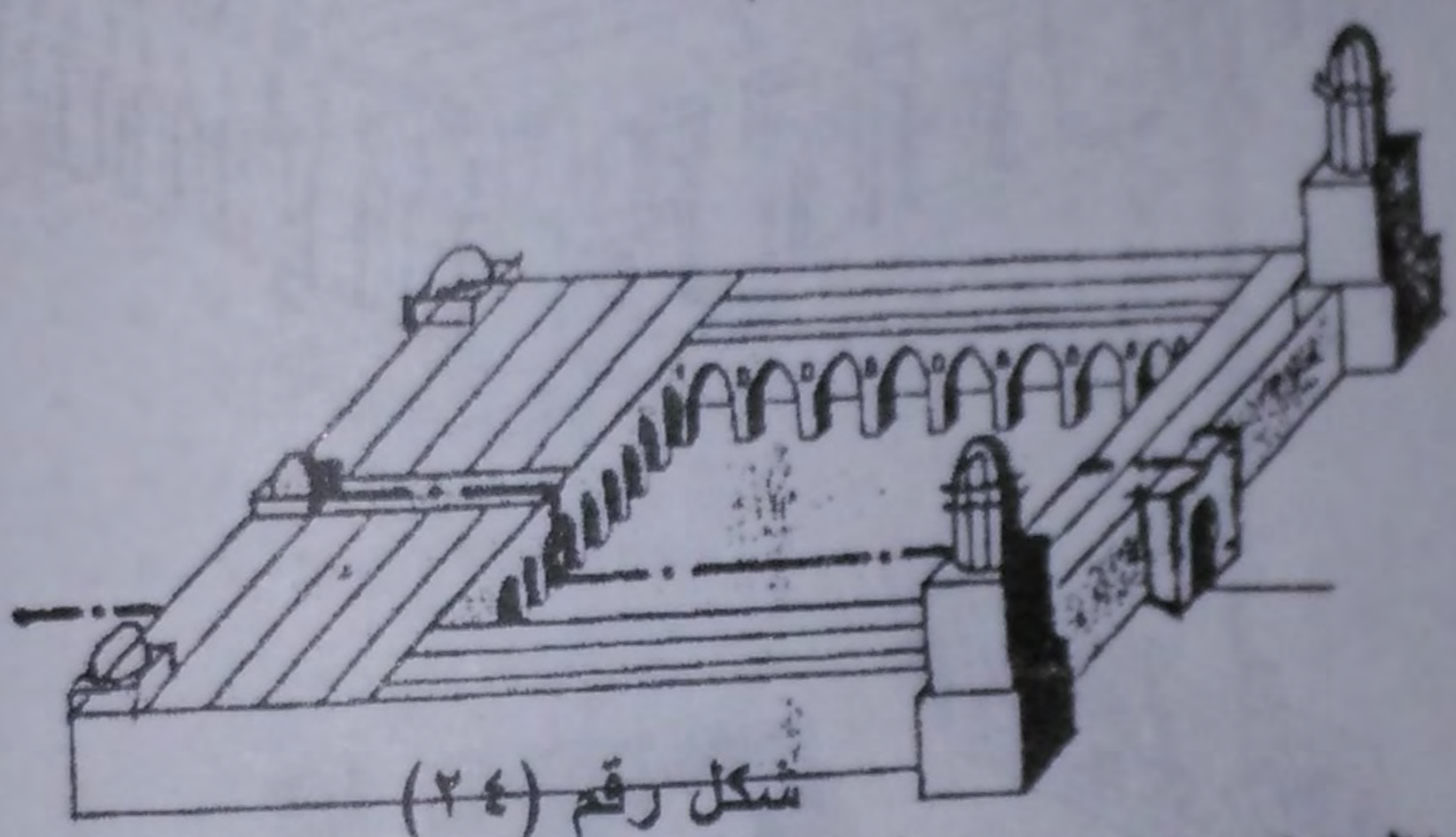

شكل رقم (٢٤)
منظور لمسجد الحاكم بأمر الله الفاطمى بالقاهرة - وتتضح الثنائية فى المئذنتين المتماثلتين، وكذلك فى القبتين المتوازنتين من على جانبى القبة الوسطى

عن الباحث

شكل رقم (٢٥)
منظور لمسجد الناصر محمد بن قلاوون بقلعة صلاح الدين بالقاهرة
وتتضح الثنائية فى المئذنتين المتناظرتين
عن الباحث

شكل رقم (٢٦)
منظور لمسجد السلطان حسن
بن قلاوون بالقاهرة - وتتضح
ثنائية المئذنتان بدون تماثل
عن الباحث

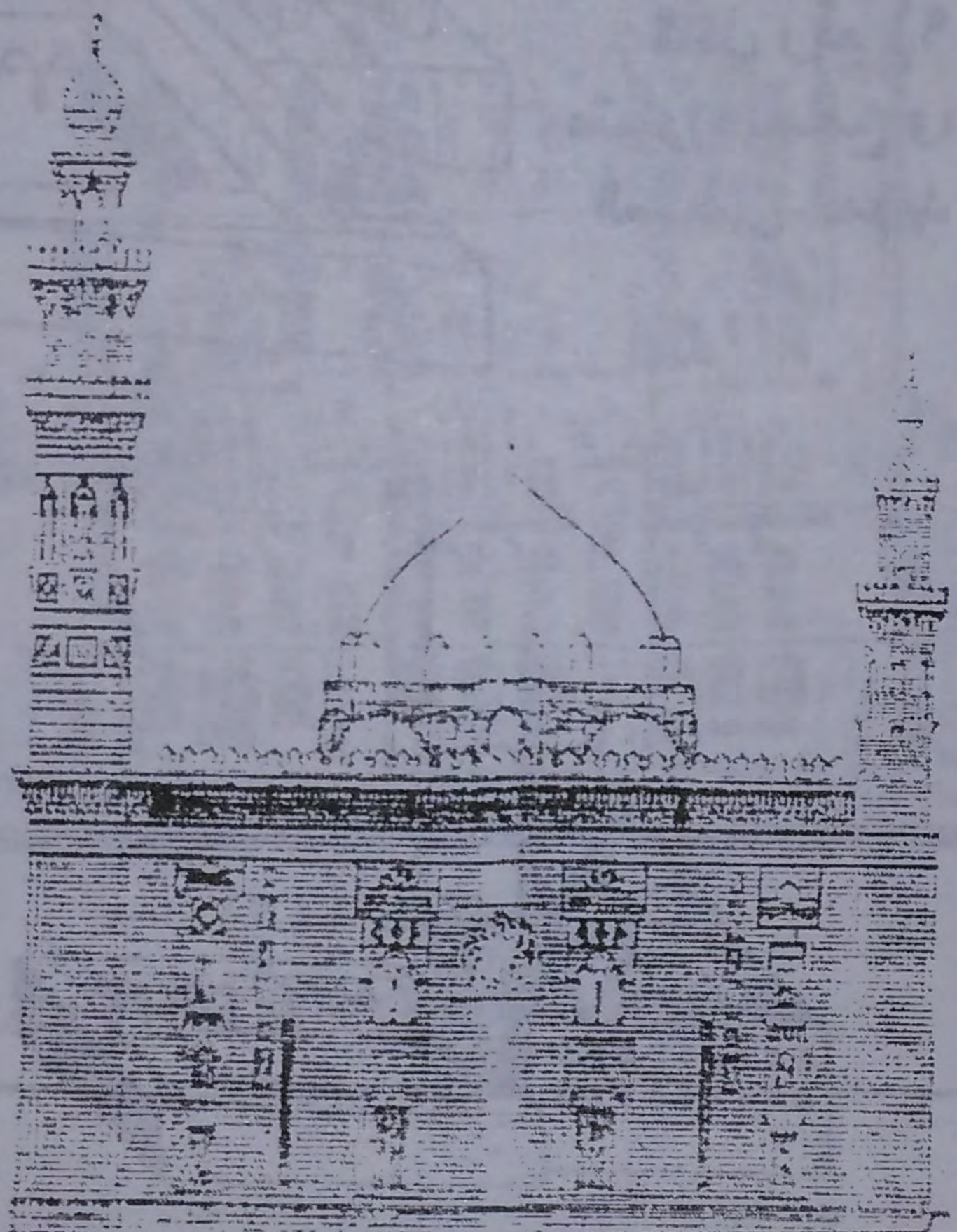

شكل رقم (٢٧)
منظور لمسجد السلطان حسن بن قلاوون بميدان القلعة بالقاهرة
- وتتضح الثنائية فى وجود المئذنتان المتناظرتين
عن الباحث

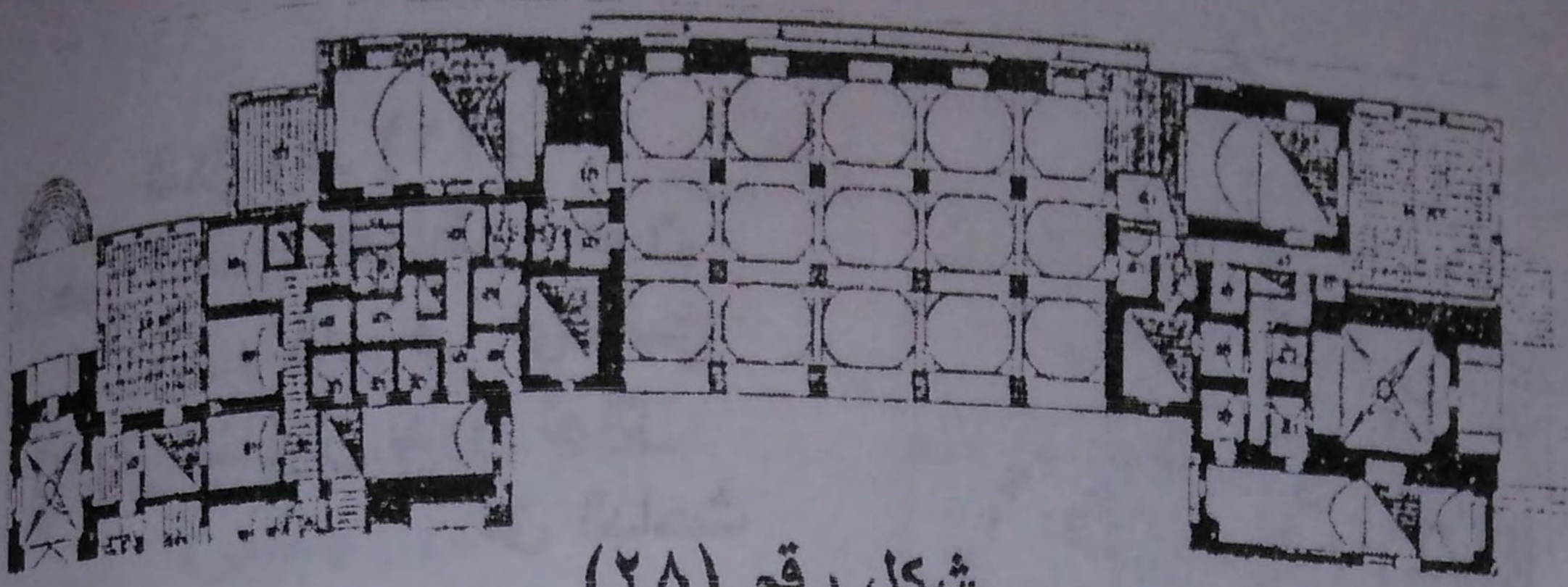

شكل رقم (٢٨)
المسقط الافقى لخانقاة السلطان الناصر فرج بن برقوق
عن لمعى

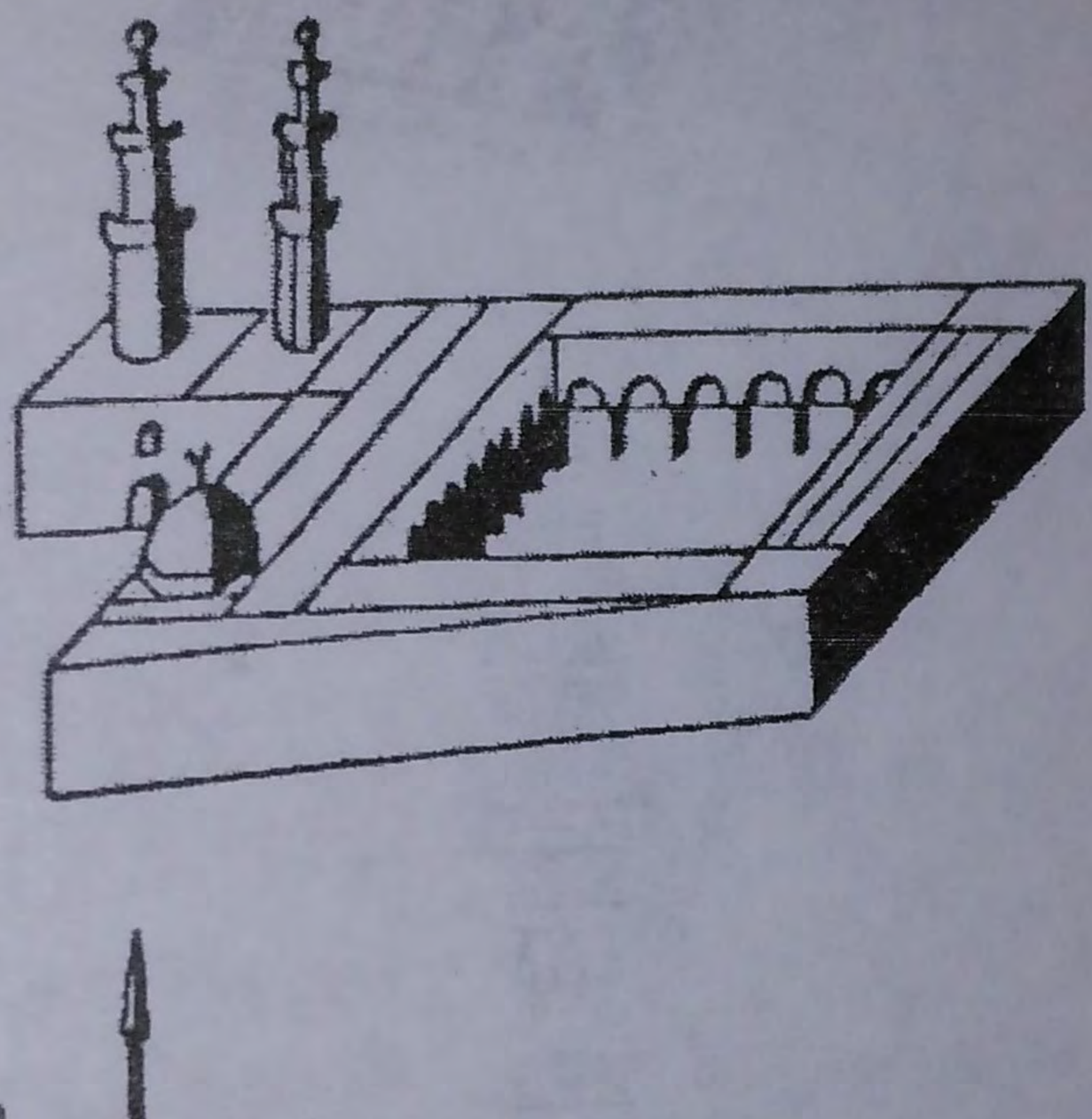

شكل رقم (٢٩)
منظور لجامع ومئذنتى
السلطان المؤيد شيخ

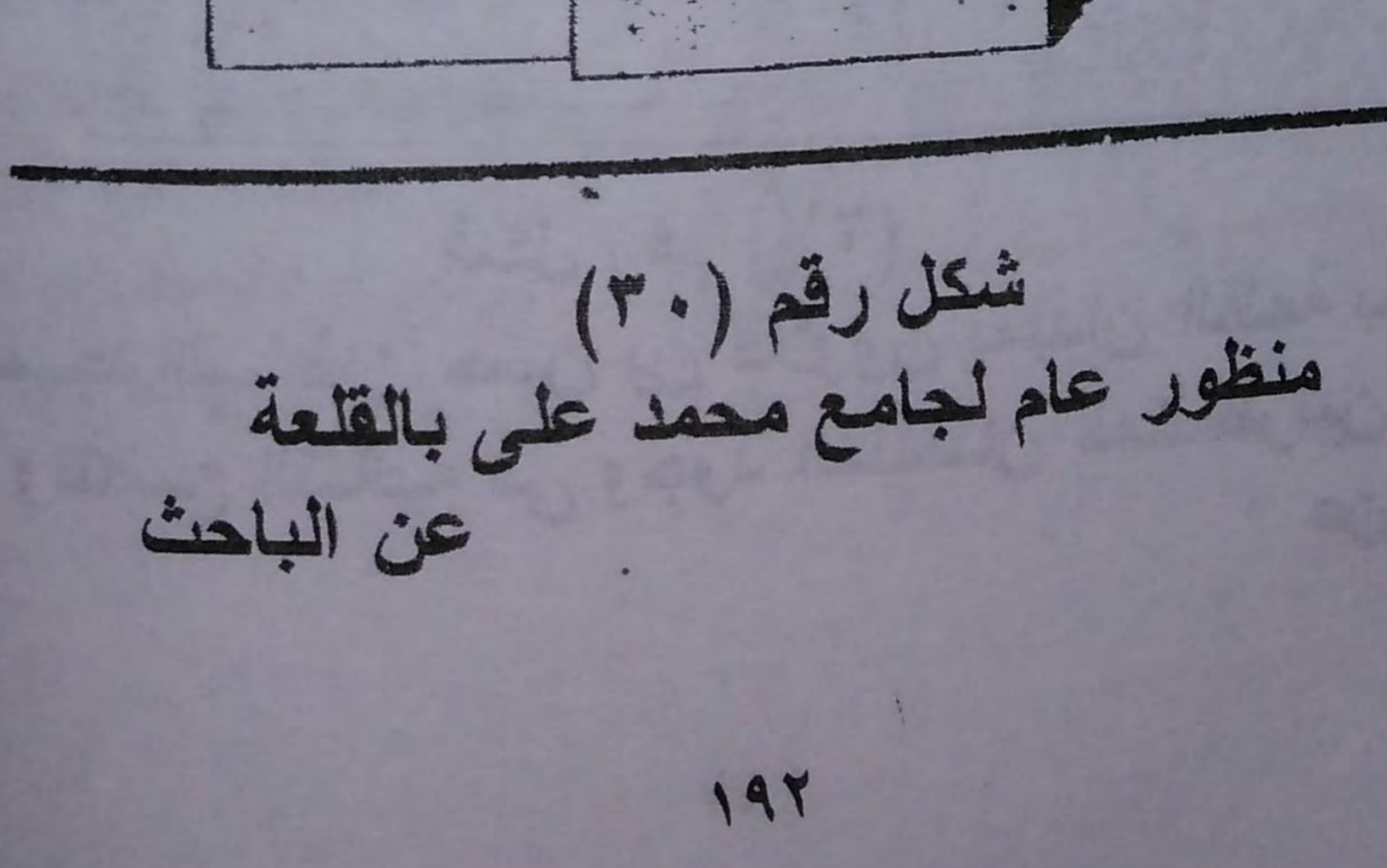

شكل رقم (٣٠)
منظور عام لجامع محمد على بالقلعة
عن الباحث

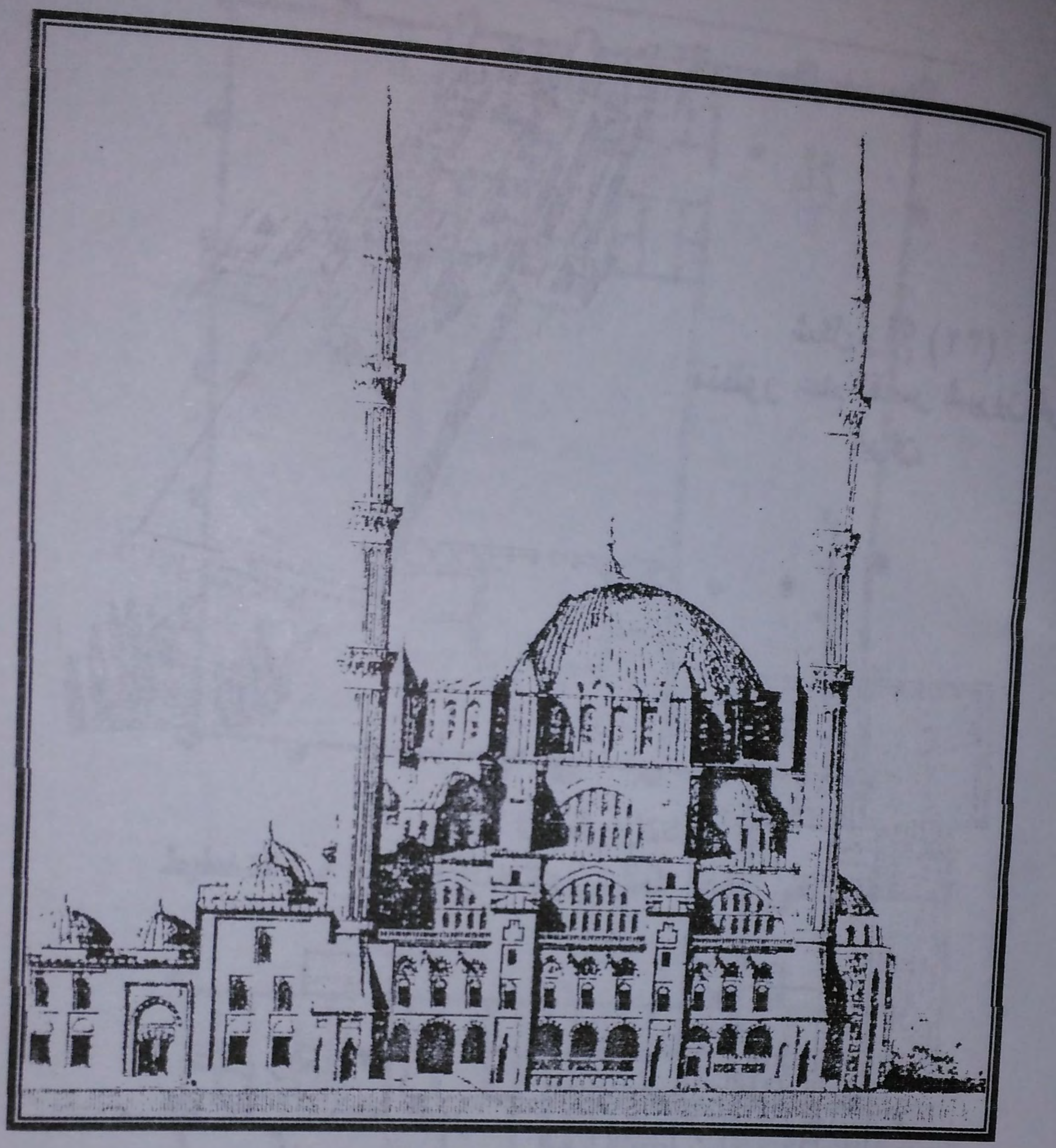

شكل رقم (٣١)
مئذنتى جامع السليمانية باسطانبول

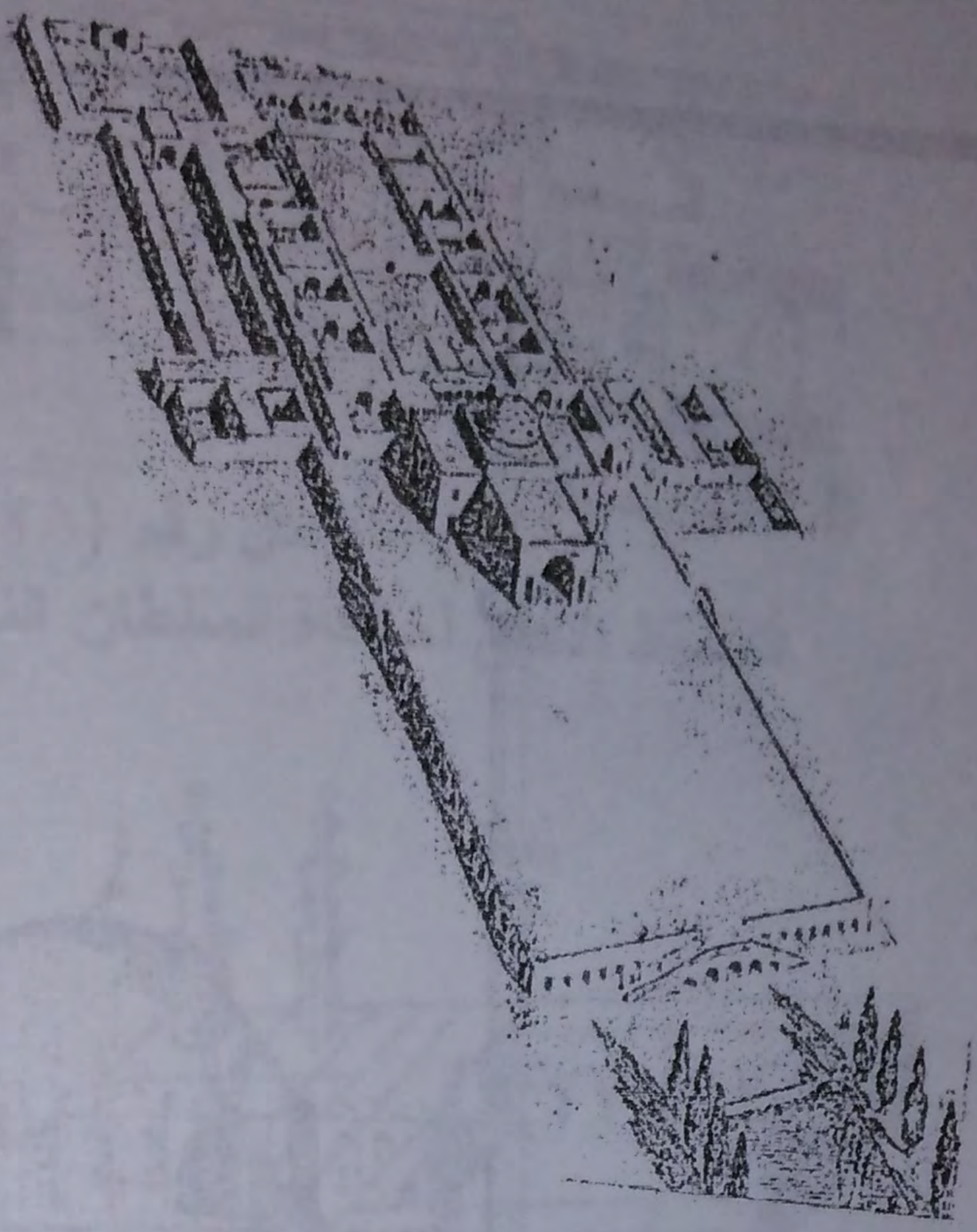

شكل رقم (٣٢)
منظور عام لقصر شيرين فى إيران

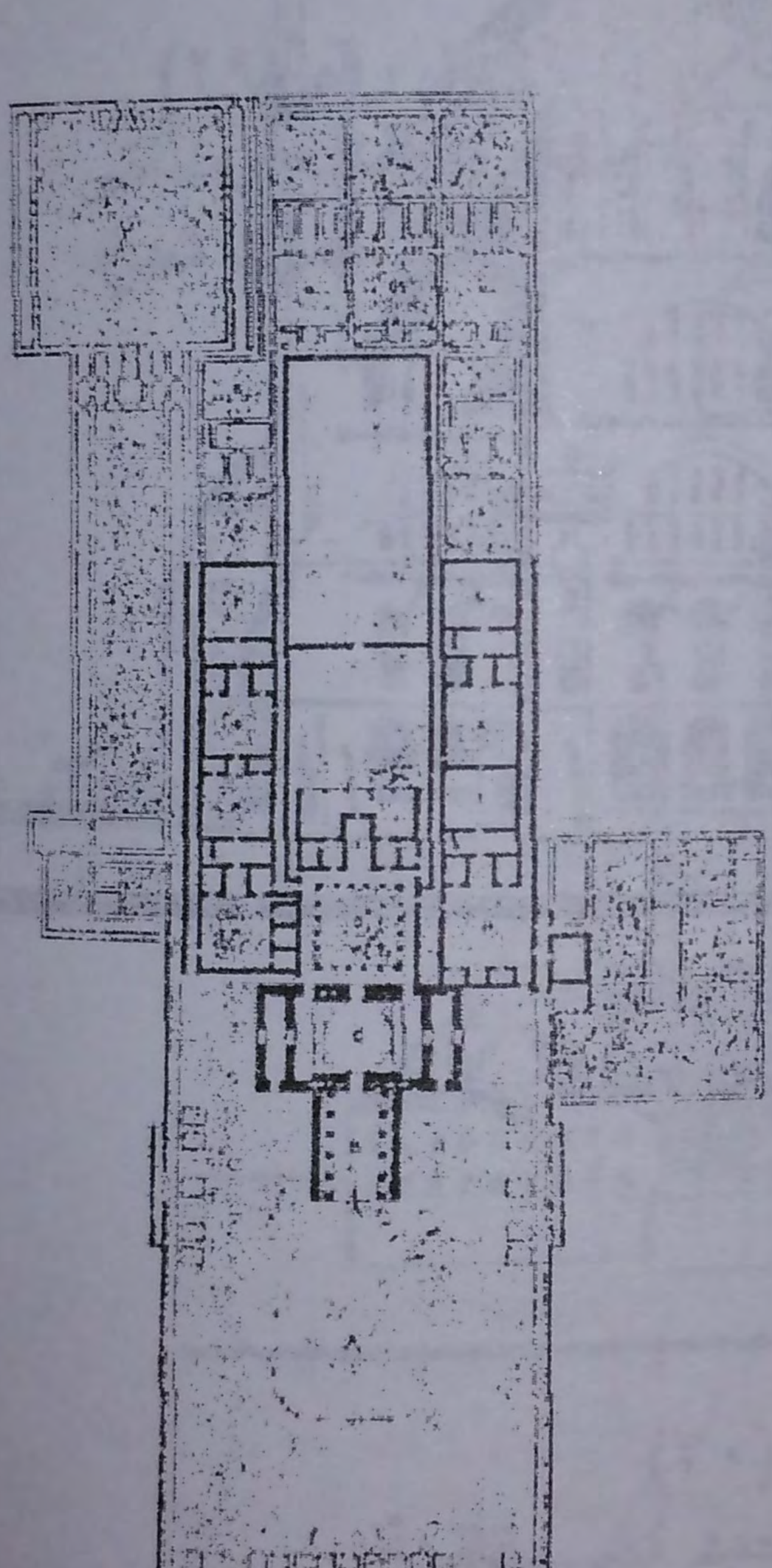

شكل رقم (٣٣)
مسقط أفقى لمخطط قصر شيرين فى إيران
عن بوب

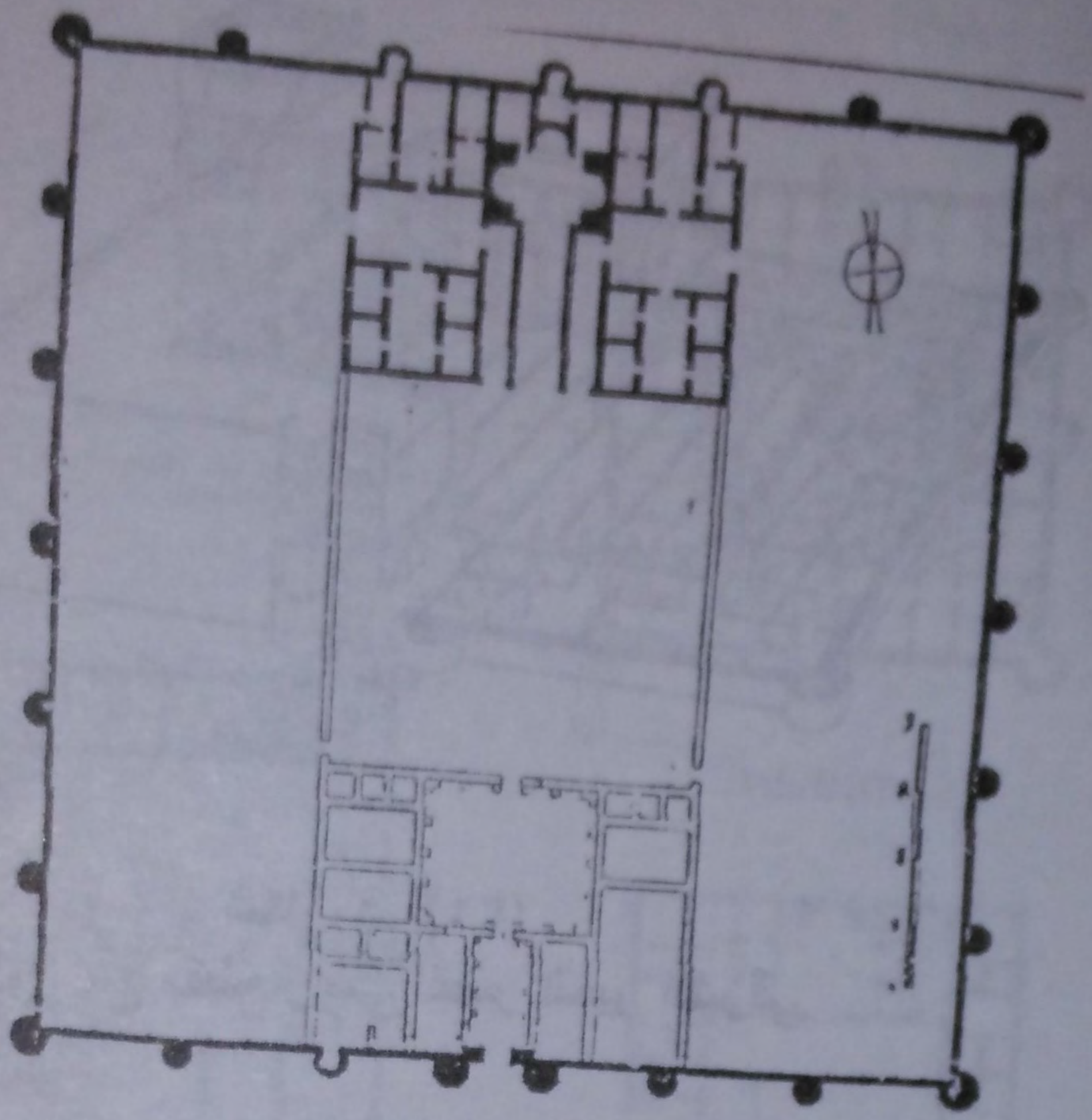

شكل رقم (٣٤)
المسقط الأفقى لقصر المشتى وتتضح الثنائية فى التخطيط

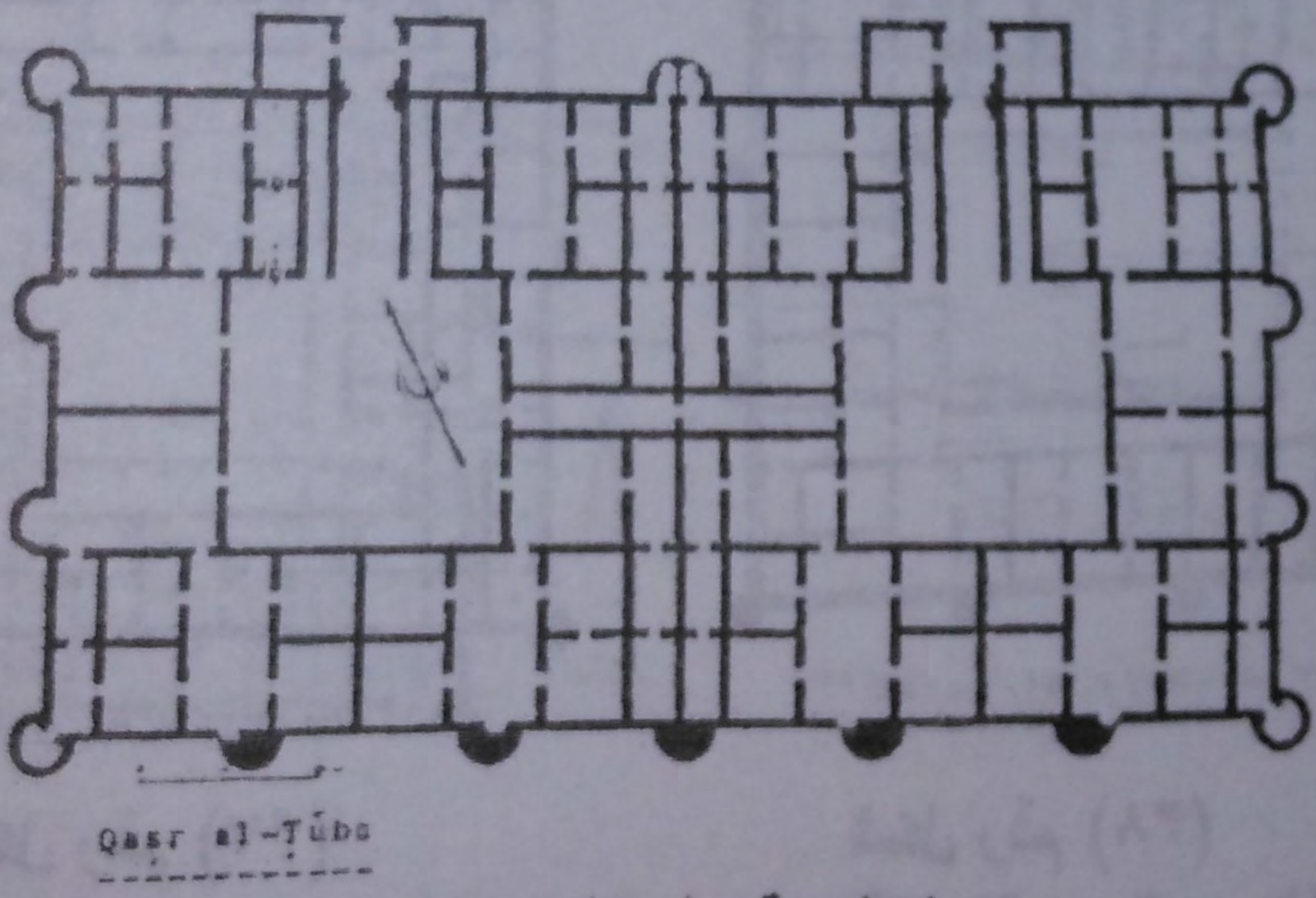

شكل رقم (٣٥)
المسقط الافقى لقصر الطوبة وتتضح الثنائية فى التخطيط التوأمى
عن Carlir

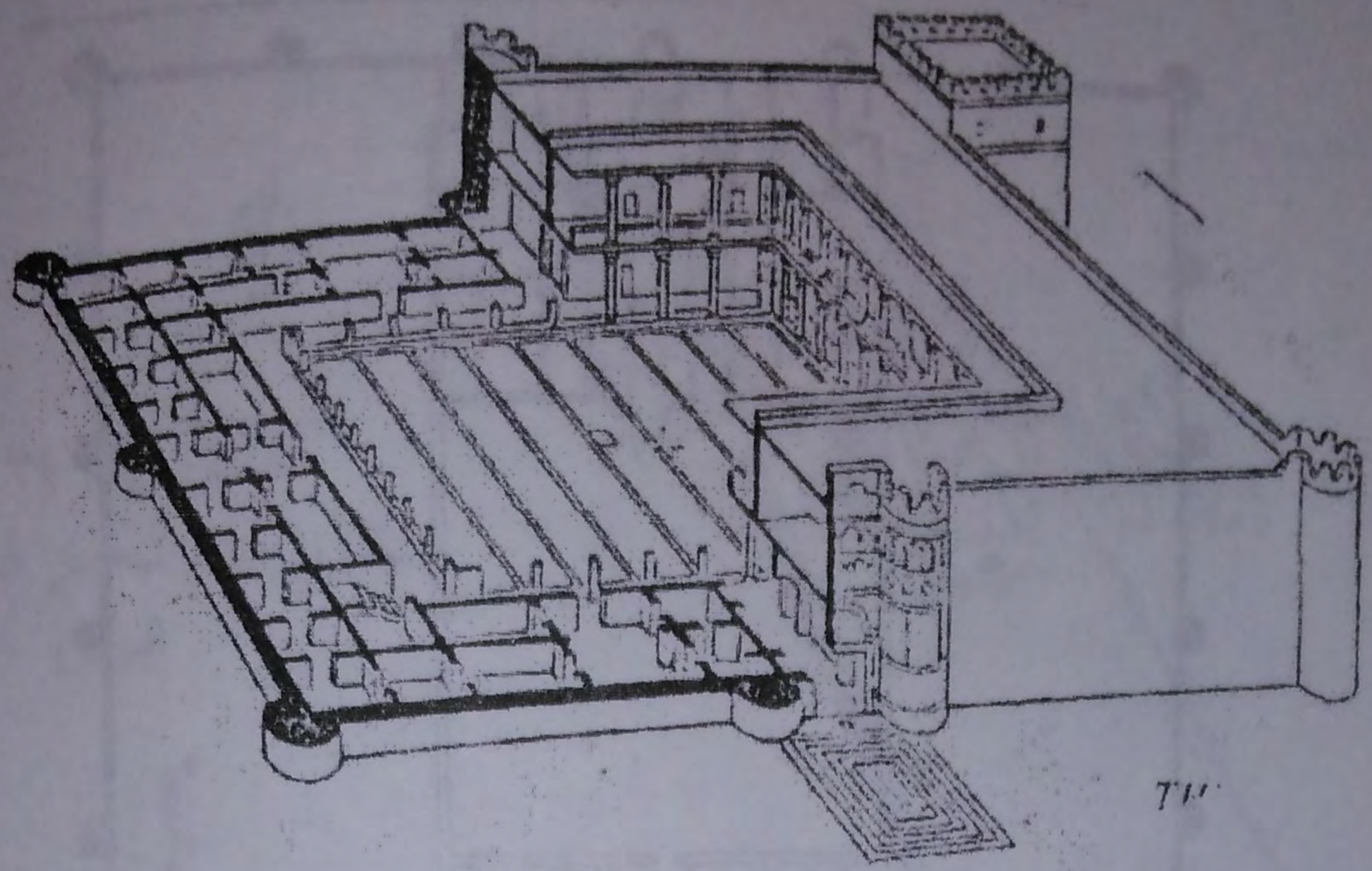

شكل رقم (٣٦)
منظور مع مقطع رأسى لقصر الحير الشرقى

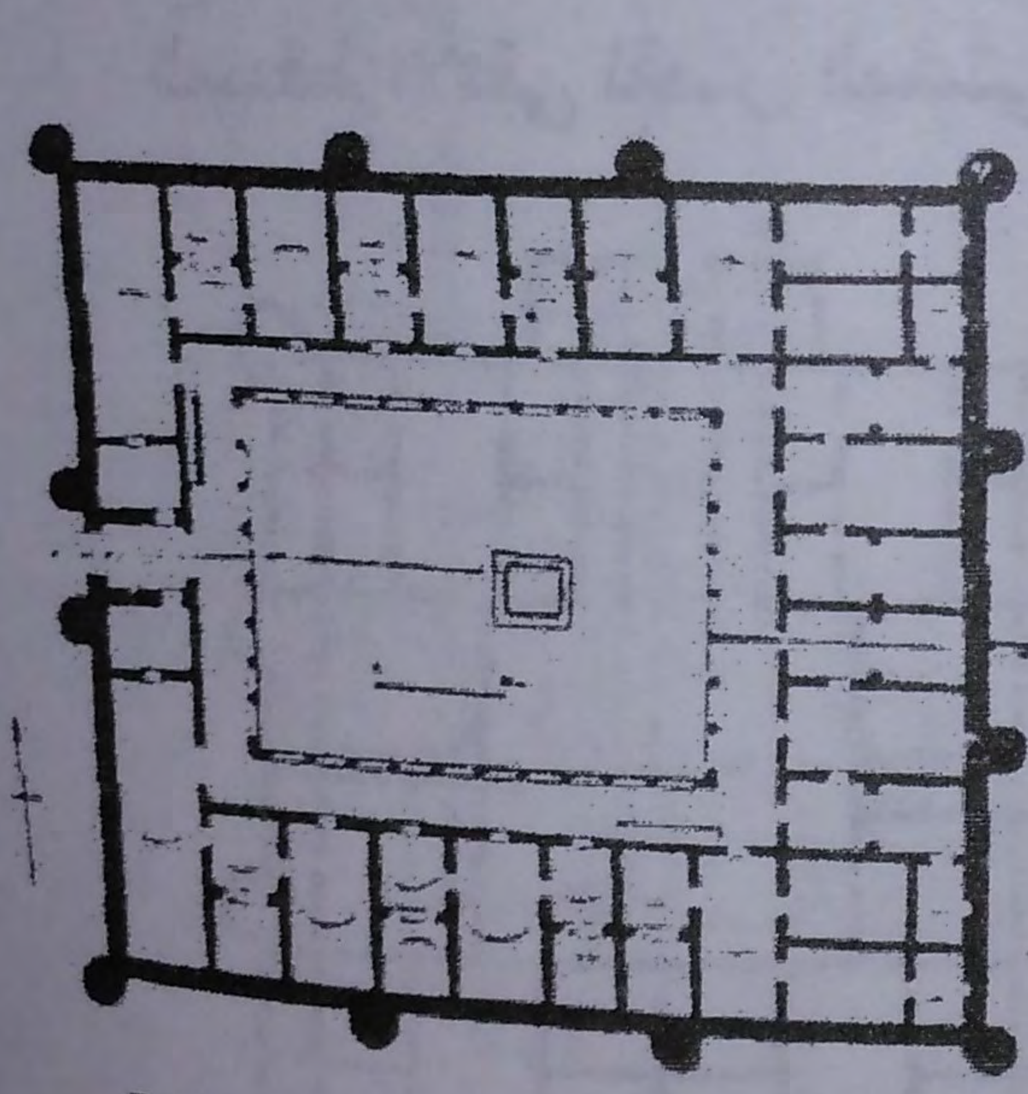

Qaṣr al-Ḥayr al-Šarqī

شكل رقم (٣٨)
المسقط الافقى لقصر الحير الغربى
عن Carlir

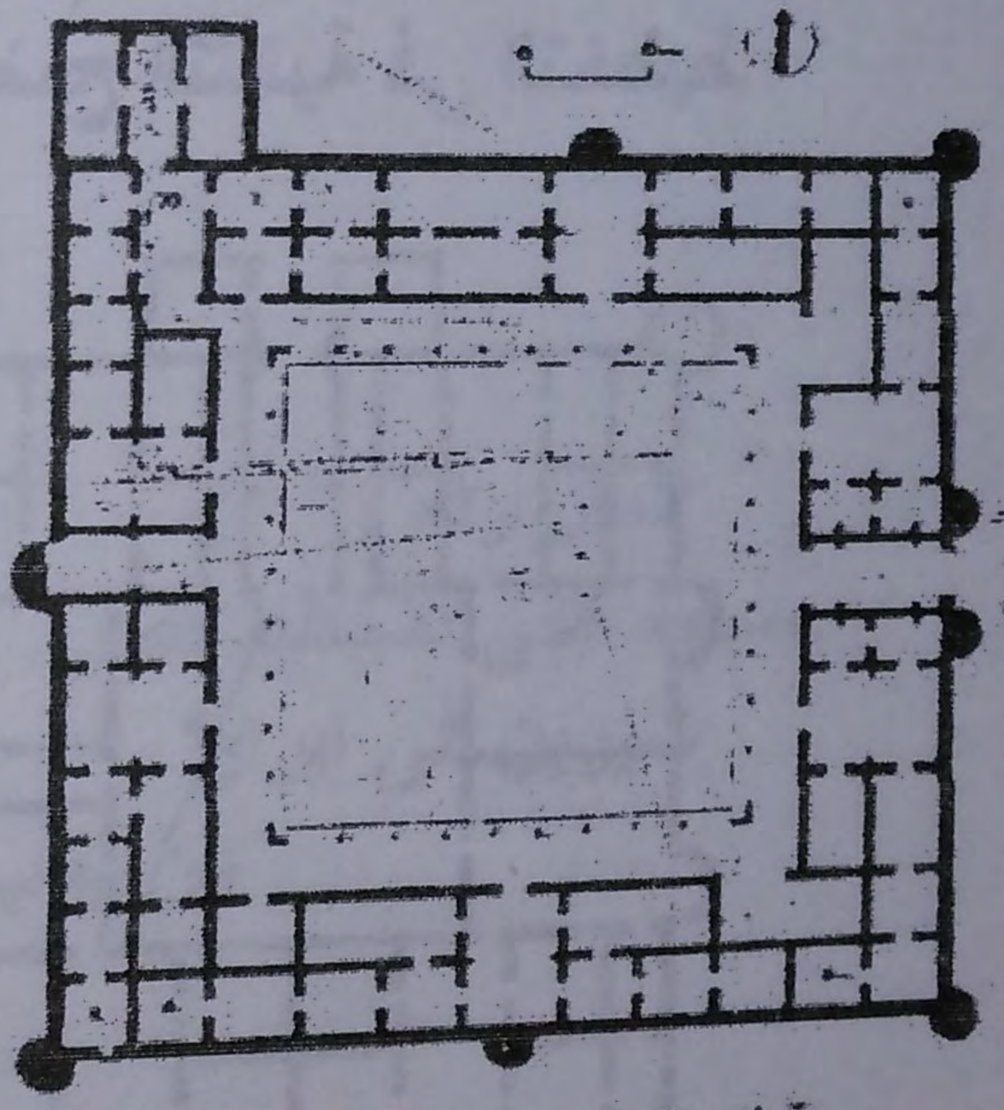

Qaṣr al-Ḥayr al-Garbī

شكل رقم (٣٧)
المسقط الافقى لقصر الحير الشرقى

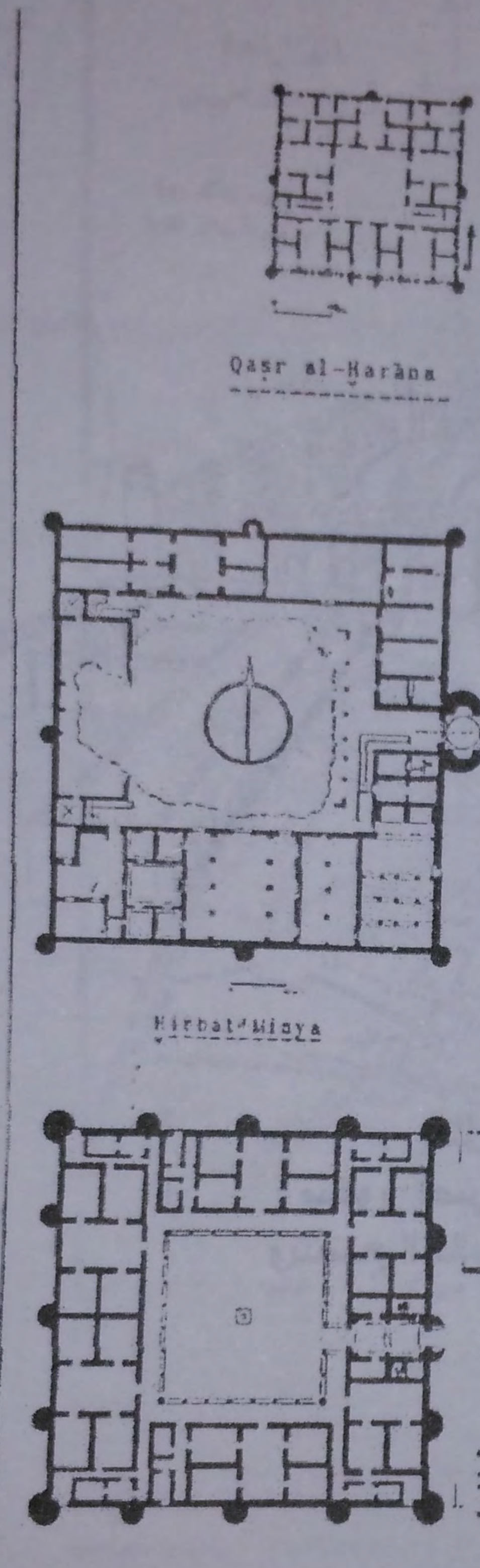

شكل رقم (٣٩)
نماذج لمساقط أفقية لبعض القصور الاموية
ويتضح فيها تكرار التخطيط الداخلى
عن Carlir

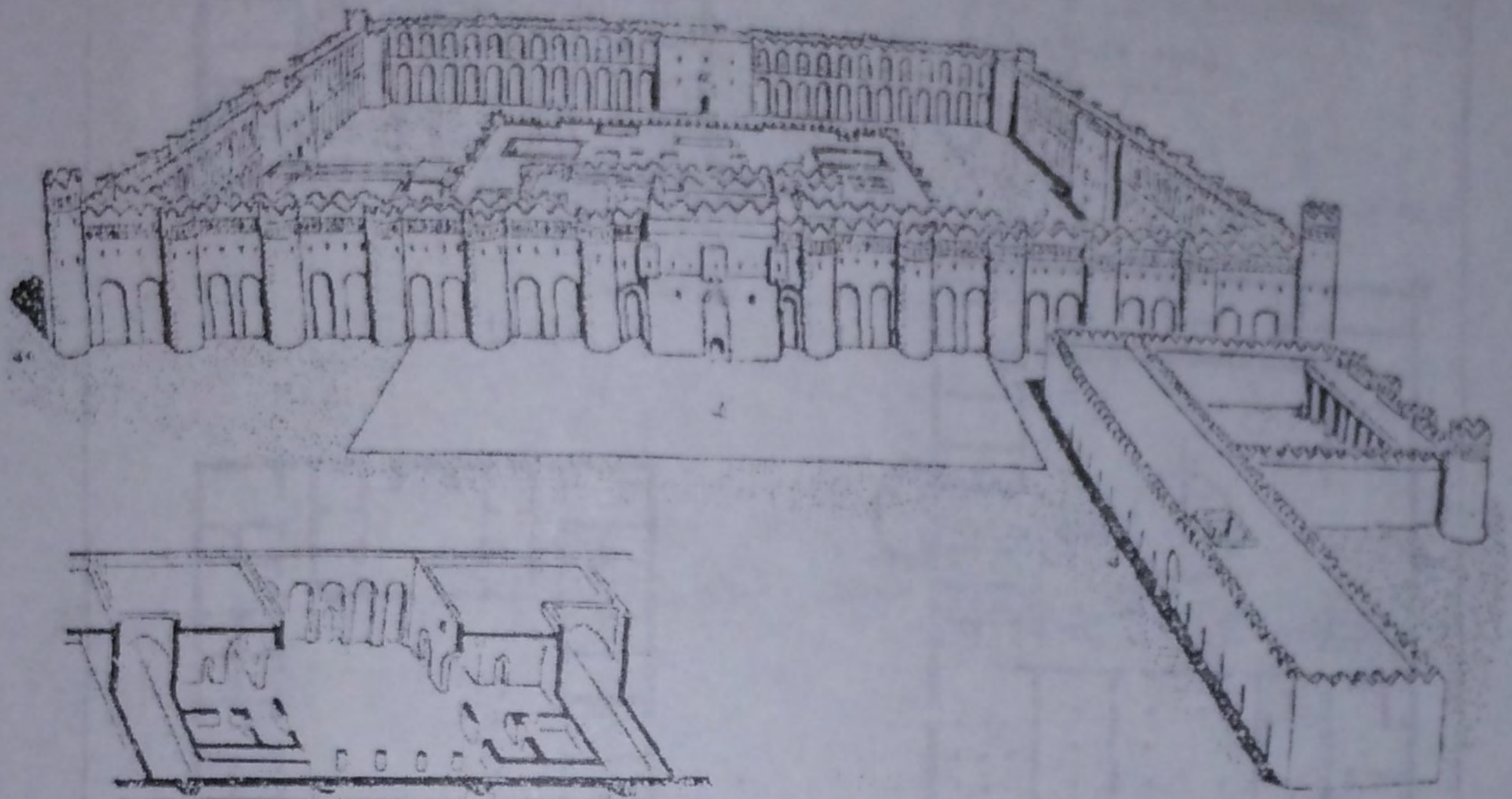

شكل رقم (٤٠)
منظور قصر الاخيضر العباسى
وتتضح الثنائية فى تكرار التخطيط
عن Carlir

شكل رقم (٤١)
خريطة القاهرة الفاطمية
وتتضح الثنائية فى تقابل القصرين الفاطميين
الشرقى الكبير والغربى الصغير
عن حسن محمود

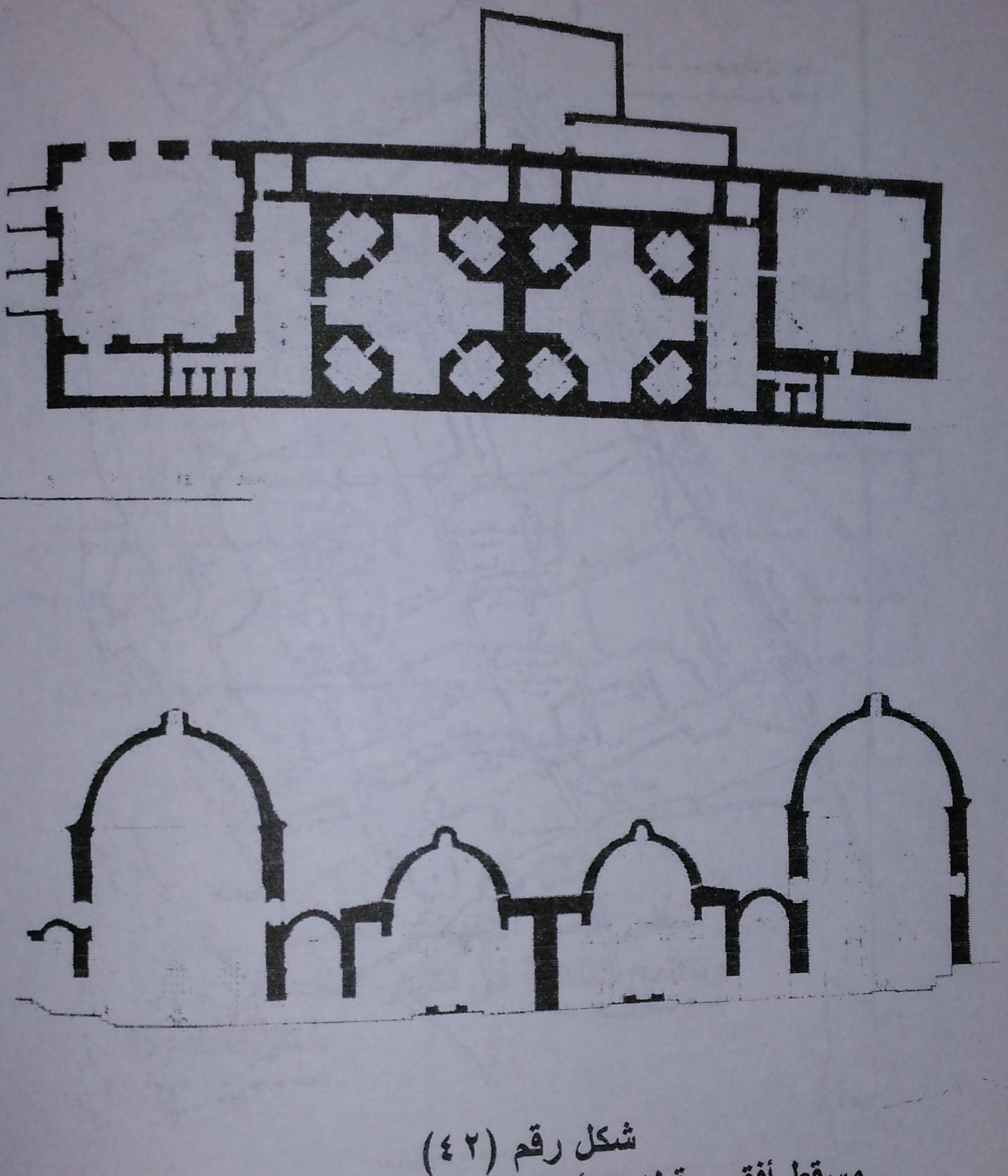

شكل رقم (٤٢)
مسقط أفقى وقطاع رأسى لحمام القصر باسطانبول
عن جودوين

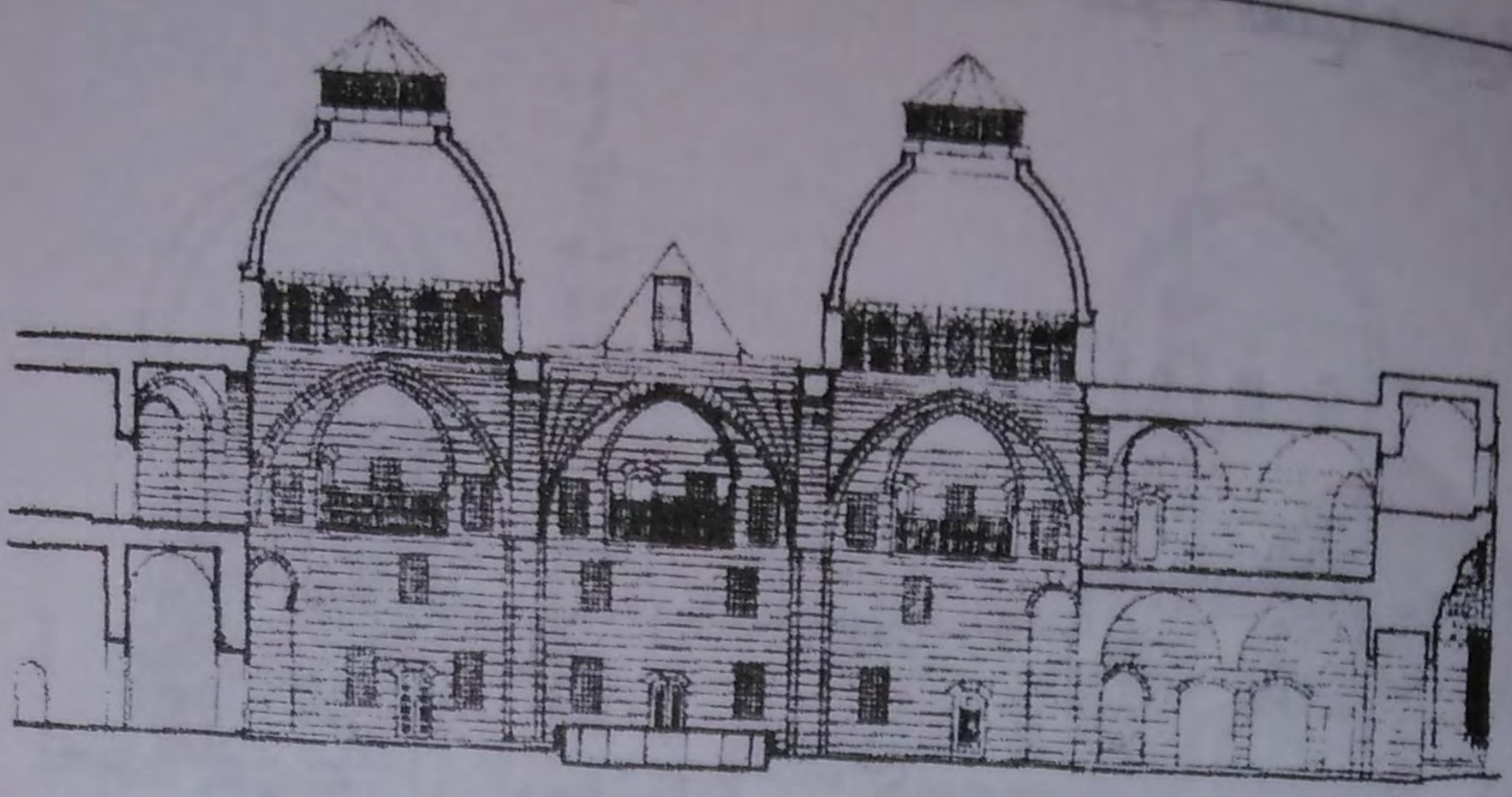

شكل رقم (٤٢) مكرر
قطاع واجهة لخان أسعد باشا فى دمشق
عن الريحاوى

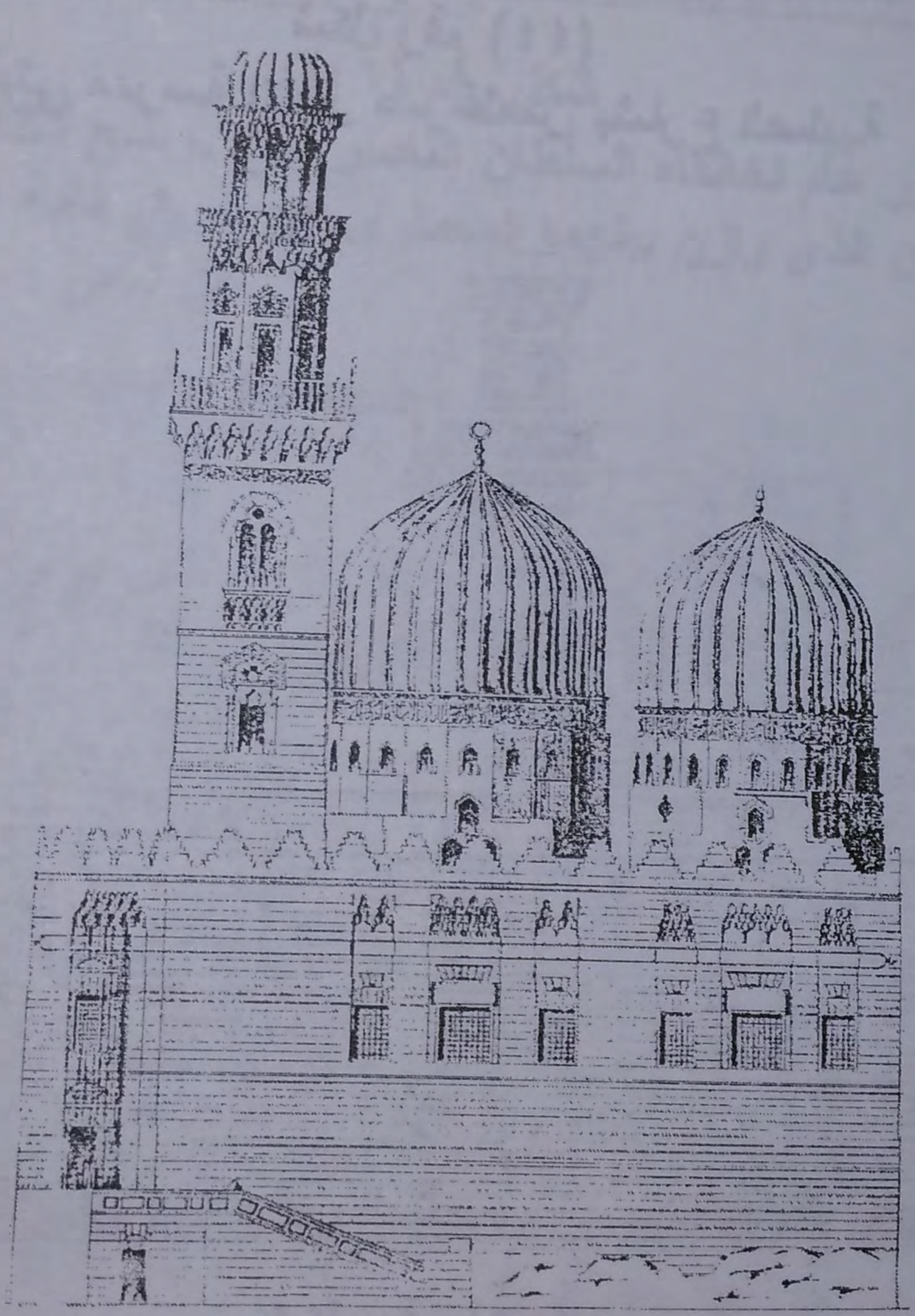

شكل رقم (٤٣)
منظور واجهة لقبتى مدرسة وخانقاه سلار وسنجر
الجاولى يتضح فيه عدم التماثل بين القبتين
عن طلال شعبان

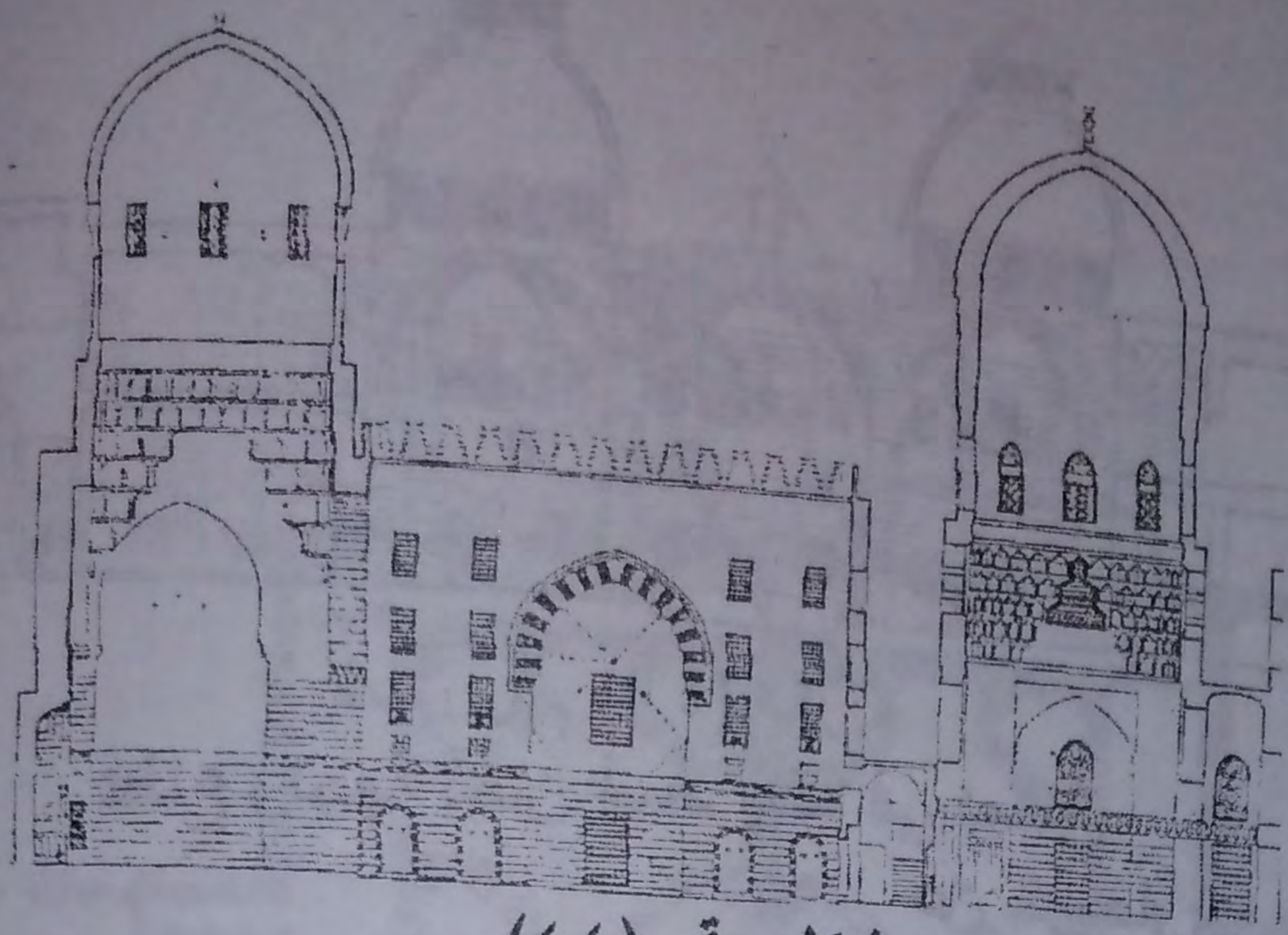

شكل رقم (٤٤)
قبتى مدرسة الأمير صرغتمش بشارع الصليبة

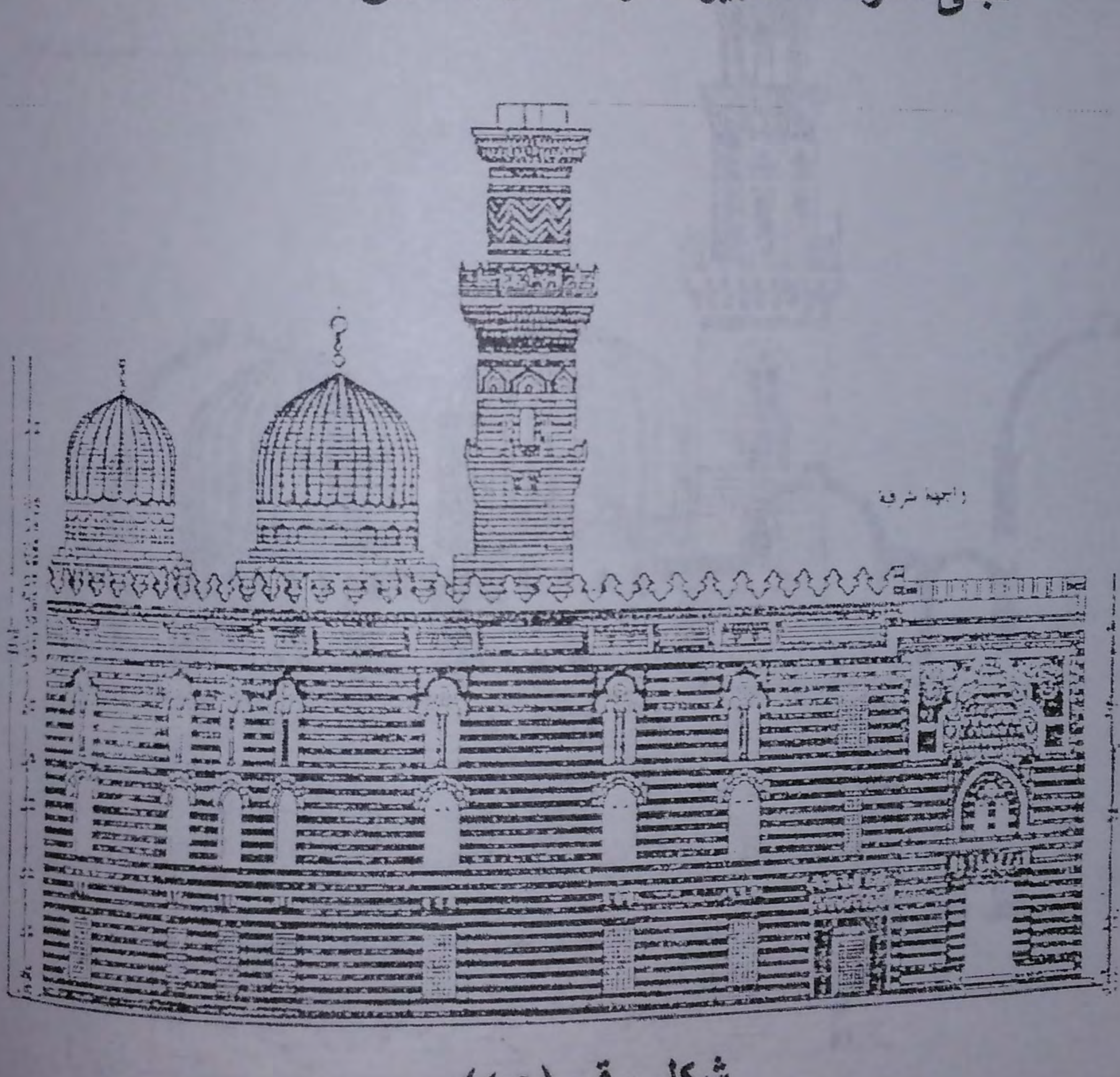

واجهة شرق

شكل رقم (٤٥)
قبتى مدرسة أم السلطان شعبان بالتبانة
عن طلال شعبان

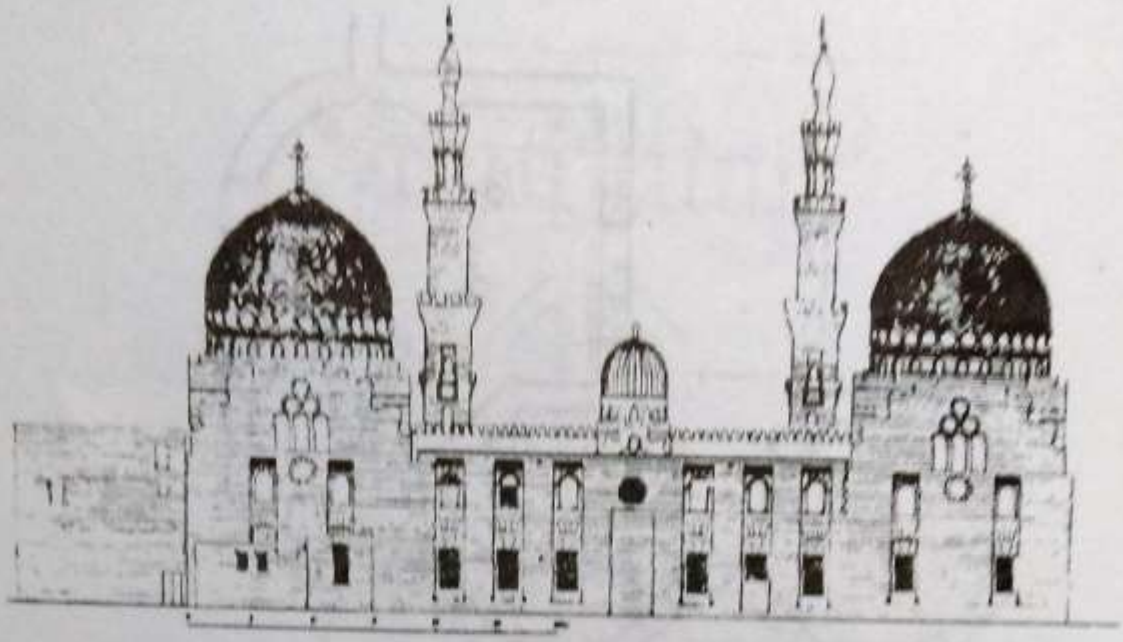

شكل رقم (٤٦)
منظور عام لخانقاه السلطان الناصر فرج يوضح الثنائية فى القبتين الذى وازن بينهما المعمارى عن طريق القبة الوسطى عن لمعى

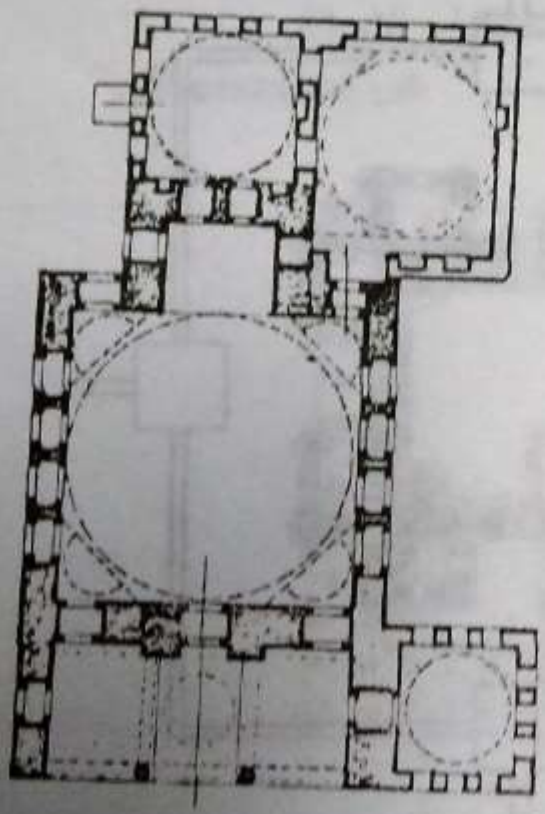

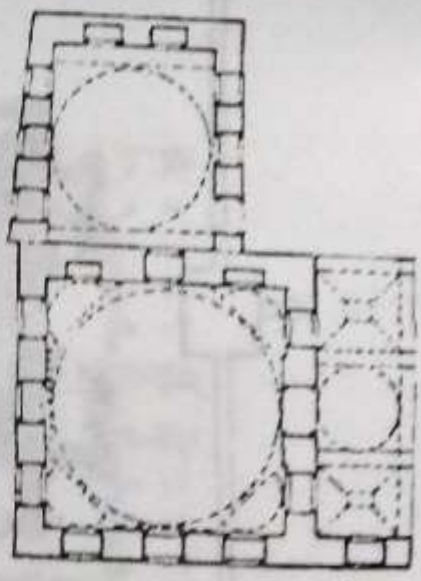

شكل رقم (٤٧)
قبتى تربة أورخان بك بالأناضول

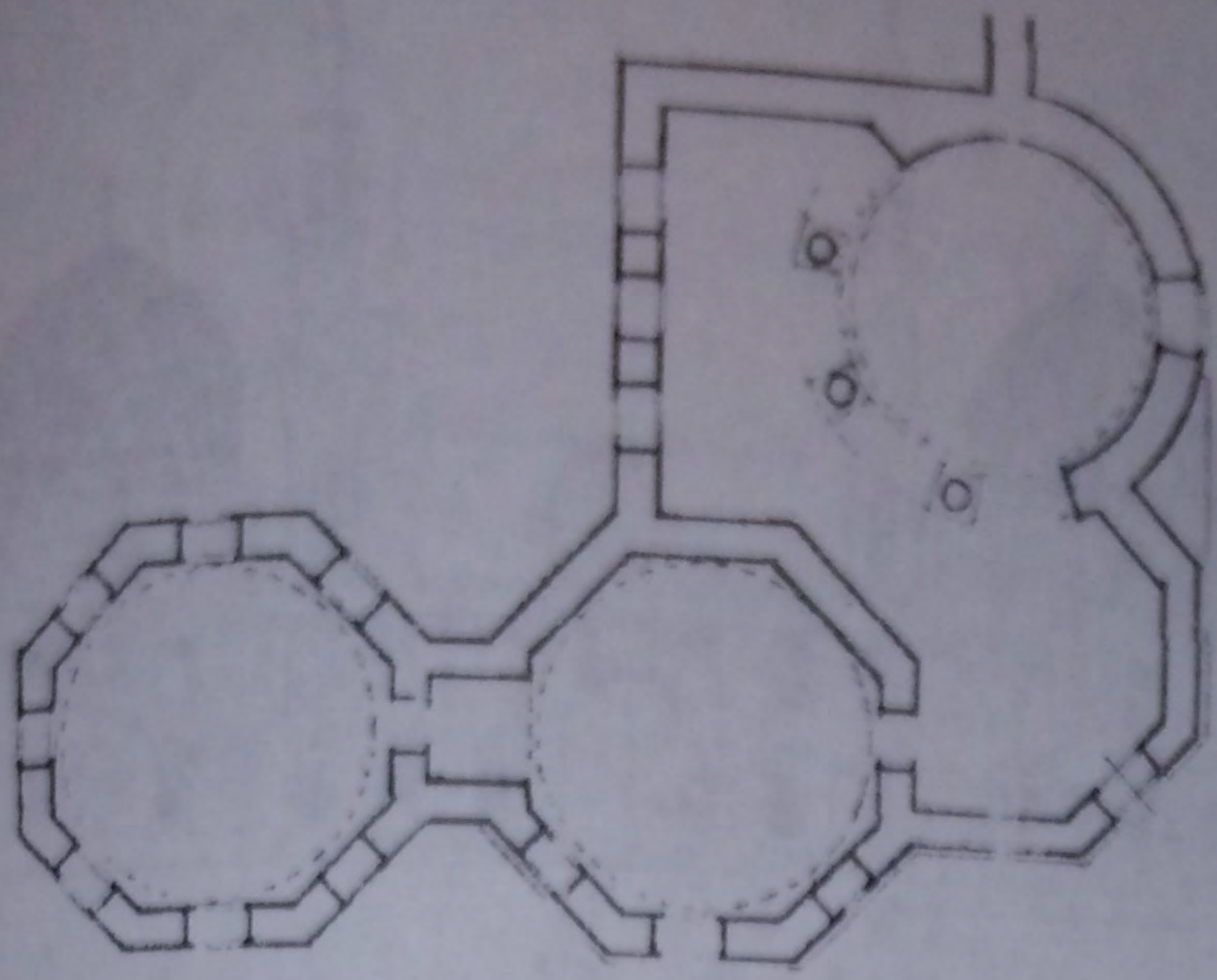

شكل رقم (٤٩)
قبتى تربة سمبل أفندى بالأناضول

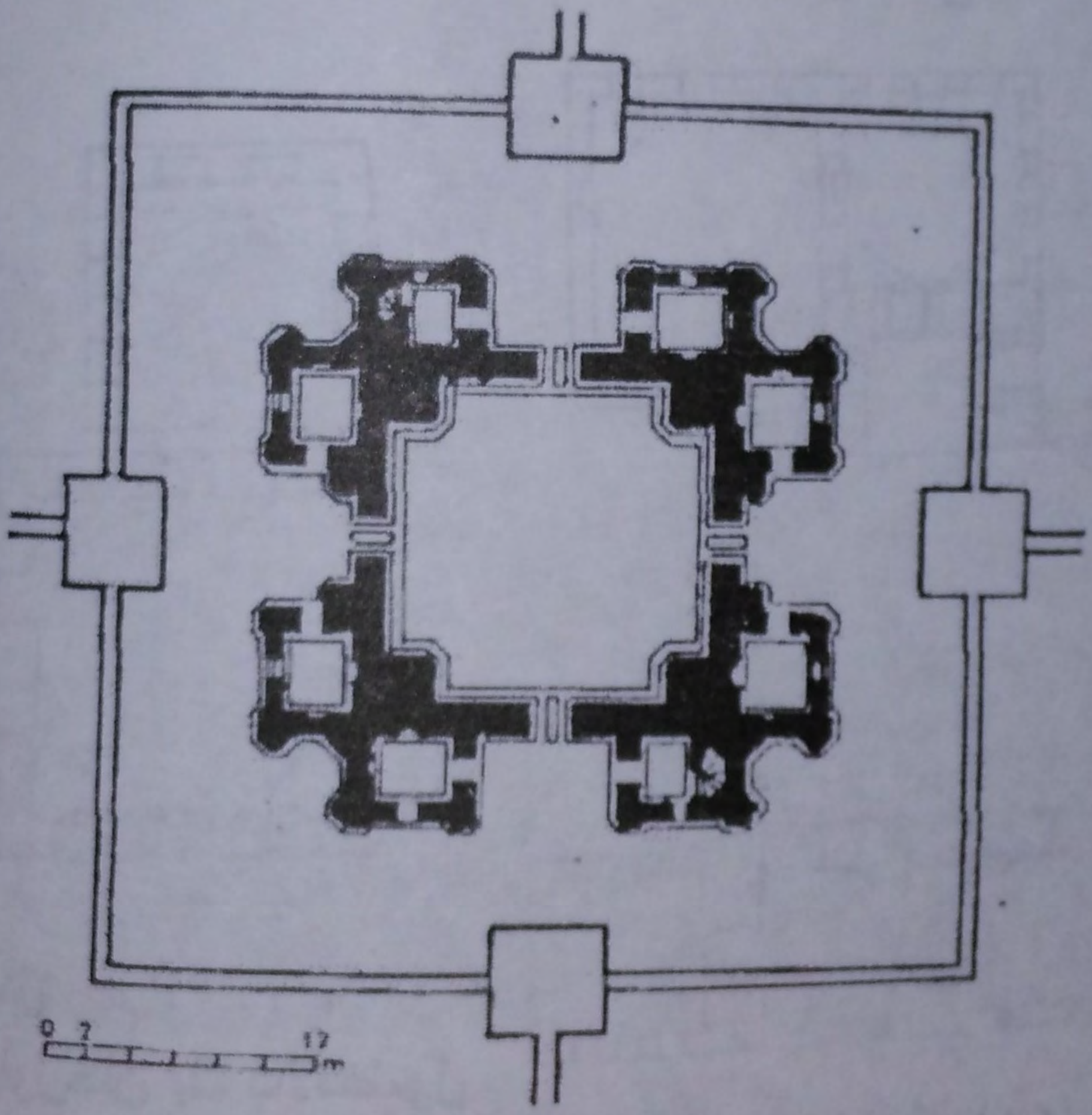

شكل رقم (٥٠)
مسقط أفقى لضريح الخواجة رابى فى الهند
يتضح فيه ثنائية التخطيط

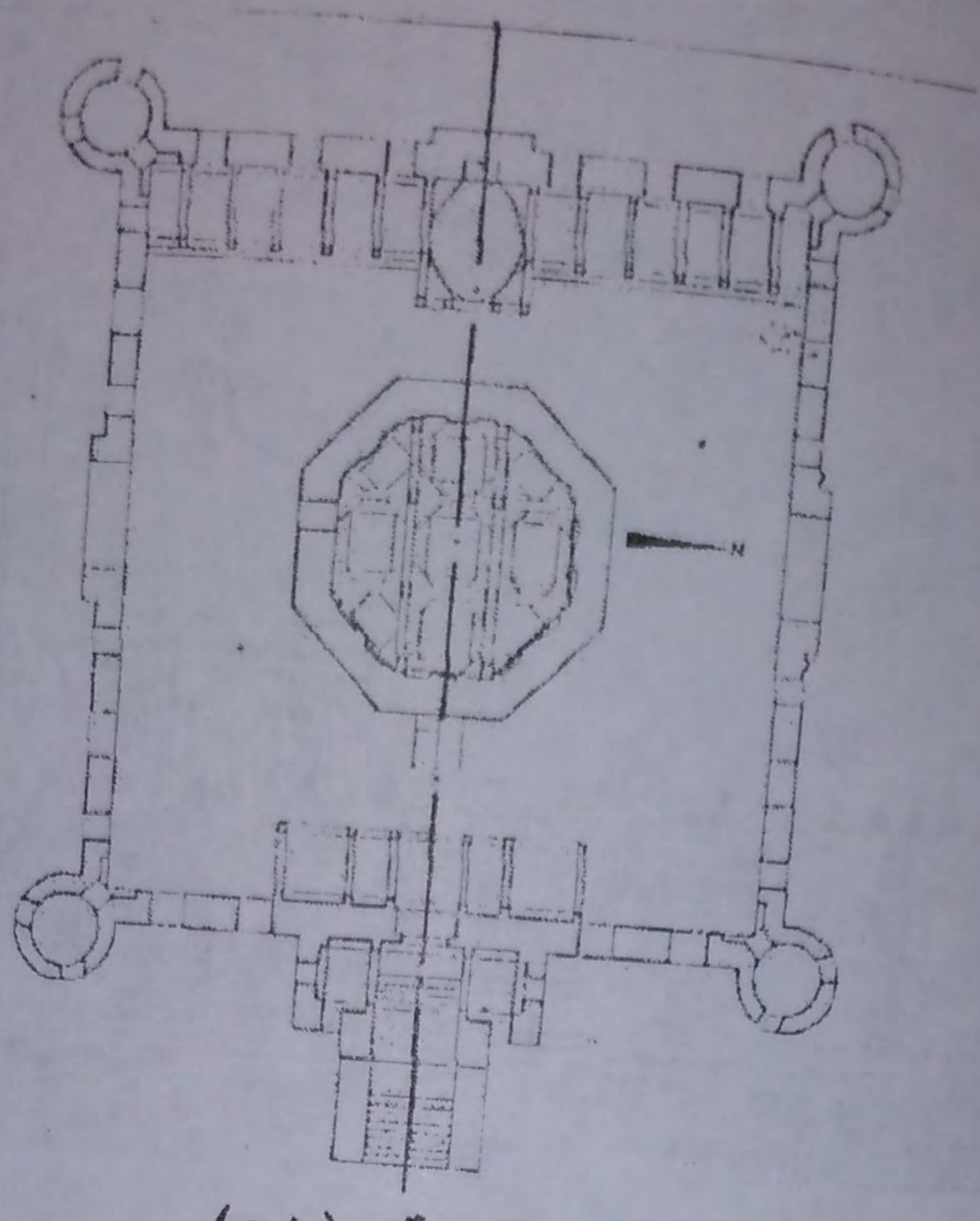

شكل رقم (٥١)
مسقط أفقى لضريح السلطان جاهير فى الهند
يوضح ثنائية التخطيط والابراج
عن Shoimame

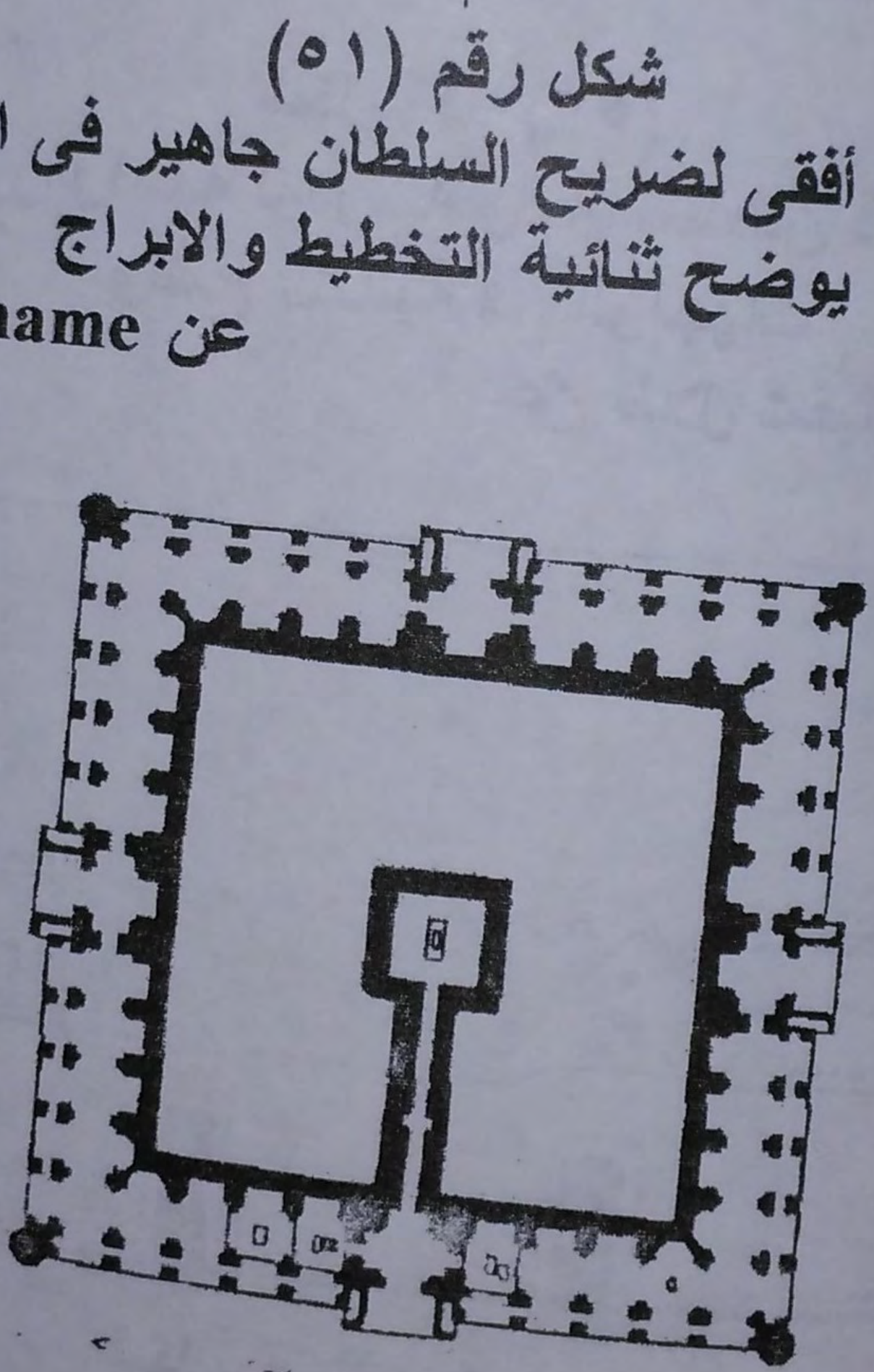

شكل رقم (٥٢)
ضريح السلطان أكبر فى سكندرا بالهند
وتتضح الثنائية فى التخطيط والعناصر

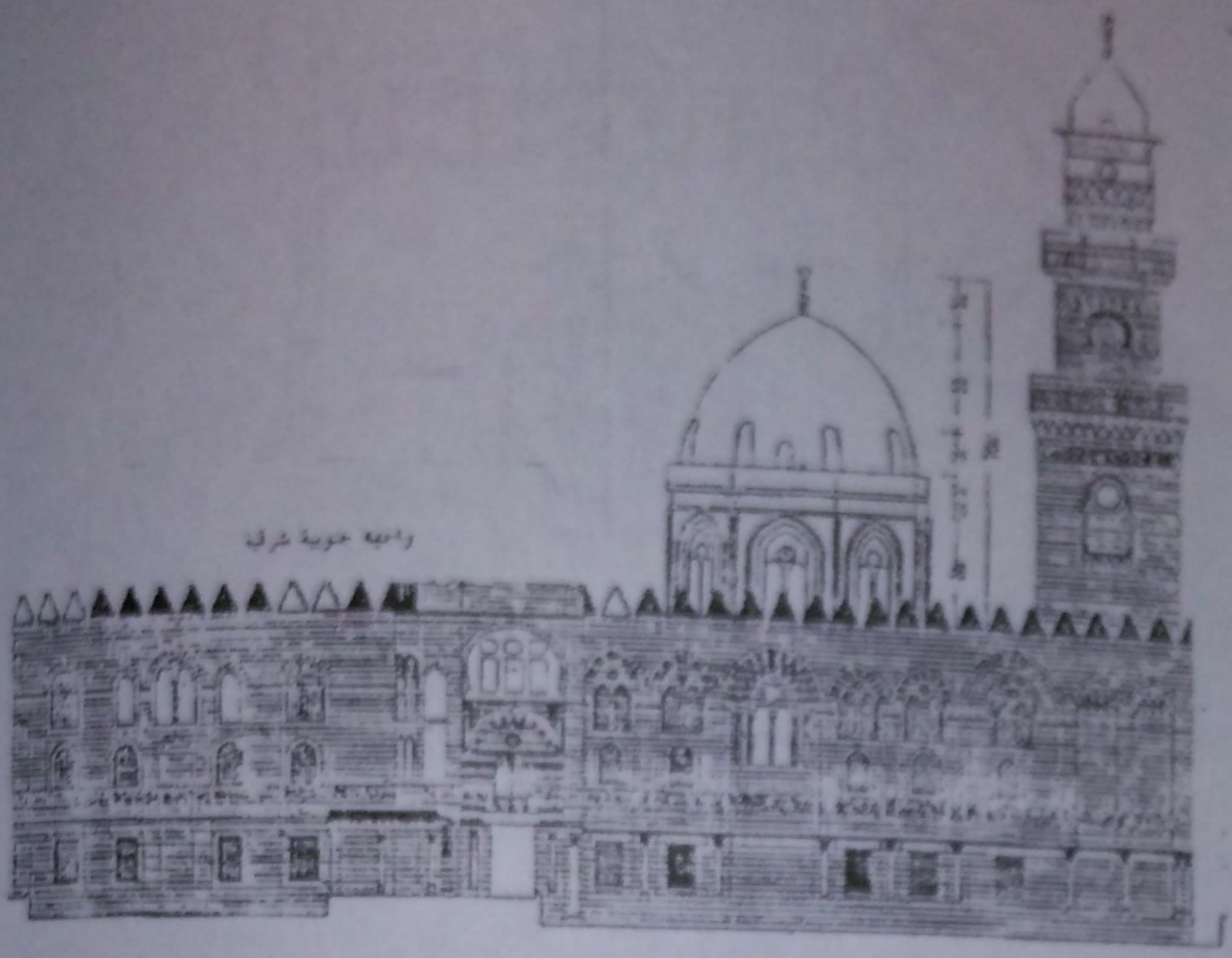

شكل رقم (٥٣)
منظور واجهة لمدرسة وقبة السلطان قلاوون
يوضح الثنائية فى الواجهات
عن طلال شعبان

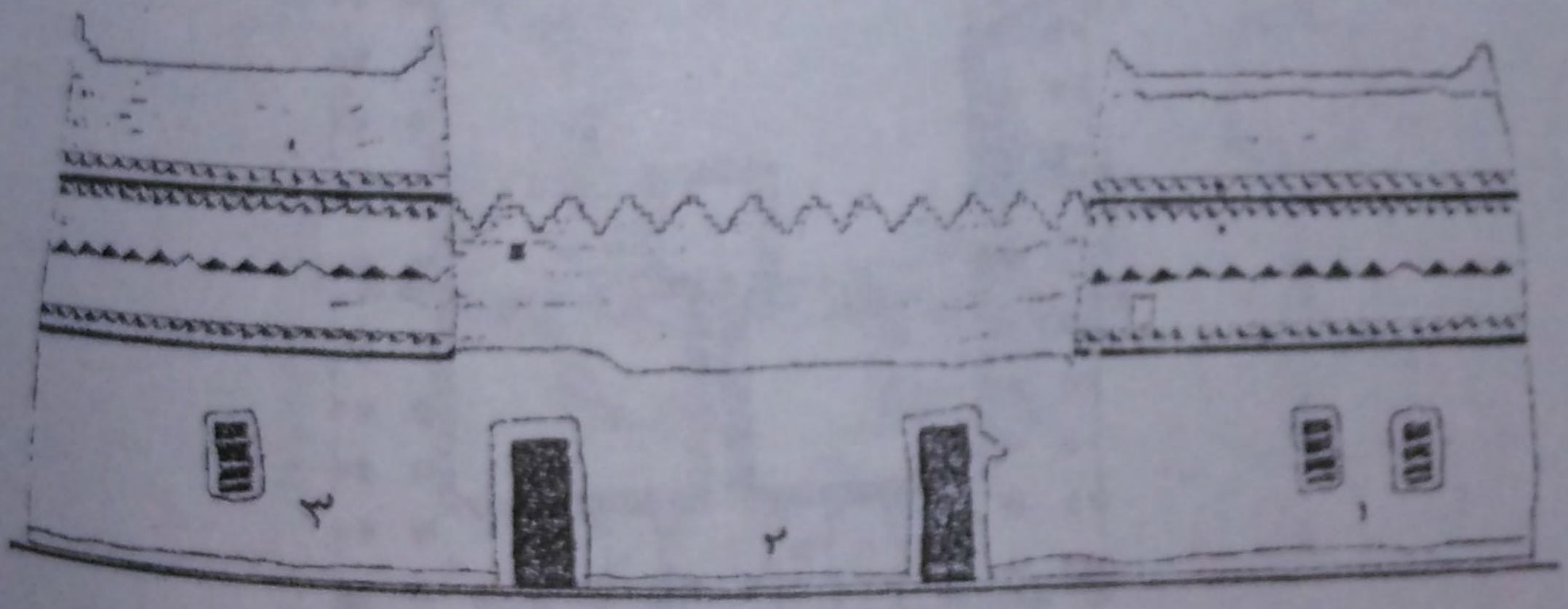

شكل رقم (٥٤)
نموذج لمنزل من دور نجد تتضح فيه الثنائية فى الواجهات
عن الحواس

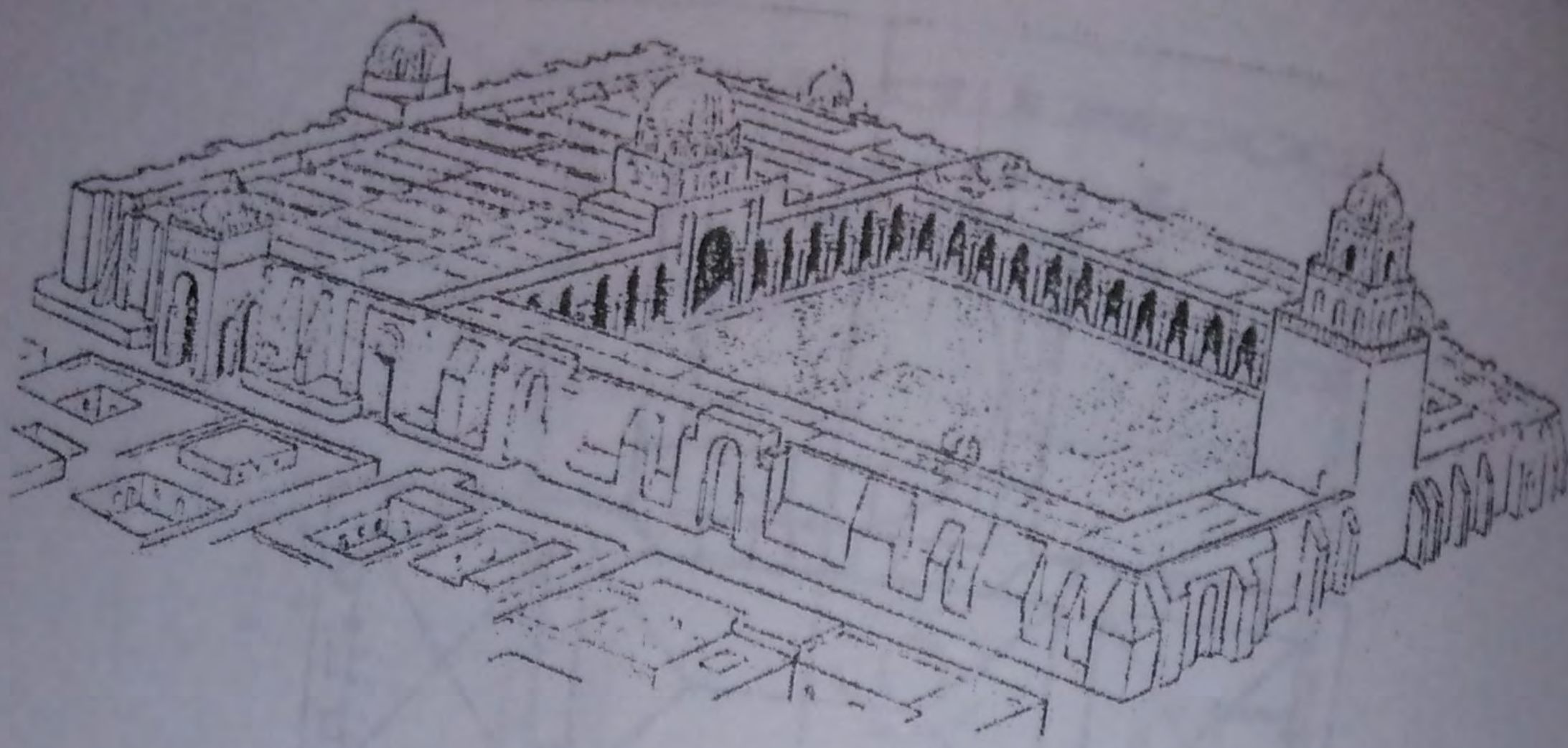

شكل رقم (٥٥)
منظور عام لجامع القيروان
يوضح الثنائية فى القبتين الواقعتين على بلاطه المحراب
عن الباحث

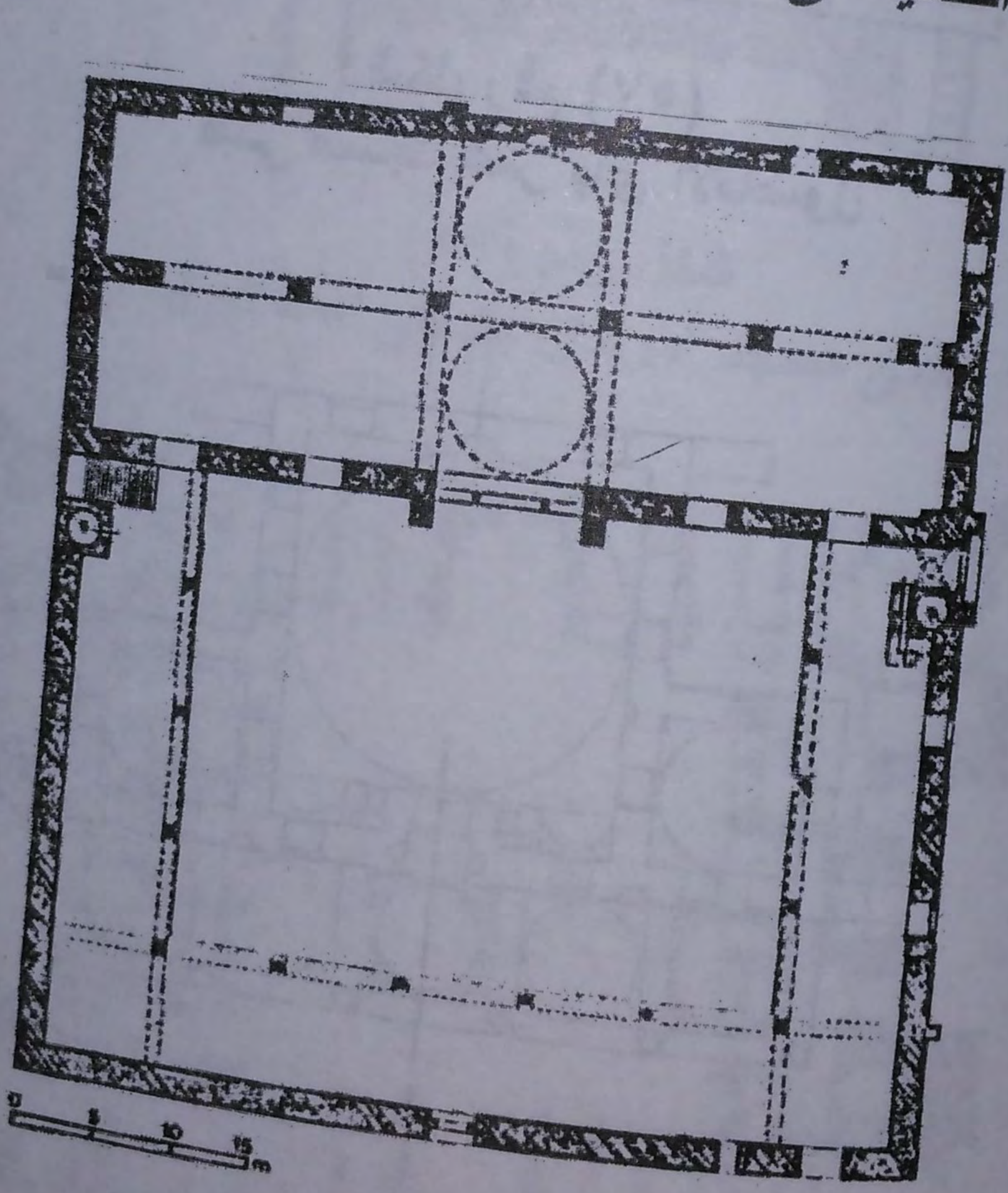

شكل رقم (٥٦)
قبتى مسجد عيسى بك الاناضول

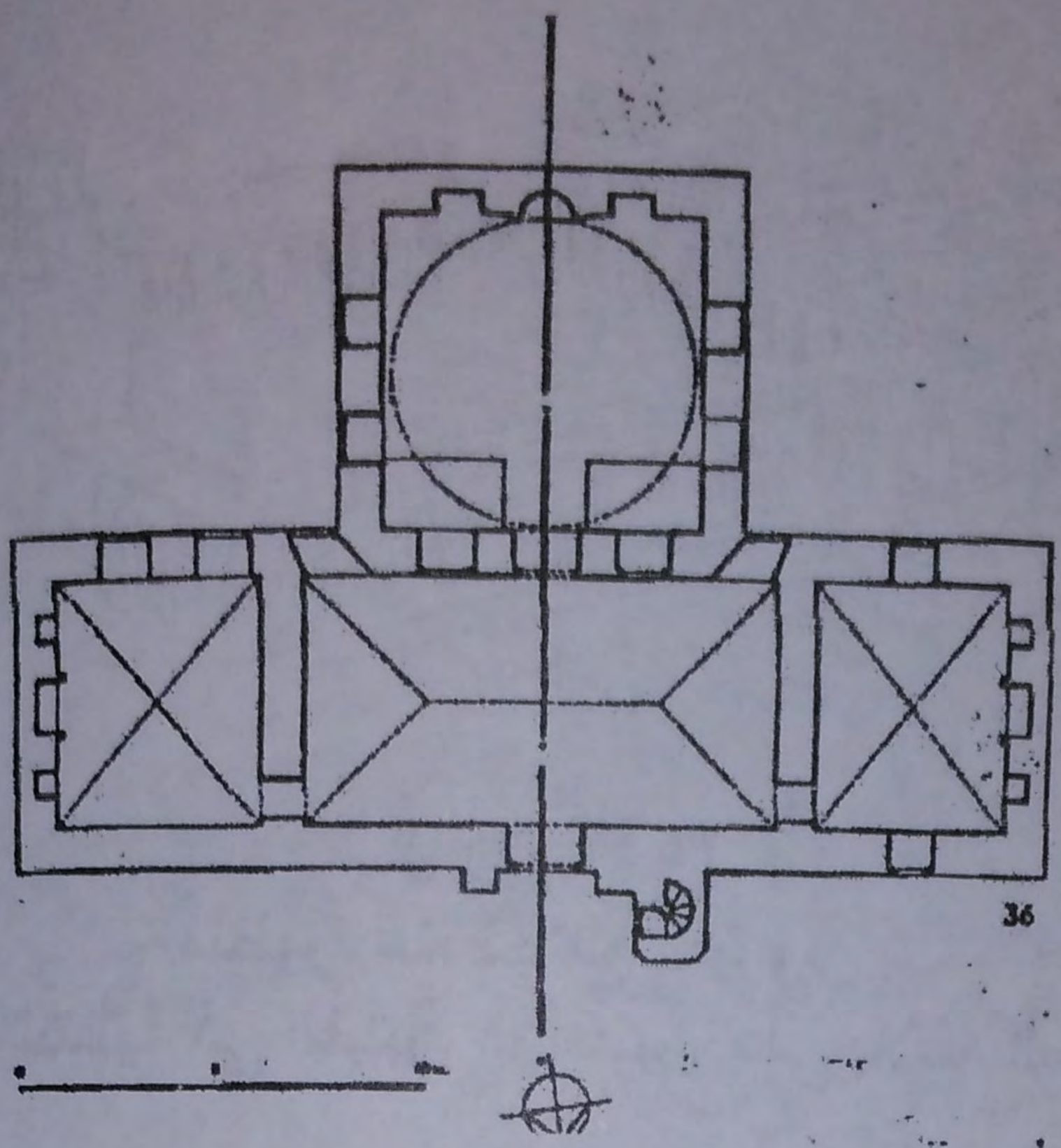

شكل رقم (٥٧)
قبتى مسجد عمر باى الاناضول

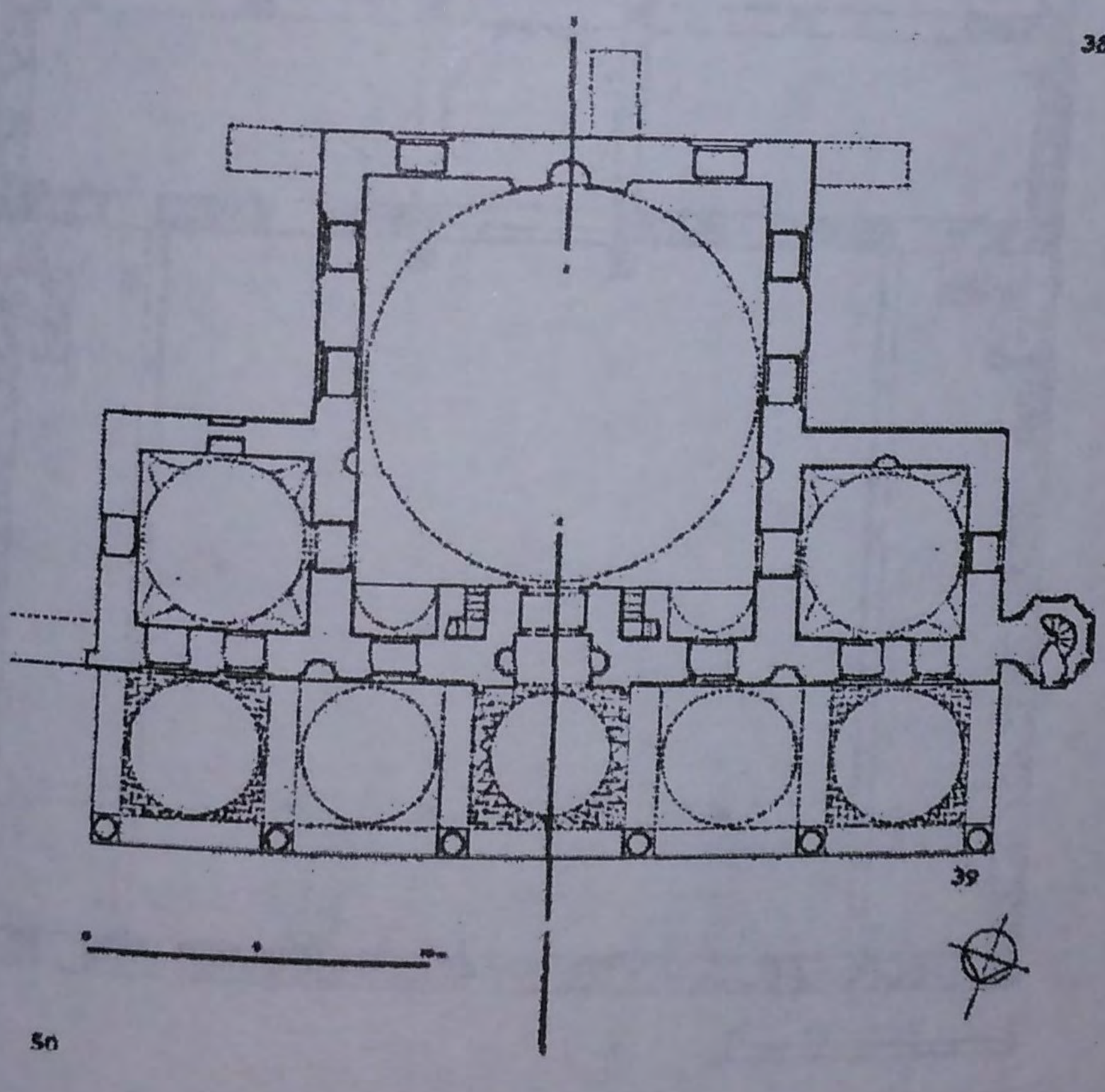

شكل رقم (٥٨)
قبتى مسجد الخاتونية فى الاناضول
عن Brahim

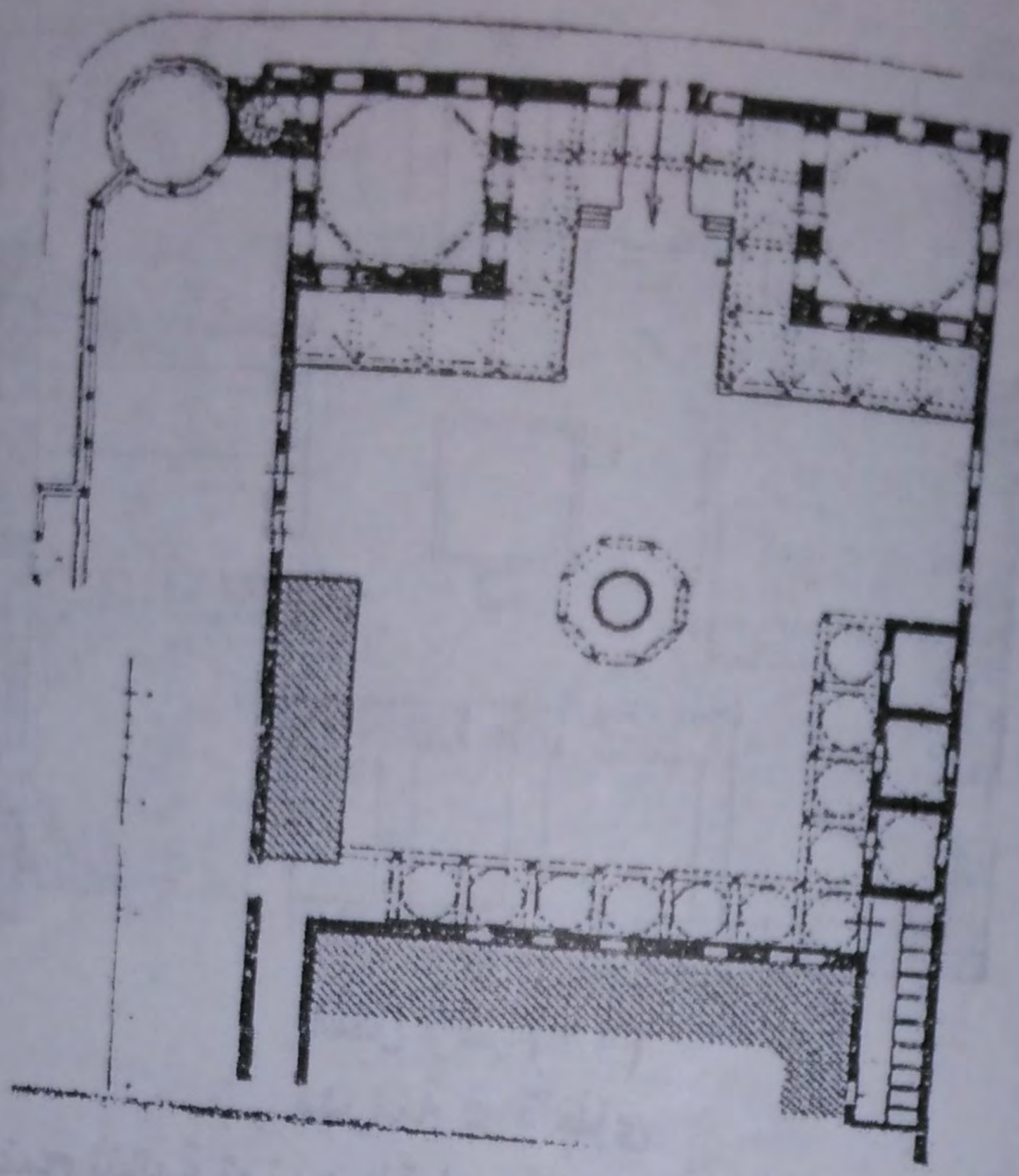

شكل رقم (٥٩)
قبتى مسجد أورخان بك فى اسطانبول

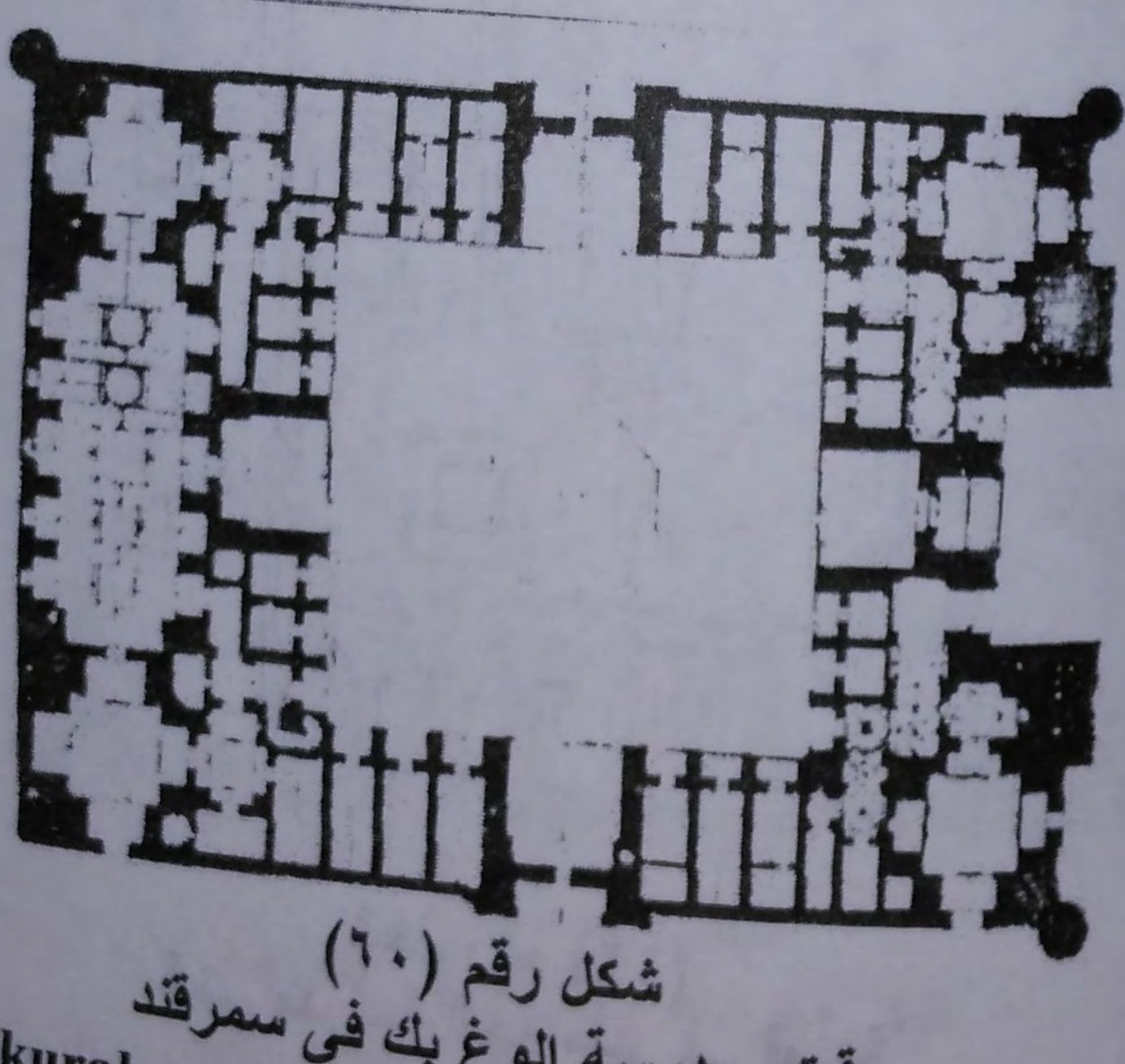

شكل رقم (٦٠)
قبتى مدرسة الوغ بك فى سمرقند
عن kural

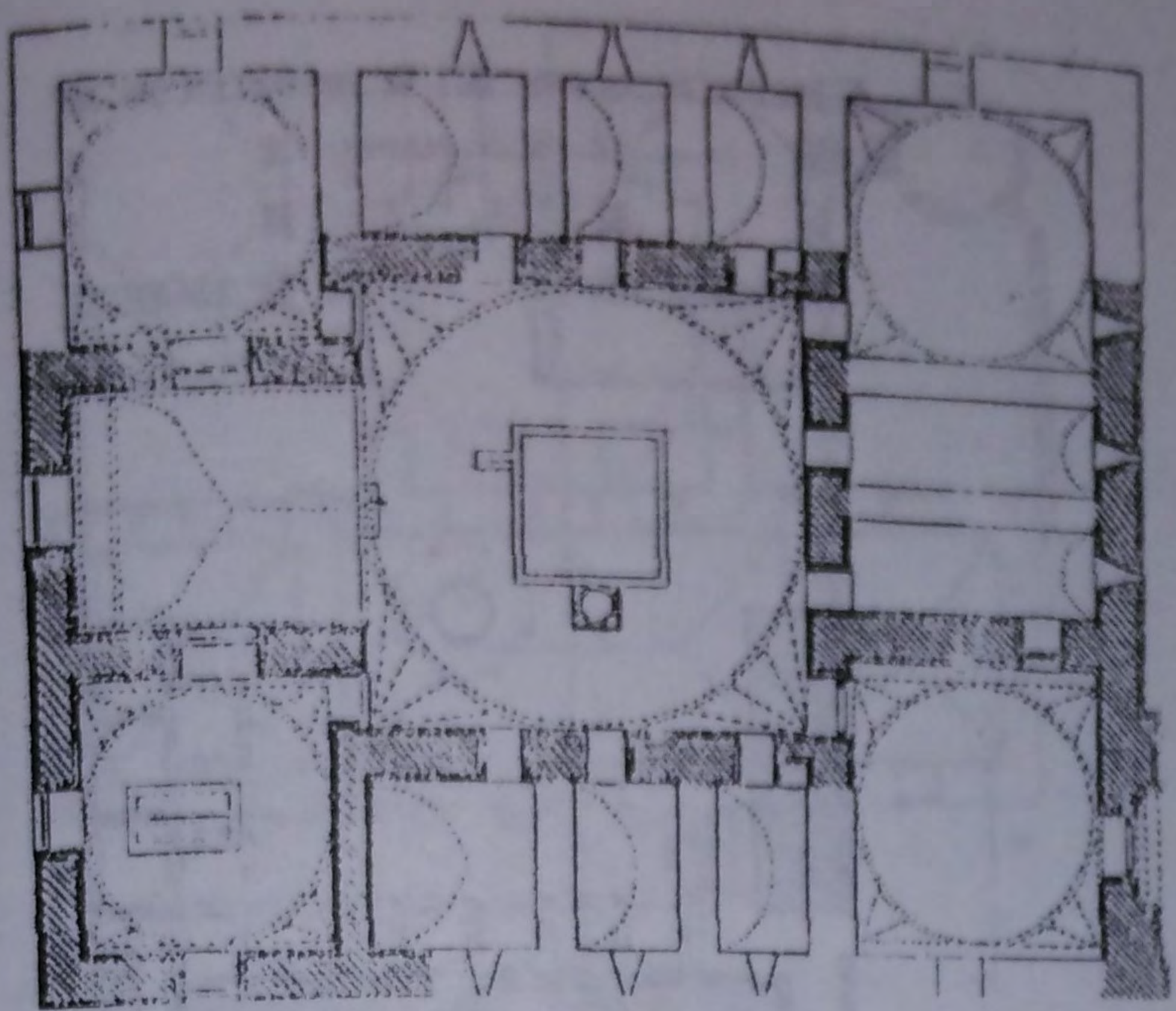

شكل رقم (٦١)
مدرسة قرة طاى
وتتضح ثنائية توزيع القباب من على جانبى الاواوين

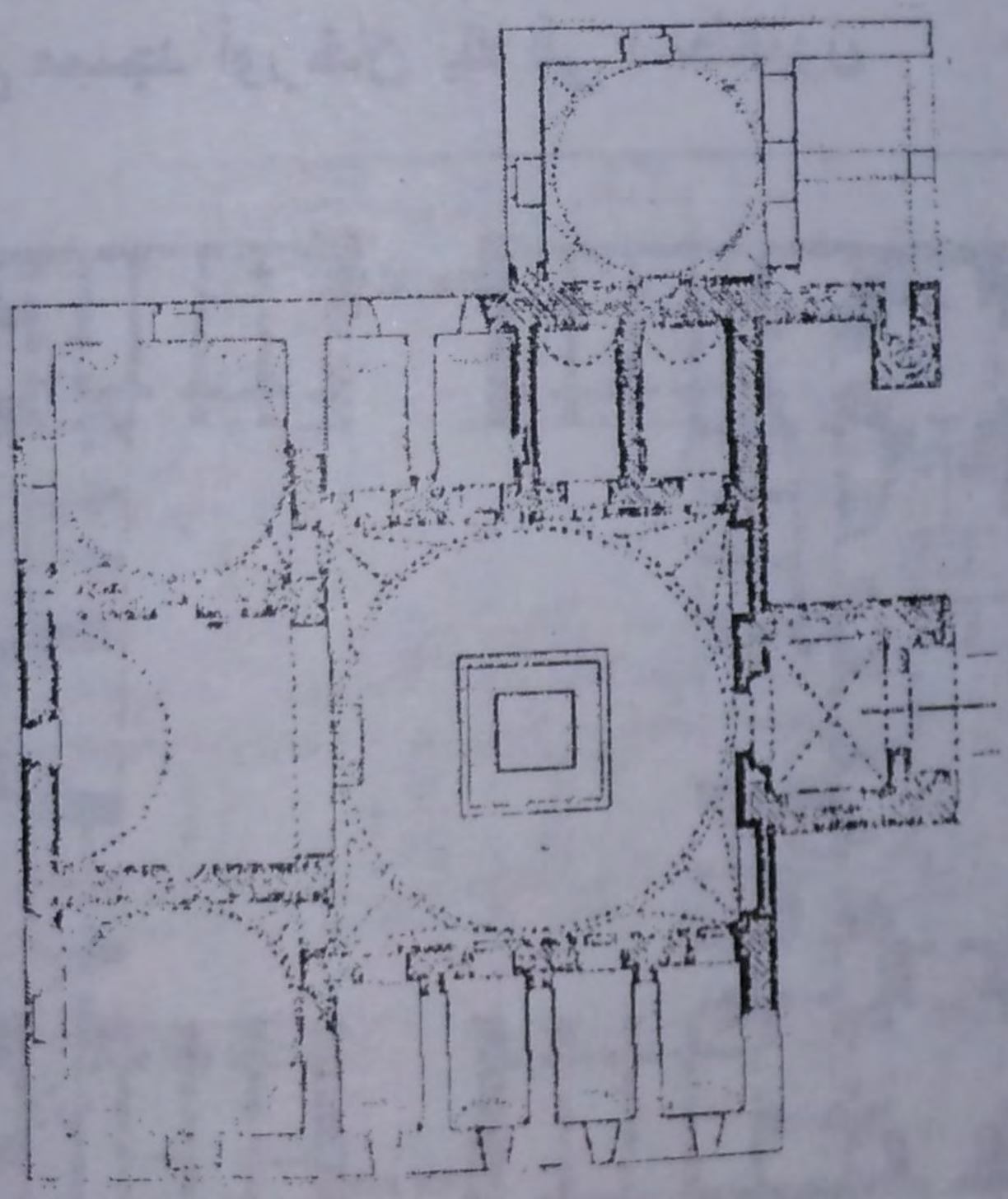

شكل رقم (٦٢)
قبتى مدرسة أنجه منار فى قونية

عن أصلان آبـــا

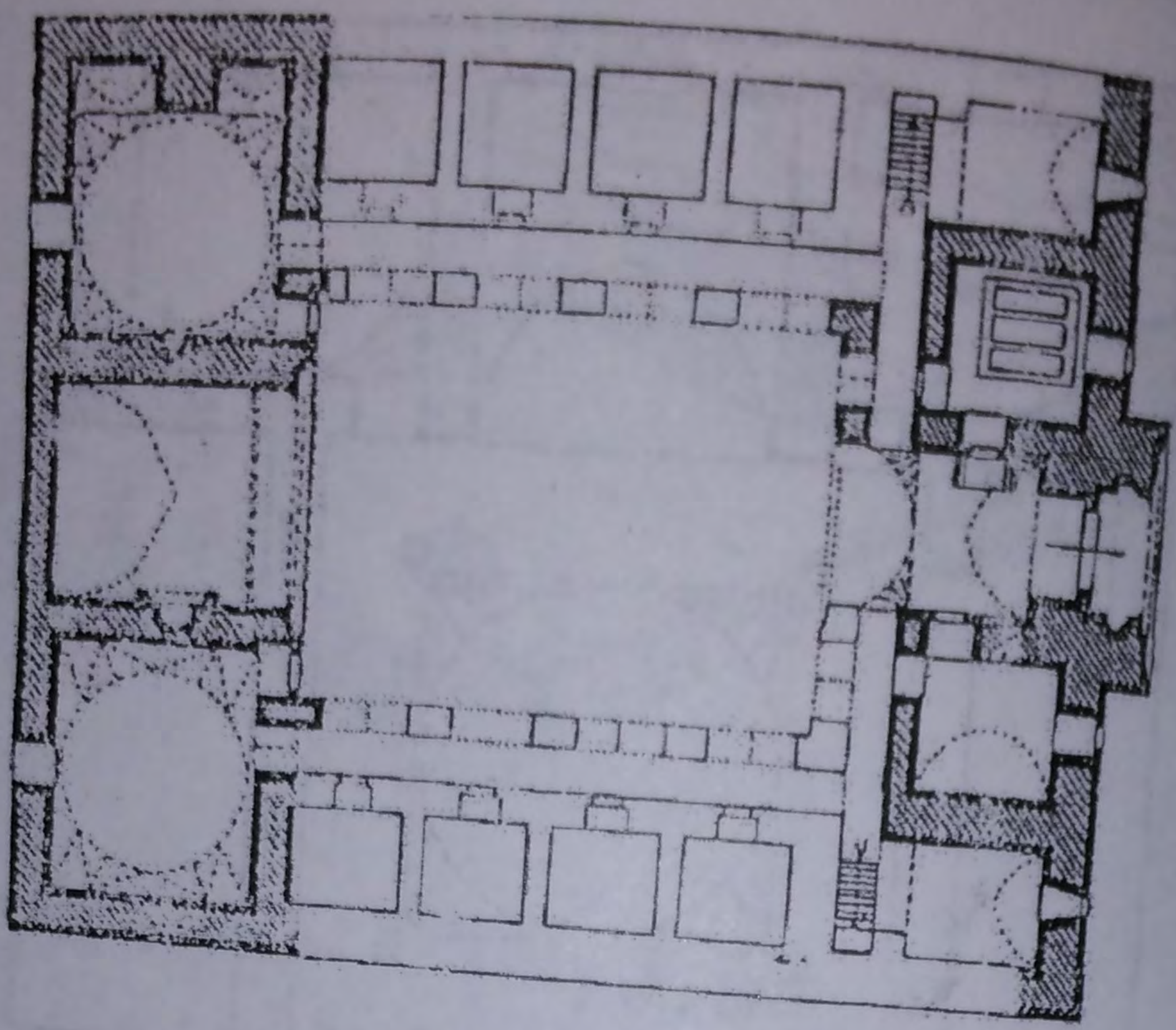

شكل رقم (٦٣)
قبتى مدرسة سرجالى فى قونية

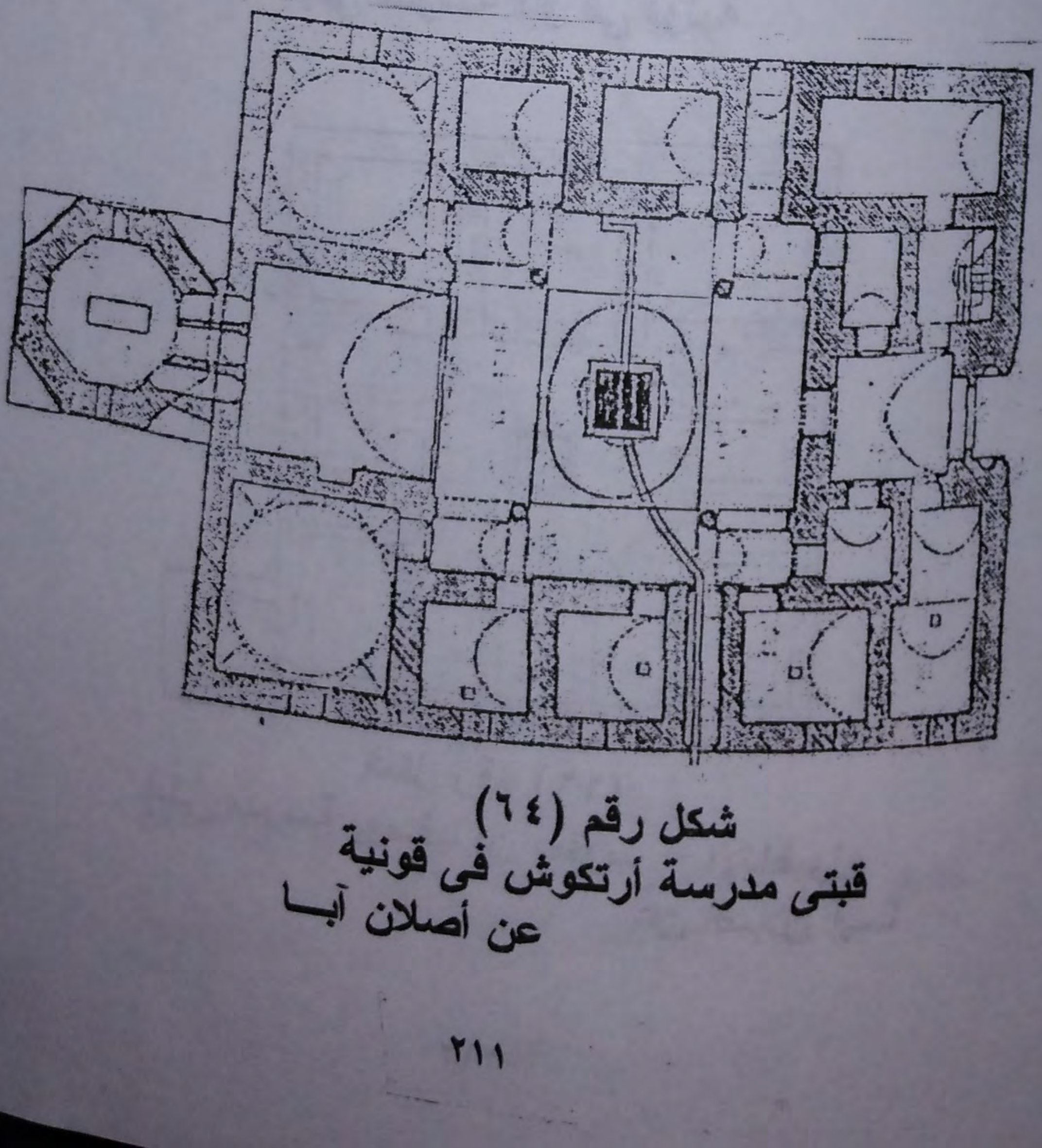

شكل رقم (٦٤)
قبتى مدرسة أرتكوش فى قونية
عن أصلان آبـــا

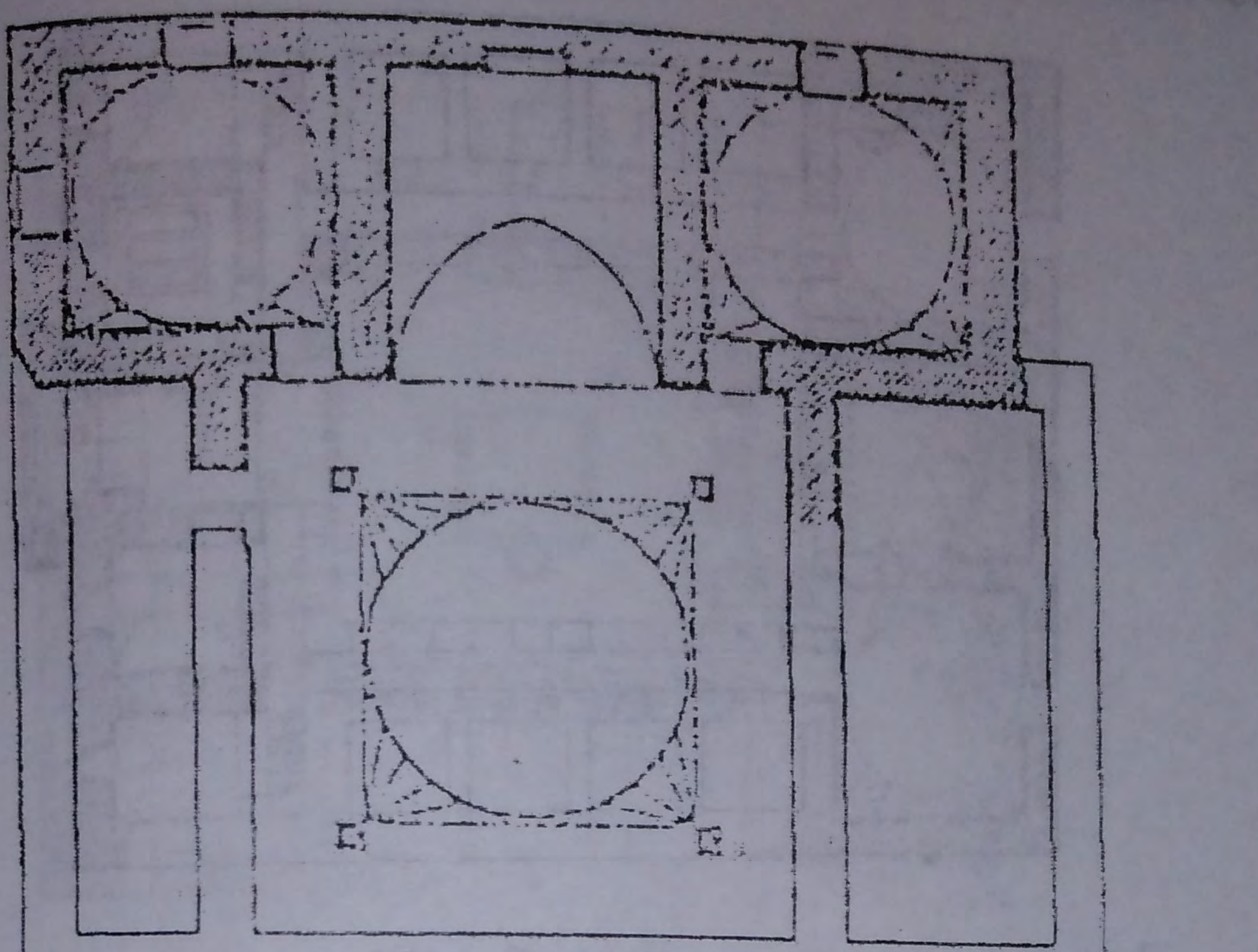

شكل رقم (٦٥)
قبتى مدرسة قاو فى قونية

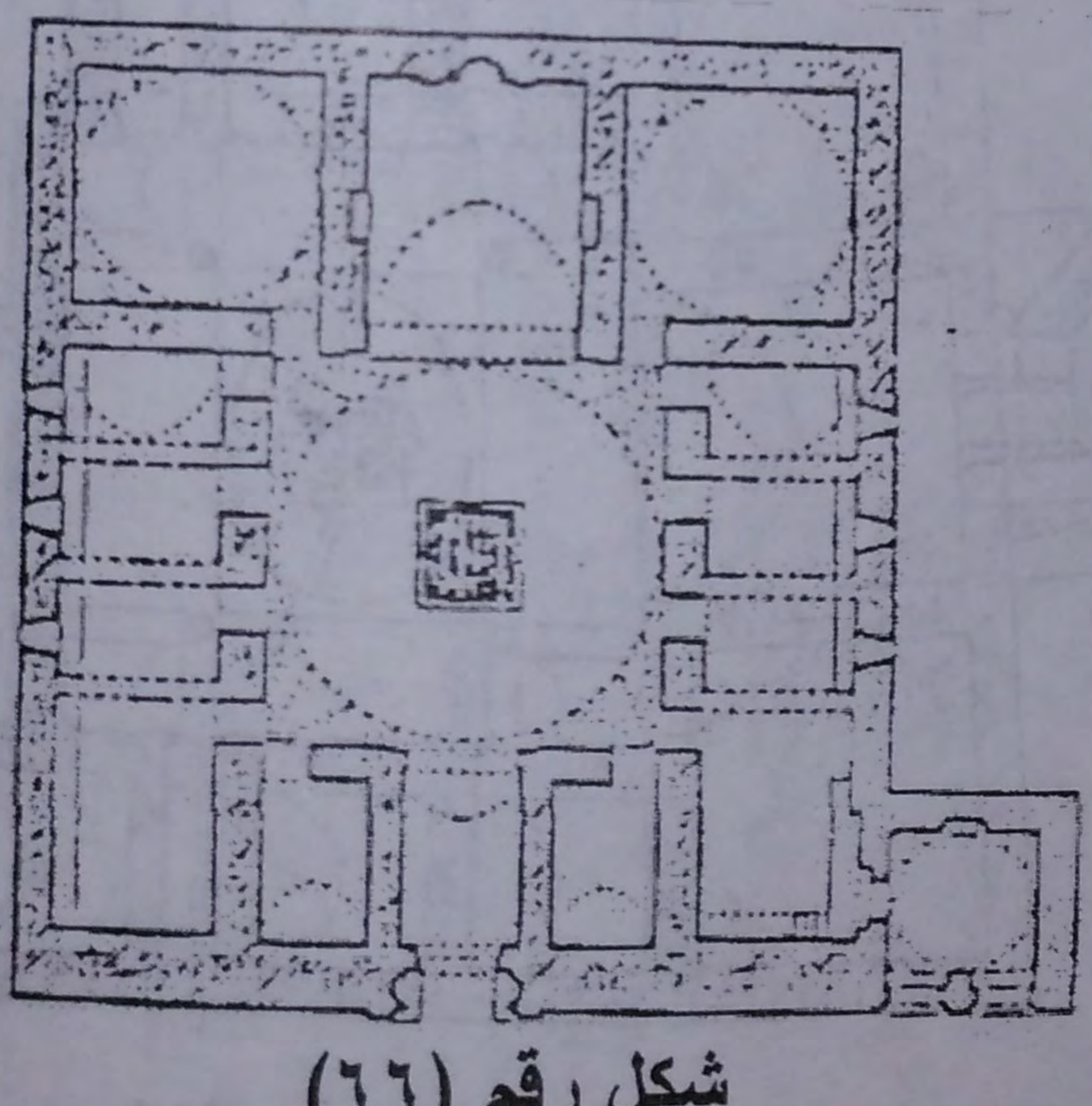

شكل رقم (٦٦)
قبتى مدرسة يوسف بن يعقوب - الاناضول
عن اصلان آبـــا

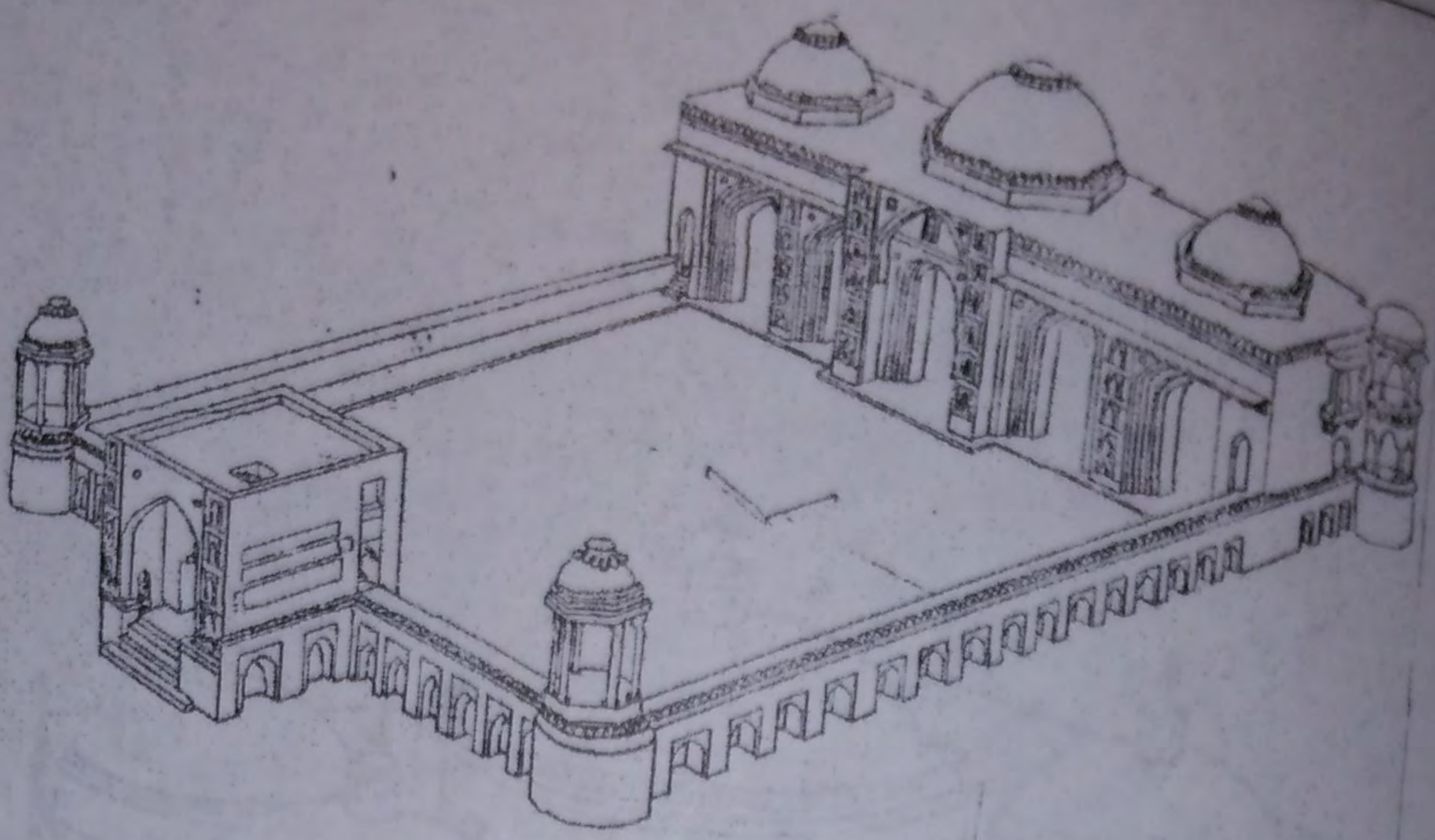

شكل رقم (٦٧)
منظور عام لمسجد موذكى فى الهند
وتتضح الثنائية فى القباب والجواسق الواقعة فى زوايا المسجد
عن الحليبة

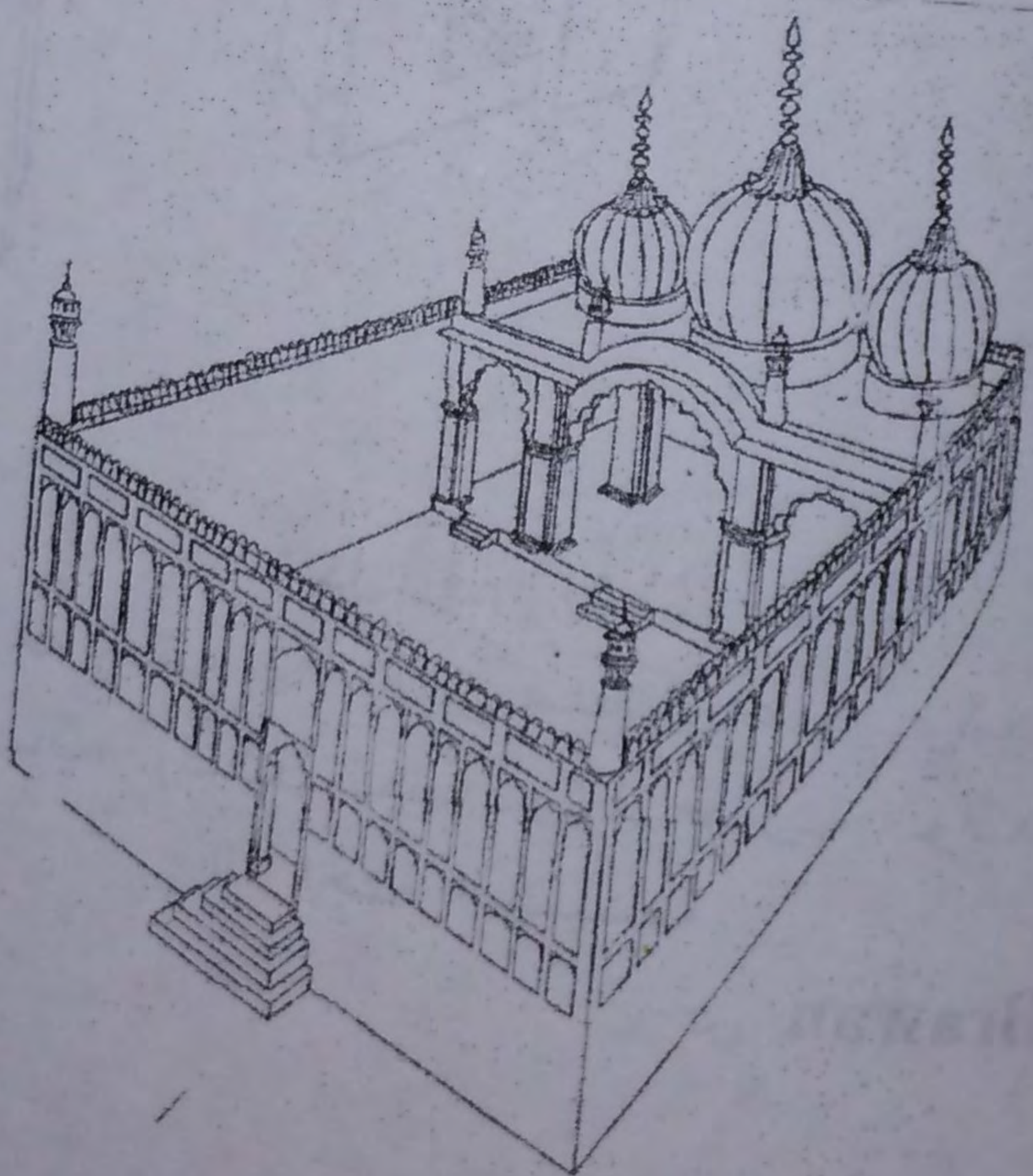

شكل رقم (٦٨)
جامع اللؤلؤة منظور عام يوضح الثنائية فى توزيع
العناصر المعمارية
عن الحليبة

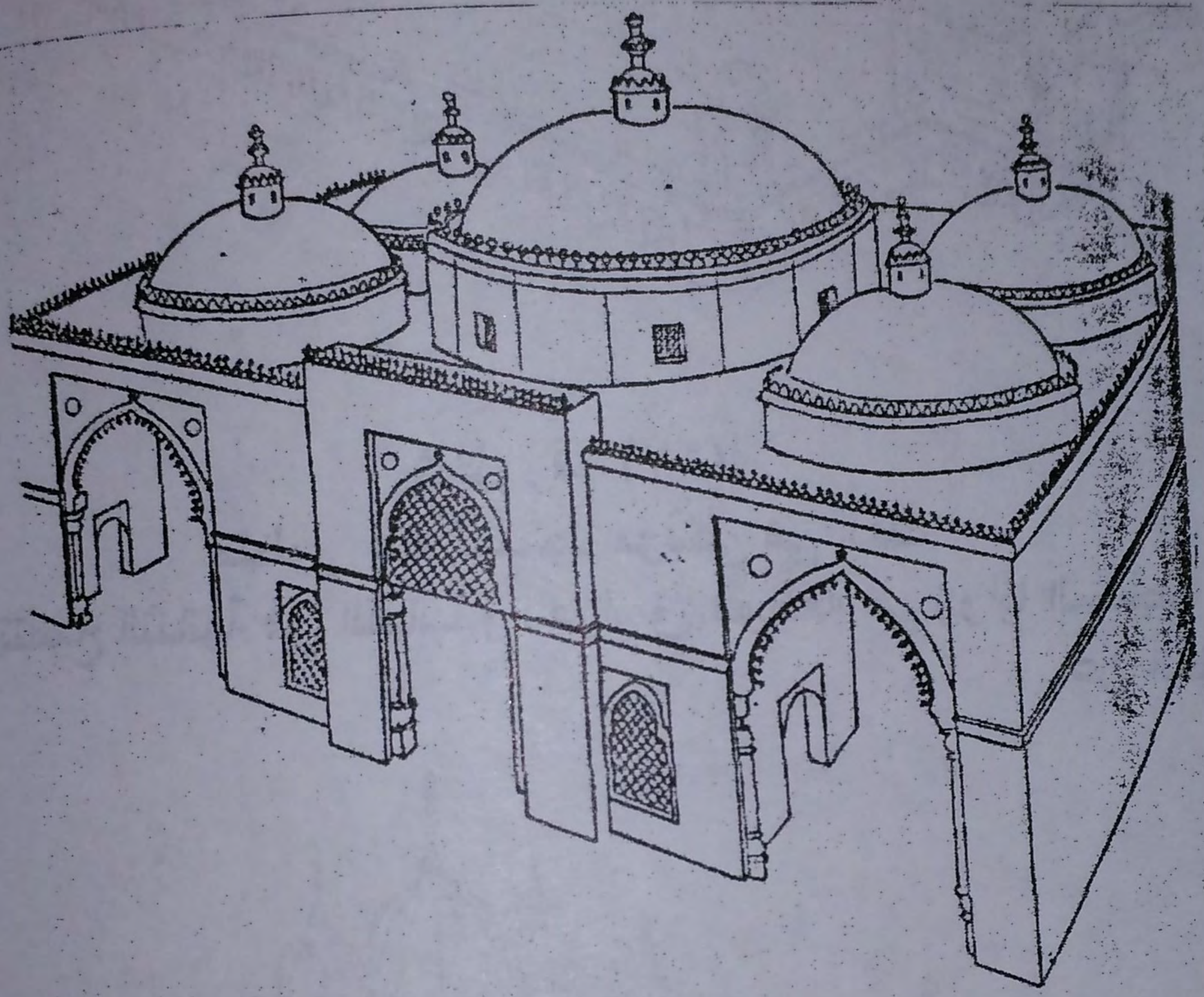

شكل رقم (٦٩)

مسجد جمعه خانه فى دلهى منظور عام يوضح ثنائية توزيع القباب، وكذلك العناصر المعمارية الواقعة على الواجهة الرئيسية

عن **Brawan**

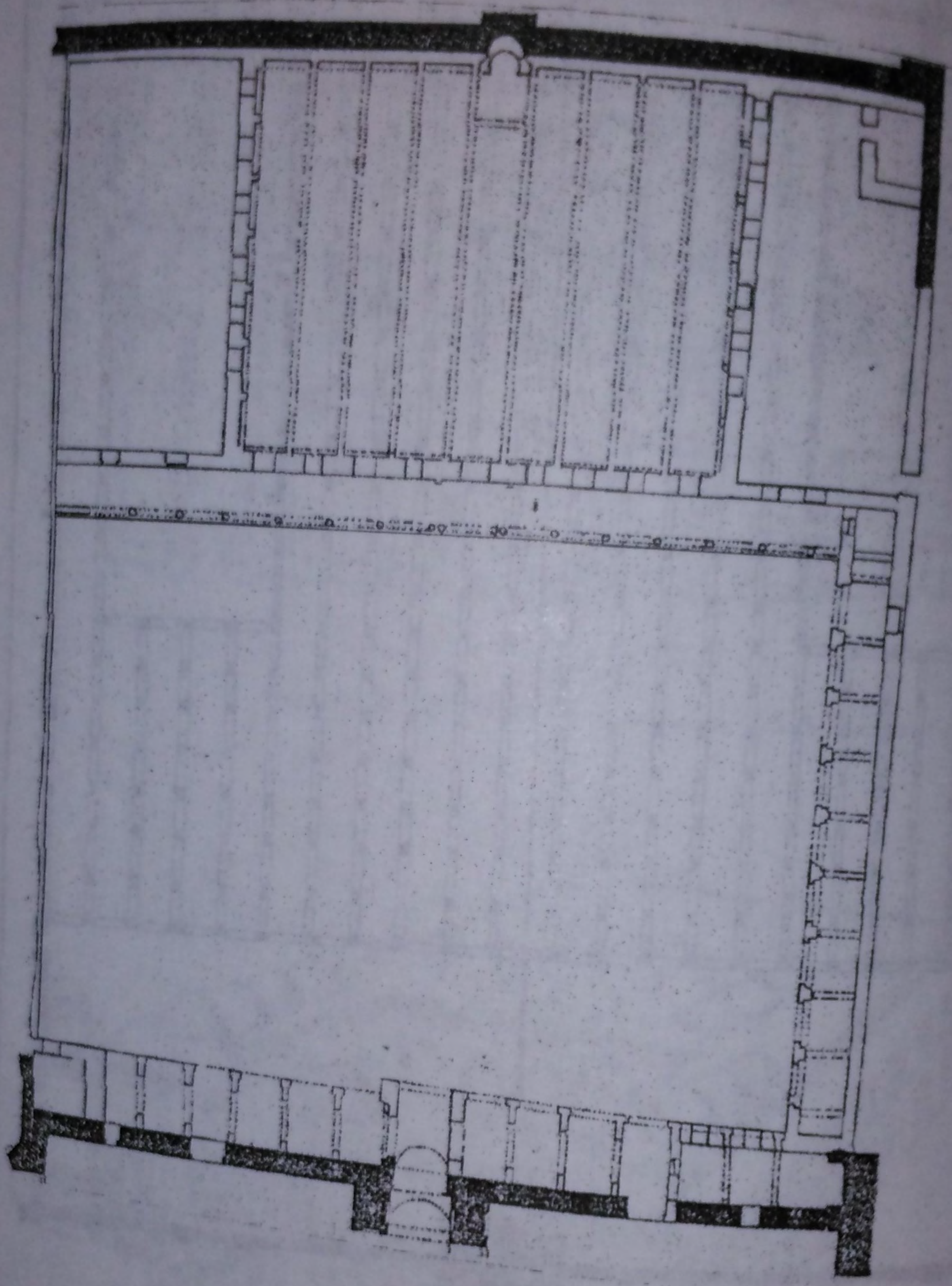

شكل رقم (٧٠)
مسجد الهدية مسقط أفقى يوضح تعدد الصحون
عن كريزول

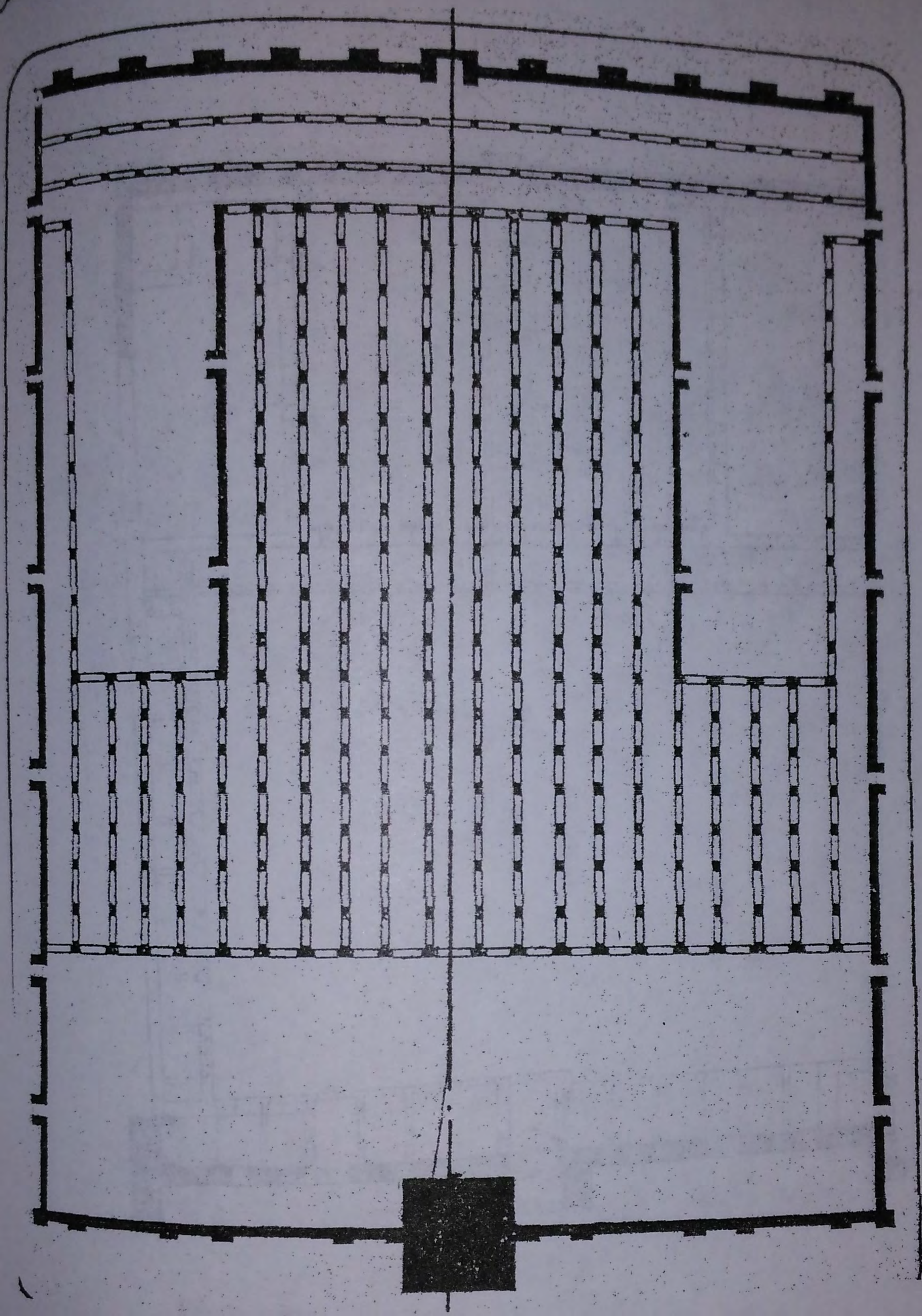

شكل رقم (٧١)

مسقط أفقى لجامع حسان بالرباط تتضح فيه ثنائية الافنية

عن Grasses

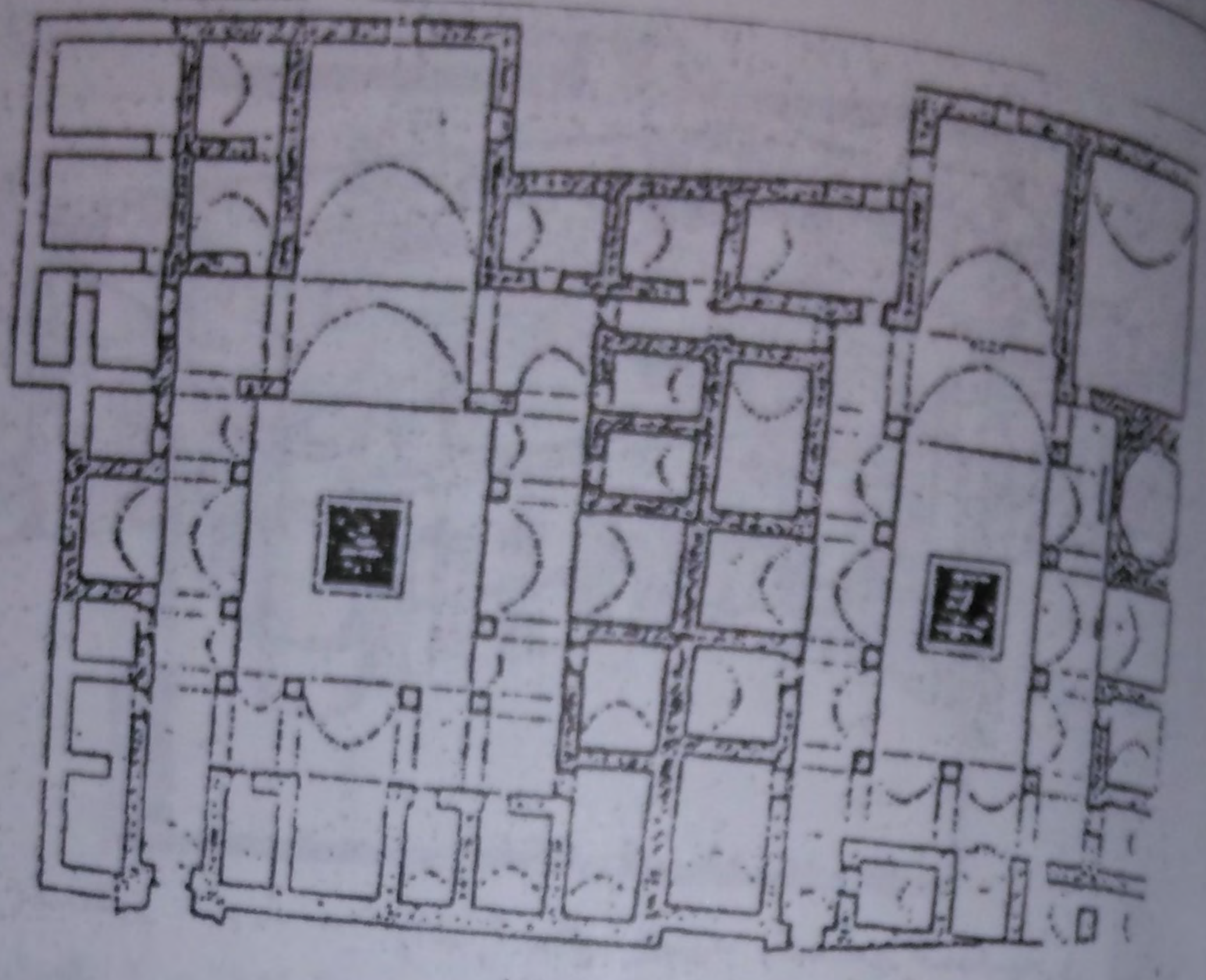

شكل رقم (٧٢)
مسقط أفقى لـ لـ درسة شفتامنا فى قيصرية
عن أصلان، آثـا

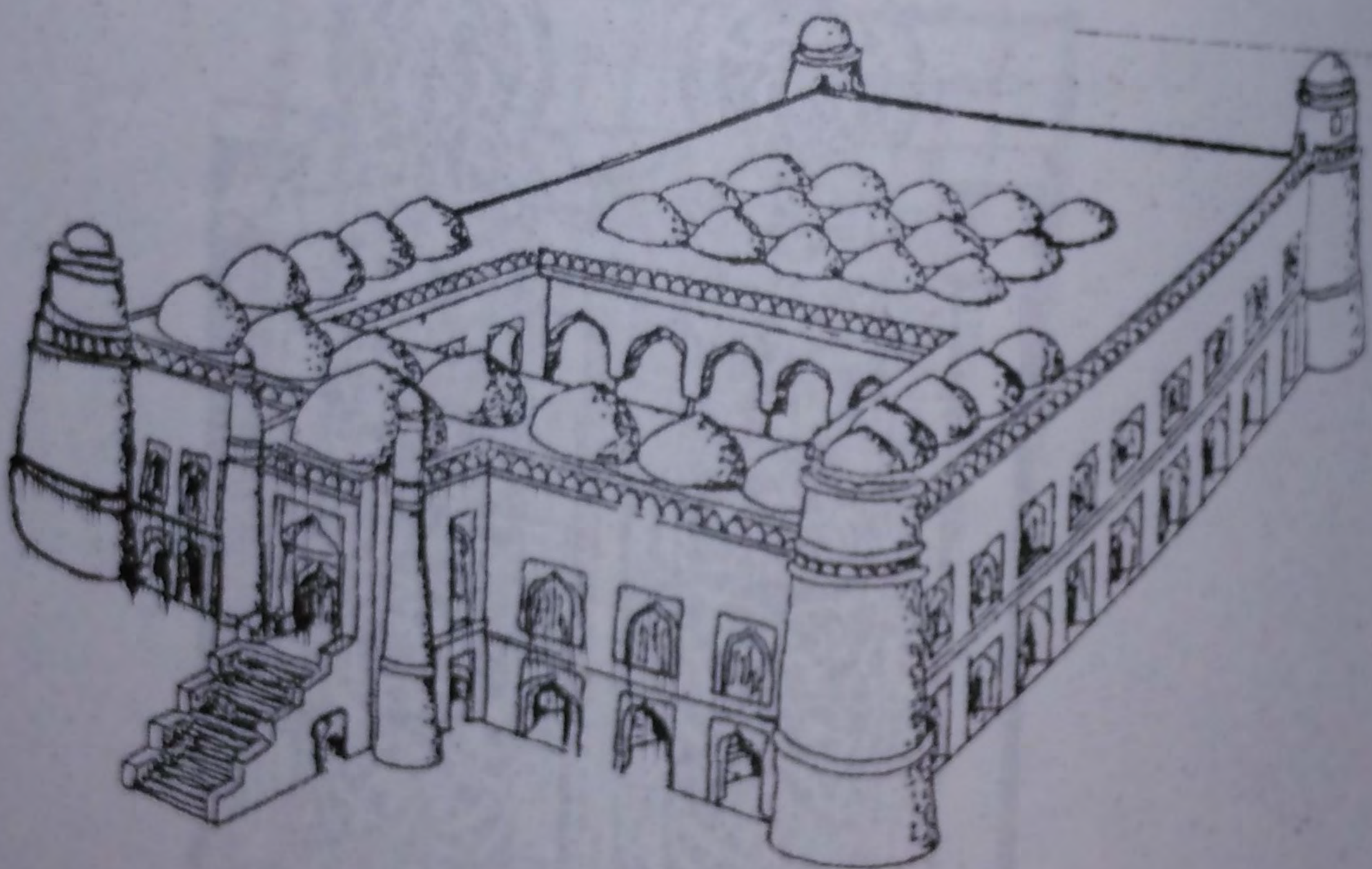

شكل رقم (٧٣)
منظور عام لـ سجد كلان فى الهند وتتضح الثنائية
فى توزيع الأبراج الخارجية
عن الحلبية

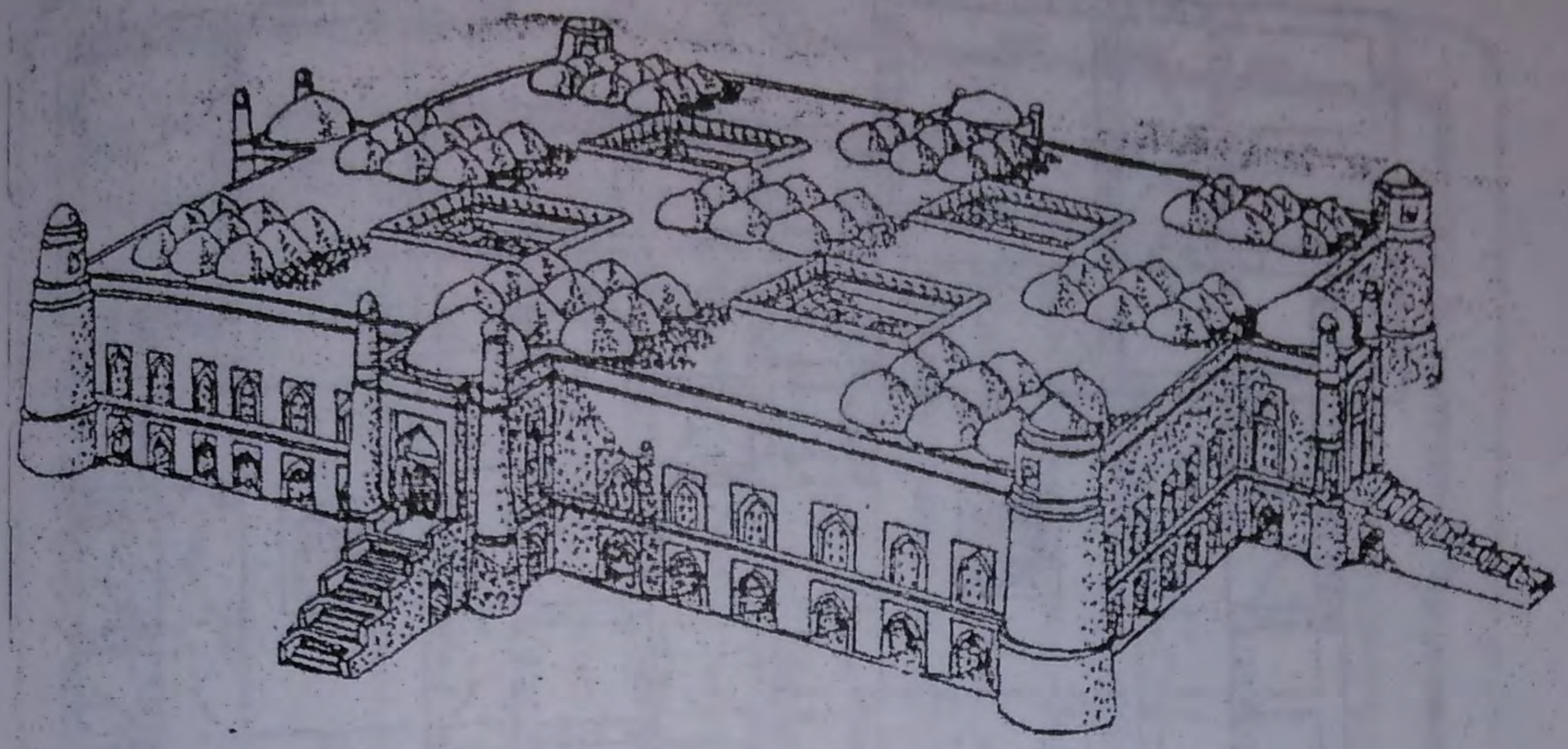

شكل رقم (٧٤)

منظور عام لمسجد كيركى فى الهند وتتضح الثنائية فى توزيع الأفنية الداخلية

عن **Barwan**

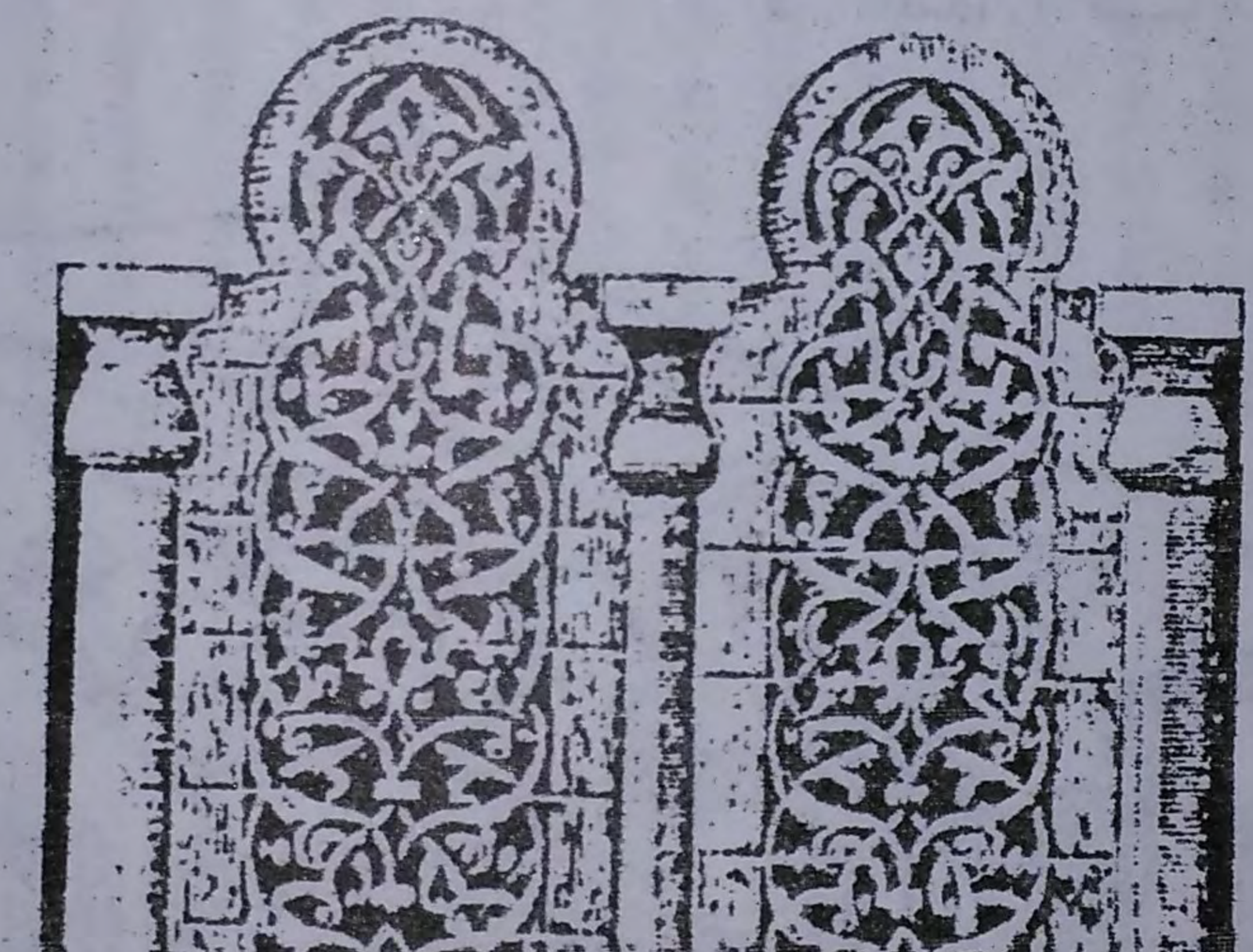

شكل رقم (٧٥)

نموذج لنافذة توأميه من مسجد الماس الحاجب

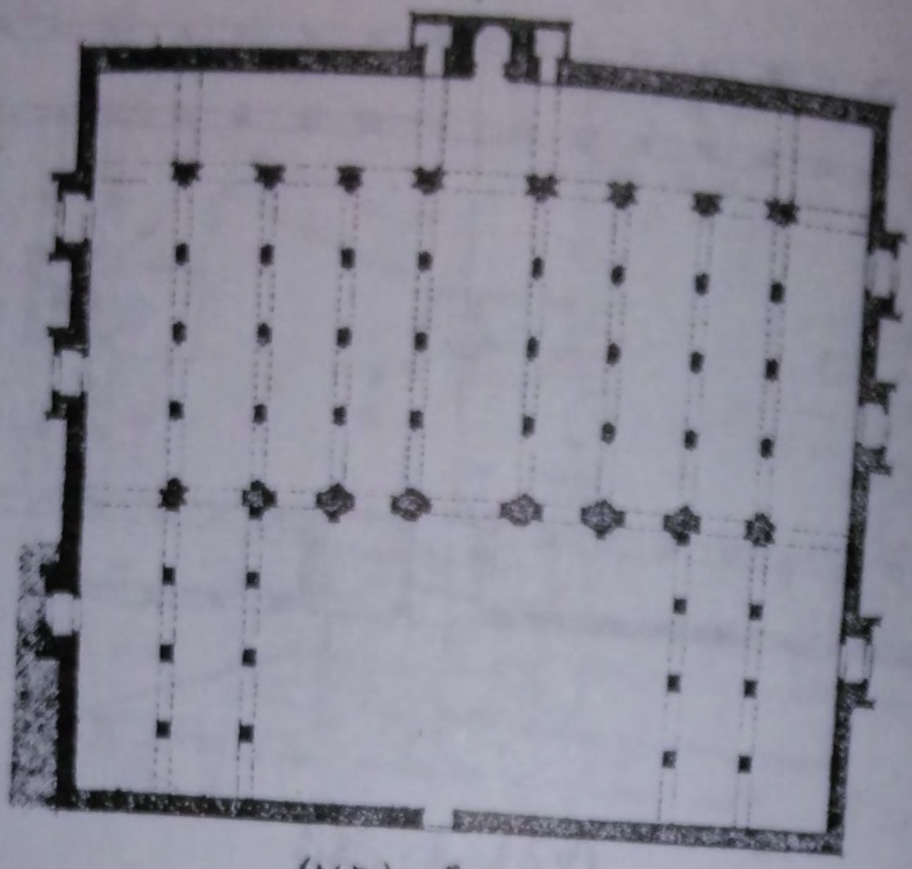

شكل رقم (٧٦)
جامع تينملل، وتتضح الثنائية فى اتساع البلاطتين الجانبيتين
عن الباحث

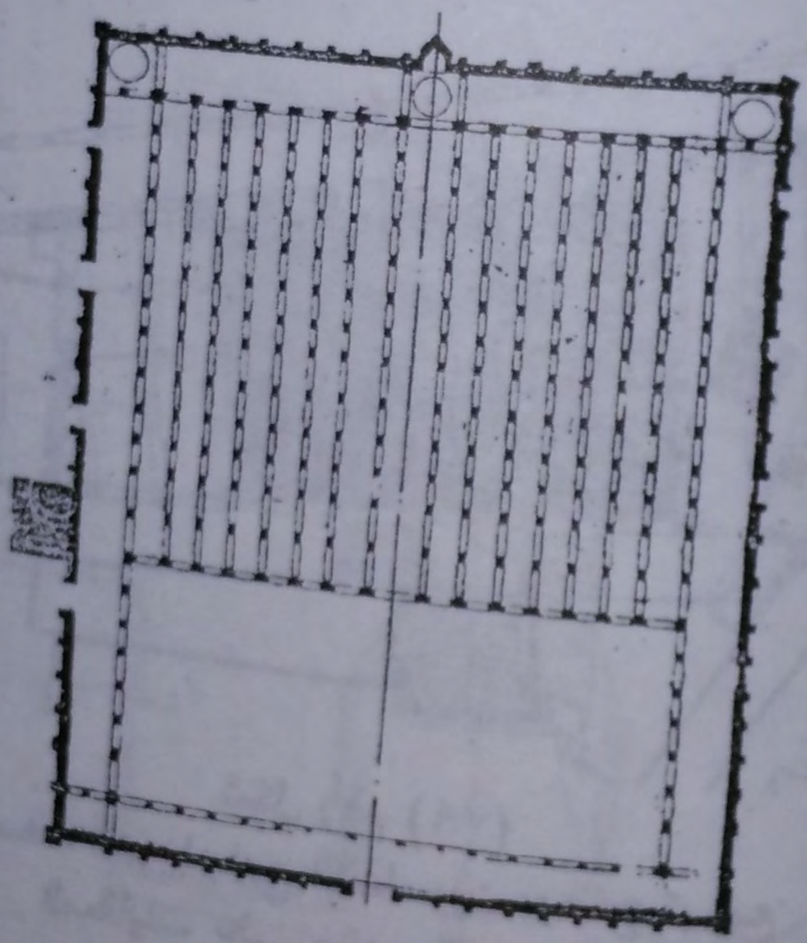

شكل رقم (٧٧)
جامع القصبة بأشبيلية، وتتضح الثنائية فى اتساع
البلاطتين الجانبيتين عن الباحث

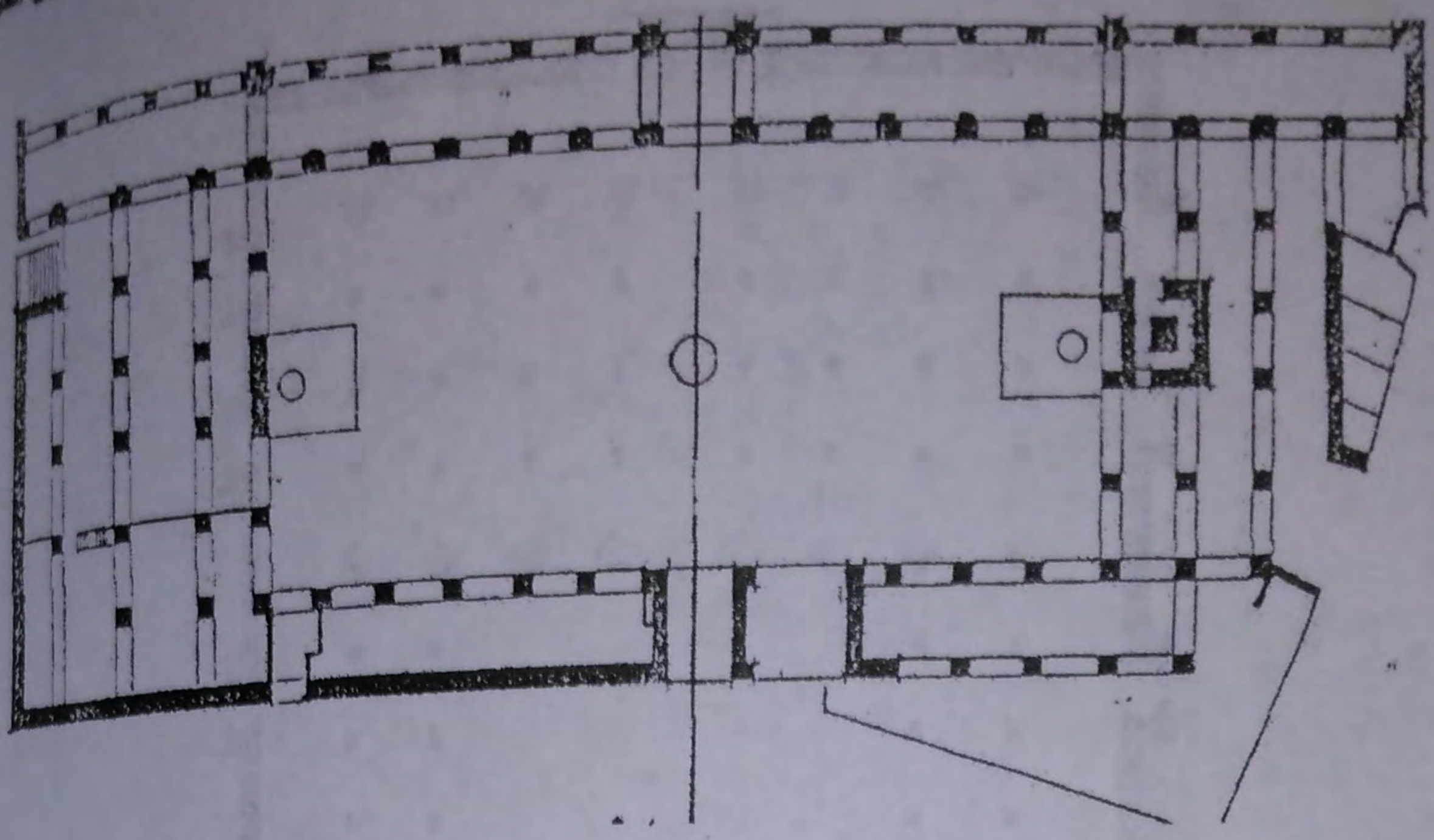

شكل رقم (٧٨)
مسقط أفقى لجامع القرويين يوضح موقع وجود
السقايات المتقابلة والمتناظرة

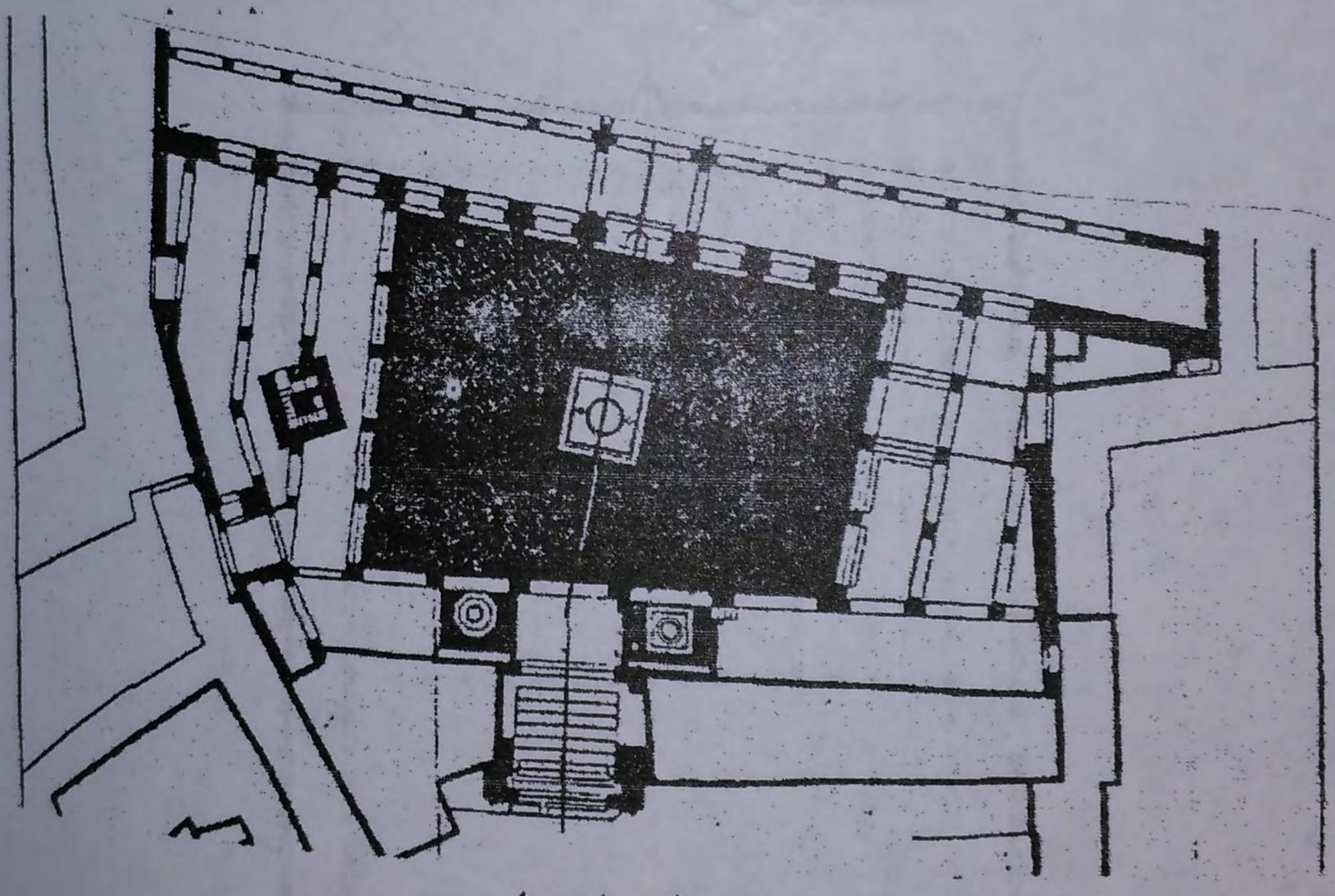

شكل رقم (٧٩)
مسقط أفقى لجامع الأندلسيين يوضح توزيع
السقايات على جانبى المدخل الكبير

شكل رقم (٨٠)
قصر الحمراء وثلاثية توزيع الشقيات بشكل متناظر ومتماثل
عن السياحة الأسبانية

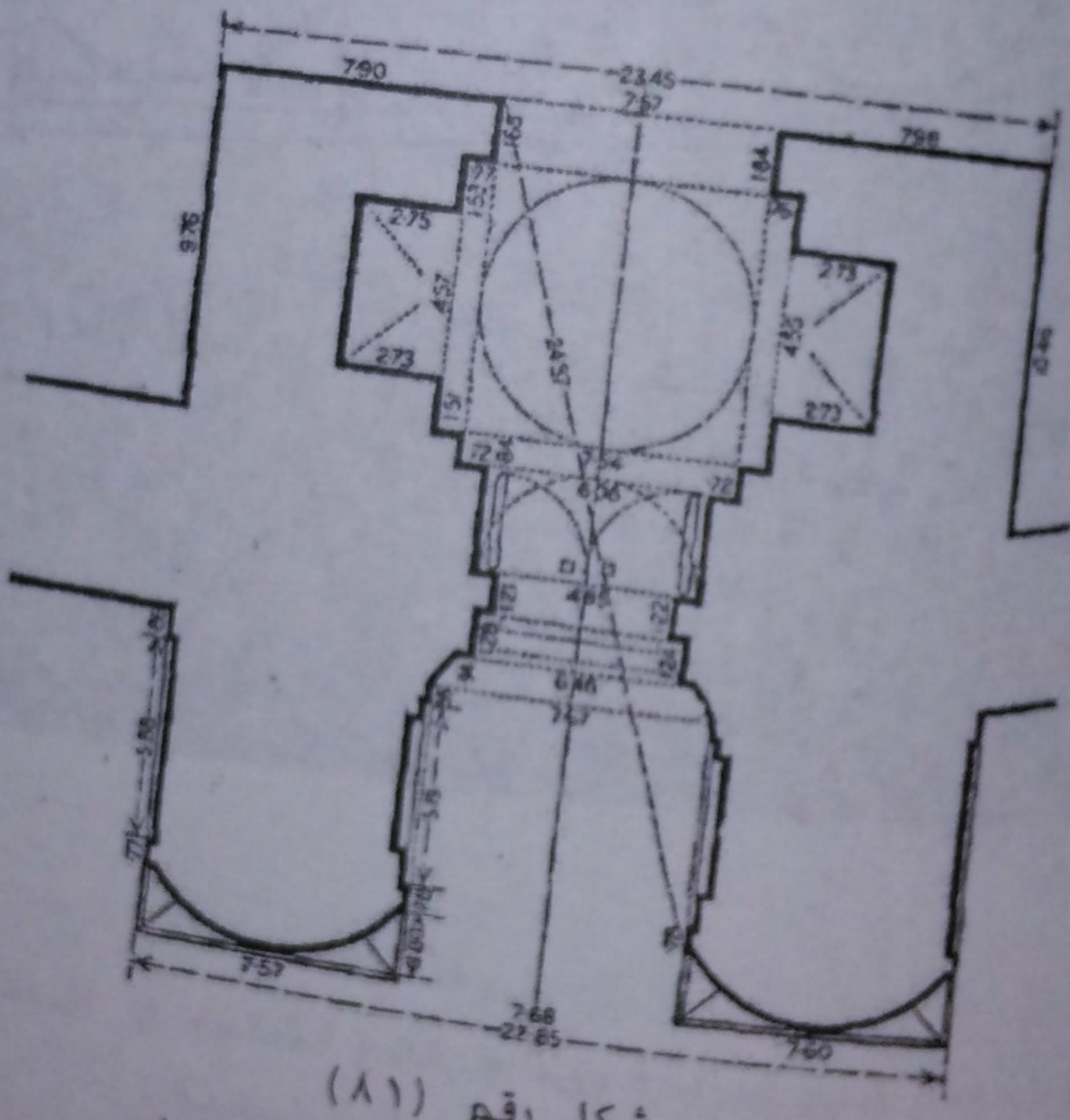

شكل رقم (٨١)
باب الفتوح بالسور الشمالى الفاطمى

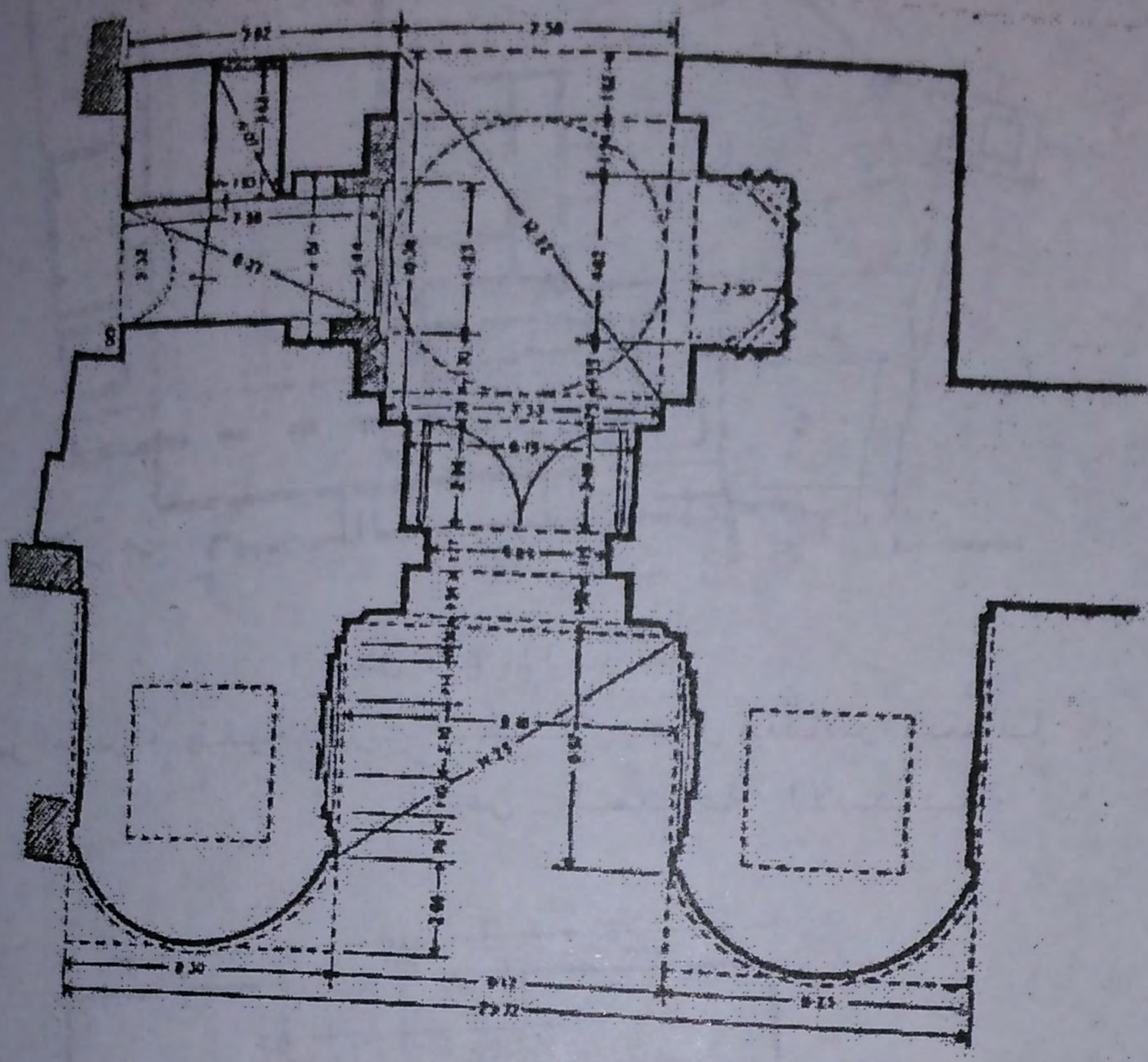

شكل رقم (٨٢)

باب زويلة بالسور الجنوبى الفاطمى

عن كريزول

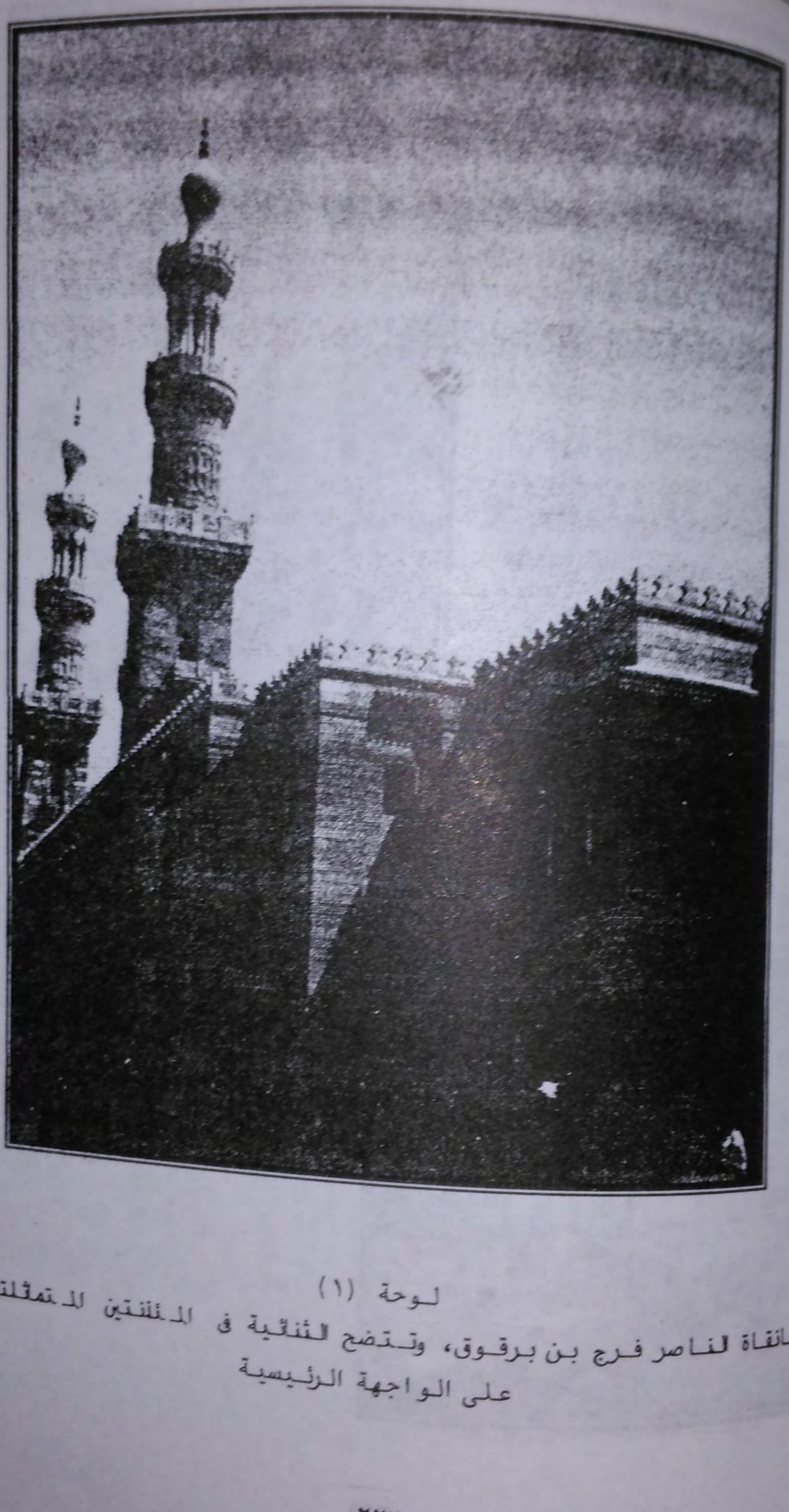

لوحة (١)
خانقاة الناصر فرج بن برقوق، وتتضح الثنائية فى المئذنتين المتماثلتين
على الواجهة الرئيسية

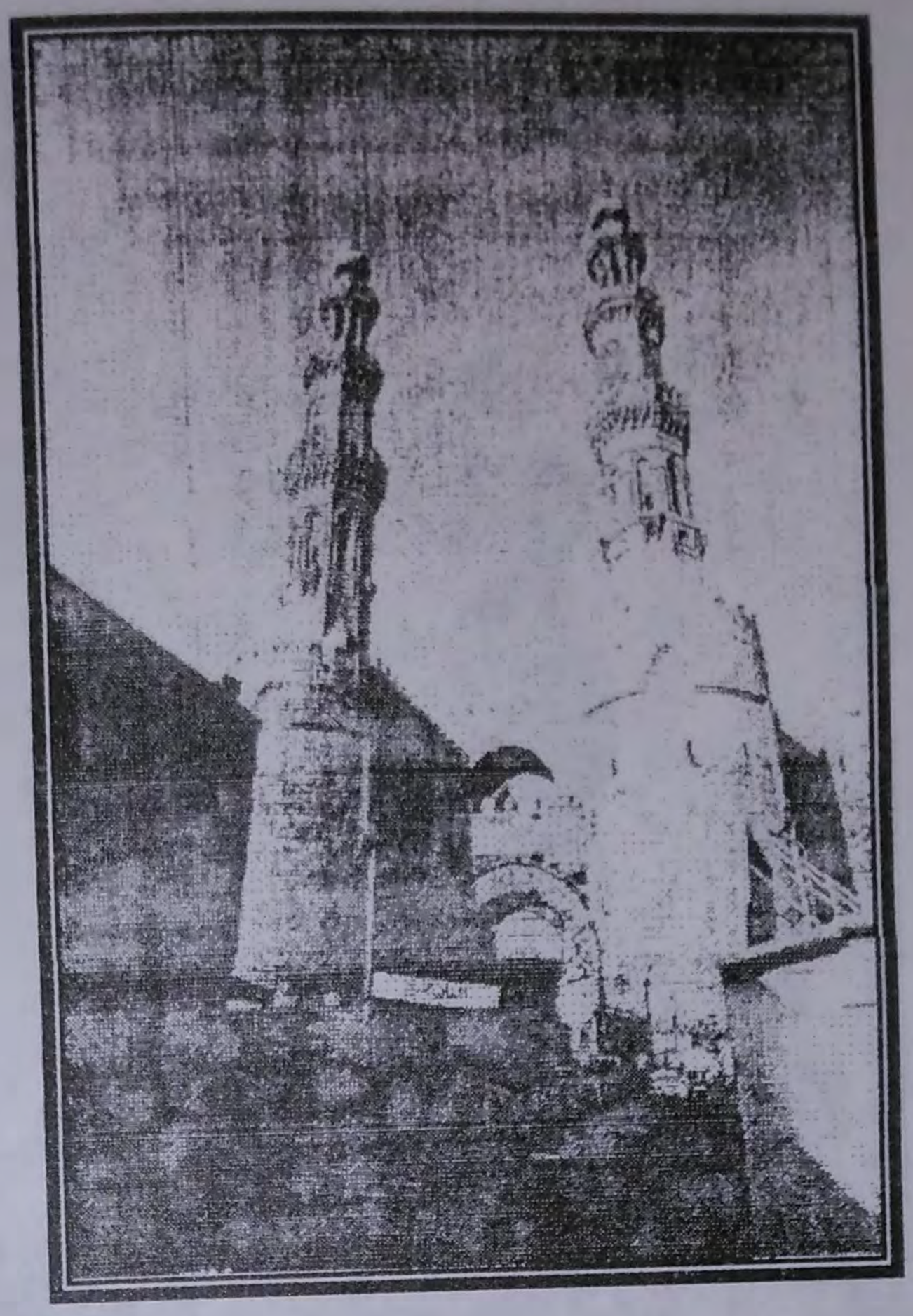

لـوحة (٢)

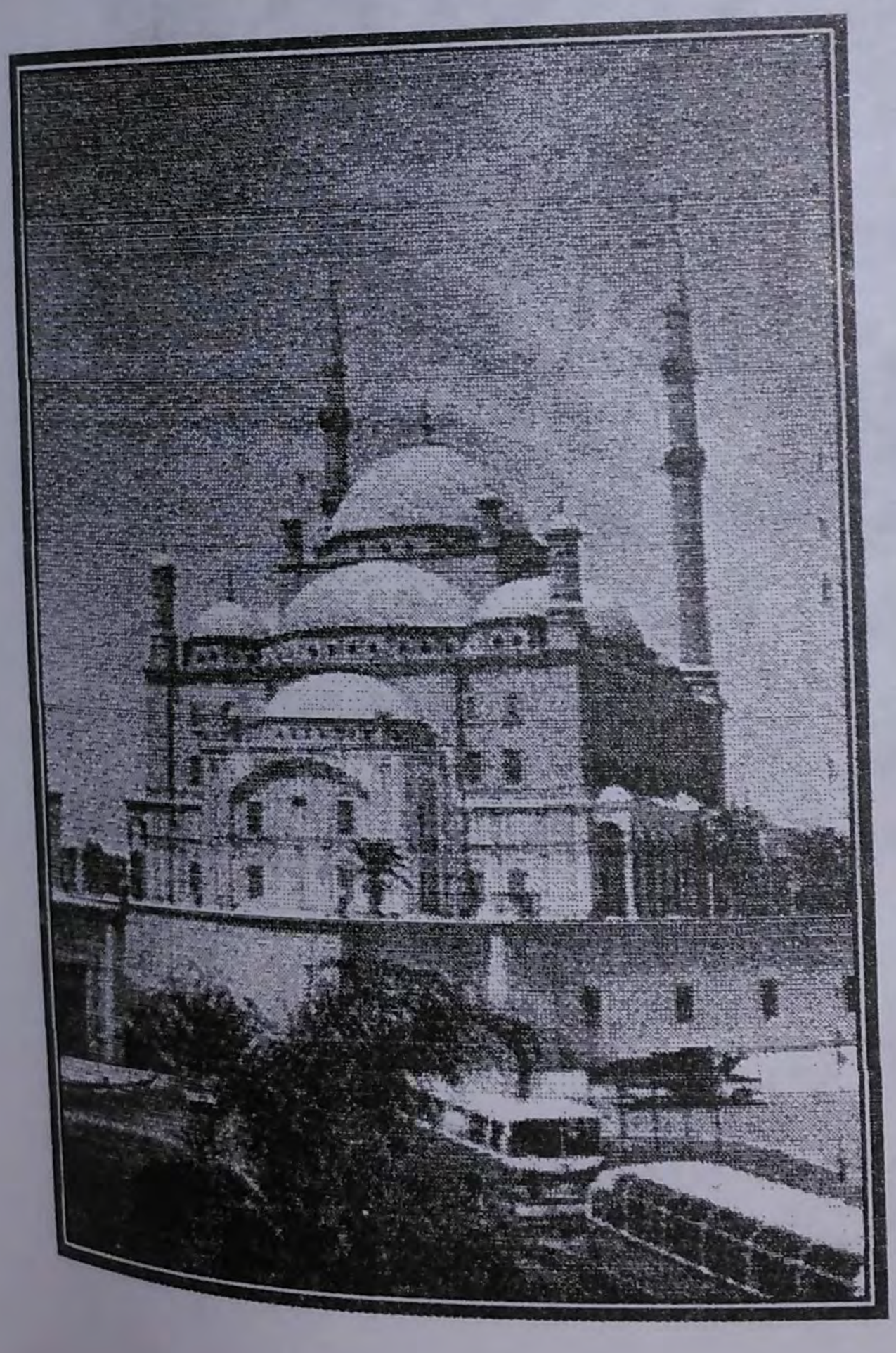

لـوحة (٣)

مئذنتى جامع محمد على بالقلعة

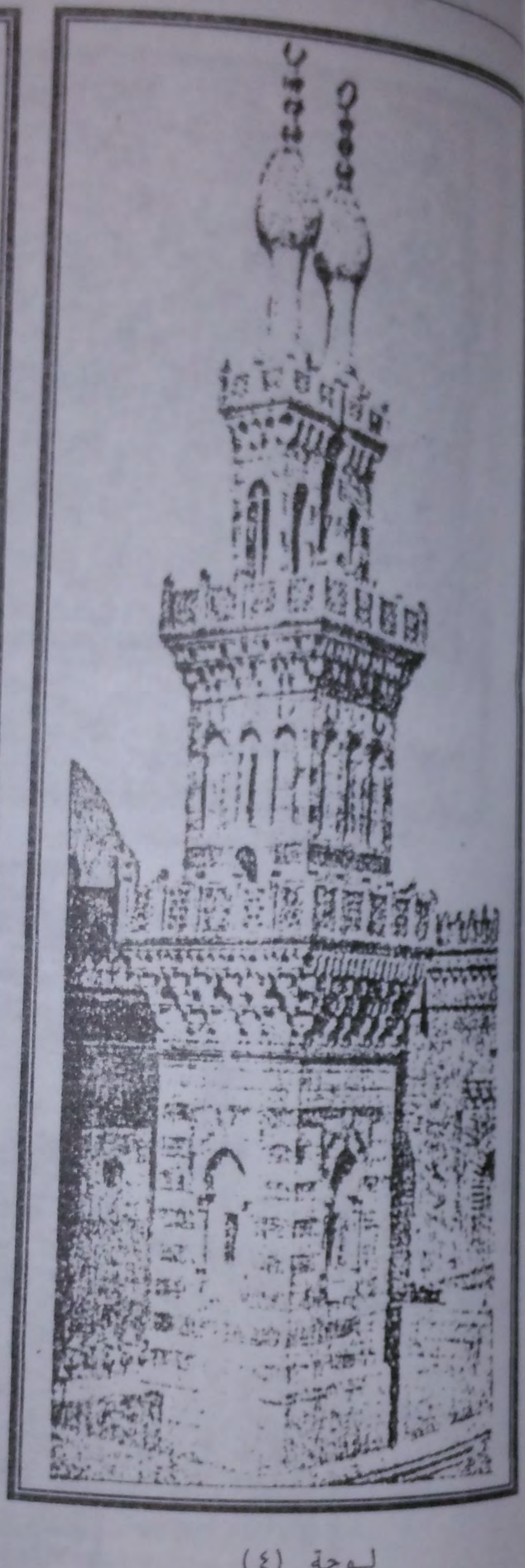

لوحة (٤)

مئذنة مسجد قانى باى الرماح
بميدان القلعة - القاهرة

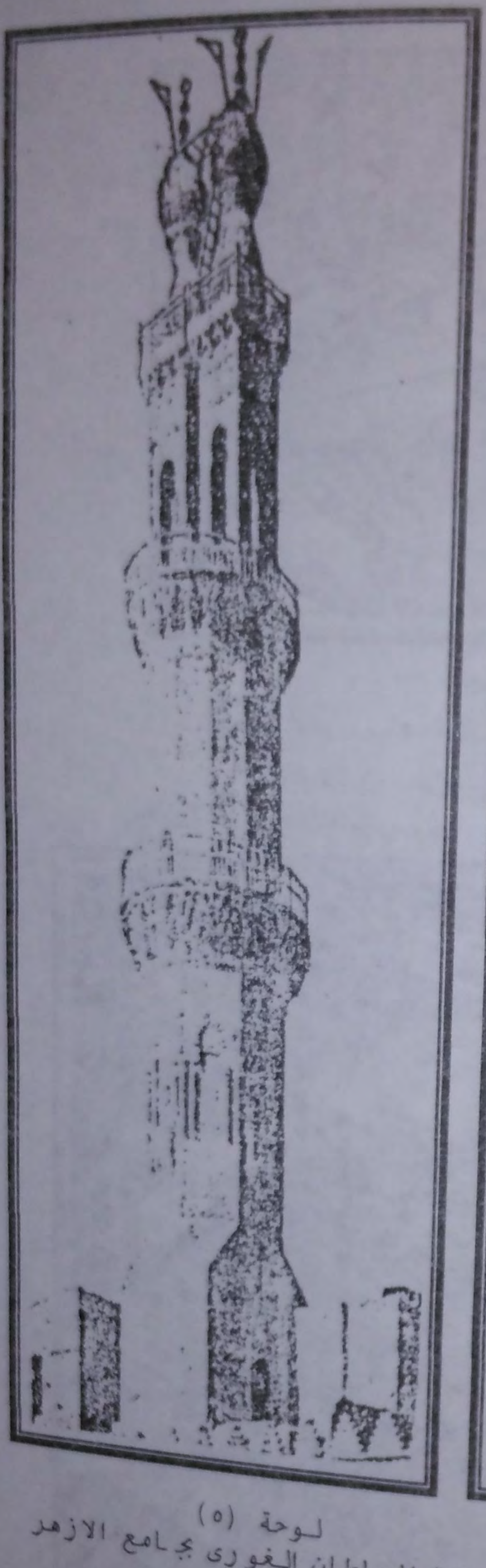

لوحة (٥)

مئذنة السلطان الغورى بجامع الازهر

عن مساجد مصر

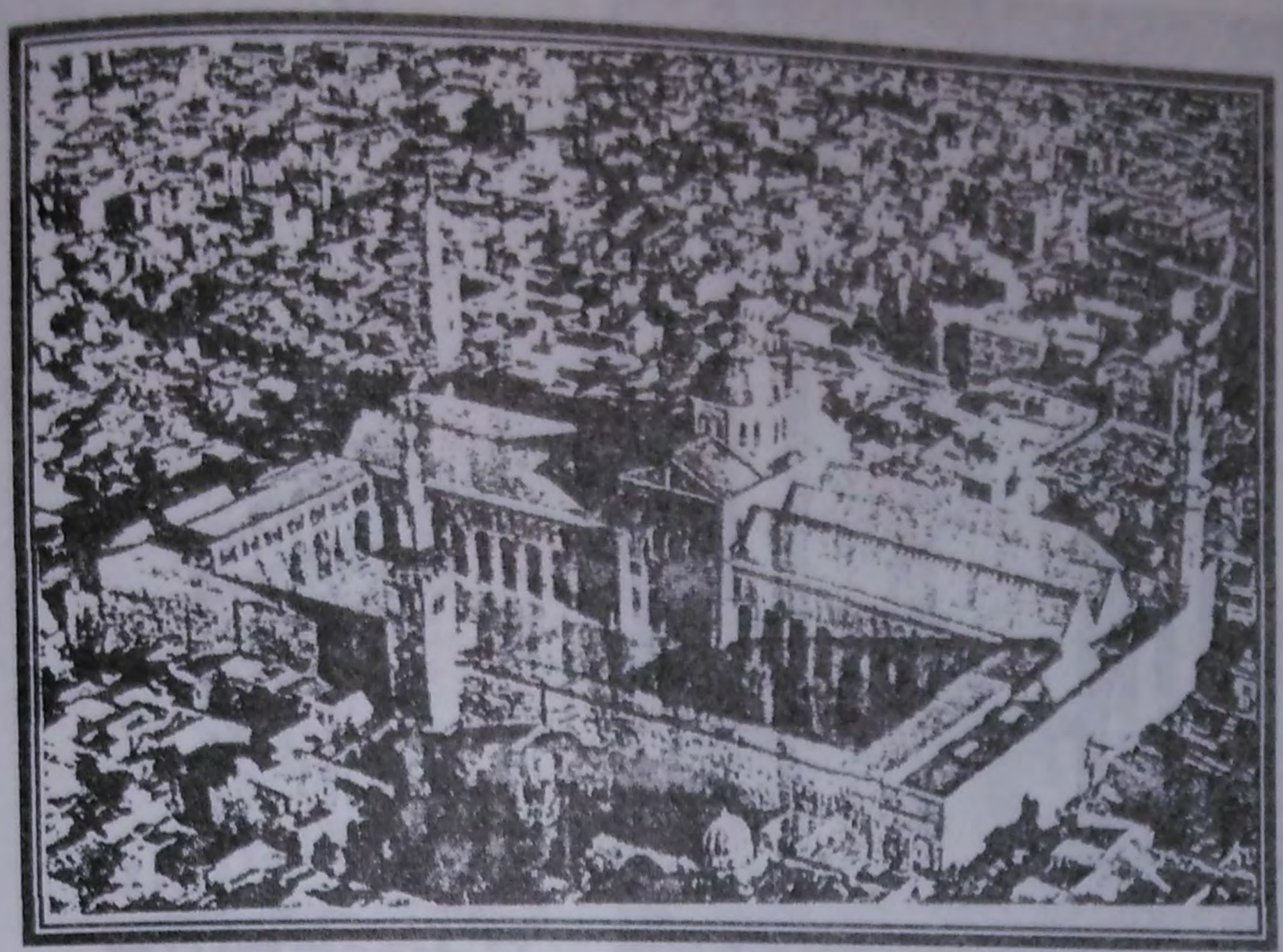

لوحة (٦)

الجامع الأموى بدمشق، وتتضح الثنائية فى المئذنتين المتناظرتين من على جانبى بلاطه المجاز

عن وزارة الثقافة السورية

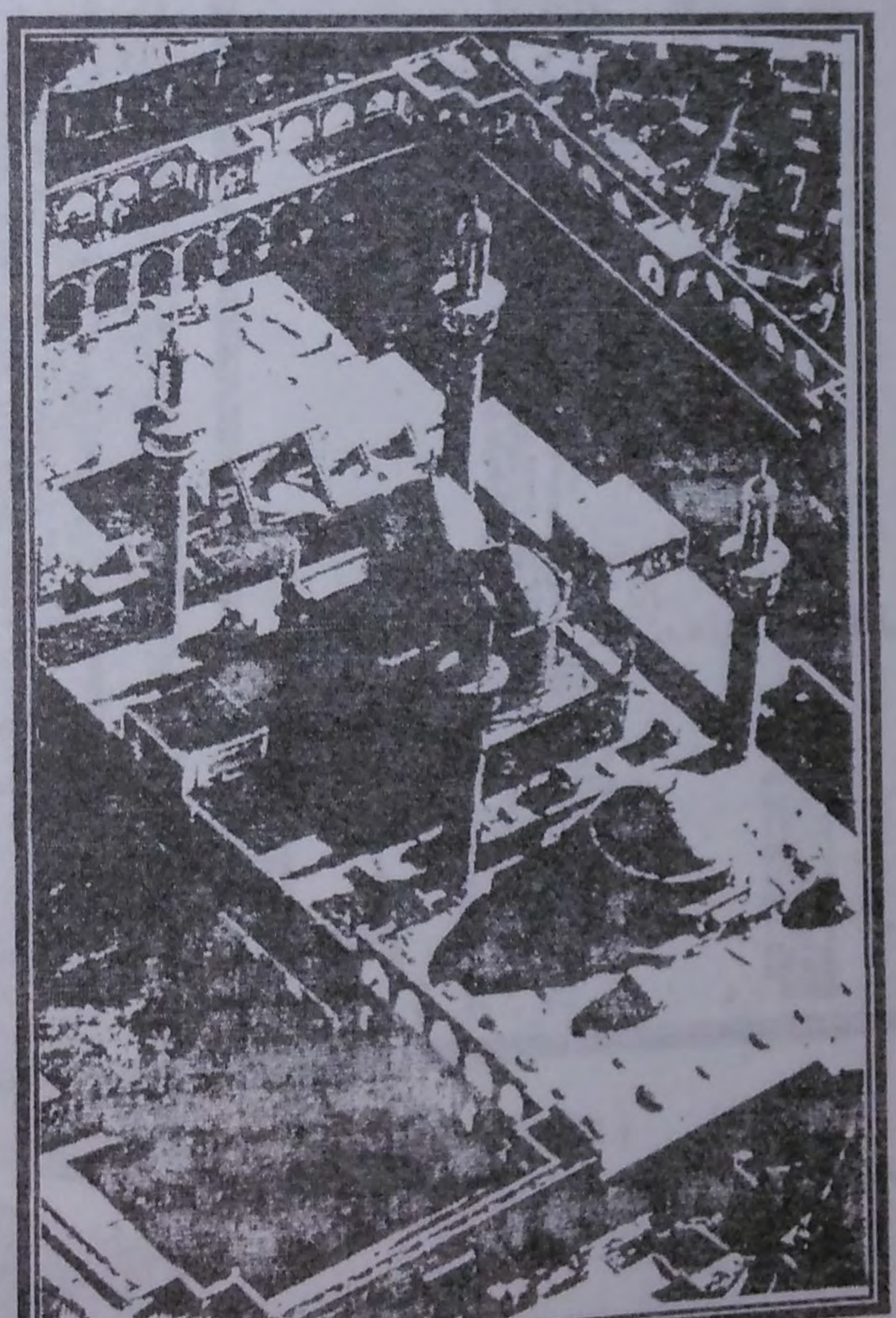

لوحة (٧)

مشهد الإمامين الكاظمين بالعراق وتتضح الثنائية فى المآذن

عن شريف

لوحة (٨)
مئذنتى الروضة الحيدارية
فى العراق

لوحة (٩)
مئذنتى مشهد الإمام الحسين بالعراق

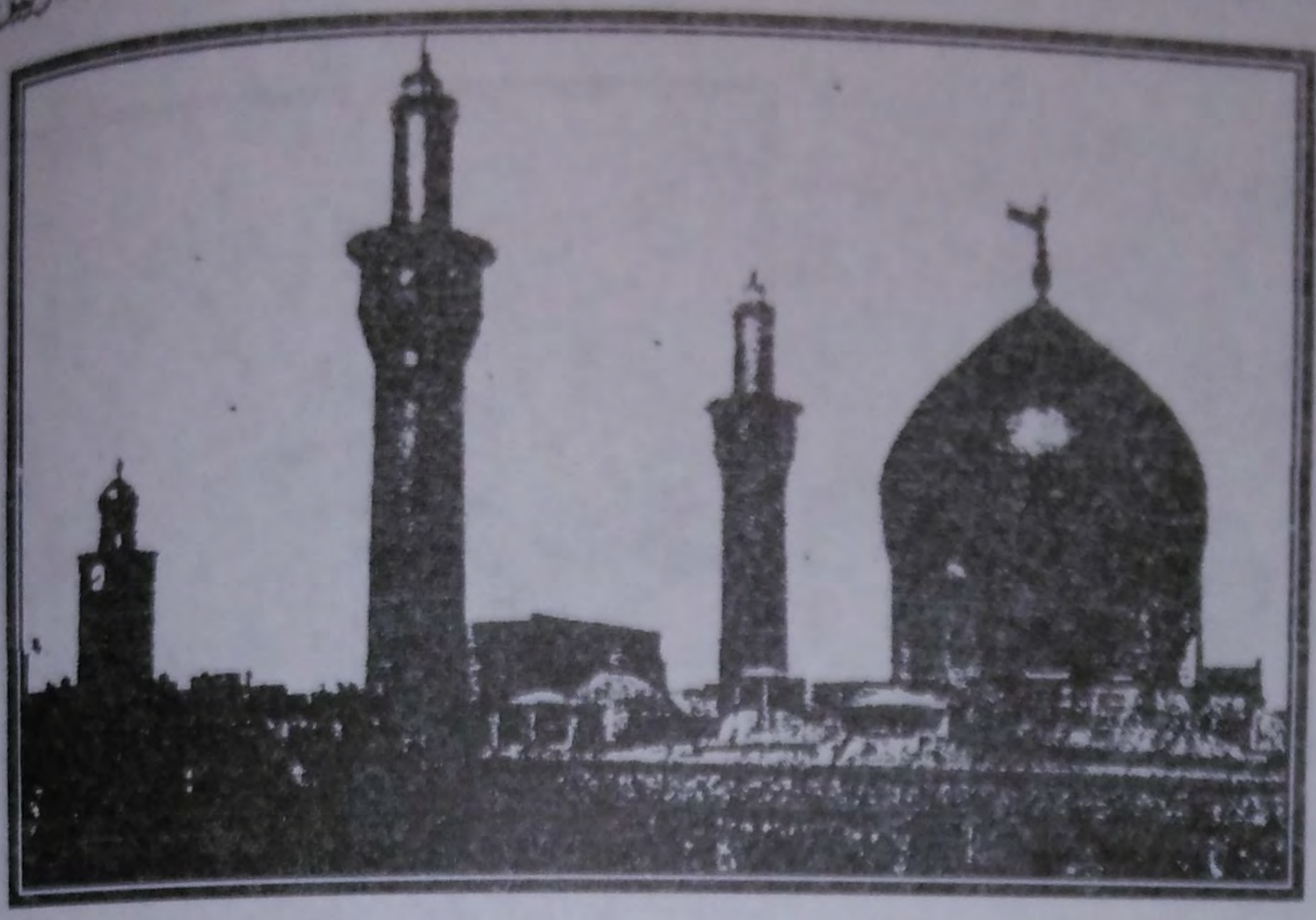

لوحة (١٠)

مئذنتى الروضة الحسينية فى العراق

عن شريف

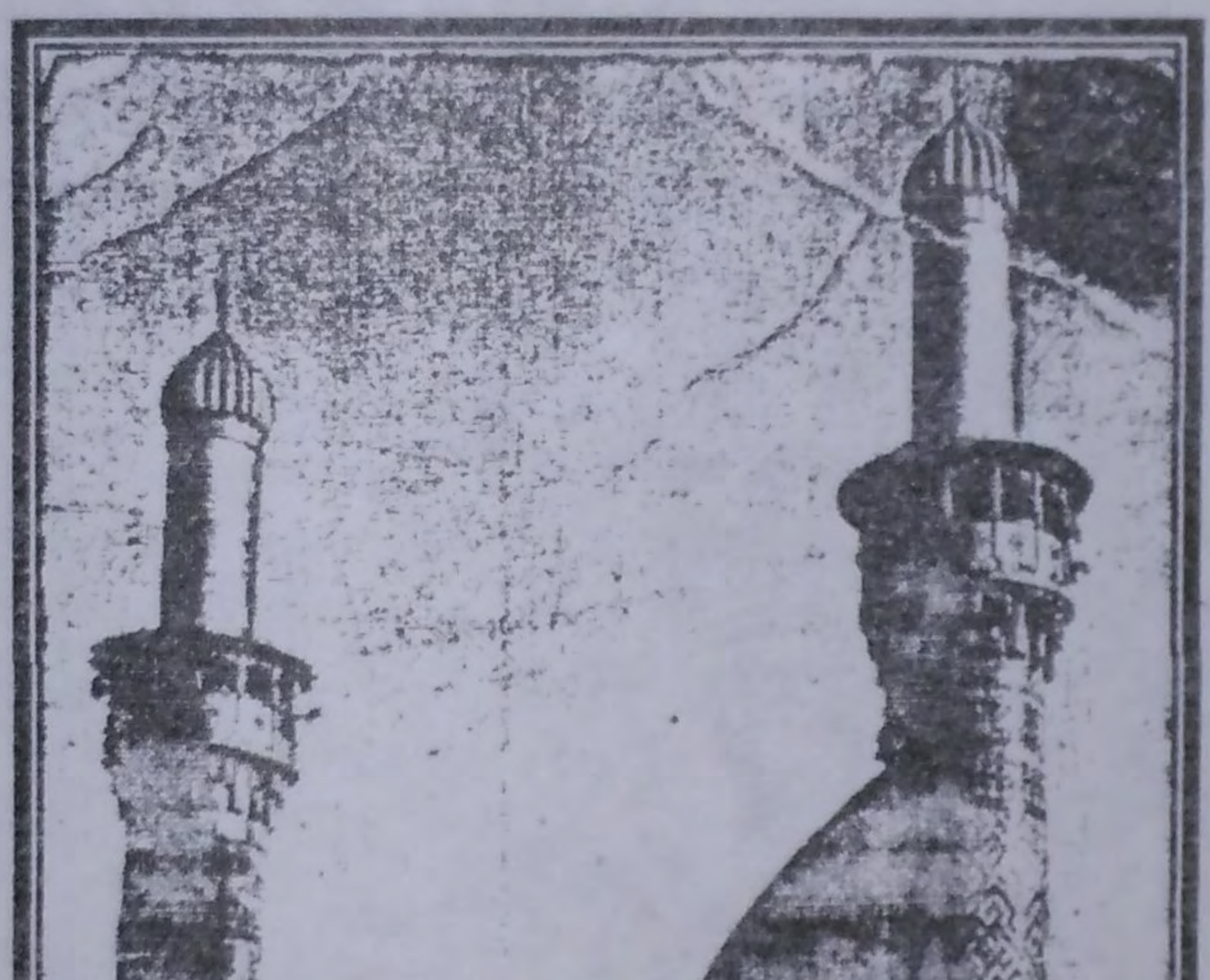

لوحة (١١)

مئذنتى مشهد الإمام العباسى بالعراق

عن وزارة الثقافة العراقية

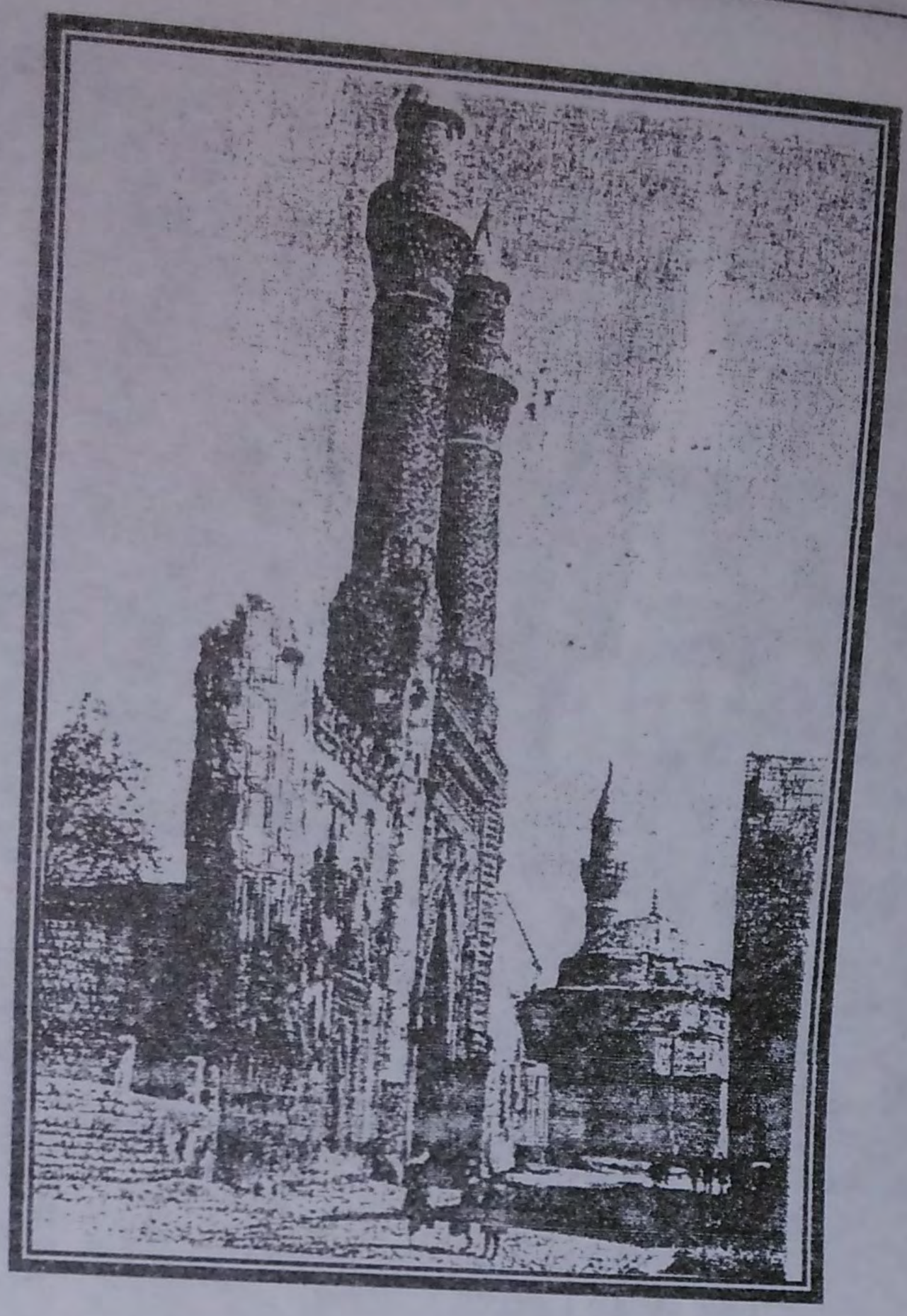

لـوحة (١٢)

مئذنـتى مـدرسة جفـتـه بـالأنـاضول

عن **kuran**

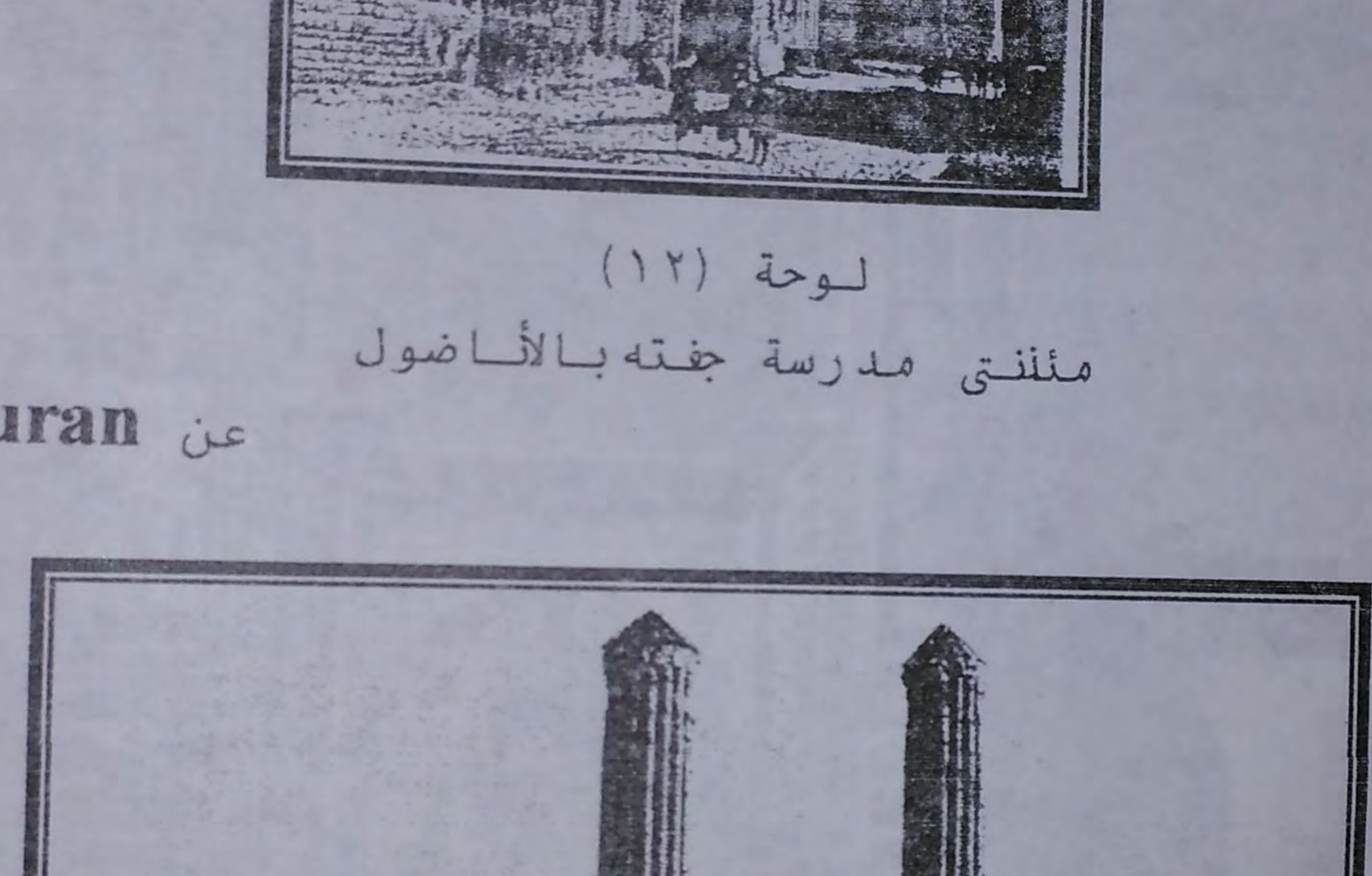

لـوحة (١٣)

مئذنـتى المـدرسة الخـاتـونـية فى الأنـاضول

عن **kuran**

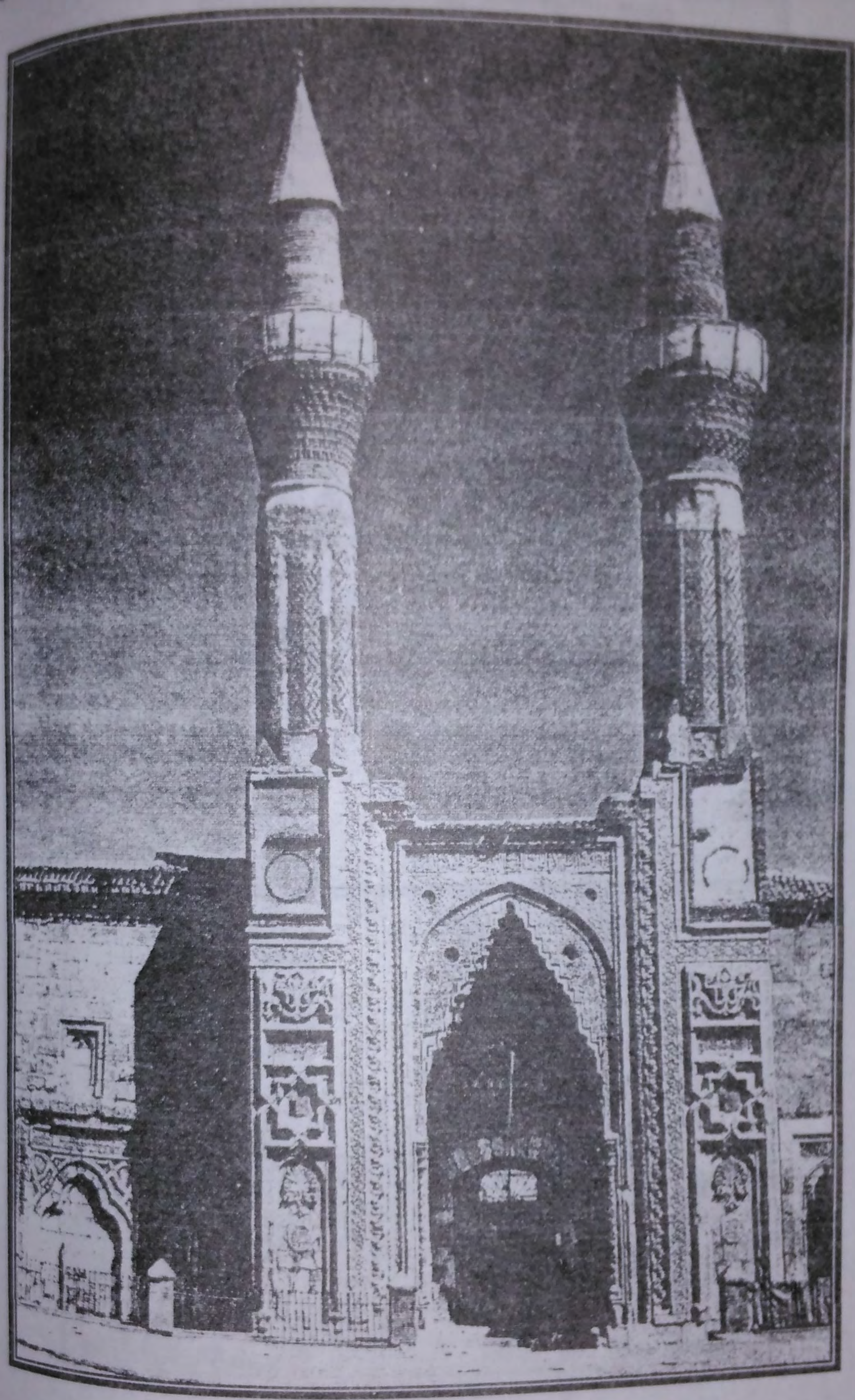

لوحة (١٤)
مئذنتى مدرسة كوك بالأشاضول

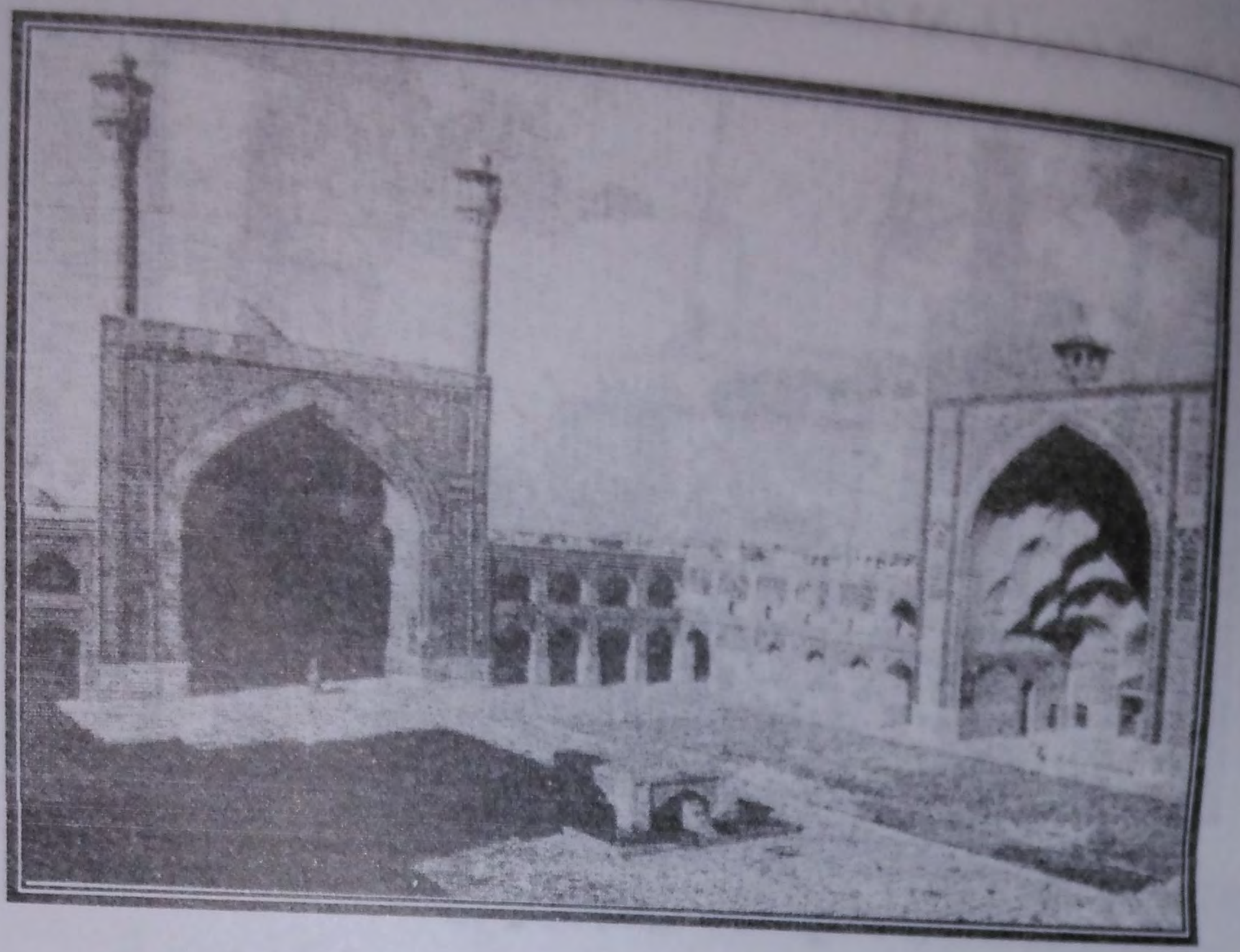

لوحة (١٥)

مئذنتى مسجد الشاه بأصفهان

عن بهنسى

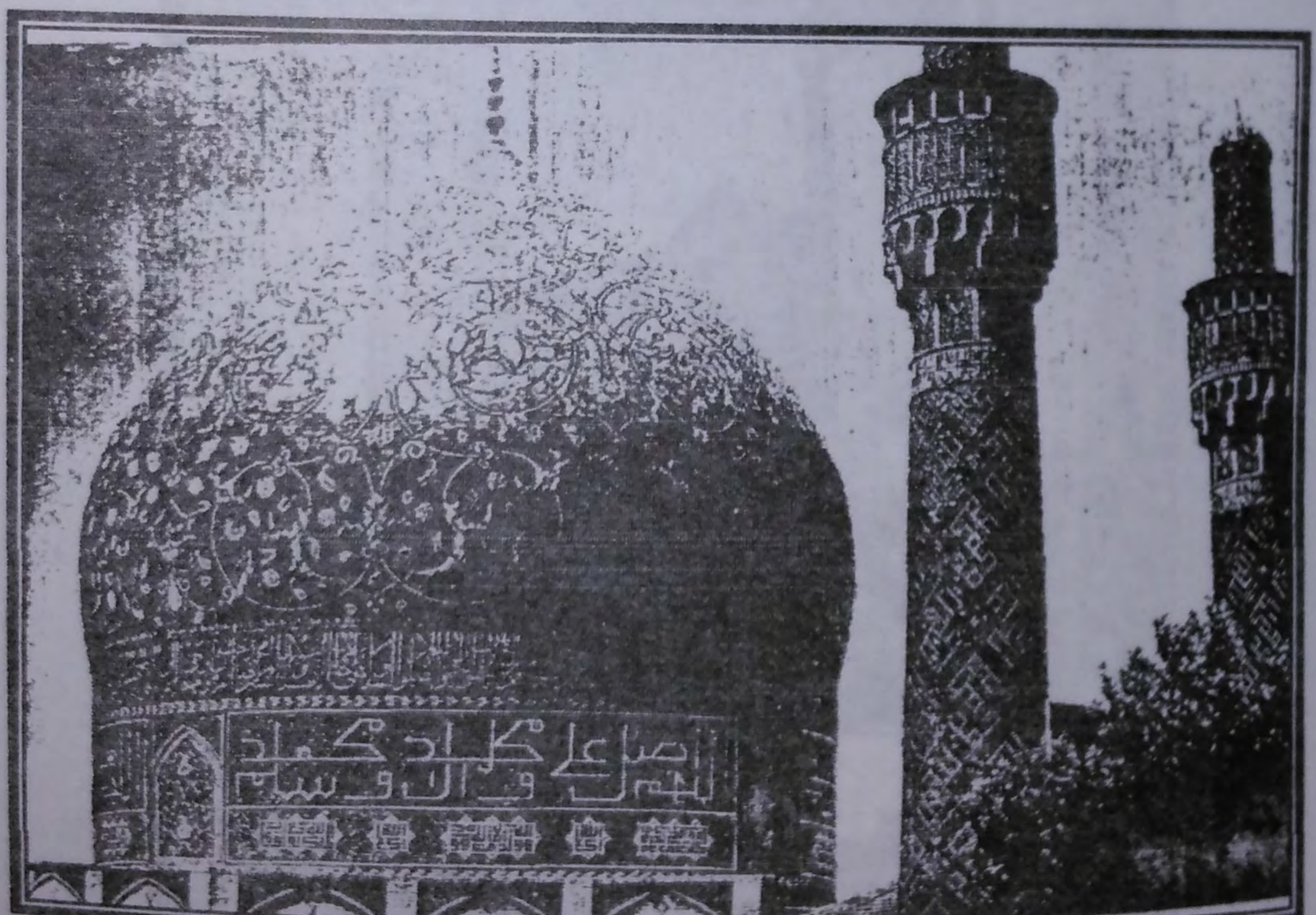

لوحة (١٦)

مئذنتى مدرسة باغ فى ايران عن بهنسى

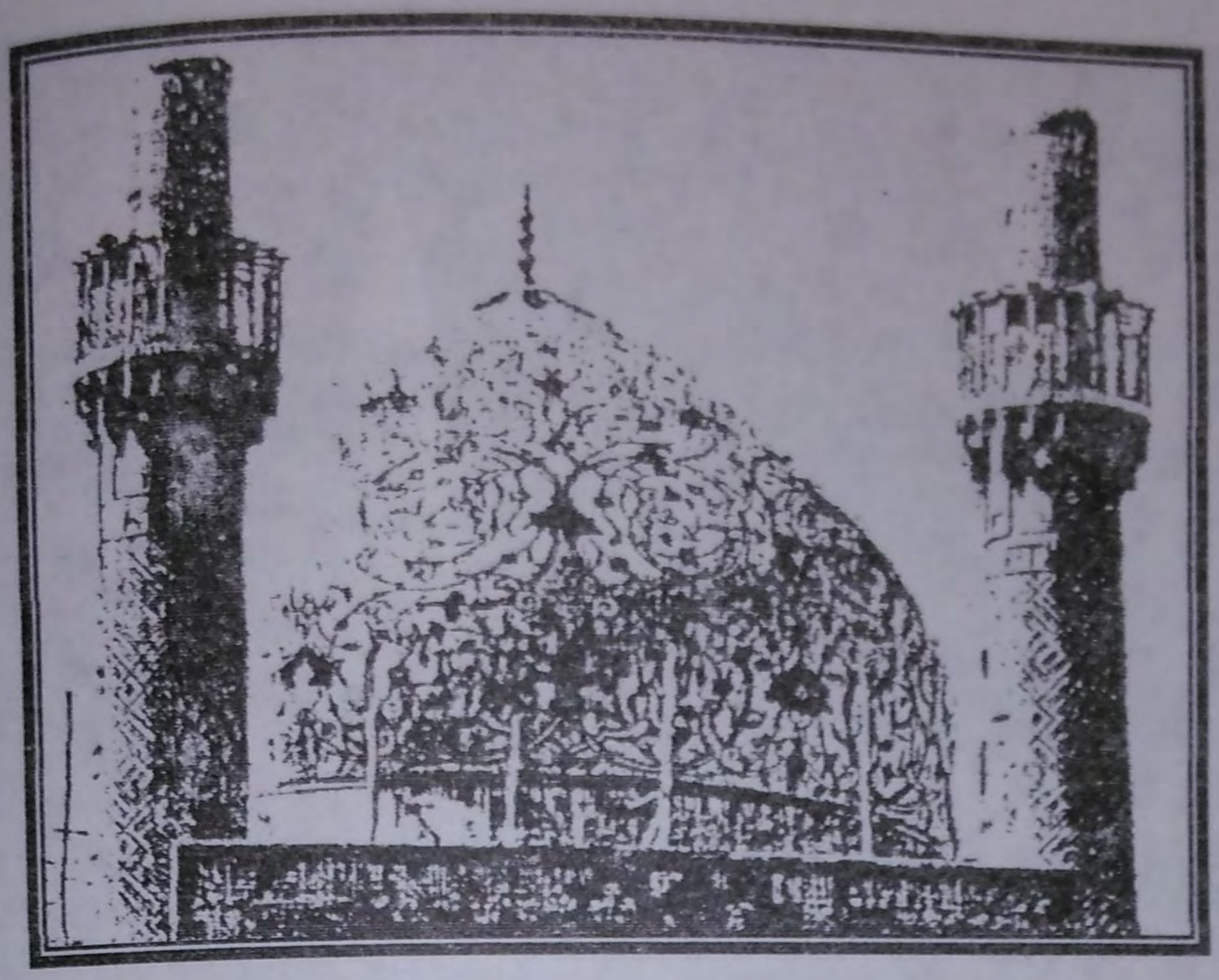

لـوحة (١٧)
مئذنتى جامع نـادر شاه فى ايـران
عن **Ardalan**

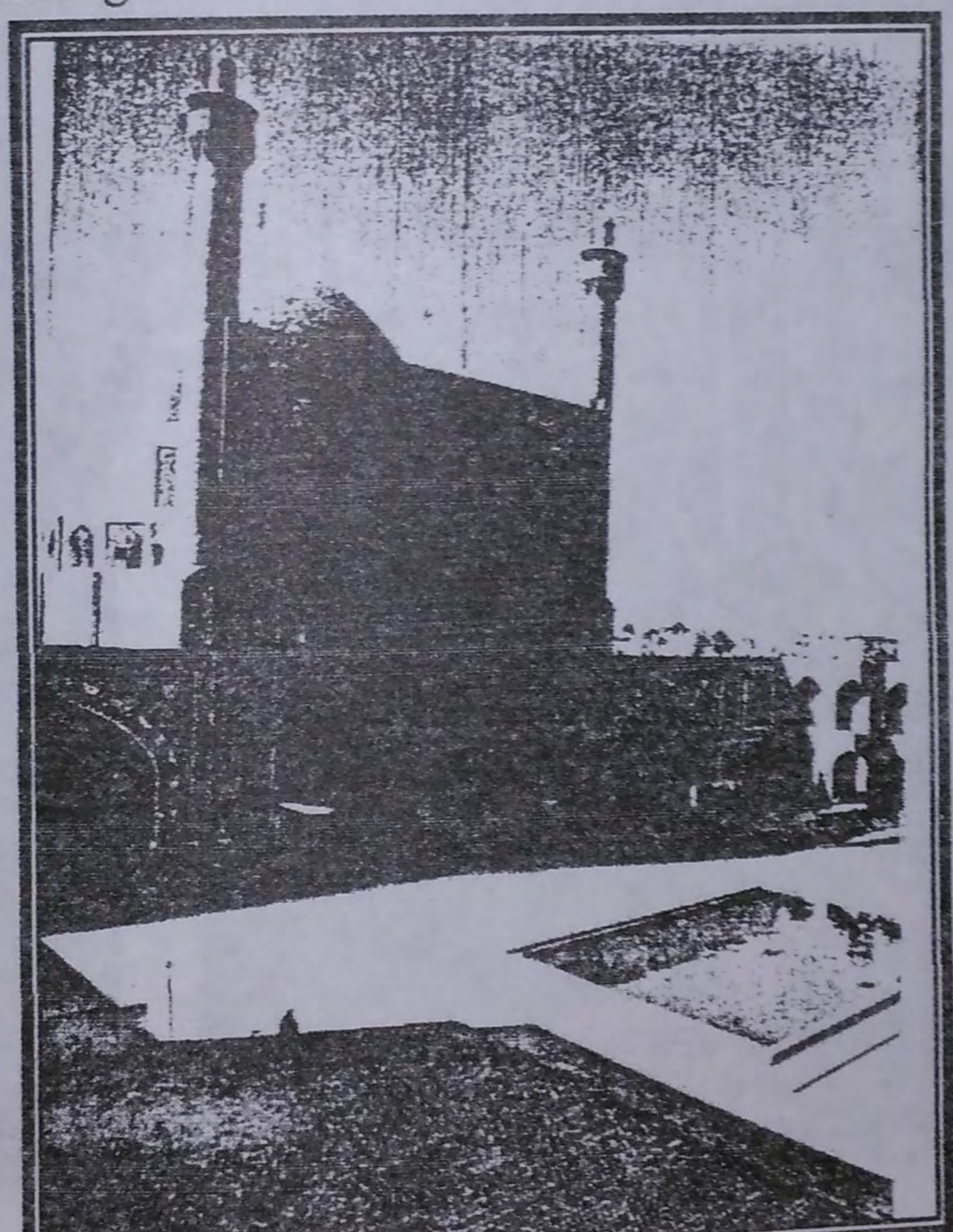

لـوحة (١٨)
مئذنتى مسجد الجمعة فى اصفهان - ايران

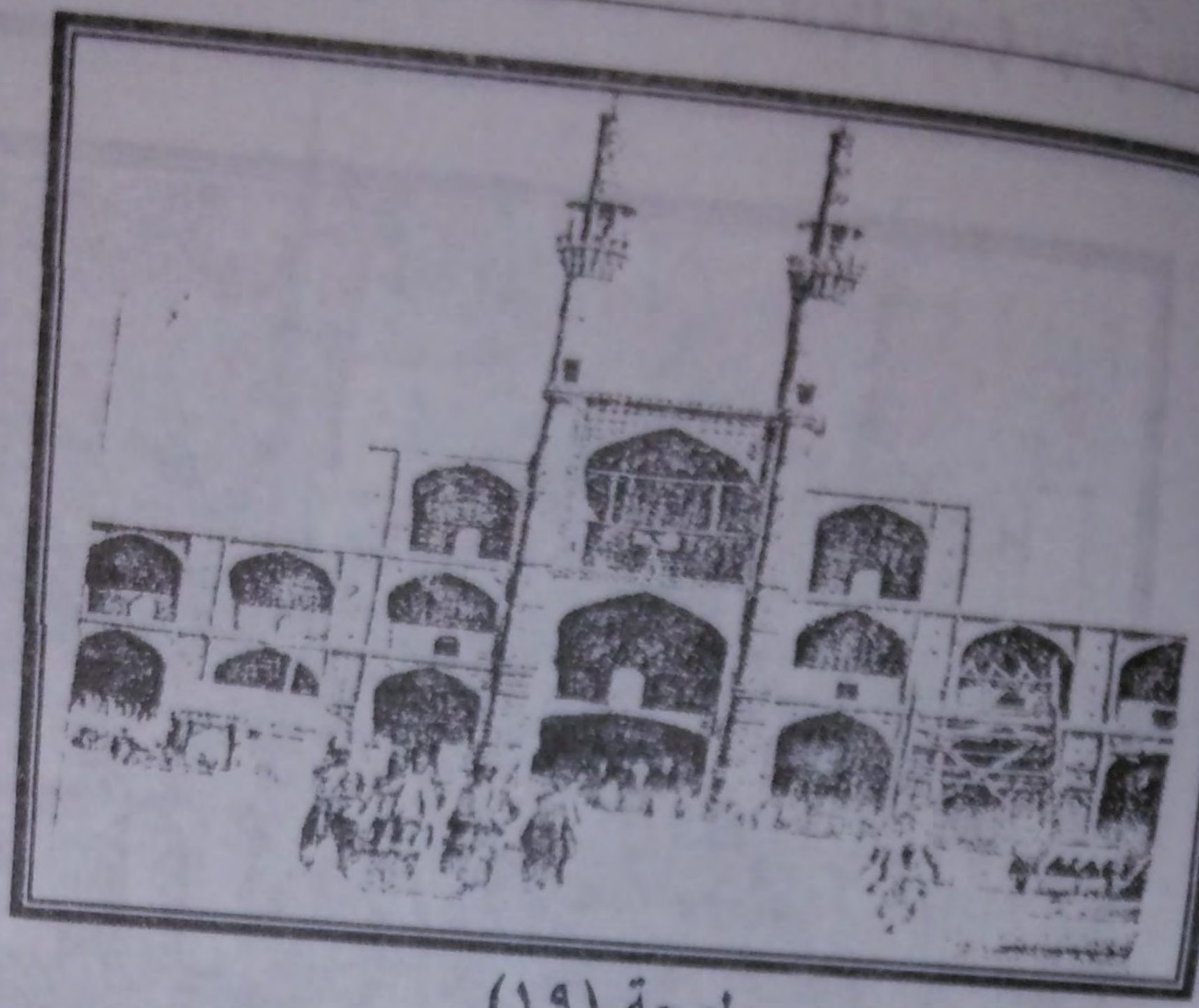

لوحة (١٩)
مئذنتى جامع مدينة يزد بايران
عن Ardalan

لوحة (٢٠)
مئذنتى جامع جوهر شاد فى هرات - افغانستان
عن بهنسى

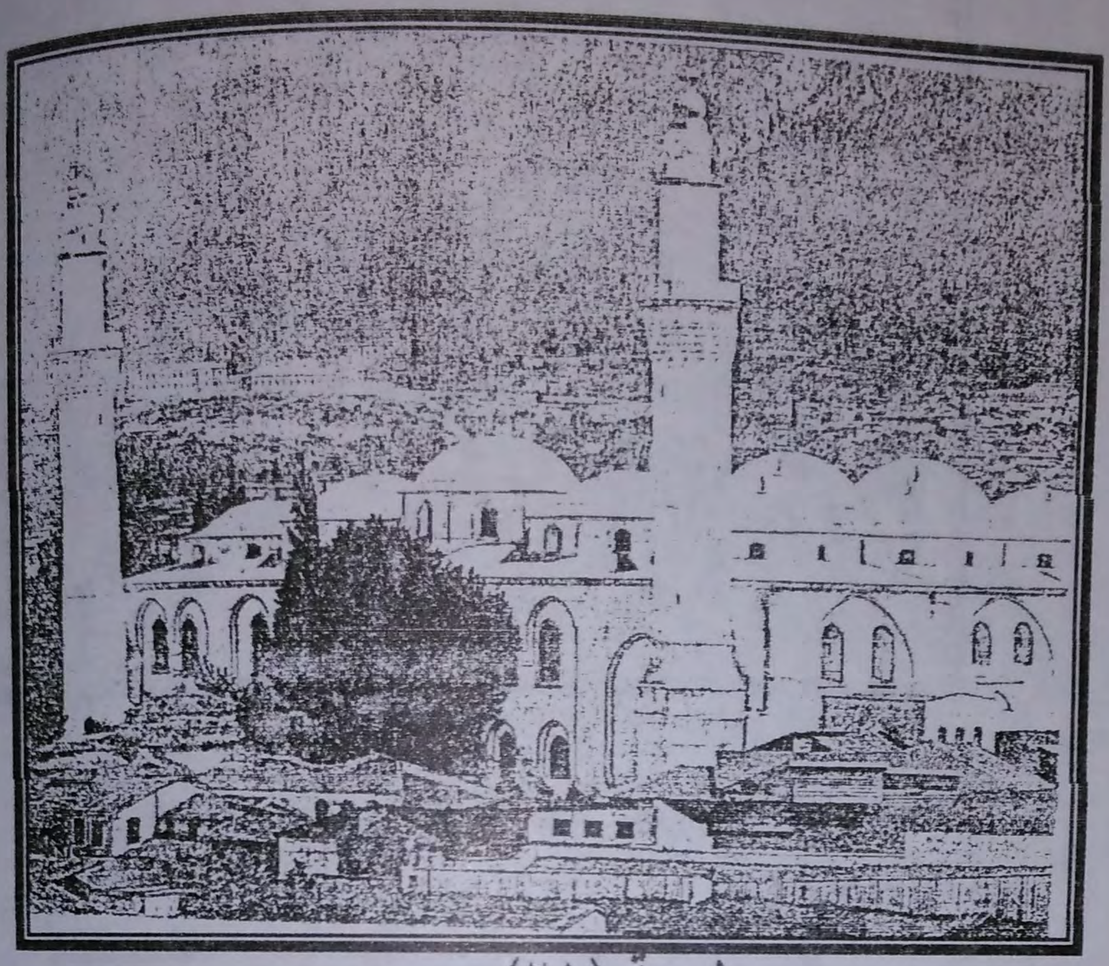

لوحة (٢١)
مئذنتى جامع أولو فى الأناضول
عن kuran

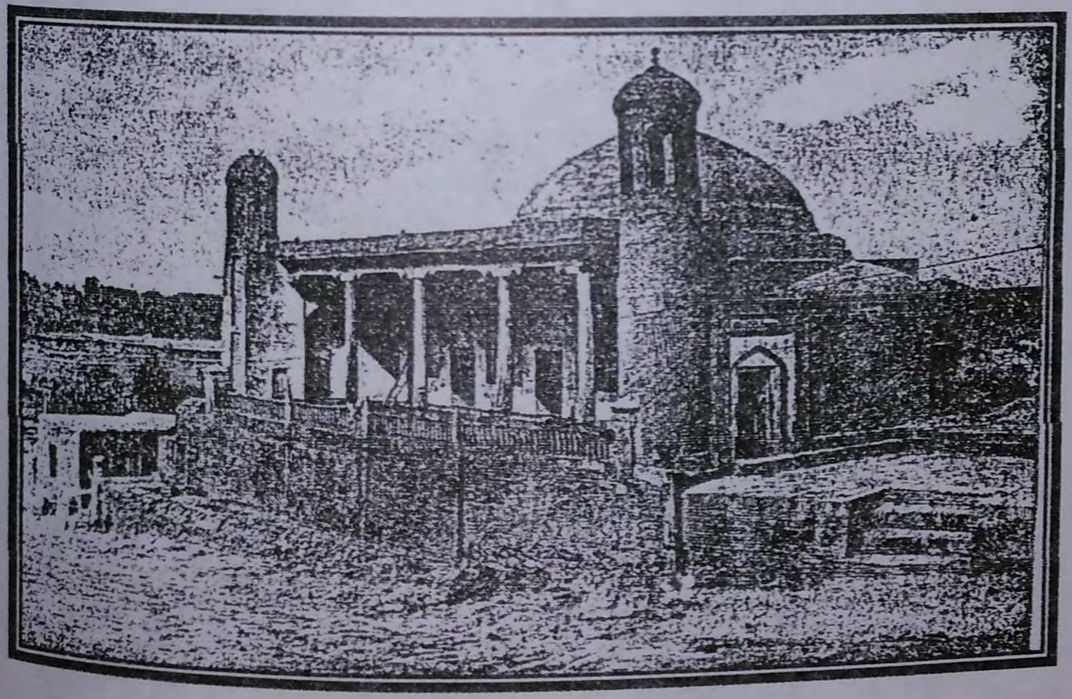

لوحة (٢٢)
مئذنتى جامع هازاداتى هزار فى سمرقند
عن Sozan

لوحة (٢٣)
مئذنتى جامع بايزيد الثانى فى اسطانبول
عن Sozan

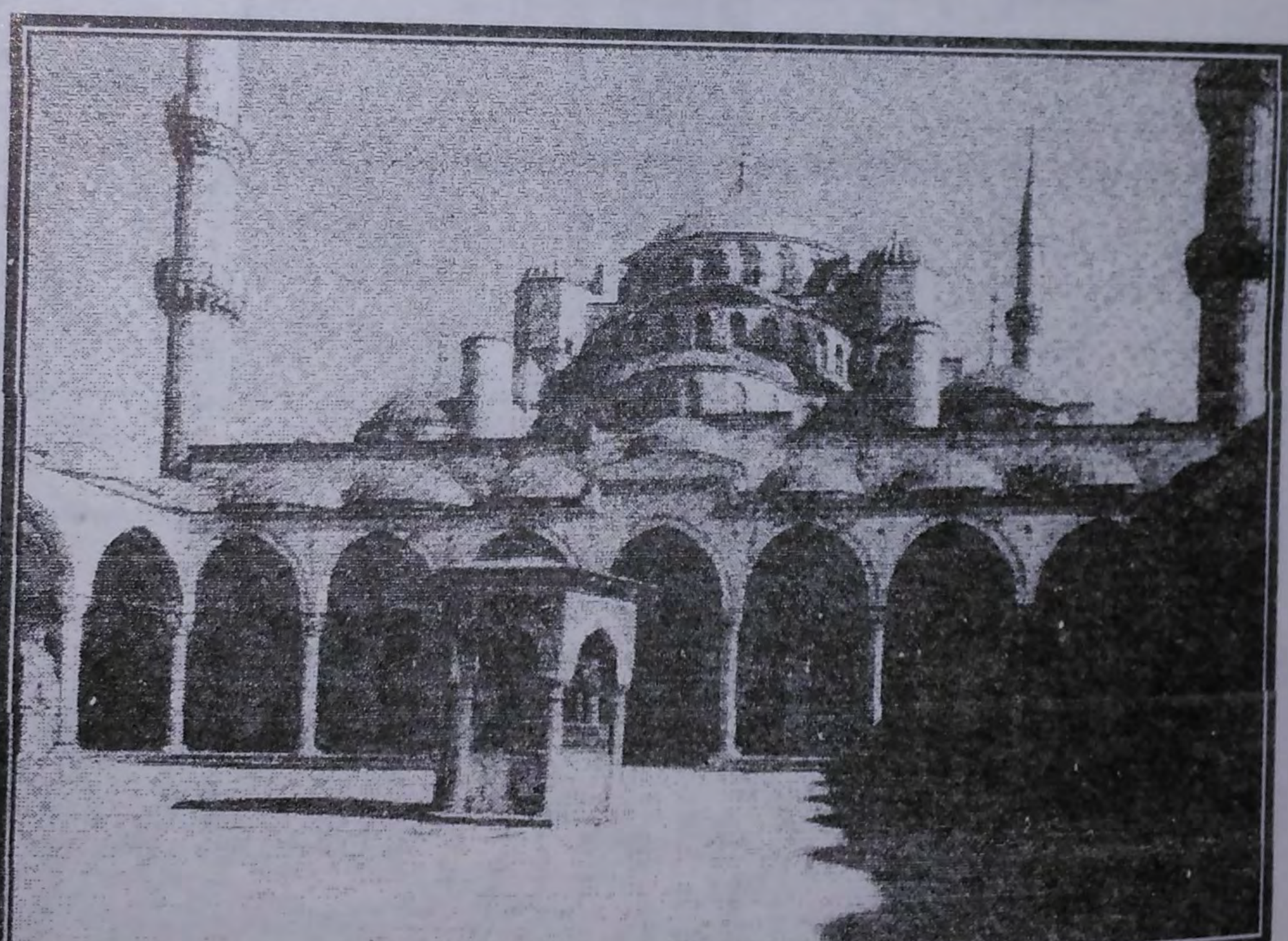

لوحة (٢٤)
مئذنتى جامع السلطان أحمد باسطانبول
عن Harbar

لوحة (٢٥)
مئذنتى جامع دولما
باشا فى اسطانبول

لوحة (٢٦)
مئذنتى جامع النصراتى فى
اسطانبول
عن Sozan

لوحة (٢٧)

منذنتى جامع الخواجة كسرى فى اسطانبول

عن Sozan

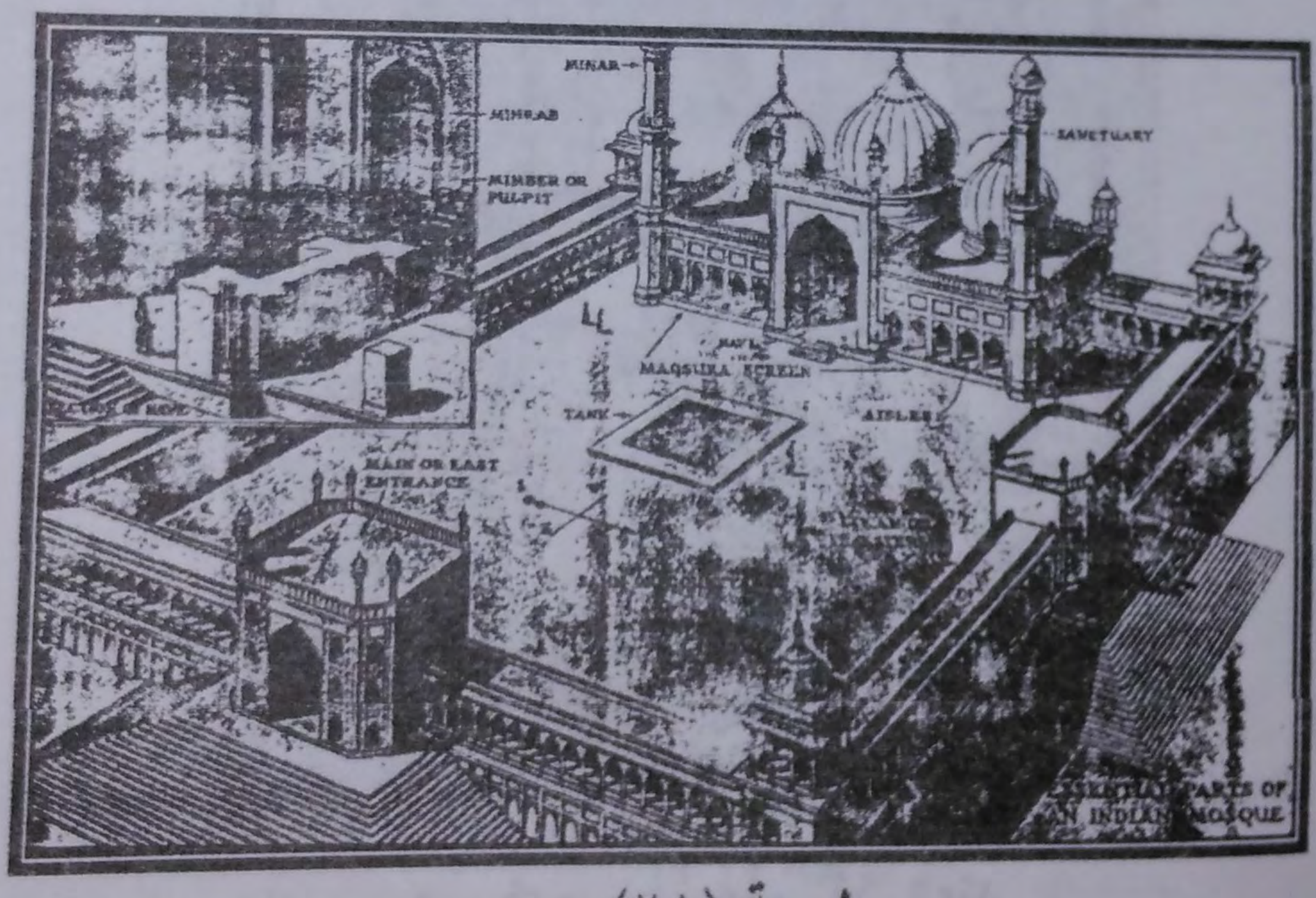

لوحة (٢٨)

منذنتى مسجد الجمعة فى دلهى

عن Brawan

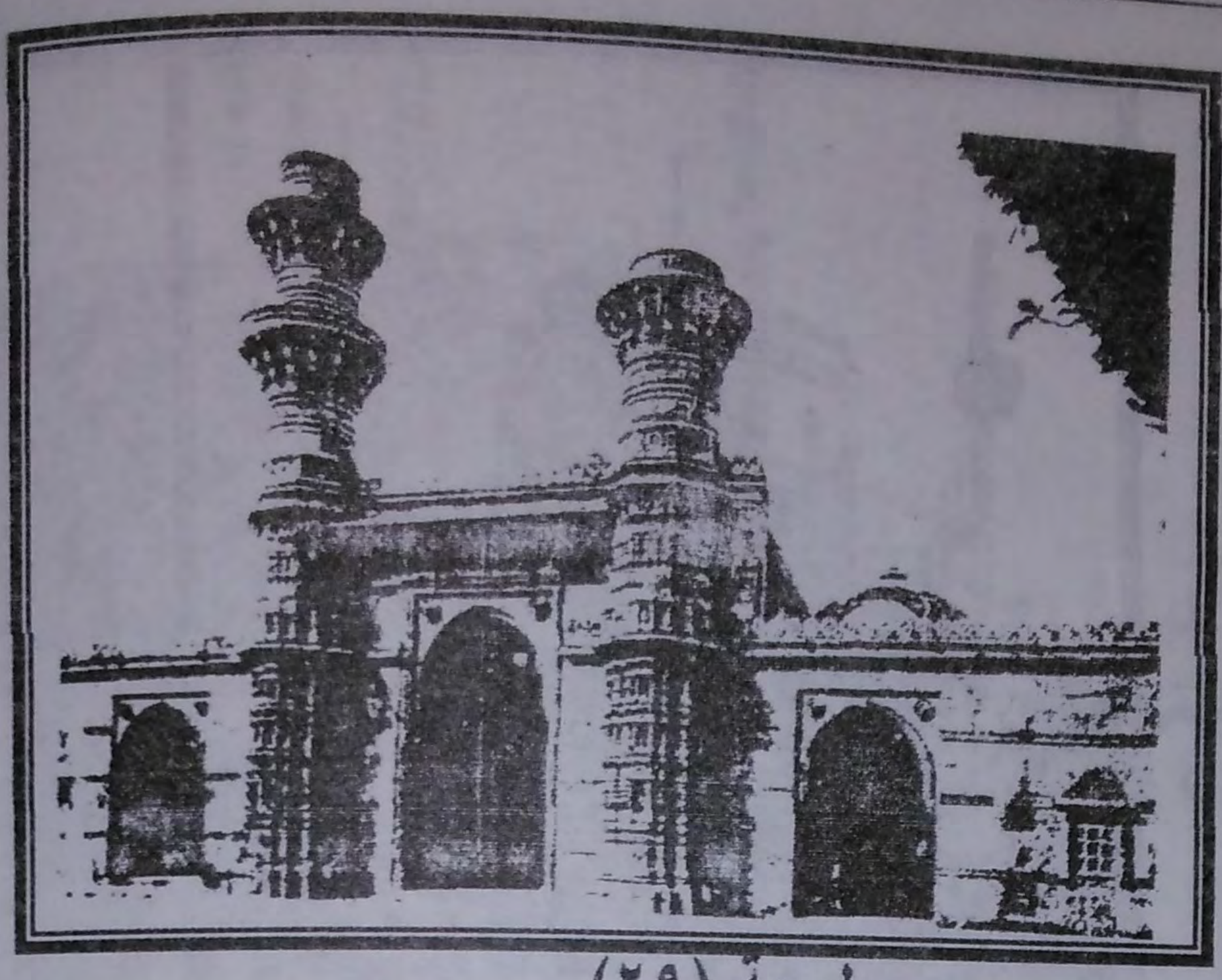

لوحة (٢٩)

مئذنتى مسجد الجمعة فى لاهـور - الهند

Brawan عن

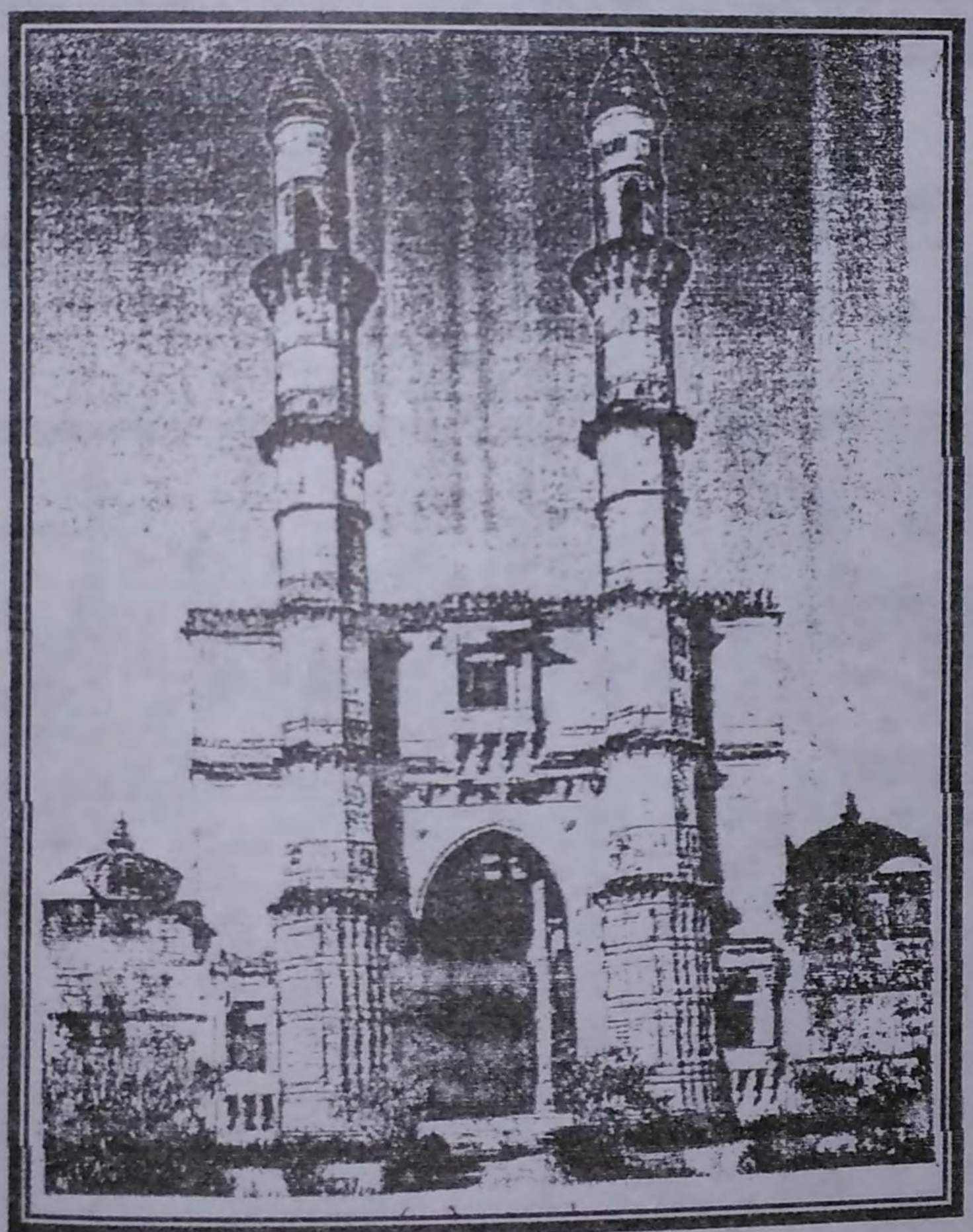

لوحة (٣٠)

مئذنتى جامع فتح بورسكرى فى الهند

Shormama عن

لوحة (٣١)
الثنائية فى توزيع مآذن مسجد الجمعة فى أجرا
عن Brawan

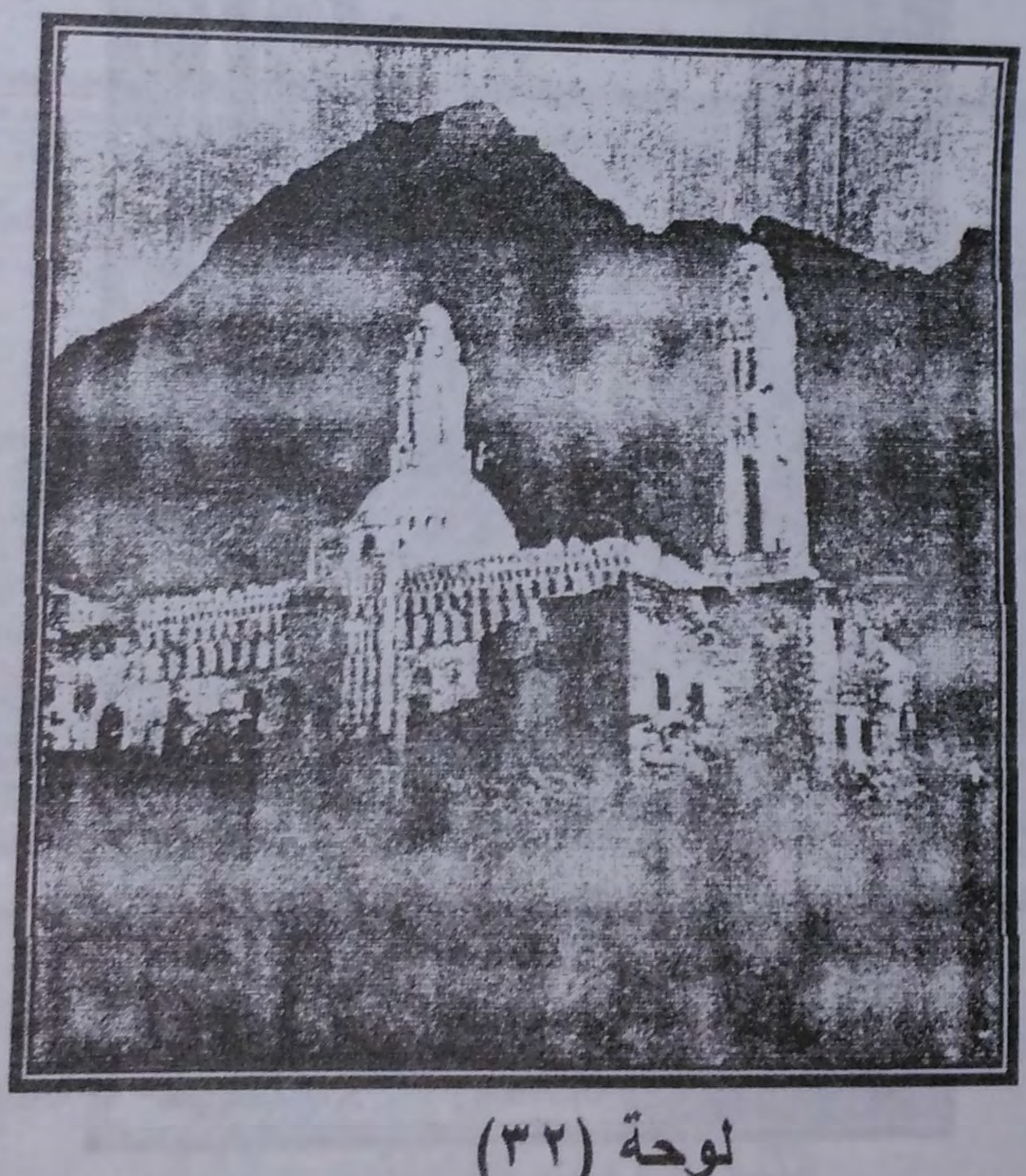

لوحة (٣٢)
مئذنتى جامع الأشرفية فى تعز باليمن
عن الثقافة اليمنية

لوحة (٣٣)
قبتا مشهدى الجعفرى وعاتكة

لوحة (٣٤)

لوحة (٣٥)
الثرية السلطانية بقرافة سيدى جلال
عن الباحث

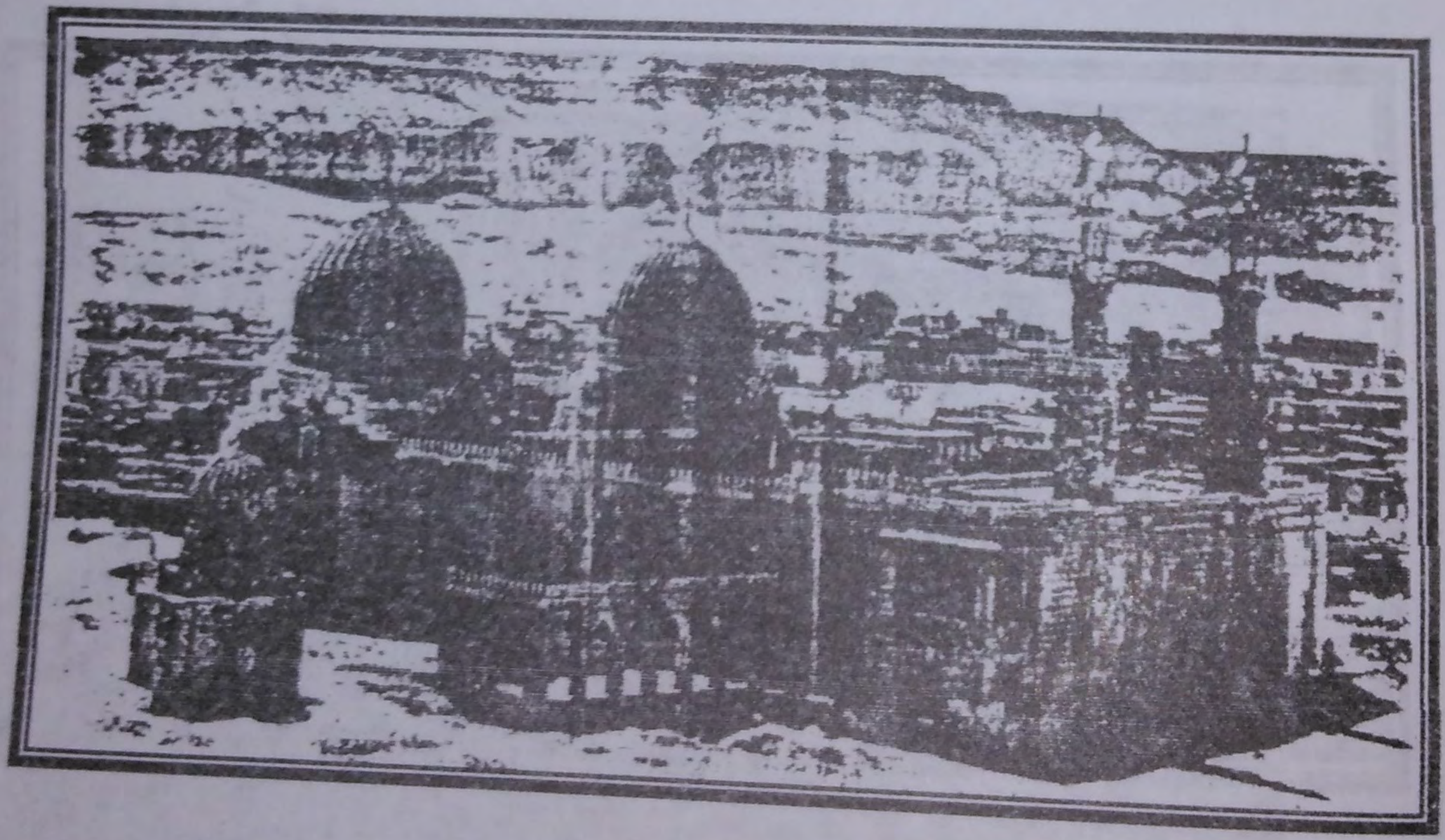

لوحة (٣٦)
خانقاه السلطان الناصر فرج واللوحة توضح
الثنائيات بين المئذنتين والقبتين

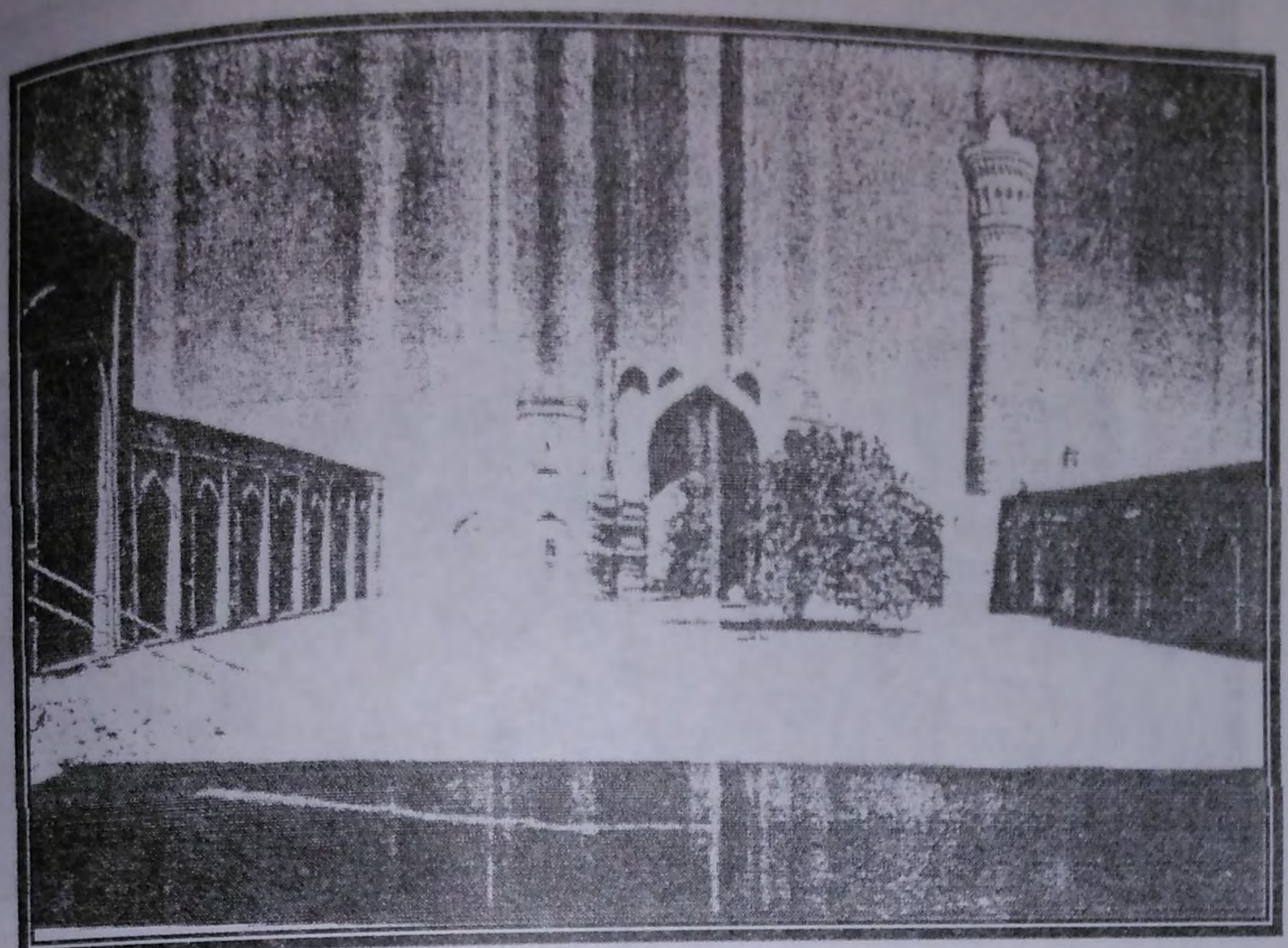

لوحة (٣٧)
جامع كلان فى بخارى ١٥١٤م وتتضح الثنائية بين القبتين فى الإيوان الرئيسى

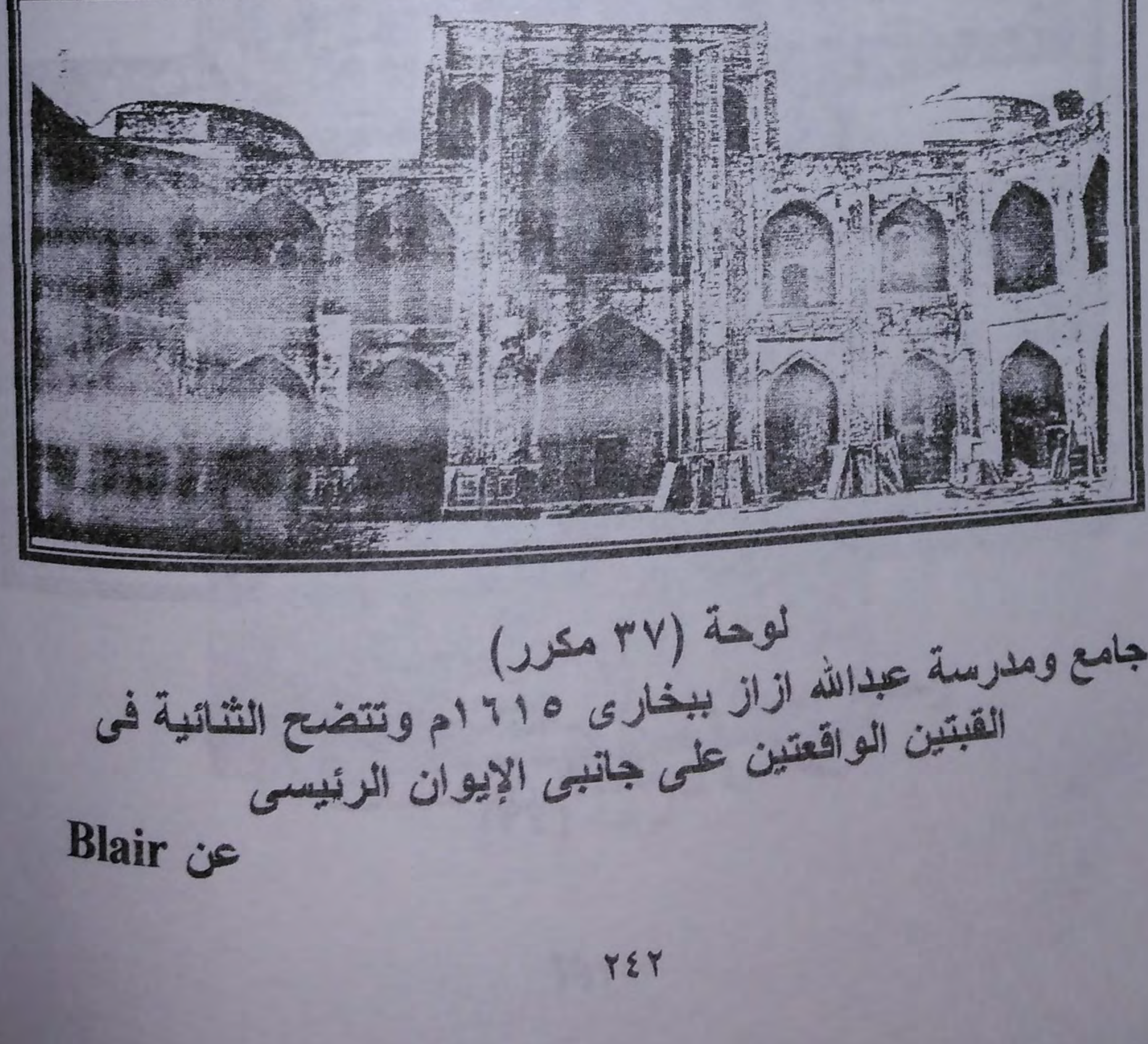

لوحة (٣٧ مكرر)
جامع ومدرسة عبدالله ازاز ببخارى ١٦١٥م وتتضح الثنائية فى القبتين الواقعتين على جانبى الإيوان الرئيسى
عن Blair

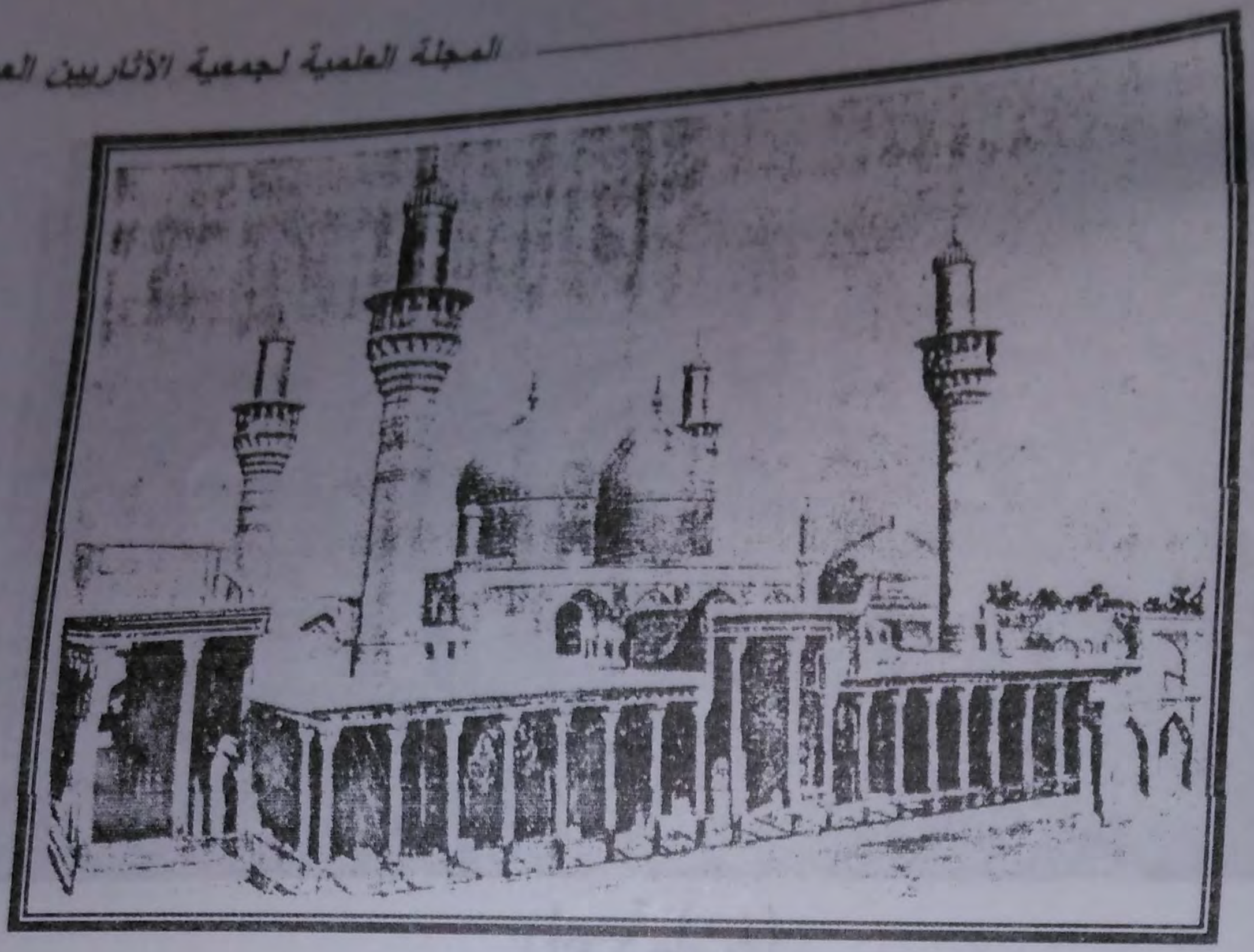

لوحة (٣٨)
مشهد الكاظمين وتتضح الثنائية فى القبتين المتماثلتين والمتجاورتين
عن شريف

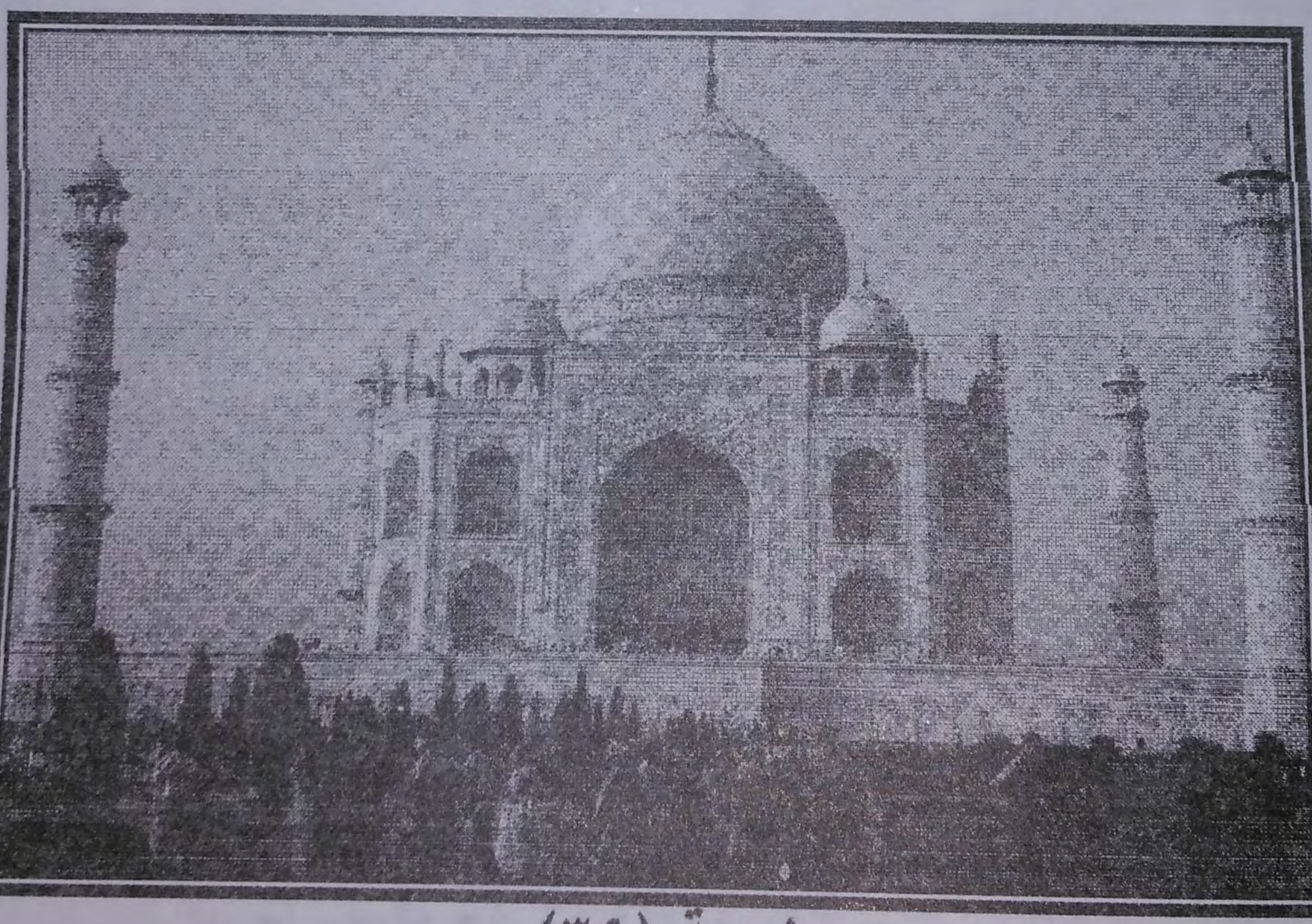

لوحة (٣٩)
ضريح تاج محل وتتضح الثنائية فى تكرار العناصر المعمارية من على جانبى القبة الرئيسية
عن Brawan

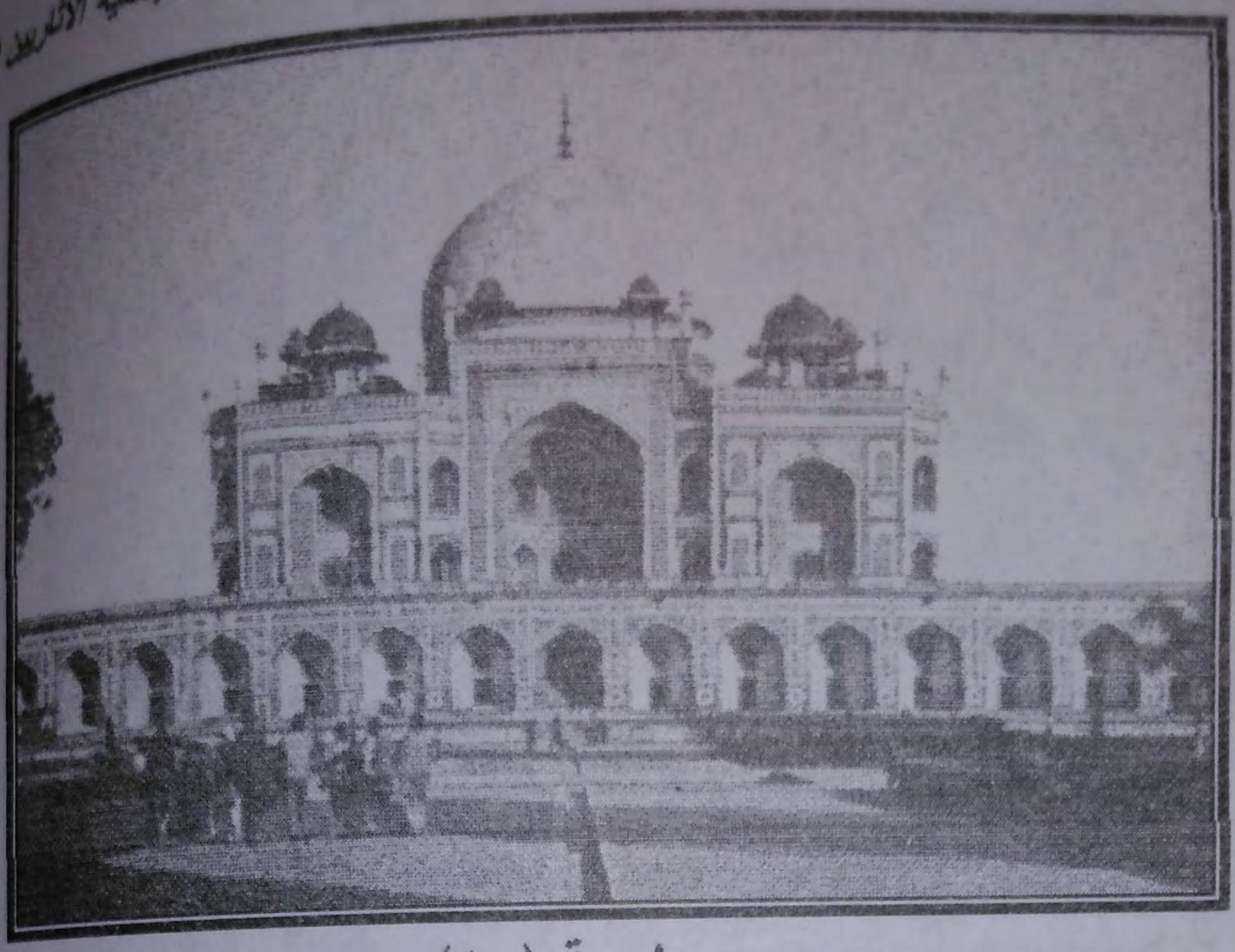

لوحة (٤٠)
ضريح السلطان همايون وتتضح الثنائية فى تكرار التخطيط على جانبى القبة الرئيسة

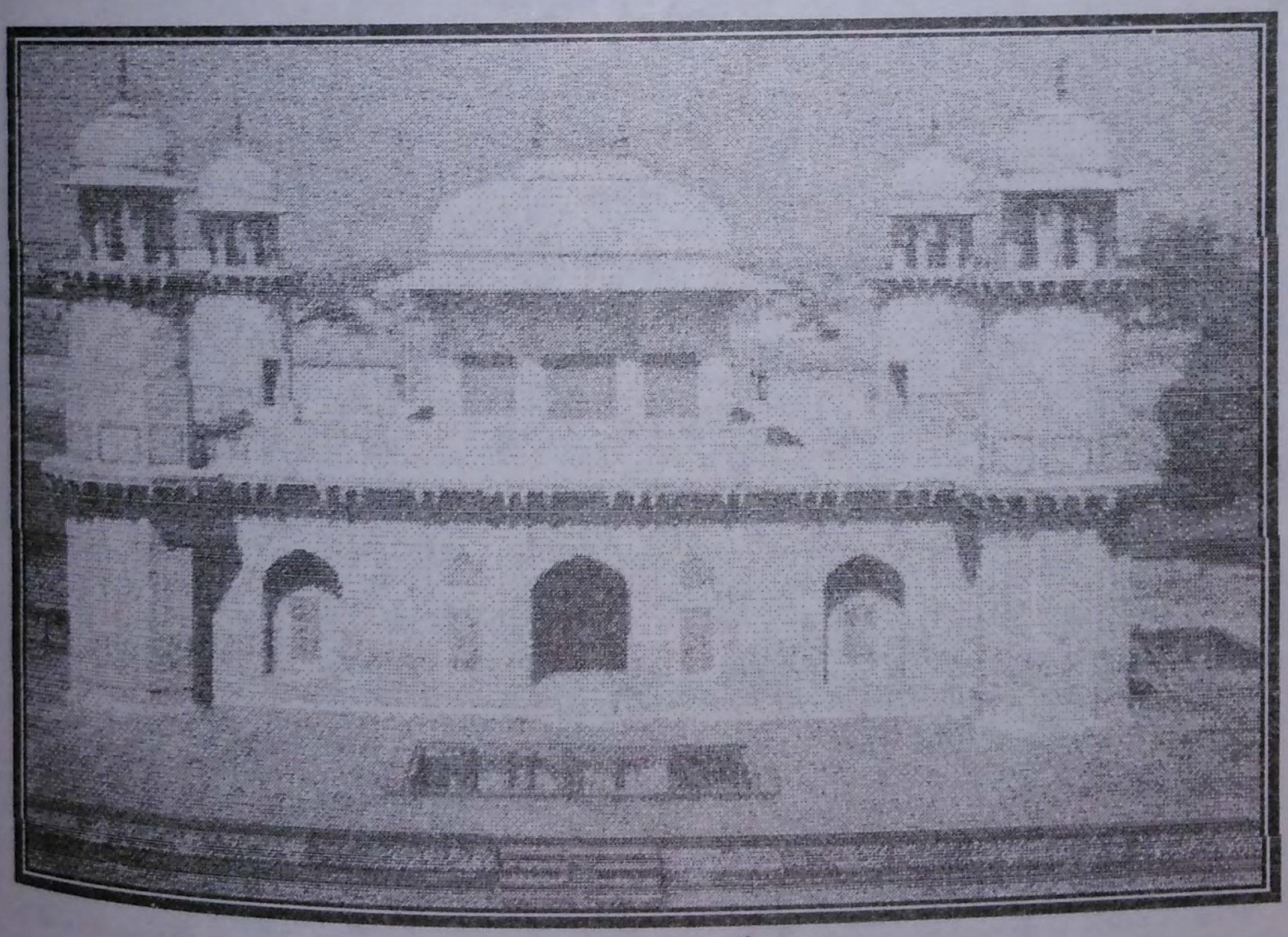

لوحة (٤١)
ضريح اعتماد الدولة فى الهند وتتضح الثنائية فى تماثل وتكرار التخطيط من على جانبى القبة الرئيسية
عن Shormama

لوحة (٤٢)

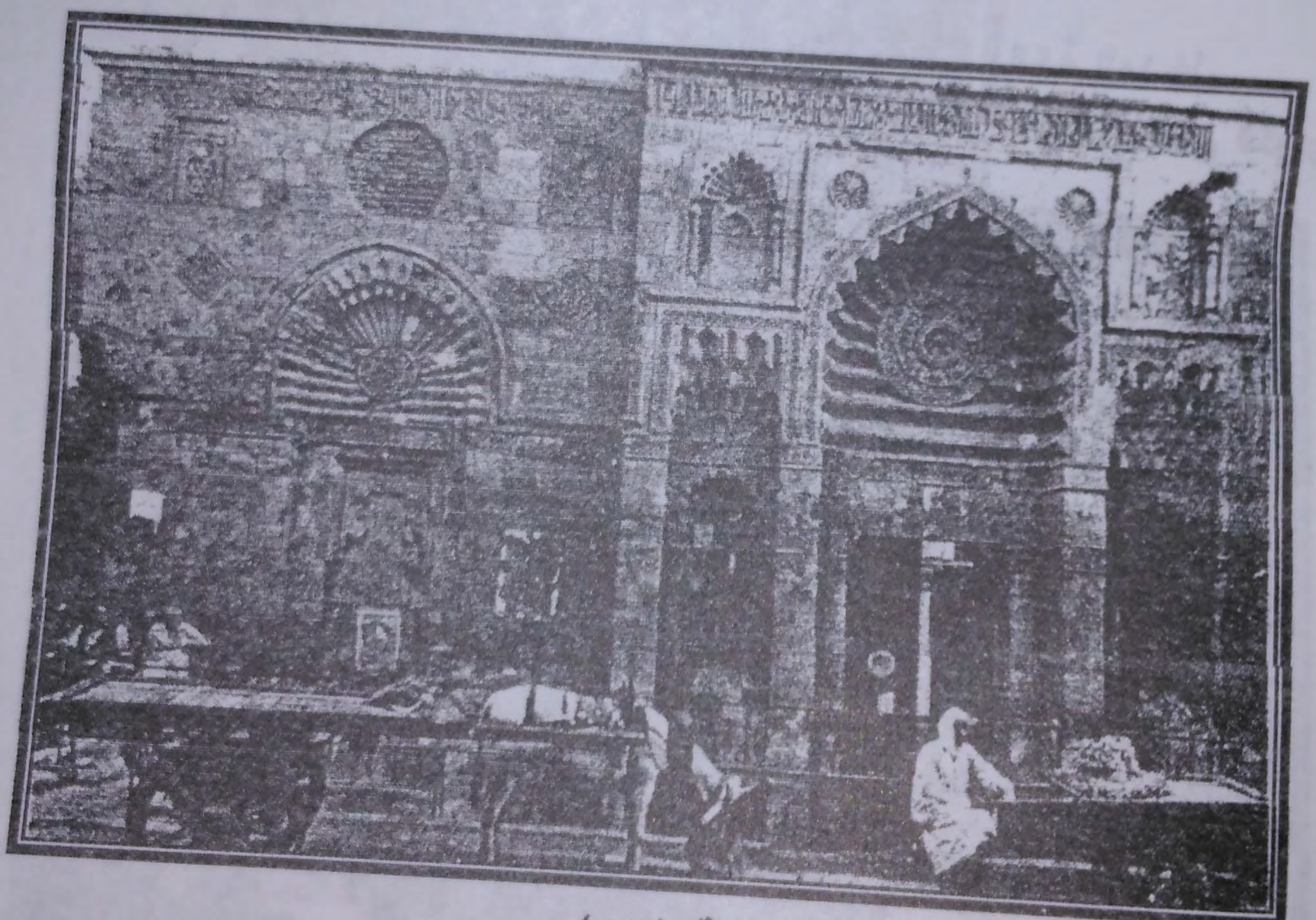

لوحة (٤٣)

جامع الأقمر الفاطمى، وتتضح الثنائية فى الدخلات الواقعة على جانبى المدخل

عن الباحث

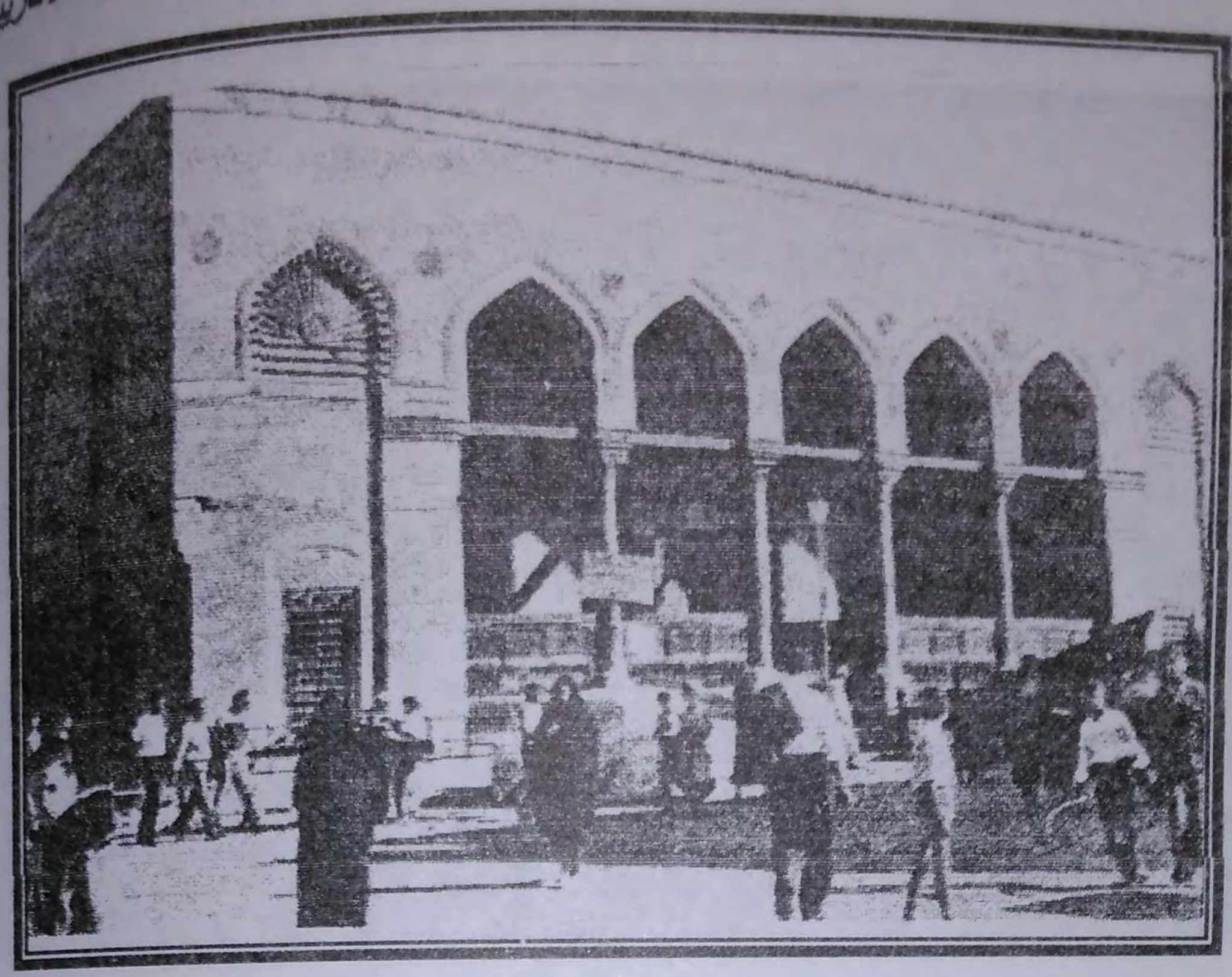

لوحة (٤٤)

جامع الصالح طلائع الفاطمى وتتضح الثنائية فى بائكة المدخل

عن فكرى

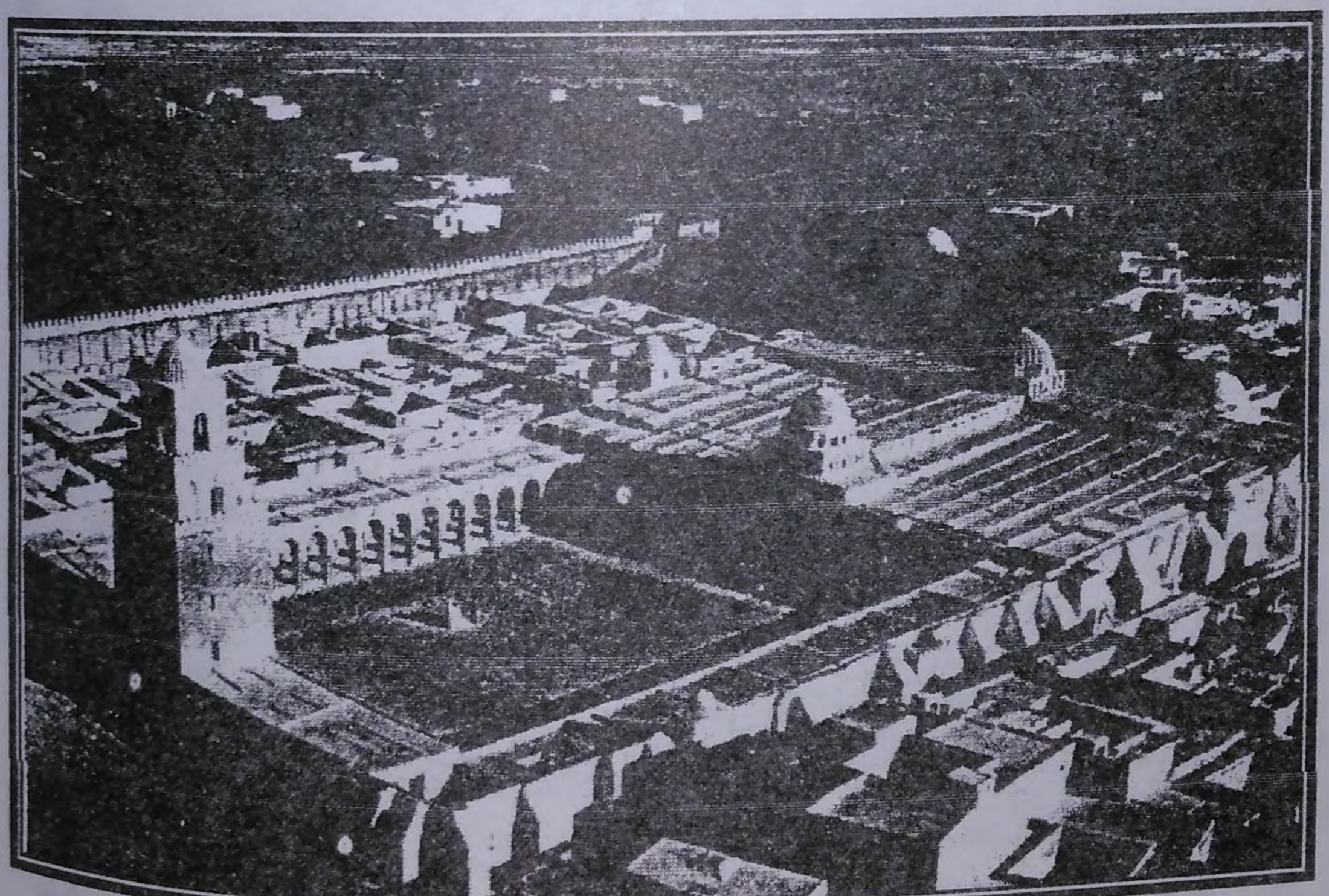

لوحة (٤٥)

جامع القيروان فى تونس

عن Terrasse

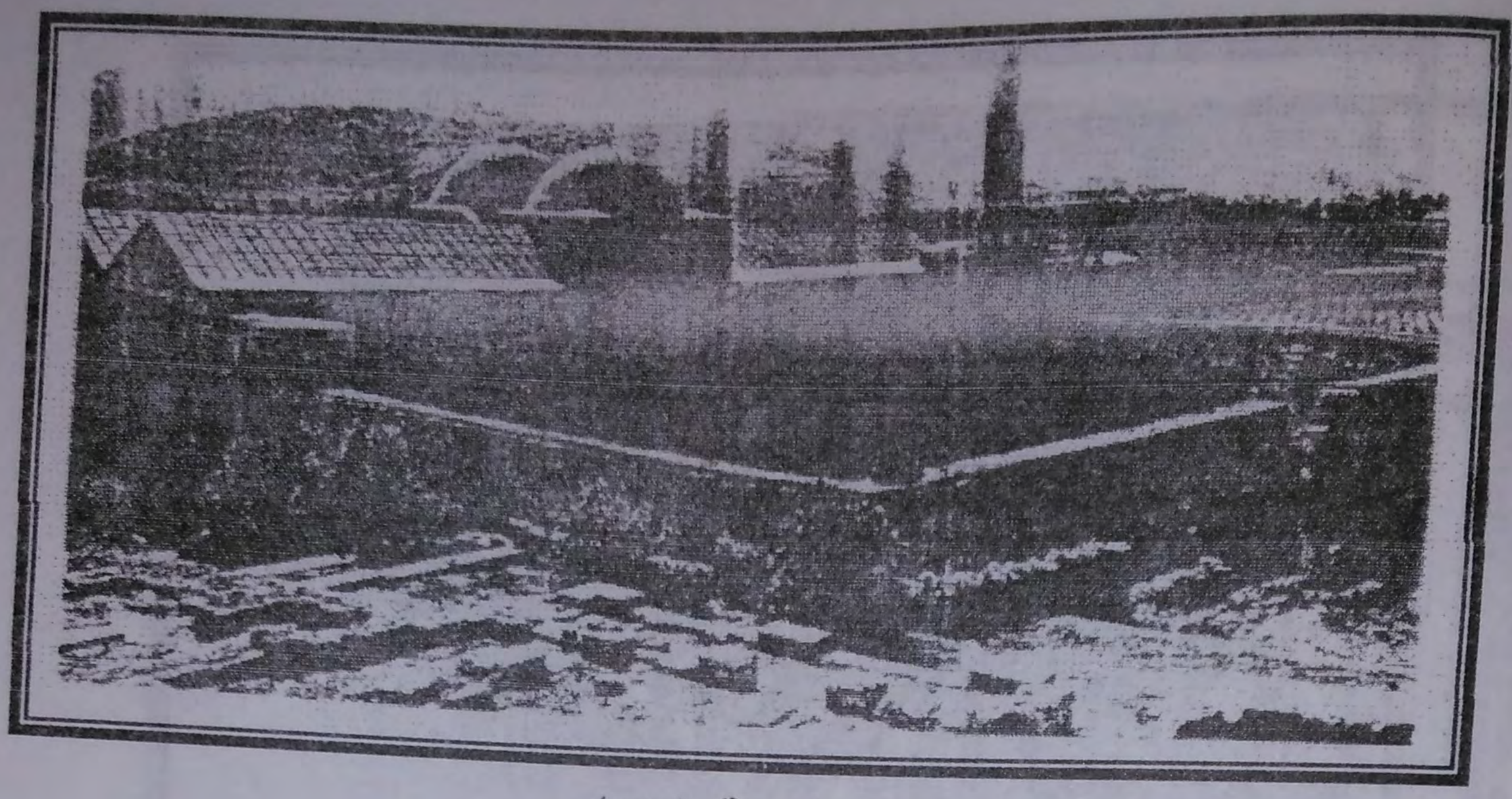

لوحة (٤٦)
قبتى البلاطه الوسطى بجامع ديلاس باى الأناضول

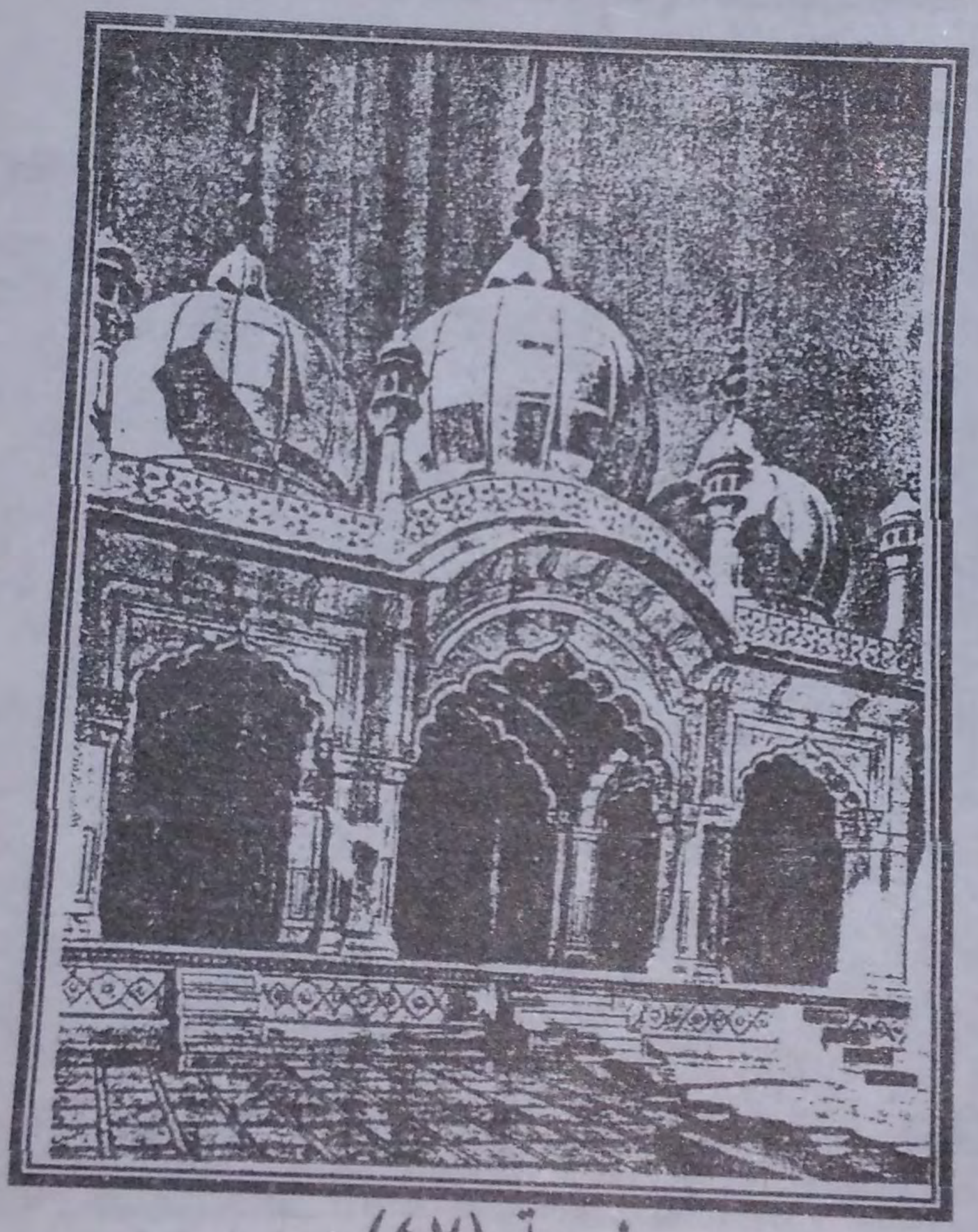

لوحة (٤٧)
جامع اللؤلؤة وتتضح الثنائية فى القبتين الواقعتين على جانبى القبة الوسطى
عن Brawan

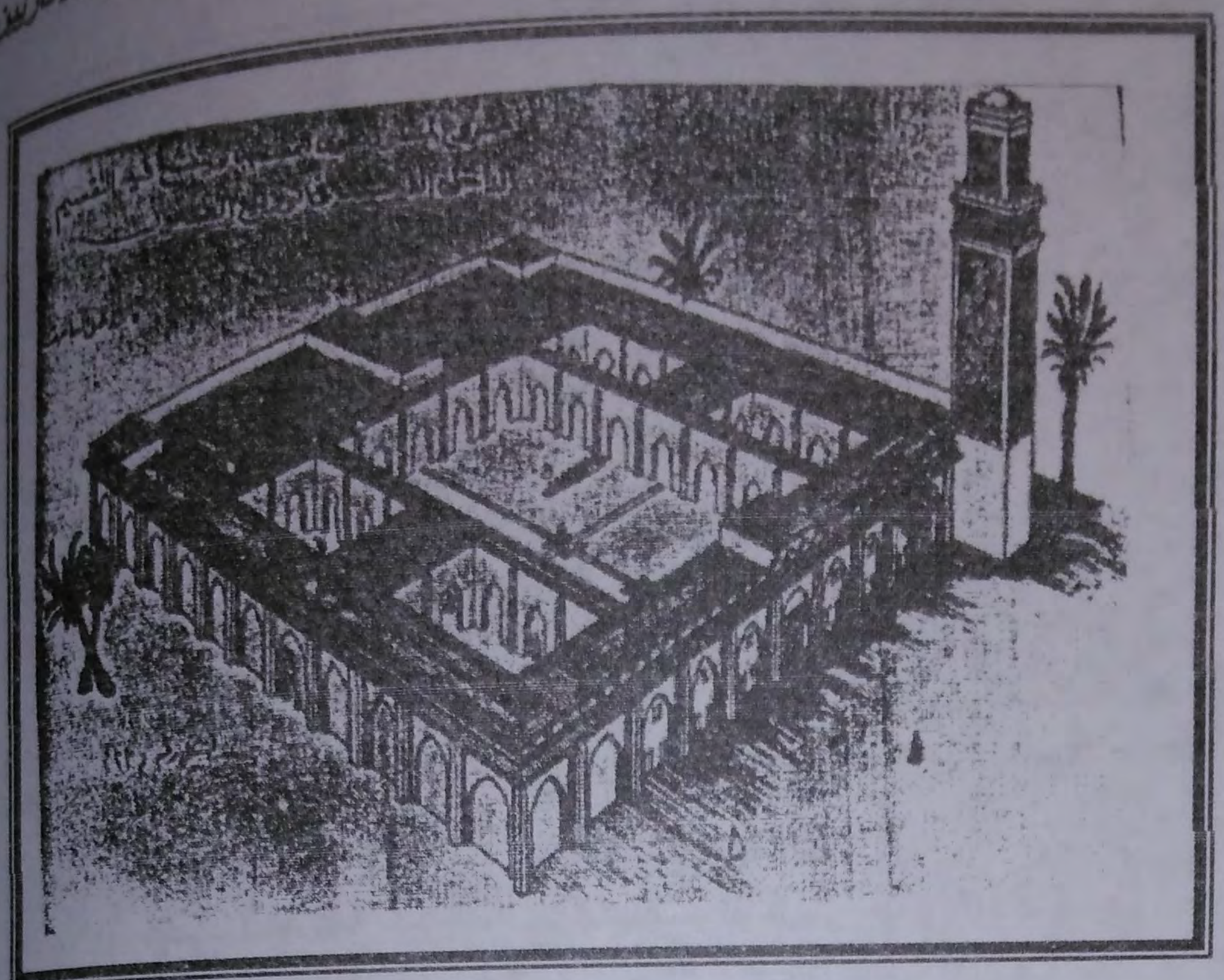

لـوحة (٤٨)

جامع الـقصبة بمـدينة مراكش وتـتضح الـثنائية فى تـوزيع الأفنية الـداخلية

لـوحة (٤٩)

نمـوذج لـنافذة تـوأميه من جامع الـقرويين بفـاس

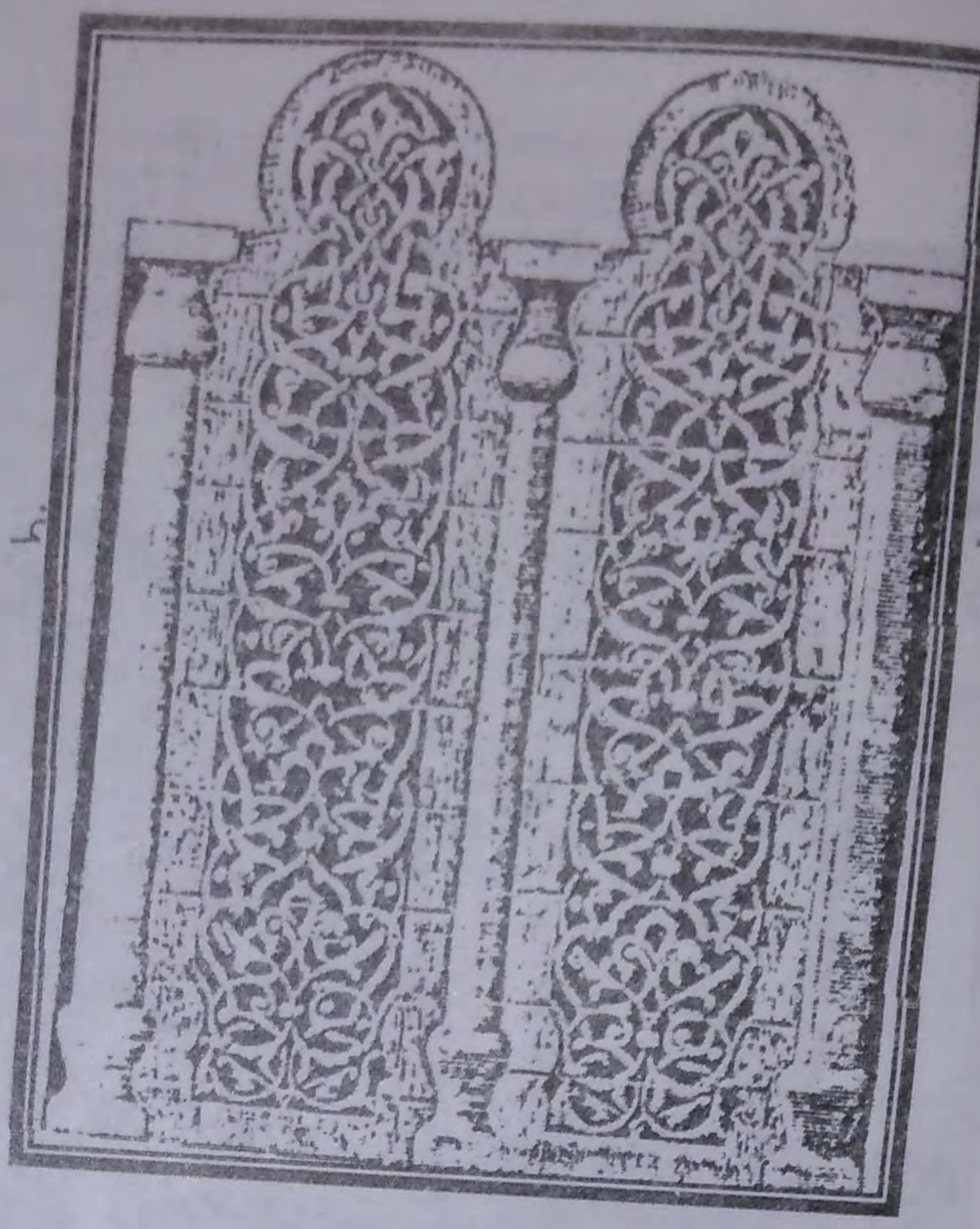

لوحة (٥٠)
نموذج آخر لنافذة توأميه من جامع القرويين

غلاطث

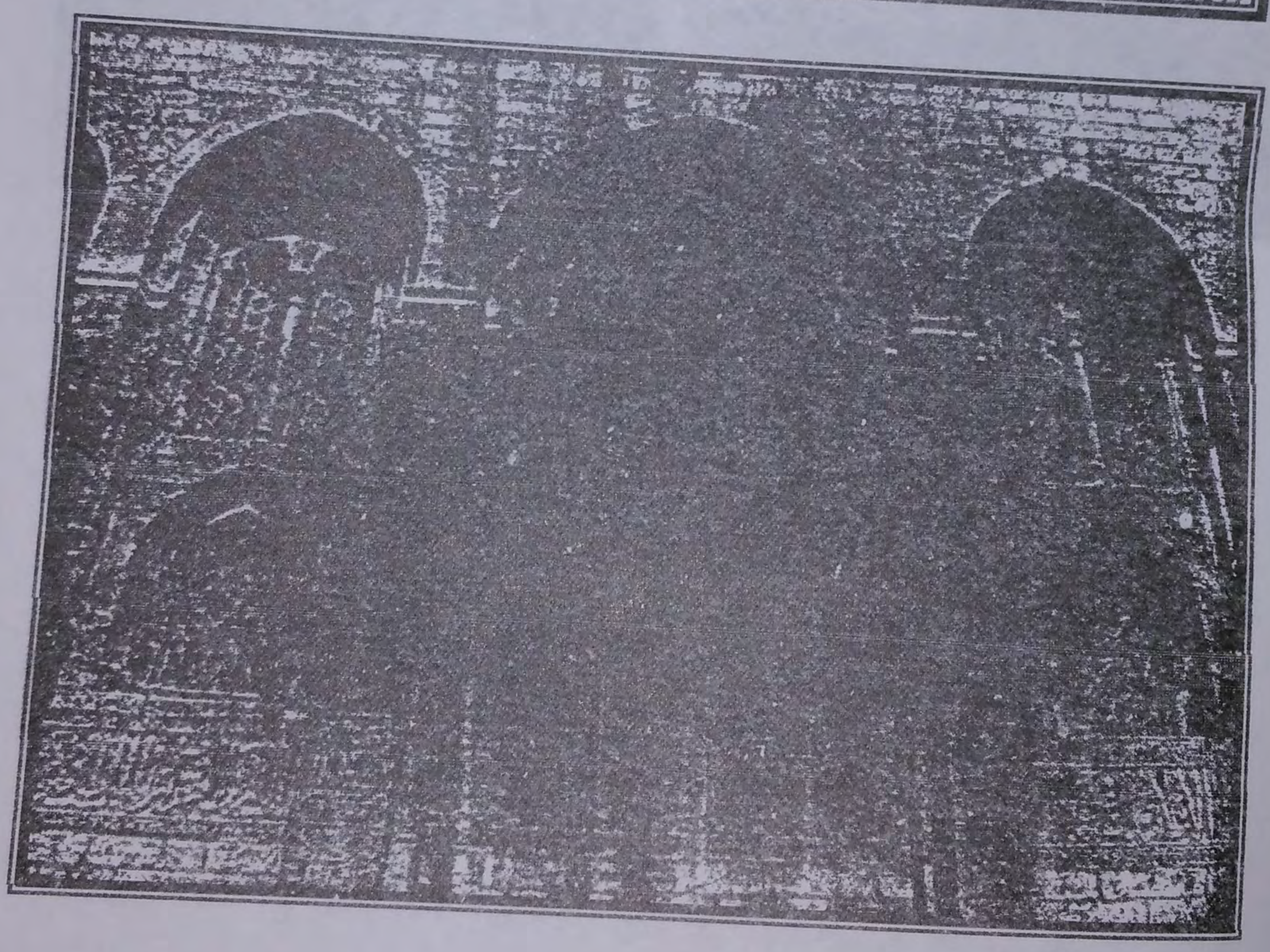

لوحة (٥١)
نموذج لنافذة توأميه فى مدرسة وضريح السلطان قلاوون
عن الباحث

لـوحة (٥٢)
جامع بلدة الفـرعة

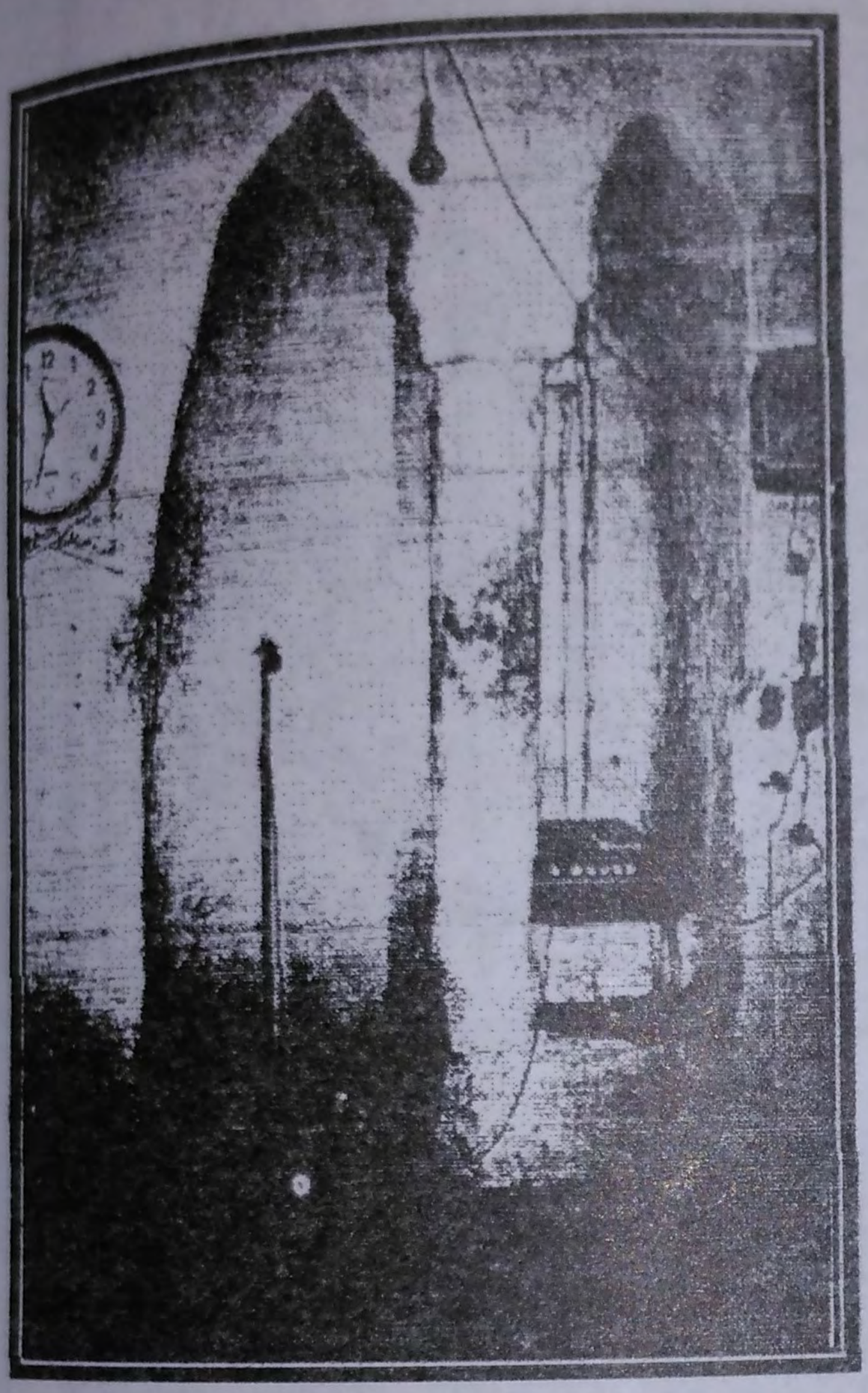

لـوحة (٥٣)
جامع بلدة أشقير

تـتضح الثنائية فى فـتحة البائكة الثنائية، حيث استغلت اليمنى منبراً واليسرى محراباً

عن سعود الـشويش

لـوحة (٥٤)

المـدرسة اليـوعانـية بفـاس وتـتضح الـثنائـية فى الحـجرتـين الـواقعتين على جانـبى الحـراب

الـبـاحث

لوحة (٥٥)
محراب مسجد النورستى فى اسطانبول، وتتضح الثنائية فى توزيع أعمدة تاج المحراب
عن **Sozan**

لوحة (٥٦)
دعامة من جامع بيجامبورى، وتتضح الثنائية فى جسم الدعامة
عن الحليبة

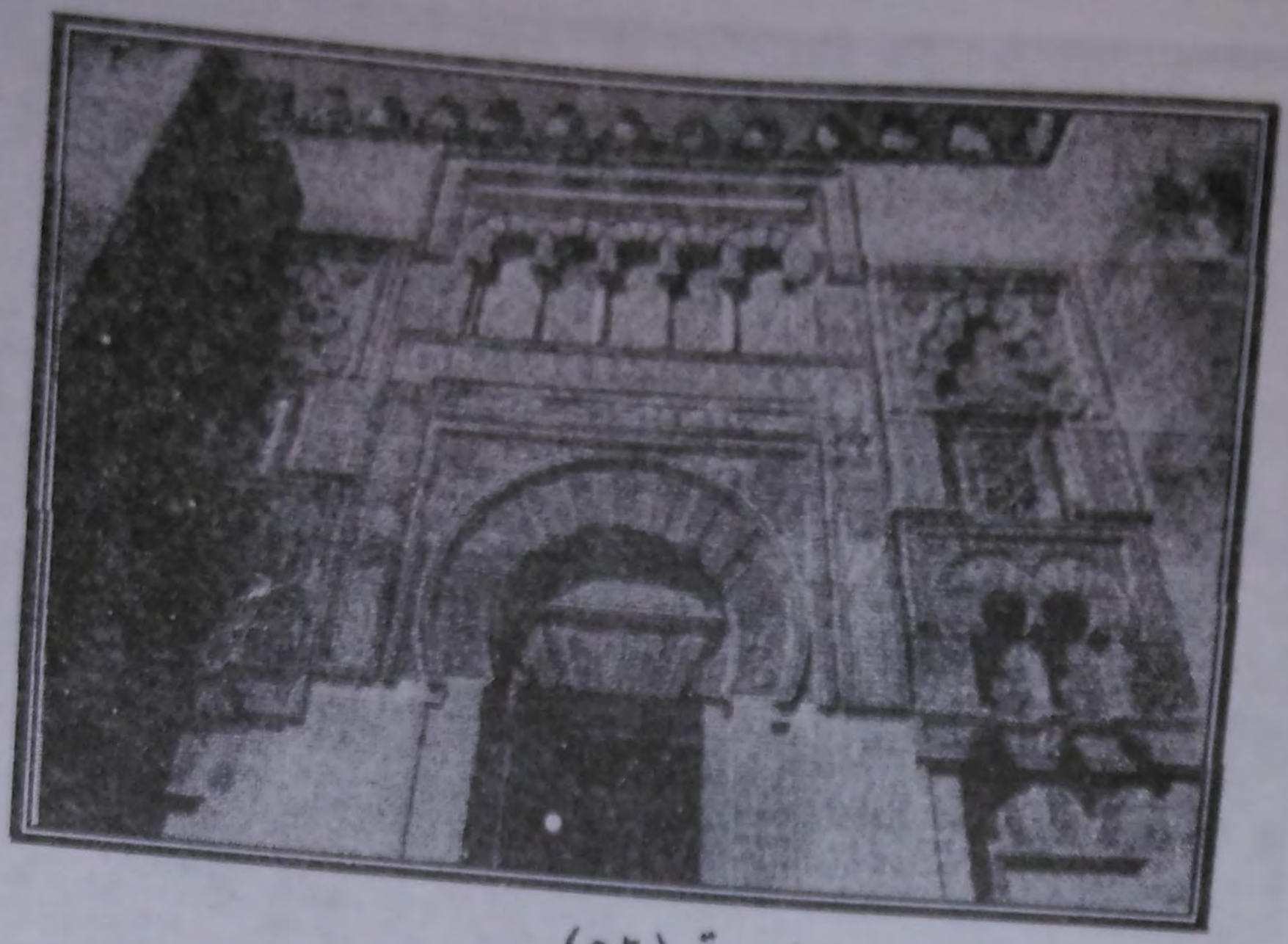

لوحة (٥٦)
جامع قرطبة، وتتضح الثنائية فى الدخلتين الواقعتين على جانبى أحد المداخل بالضلع الغربى
عن السياحة الأسبانية

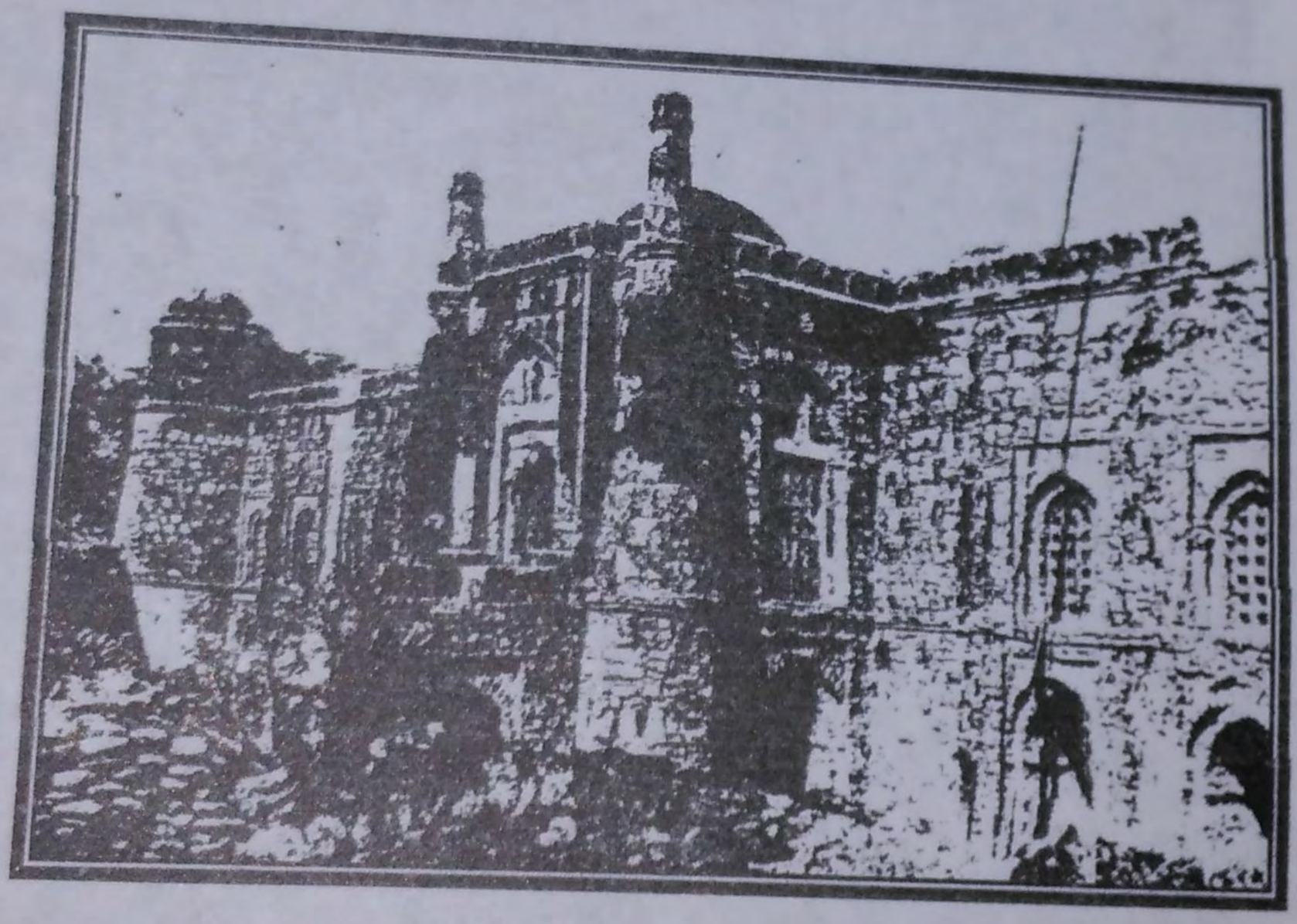

لوحة (٥٧)
جامع بيجامبورى وتتضح ثنائية الأبراج التى تعضد زوايا المدخل
عن Brawan

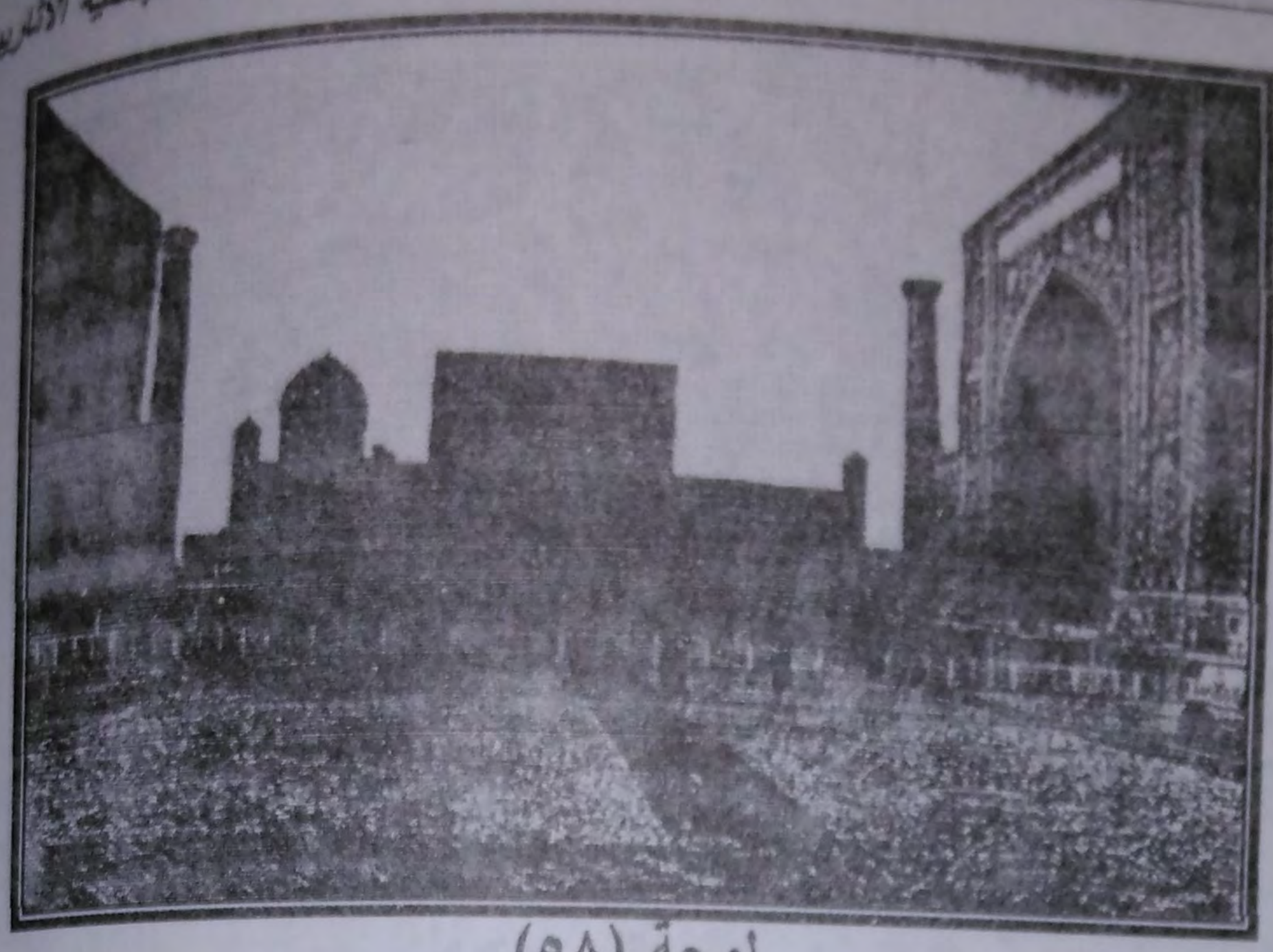

لوحة (٥٨)
مدرسة رجستان فى سمرقند، وتتضح الثنائية فى الأبراج المتناظرة والمتماثلة

عن Blair

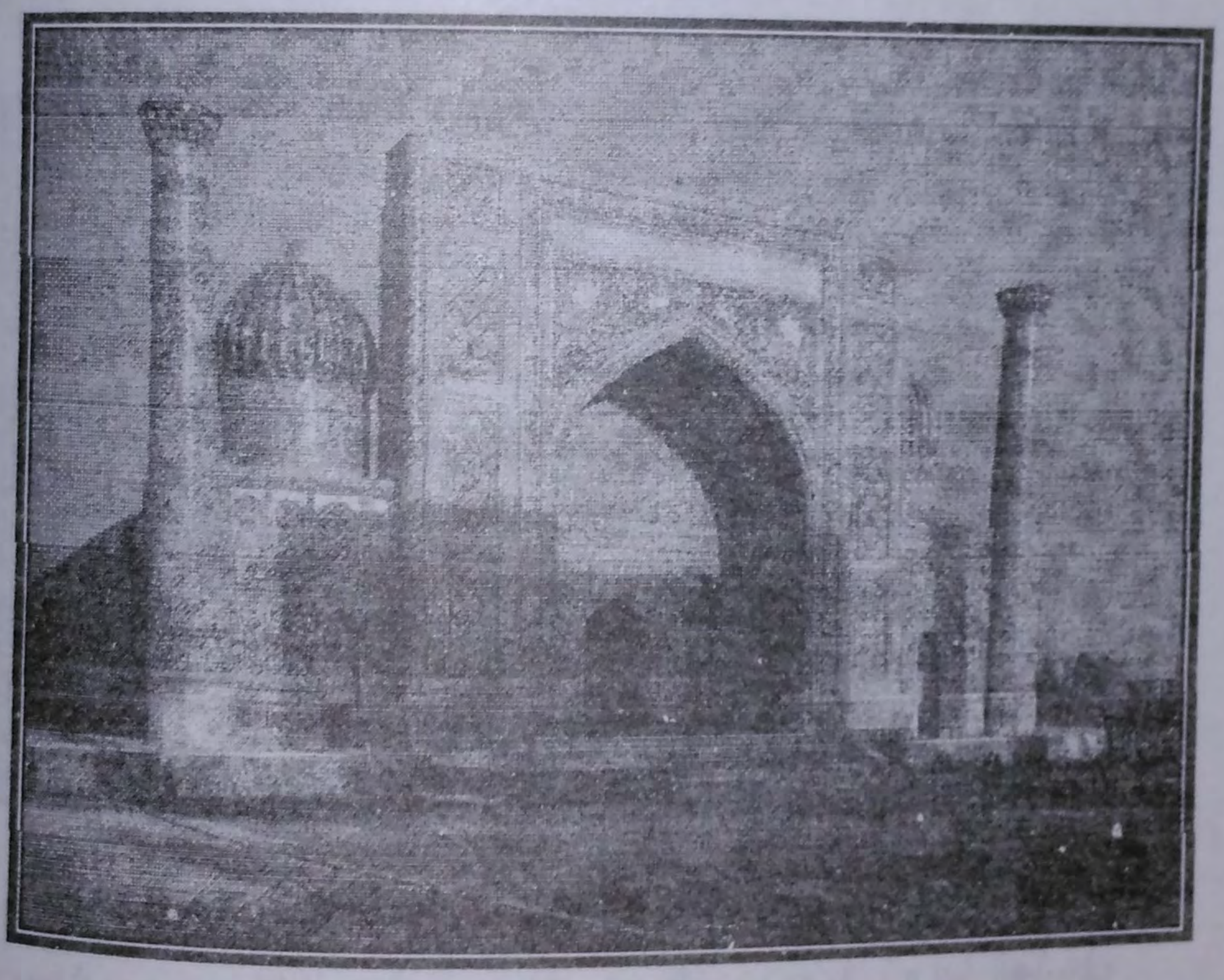

لوحة (٥٩)
مدرسة شيردار وتتضح الثنائية فى البرجين المتماثلين والواقعين على جانبى الايوان الرئيسى

لوحة (٥٩ مكرر)

مسجد مدينة يزد فى ايران، وتتضح الثنائية فى البرجين الواقعين علي جانبي كتلة المدخل الرئيسي

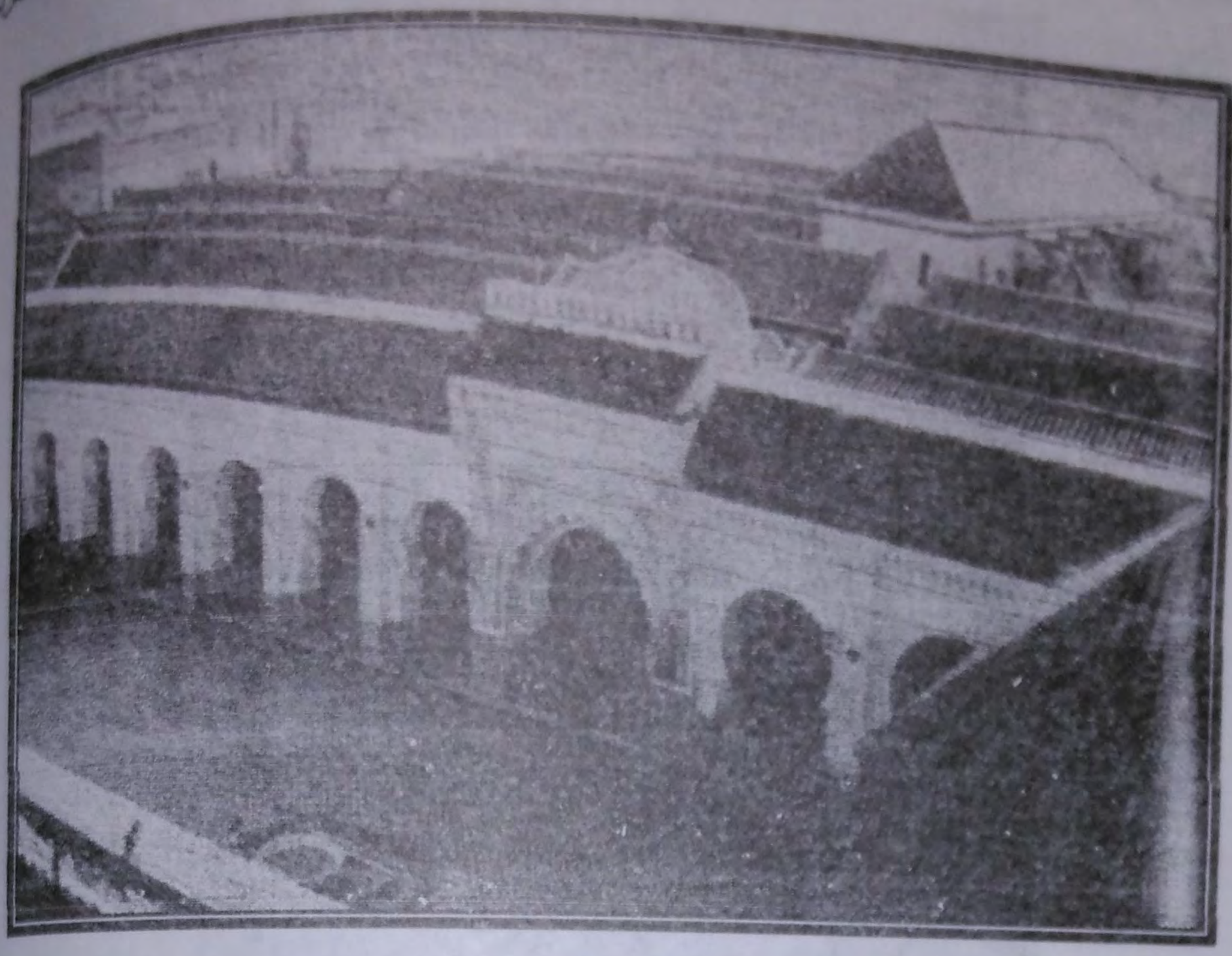

لوحة (٦٠)

جامع القرويين بفاس، وثنائية وجود سقايتان متناظرتان ومتماثلتان

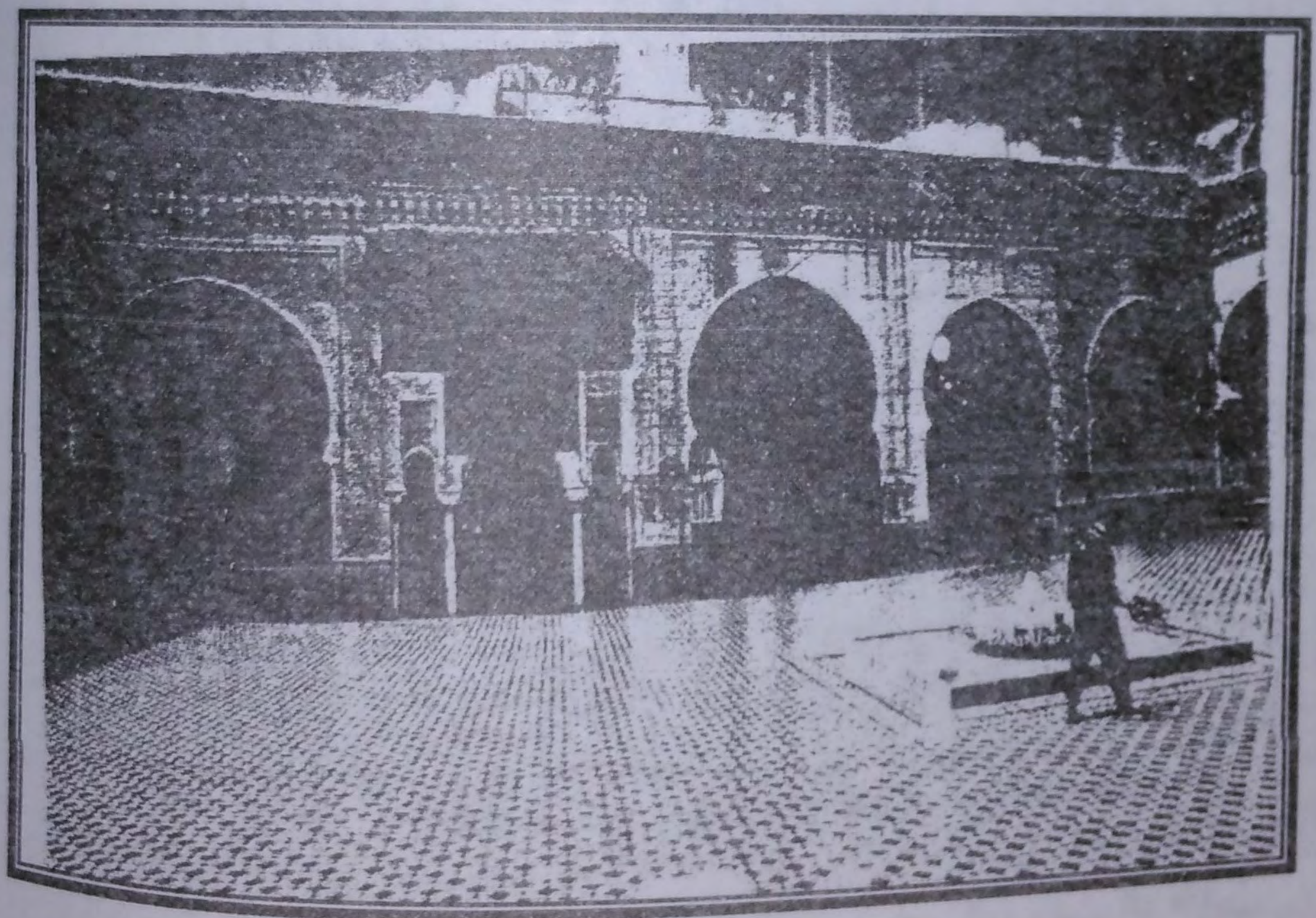

لوحة (٦١)

جامع الأندلسيين بفاس، وثنائية وجود السقايتان

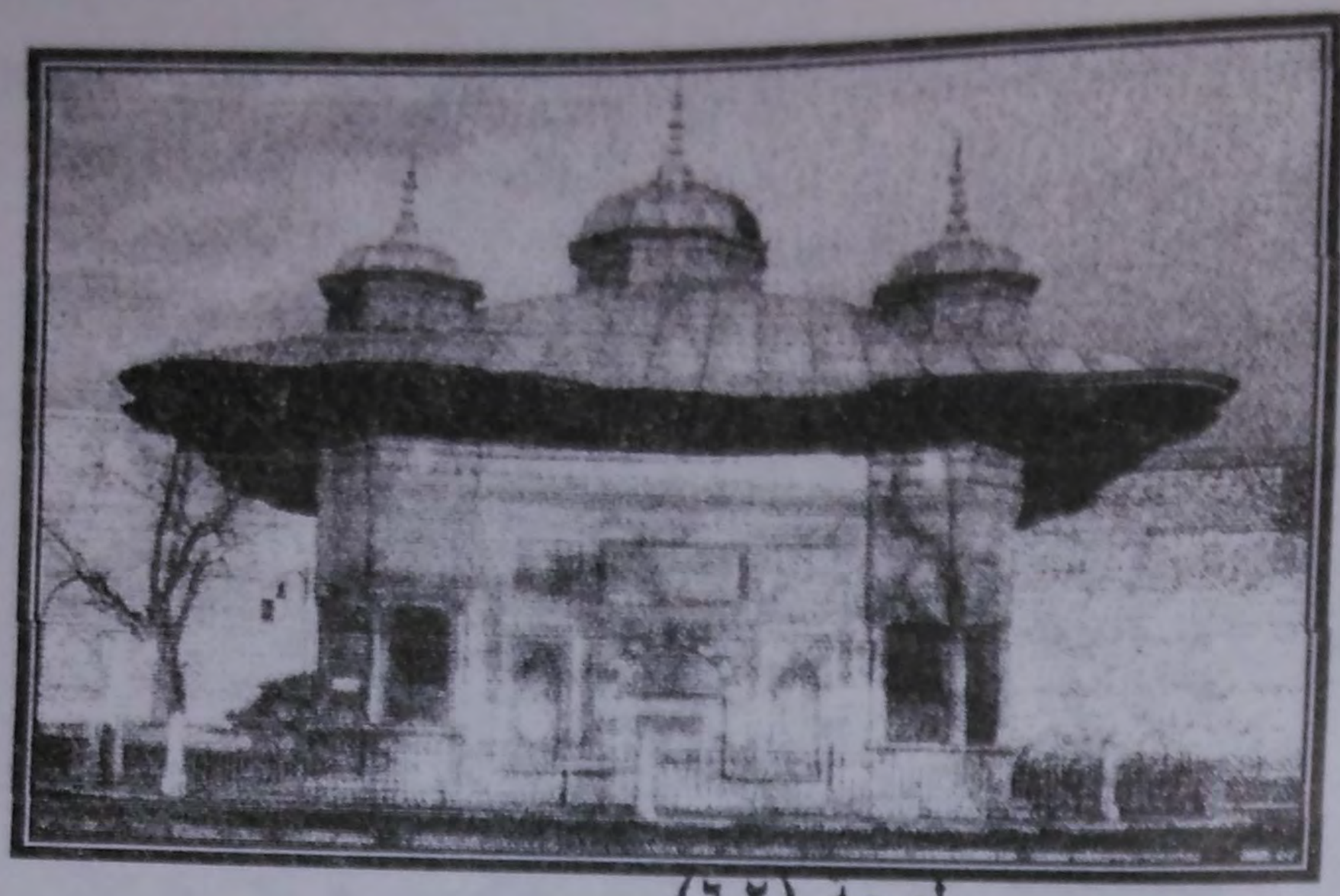

لوحه (٦٢)

سبيل السلطان أحمد الثالث باسطانبول

عن Blair

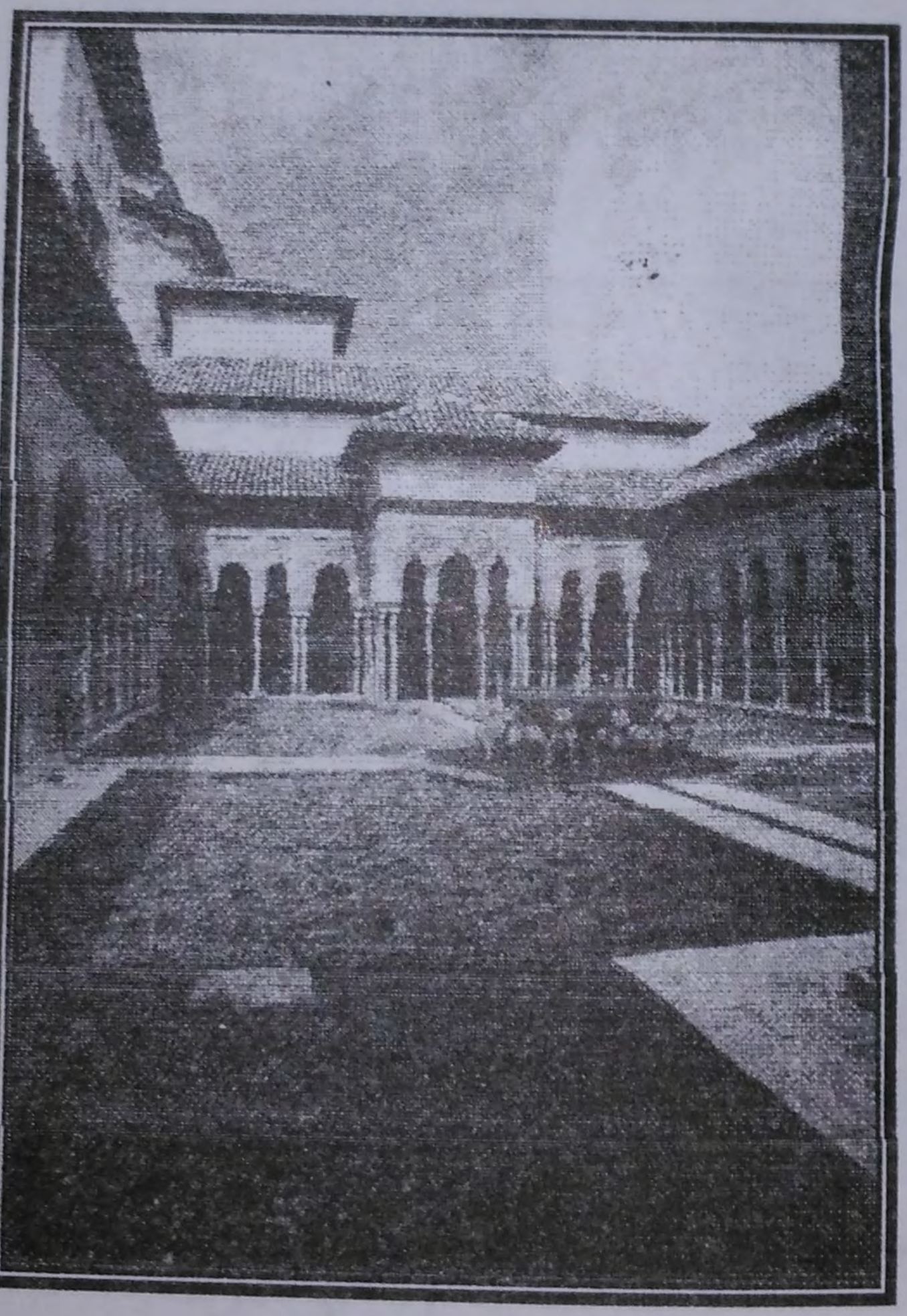

لوحة (٦٣)

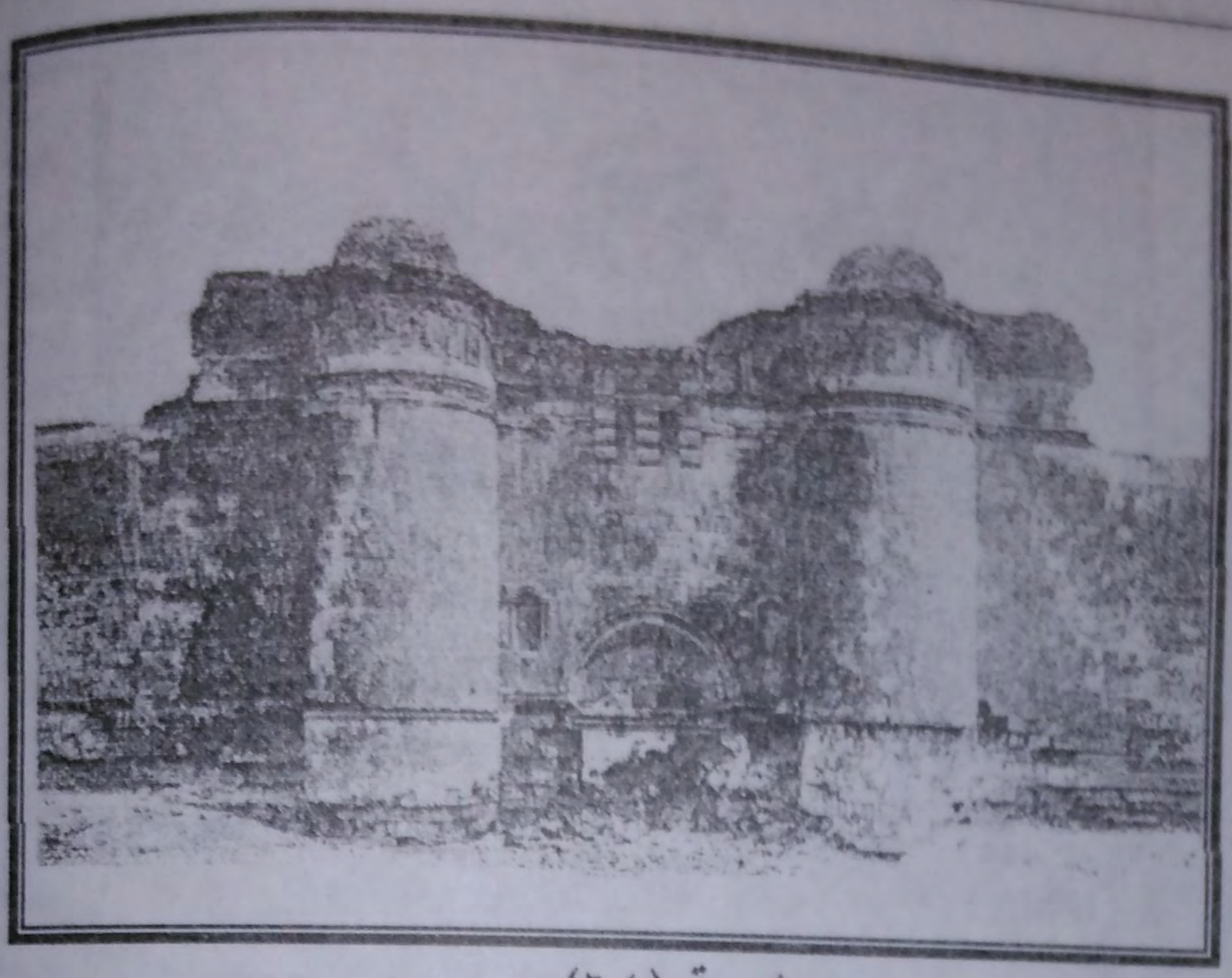

لوحة (٦٤)

مدخل قصر الحير الشرقى وثنائية بروز برجى المدخل الرئيسى

عن الريحاوى

لوحة (٦٥)

مدينة شالة وثنائية بروز برجى مدخل المدينة

عن السياحة المغربية

لوحة (٦٦)

مدينة الأمراء المحصنة بمدينة بخارى، وتتضح الثنائية فى تكرار الابراج وتوزيعها على جانبى المدخل

عن بهنسى

النقوش والكتابات
علي المسكوكات الأموية

أ.د. ناهض عبد الرازق دفتر القيسي*

يرى بعض المؤرخين أن دوافع التعريب للمسكوكات يعود إلي نقض المعاهدة التي كانت معقودة بين الخليفة عبد الملك بن مروان وملك الروم جستنيان الثاني سنة 67هـ/ 686م والتي كان الخليفة يدفع بموجبها ألف دينار أسبوعياً ومواد أخرى كثيرة إلي ملك الروم لقاء عدم تدخل الجراجمة (أذناب البيزنطيين) في شؤون الدولة العربية، لذلك قرر الخليفة عبد الملك بن مروان البدء بالقضاء علي الحركات الانفصالية في الدولة الأموية ومنها حركة عبد الله بن الزبير في الحجاز وأخيه مصعب في العراق، وفي حين كان القطرى بن الفجاءة زعيم الخوارج حيث سك شعار الخوارج علي المسكوكات وهو (لا حكم إلا لله). وكان عطية بن الأسود معلناً عصيانه في عمان وإقليم المشرق وخاصة كرمان. وفي فلسطين كان ناتال الجذامي ثائراً علي الدولة الأموية أيضاً.

كانت هذه الحركات الداخلية للدولة الأموية من المخاطر الكبيرة التي شغلت فكر الخليفة عبد الملك، يضاف إليها الخطر الخارجي المتمثل بالروم وأذنابهم الجراجمة وكانوا جنوداً غير نظاميين تابعين للروم.

لقد أمنت المعاهدة المعقودة ما بين عبد الملك وجستنيان الثاني قد هيأت لعبد الملك التفرغ في القضاء علي الحركات الانفصالية الداخلية وبالفعل تمكن من القضاء علي الحركات الانفصالية واحدة بعد الأخرى، وكان أخرهم عبد الله بن الزبير في الحجاز سنة 73 هجرية، بعد ذلك دفع الخليفة المبالغ التي ضمنتها الاتفاقية بدنانير ذهبية بيزنطية بعد أن نقش عليها نصوصاً بالعربية من القرآن الكريم، وكانت تلك إيماءة ذكية من الخليفة عبد الملك بتحدى البيزنطيين، فأثار بعمله هذا غضب جستنيان الثاني والذي هدد بالحرب وبالفعل فقد جهز جيشاً يقدر بستين ألف مقاتل لمحاربة المسلمين وذلك سنة 73هـ/692م، وقد تحسب العرب لذلك وجهزوا جيشاً قوياً بقيادة عثمان بن الوليد والذي تمكن من دحر البيزنطيين وتحقيق النصر عليهم في موقعة بنواحي أرمينية.

ومهما كانت الأسباب في تعريب المسكوكات فإن ما حدث كان متوقعاً من الخليفة عبد الملك بن مروان وهو الموصوف من قبل المؤرخين بأنه كان حازماً أديباً عالماً قوى الهيبة، شديد السياسة، حسن التدبير للأمور، فقد وضع عبد الملك بن مروان حداً للاضطرابات التي سادت في الدولة العربية وأبعد عنها الأخطار الخارجية. فالأعمال التي قام بها من تعريب الدواوين وجعلها باللغة العربية في العديد من الأقطار مثل مصر والشام وفارس، وقضاؤه علي الحركات الانفصالية المعادية للدولة العربية الأموية. كان لابد من مرافقتها بتعريب المسكوكات وتخليصها من التبعية الأجنبية البيزنطية بالنسبة للدنانير الذهبية والفلوس النحاسية والساسانية بالنسبة للدراهم الفضية.

إن الشعور القومي العربي الذي كان يمتلكه الخليفة عبد الملك، إضافة للحوافز التي رافقت فترة حكمه من استقرار سياسي وازدهار اقتصادي، زادت من وتيرة الاعتزاز بالشعور العربي فدفعت بالخليفة الأموى لبناء الدولة بشخصية عربية قوية مستقلة كل الاستقلال عن السلطة الأجنبية وكانت هذه الأسباب مجتمعة وراء أقدام الخليفة عبد الملك علي تعريب عبد الملك علي تعريب المسكوكات وإخراجها بصورة متميزة، ويعتبر عمل الخليفة هذا نقلة مهمة في التاريخ العربي الإسلامى[1]

وقد تم تعريب الدنانير سنة سبع وسبعين والدراهم سنة ثمان وسبعين وأصبحت نصوصها العربية كما يلي:

* أستاذ الآثار الإسلامية - بقسم الآثار – كلية الآداب – جامعة بغداد.

[1] د. حمدان الكبيسي: أصول النظام النقدي في الدول العربية - ص 22.

نصوص الدينار العربي المضروب سنة سبع وسبعين: لا إله إلا الله
مركز الوجه: الله وحده
لا شريك له
الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره علي الدين كله.
مركز الظهر: الله أحد الله
الصمد لم يلد
ولم يولد
الطوق: بسم الله ضرب هذا الدينر في سنة سبع وسبعين

وكان وزن الدينار العربي مثقال واحد أى ما يعادل 4.25 غرام.

أما نصوص الدرهم العربي الأول المضروب بارمينية في سنة ثمان وسبعين فقد كانت كما يلي:
مركز الوجه: لا إله إلا الله
الله وحده
لا شريك له.
الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره علي الدين كله ولو كره المشركون.
مركز الظهر: الله أحد.
الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواُ أحد
الطوق: بسم الله ضرب هذا الدرهم بأرمينية في سنة ثمان وسبعين.

ويزن هذا الدرهم ثلاث غرامات وقطره 27 ملم ويعتبر هذا الدرهم نادراً وينفرد المتحف العراقي بحيازته تحت رقم 14472 مس.

تعريب الدنانير:

بقى الدينار البيزنطي في التداول منذ صدر الإسلام وحتى سنة 74 هجرية كما كان عبارة عن قطعة ذهبية مستديرة حمل علي أحد جوانبه صورة للملك الحاكم هرقل أما لوحده أو مع ولديه (هرقليوناس وقسطنطين) وقد مسك كل منهم بصليب طويل، وعلي الجانب الآخر الشارات المسيحية الصليب والمدرج والحرفين A – B تحيط بها العبارات بالخط اللاتيني تذكر اسم الملك وتاريخ السك والعبارات الدعائية.

وبعد انتصار العرب علي البيزنطيين سنة 73 هجرية –كما مر ذكر ذلك- حدثت تغيرات علي الدنانير البيزنطية نحو تعريبها.

1. في سنة 74هـ/693م أبدل الخليفة عبد الملك وضع الحرفين A – B إلي B – A ويعتقد بعض المختصين أن هذين الحرفين يرمزان للرقم 12 [2] ، وحين أبدلهم أصبح العدد 21، ومهما يكن من تفسيرات، لكن يبدو أن الغاية من ذلك كان لمجرد تمييز الدنانير الإسلامية عن الدنانير البيزنطية.
2. شمل التغيير الثاني شكل الصليب الموجود في ظهر الدينار، فحذف الجزء الأعلى منه ليصبح علي شكل حرف (T) تحيط به عبارات التوحيد بالخط العربي.
3. في سنة 76 هجرية / 695م سك الخليفة عبد الملك بن مروان دنانير نقش عليها بدلاً من صورة الملك البيزنطي هرقل وكتب عليها البسملة وتاريخ الضرب بالخط العربي، ولكنه أبقى علي بعض الشارات المسيحية، ويظهر الخليفة عبد الملك واقفاً وبيده السيف وهو يهم باستلاله والسيف دليل الإمامة ورمز الجهاد في سبيل الله، ويبدو الخليفة وقد اعتمر كوفية تتدلى علي كتفيه وله لحيه طويلة وتحيط به الكتابة العربية التالية:

[2] **د. عبد الرحمن فهمي: النقود العربية ماضيها وحاضرها – القاهرة - 1964.**

((بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله)).
4. والخطوة الأخيرة لتعريب الدنانير هي تخلصها من كافة الشارات المسيحية وكافه التأثيرات الأجنبية عندما حملت نصوصاً عربية خالصه من القرآن الكريم –كما مر ذكره-[3]

تعريب الدراهم:

أما الدراهم الفضية فعلي الرغم من أنها حملت كلمات عربية منذ خلافه الخليفة عمر بن الخطاب (رض) (13-23هـ) وزادت هذه الكلمات والجمل زمن الخلفاء الراشدين الذين أعقبوه من الراشدين أو الخلفاء الأمويين وحتى خلافة عبد الملك بن مروان (65-86هـ) عندما نقش الحجاج بن يوسف الثقفي اسمه علي الدراهم الساسانية (الحجاج بن يوسف) وعلي الطوق نقش عبارة (بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله) وذلك سنة 76 هجرية . وكانت تلك الخطوة الأخيرة نحو التعريب الكامل والذي حصلنا علي درهم واحد نادر من سنة 78 هجرية محفوظ في المتحف العراقي ولكن في السنة اللاحقة 79 هجرية شاعت الدراهم العربية وسكت في العديد من المدن العربية دمشق والبصرة والكوفة ومدن إسلامية عديدة[4]

الفوارق ما بين الدينار والدرهم العربي المضروب سنة 79 هـ وما بعدها:

1. طوق الظهر للدينار حمل سنة الضرب فقط، في حين حمل طوق الوجه للدرهم مدينة الضرب وسنه الضرب.
2. مركز الظهر في الدينار حمل ((الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد)) في حين في مركز الظهر في الدرهم أكملت سورة الإخلاص ((ولم يكن له كفواً أحد)).
3. طوق الوجه في الدينار: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره علي الدين كله، في حين أكملت في نصوص الدراهم .. ولو كره المشركون.
4. ظهر الدينار العربي الأول سنة 77 هجرية في حين ظهر الدرهم العربي الأول سنة 87 هجرية.

الدراهم العربية عربت منذ سنه 78هـ في العديد من المدن والأقاليم أما في المشرق فقد استمر ضرب المسكوكات العربية المضروبة علي الطراز الساساني إلي سنة 200 هجرية في مدينة بخارى[5]

وفي سنة 79 هجرية سك الدرهم العربي في العديد من المدن العربية والاسلامية منها (دمشق، البصرة، الكوفة، مرو، دار بجرد ومدن أخرى).

المسكوكات العربية:

أصبحت المسكوكات العربية وثيقة مهمة لها مستلزمات الوثائق الحديثة من مكان وزمان وغاية وهدف، فيكتب اليوم في أى وثيقة أو عقد سوى إن كان عقد تجارى أو عقد زواج أو أي عقد آخر مكان العقد وتاريخ العقد والغاية منه كما وضحنا، هكذا كانت المسكوكة العربية وخاصة الدرهم ومن ثم أصبحت الدنانير الذهبية بعد حملها لمكان سكها، في خلافة الخليفة العباسي المأمون.

وعلي الرغم من أهمية المسكوكات في كشف العديد من الحقائق فإنها لم تلق العناية اللازمة بها، ولم يكن هذا الغبن في الوقت الحديث فقط بل وحتى المؤرخين القدامى فقد عزفوا عن الخوض في مجال علم المسكوكات ربما كان ذلك للصعوبات التي ترافق مثل هذه الدراسات منها

---

[3] د. ناهض عبد الرازق دفتر: دوافع تعريب المسكوكات. مجلة المسكوكات - 1983 - ص 20.
[4] د. ناهض عبد الرازق دفتر: المسكوكات وأهميتها في إعادة كتابة التاريخ مجلة آفاق عربية - أيلول 1984 - ص89.
[5] المرحوم ناصر النقشبندى: الدرهم الاسلامي - جـ1 – 1969 – بغداد – ص 2.

ندرة المسكوكات حيث كانت تصهر ويعاد سكها ثانية، وصغر حجمها يساعد ذلك علي نقلها من مكان لآخر، نوع الخط عليها فهو خط غير منقط وقد حرص الكثير من الأمراء علي درج جميع ألقابهم وكناهم وألقاب وكنى ولاة العهد لذلك تداخلت الكلمات في هذه المساحة الصغيرة وصعبت قراءتها.

وعلي الرغم من وجود العديد من كتب التاريخ العربي والتي تناولت جميع المعالم الكبيرة والصغيرة إلا المسكوكات فقد أشار لها بعض المؤرخين باقتضاب منهم:

1. البلاذرى: فتوح البلدان من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادي، ناقش أوزان المسكوكات الساسانية وبعض الدراهم الأموية.

2. الماوردى: الأحكام السلطانية من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادي، ذكر في الفصل الثالث عشر من فصوله العشرين صناعة الذهب والفضة.

3. أسعد بن مماتي: قوانين الدواوين من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادي تناول في الفصل التاسع بعض المعلومات عن دار الضرب.

4. ابن خلدون: المقدمة من القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادي حيث ناقش لفظة السكة علي أنها قالب السك المنقوش والذي تسك فيه المسكوكات.

5. المقريزى: شذور العقود في ذكر النقود. من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادي، ذكر فيه أوزان المسكوكات العباسية ووصفت المسكوكات الأيوبية في مصر بالتفصيل[6]

لقد احتوت هذه المصادر بعض المعلومات المتفرقة عن المسكوكات غير أن هناك ثلاث مخطوطات حققت مؤخراً تضمنت معلومات وافية عن صناعة المسكوكات العربية في كل من اليمن ومراكش ومصر، ولأهمية هذه المصادر سوق نستعرضها بالتفصيل في مكان آخر من هذا الكتاب .

نصوص المسكوكات العربية في العصر الأموى 77-132هـ:

سنة 77 هجرية هي سنة التعريب الأولي للدنانير، وأصبحت منذ ذلك التاريخ عربية ضمت نصوص من القرآن الكريم وسنة السك. وسنستعرض الدنانير الذهبية الأموية في المشرق والمغرب والدراهم الفضية والفلوس النحاسية خلال العصر الأموى.

الدنانير الذهبية:

لاحظنا مما تقدم عملية تعريب الدنانير والخطوات التي اتبعها الخليفة عبد الملك بن مروان 65-86 هجرية في تعريب الدنانير علي الرغم من أن الدنانير البيزنطية الذهبية بقيت قيد التداول كما هي منذ صدر الإسلام وحتى سنة 74 هجرية. وكان شكل الدينار البيزنطي عبارة عن قطعة ذهبية مستديرة وزنها مثقال علي أحد جوانبها صورة للملك البيزنطي هرقل إما لوحده أو مع ولديه وتحيط به العبارات اللاتينية، أما الجانب الآخر فكان للشارات المسيحية مثل الصليب والمدرج إضافة للنصوص اللاتينية.

هكذا كان شكل الدنانير التي عاصرت فترة الخليفة عبد الملك بن مروان. وكان لانتصارات الخليفة عبد الملك علي الحركات الانفصالية الداخلية في الدولة الأموية سنة 73 هجرية خطوة مهمة لإكمال الاستقلال بتعريب المسكوكات، وأصبح علي جانب كبير من القوة بحيث مكنته من الاستعداد لمحاربة البيزنطيين وللتخلص من المعاهدة التي عقدها مع جستنيان الثاني دفع المبالغ المتوجبة عليه بدنانير ذهبية بيزنطية عليها كتابات عربية وكانت تلك المحاولة إيماءة ذكية من الخليفة لأنه كان يعرف حق المعرفة ان جستنيان سيرفض تلك الدنانير ويهدد بالحرب وكان عبد الملك قد استعد لذلك وحققت الجيوش العربية نصراً علي البيزنطيين –كما مر

---

[6] د. ناهض عبد الرازق دفتر: دراسة في مسكوكات الخليفة هارون الرشيد. مجلة المؤرخ العربي/ تصدرها عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب – بغداد، 1988 العدد 15 ص 69-74.

ذكره- وبعد ذلك زاد في النصوص العربية وغير الكثير من ملامح الدنانير البيزنطية إلى أن حلت الدنانير العربية الكاملة في سنة 77 هجرية كما لاحظنا[7] .

استمرت نصوص الدنانير الذهبية التي سكت في بلاد الشام زمن الدولة الأموية وهي خالية من أى زيادة عدا النصوص المعتادة التي نقشت سنة 77 هجرية وكان التغيير الوحيد هو سنة الضرب.

والتغيير الآخر الذي حصل علي الدنانير الذهبية الأموية في المشرق زمن الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك 105-125 هجرية حيث حملت الدنانير الذهبية المضروبة سنه 105 هـ عبارة ((معدن أمير المؤمنين بالحجاز)) وجاءت نصوص الدنانير بالشكل الآتي:

مركز الوجه: لا إله إلا
الله وحده
لا شريك له

الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره علي الدين كله.

مركز الظهر: الله أحد الله
الصمد لم يلد
ولم يولد معدن
بالحجاز

الطوق: بسم الله ضرب هذا الدينر سنة خمس ومئة [8]

من المحتمل أن يكون معدن هذه الدنانير الأموية التي سكت في السنة الأولى من خلافة هشام قد جلبت من منجم بالحجاز أو ربما يكون الخليفة في ذلك الوقت بالحجاز أو أي مناسبة أخرى.

أما بقية دنانيره للسنوات الأخرى من خلافته فكانت نصوص معتادة كما ظهرت منذ عام 77 هجرية. ونستطيع القول أن هذا هو التغيير الوحيد الذي حدث للدنانير الأموية التي سكت في بلاد الشام طيلة فترة الدولة الأموية.

في سنة 80 هجرية حذف حرف الجر (في) من نصوص طوق الظهر وأصبحت كما يلي: بسم الله ضرب هذا الدينر سنة ثمنين. واستمرت هذه الحالة علي الدنانير الأموية.

وفي أقاليم المغرب العربي كانت الدنانير الذهبية من نوع أخر فقد كانت هناك بعض الفوارق كما كانت للدنانير أجزاء منها النصف والثلث في حين لم توجد مثل ذلك في دنانير المشرق. ونصوص الدنانير التي سكت في الأقاليم الغربية للعالم الإسلامى كما يلي:

مركز الوجه: لا اله
إلا الله
وحده

الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق.

مركز الظهر: بسم الله
الرحمن
الرحيم

الطوق: ضرب هذا الدينار سنة....

أما نصوص أنصاف الدنانير في أقاليم المغرب العربي فقد كانت كما يلي:

---

[7] د. ناهض عبد الرازق دفتر: المسكوكات وكتابة التاريخ. بغداد - 1988.

[8] د. ناهض عبد الرازق دفتر: المسكوكات - ص 133.

مركز الوجه: لا إله
إلا الله
وحده
الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق.
مركز الظهر: بسم الله
الرحمن
الرحيم
الطوق: ضرب هذا النصف سنة إحدى وتسعين.

أما نصوص الثلث فإنها تشبه نصوص النصف عدا طوق الظهر فقد كان كما يلي:
الطوق: ضرب هذا الثلث سنة ست وتسعين[9]
وظهر اسم مدينة الضرب (الأندلس) علي الدنانير وأنصافها وأثلاثها ونصوص الثلث كما يلي:
مركز الوجه: لا إله
إلا الله
وحده
الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق.
مركز الظهر: بسم الله
الرحمن
الرحيم
الطوق: ضرب هذا الثلث بالأندلس سنة اثنتين ومئة

وفي سنة 103 هـ ظهرت مدينة الضرب (أفريقية) علي الدنانير والمقصود بأفريقية (القيروان) ونصوص تلك الدنانير كما يلي:
مركز الوجه: لا إله
إلا الله
وحده
الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق.
مركز الظهر: بسم الله
الرحمن
الرحيم
الطوق: ضرب هذا الدينر بأفريقية سنة ثلث وميه.

من ذلك تميزت الدنانير الأموية المضروبة في المغرب العربي والأندلس بحملها اسم مدينة الضرب، علي عكس الدنانير الأموية التي سكت في شرق العالم الإسلامى والتي لم تحمل اسم مدينة الضرب علي أساس أنها تسك بالعاصمة دمشق وتحت إشراف الخلفاء.

نصوص الدراهم الأموية بعد التعريب:

الدراهم الفضية في صدر الإسلام حملت كلمات وعبارات بالعربية منذ خلافة عمر بن الخطاب (رض) 13-23 هـ. ويبدو أن الفتوحات العربية التي تمت زمن الخليفة عمر (رض) من فتح بلاد الشام وفتح العراق وفتح مصر، كان لها أثراً كبيرا في توسع مساحة الدولة العربية الإسلامية.

[9] **النقشبندي: الدينار الاسلامي في المتحف العراقي، بغداد 1953 ص71.**

يبدو أن الانتصارات التي تمت بعد فتح العراق قصمت ظهر الدولة الساسانية وعجلت في نهايتها منذ ذلك تمكن العرب المسلمون من وضع كلمات وعبارات بالعربية علي الدراهم الفضية الساسانية وقد زادت هذه العبارات في الفترات الزمنية اللاحقة لخلافة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) إلي أن تم تعريب الدرهم سنة 78 هـ زمن الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86 هـ).

وفي سنة 79 هـ سكت العديد من المدن العربية والإسلامية الدراهم الفضية العربية في دمشق، البصرة، الكوفة، ومدن أخرى وكانت نصوص تلك الدراهم كما يلي:

مركز الوجه: لا إله إلا
الله وحده
لا شريك

الطوق: بسم الله ضرب هذا الدرهم بدمشق سنة تسع وسبعين

مركز الظهر: الله أحد الله
الصمد لم يلد
ولم يولد ولم يكن
كفواً أحد

الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره علي الدين كله ولو كره المشركون.

استمر هذا النمط من النصوص في جميع المدن العربية والإسلامية التي سكت فيها والتغيير كان في سنوات الضرب، كما تميزت الدراهم الأموية بحملها للعديد من الدوائر في الطوق وكان اختلاف تلك الدوائر وأشكالها ربما لتميز قوالب السك أو رمز معين لأمر السك أو المسؤول عن دار الضرب.

ومنذ سنة 127 هـ حملت بعض الدراهم الأموية في عدة مدن شعار الدعوة العباسية ((قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)) ويبدو أن هذا الشعار الذي وضع بطوق أخر علي الدراهم الأموية كان لاستقطاب الأنصار حول دعوتهم. وقد خالفت المسكوكات ما ذكره المؤرخ الطبرى من أن الدعوة العباسية أعلنت للملأ لأول مرة في 25 رمضان سنة 129هـ[10].

وقد حملت هذا الشعار بعض الدراهم المضروبة في الكوفة، الري،وامهرمز، اصطخر، مرو، وبلخ[11]

لقد سكت الدراهم الأموية العربية في العديد من المدن ففي العراق كانت البصرة، الكوفة، واسط، ميسان. ومن مدن السك الأموية الأخرى، دمشق، أبرشهر، أبرقباذ، أذربيجان، أران، اردشيرخرة، أرمينية، اصطخر، أفريقية الأندلس، الباب، بلخ، التيمره، الجزيرة، الجسر، جندى سابور، جي، خور، دارابجرد، دسادر، دشت ميسان، الري، زيجاخسرا، سابور، السامية، سجستان، سرق، سرخس، السوس، سوق الأهواز، قومس، كرمان، ماهي، المباركة، المذار، مرو، مناذر، هرات، وهمذان[12].

وقد تراوحت أوزان الدراهم الأموية ما بين 1.200 غرام المسكوكة المضروبة بمرو سنة 97 هـ في خلافة سليمان بن عبد الملك والمحفوظة في المتحف العراقي تحت رقم 12084 مس و 3 غرامات للمسكوكة الفضية الأموية المضروبة بدار بجرد والمحفوظة بالمتحف العراقي رقم 5380 مسن أما سعة قطر المسكوكة الأموية الفضية فقد تراوحت ما بين 30مليمتر للدرهم المضروب بدمشق سنة 88 هجرية في خلافة الوليد بن عبد الملك والمحفوظ في المتحف العراقي تحت رقم 6730 مس و 2 ملم للدرهم المضروب بداربجرد سنة 99 هـ في خلافة الخليفة عمر بن عبد العزيز 99-101 هجرية والمحفوظ في المتحف العراقي تحت رقم 5368 مس م.

---

[10] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك - جـ2 - ص1954 و 1997.

[11] Miles: The Numismatic history of Rayy New York 1938 P.16.

[12] ناصر محمود النقشبندى ومهاب درويش البكرى: الدرهم الأموى المعرب، بغداد، 1974 ص 27-42.

الدور الإعلامى للدراهم الأموية

اعتبرت المسكوكات ومنها الدراهم من الوسائل الإعلامية وخاصة لحركات المعارضة التي انشقت علي الدولة الأموية سواء كان ذلك قبل التعريب أو بعده. فقبل التعريب لاحظنا العديد من زعماء حركات المعارضة للدولة الأموية نقشوا عبارة (أمير أورشنكان) أى أمير المؤمنين قبل أسمائهم ومنهم القطرى بن الفجاءة وعبد الله بن الزبير وغيرهم وبعد التعريب، وخاصة في السنوات الأخيرة من عمر الدولة الأموية فمنذ سنة 127هـ حملت بعض الدراهم الأموية شعار الدعوة العباسية في طوق أول لمركز الوجه علي الشكل الأتي:

مركز الوجه: لا إله إلا
الله وحده
لا شريك له

الطوق الأول: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى[13]

الطوق الثاني: بسم الله ضرب بجى سنة سبع وعشرين ومئة.

مركز الظهر: الله أحد الله
الصمد لم يلد و
لم يولد ولم يكن
له كفواً أحد

الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره علي الدين كله ولو كره المشركون.

وقد سك هذا النوع من الدراهم الإعلامية للدولة العباسية في بلخ، اصطخر، التميره، وسابور.

كما أن الخوارج نقشوا شعارهم (لا حكم إلا لله) في طوق وجه الدرهم وقد حمل درهم مضروب بالكوفة سنة 128هـ وكانت الكوفة في تلك السنة بيد الضحاك بن قيس الشيباني الحرورى الخارجي وهو الذي رفع هذا الشعار. ويضم المتحف العراقي بعض تلك الدراهم تحت الأرقام 925 مس، 926 مس.

ومن سنة 128 هـ نقش جديع بن علي الأسدى الملقب بـ (الكرماني) لقبه واسمه علي الدراهم الأموية ومنها الدرهم المضروب بمرو سنة 128 هـ والمحفوظ في المتحف العراقي تحت رقم 13270 مس ونصوص هذا الدرهم كما يلي:

مركز الوجه: لا إله إلا
الله وحده
لا شريك له

الطوق: بسم الله ضرب هذا الدرهم بمرو سنة ثمان وعشرين ومئة

الطوق الثاني: مما أمر به الأمير الكرماني بن علي

وقد كان الكرماني والياً علي خرسان سنة 120 هـ وفي نفس السنة تولى نصر بن سيار ولاية خرسان وعزل الكرماني وسجنه وغضبت قبيلة الكرماني وهربته من السجن وظل جديع يؤلب الناس وساند فيما بعد أبا مسلم الخرساني.[14]

الفلوس النحاسية الأموية:

كانت الفلوس النحاسية قبل التعريب عبارة عن قطعة مستديرة من النحاس واسمها فلس والاسم مشتق عن اليونانية، وكان الفلس عند اليونانيين يحمل علي الوجه صورة للملك الحاكم وعلي الجانب الآخر حرف (M) ويرمز لوزن الفلس وهو 40 نمياً.

---

[13] القرآن الكريم سورة الشورى آيه 22 .

[14] د. عبد العزيز حميد، درهم فضي فريد لأبي علي الكرماني . المسكوكات العدد 4 -ص 26-27

ومنذ سنة 17هـ في خلافة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) 13-23هـ نقش اسم الخليفة عمر بالحروف العربية ويحمل هذا الفلس صورة الملك البيزنطي هرقل[15]. وبذلك تكون الفلوس النحاسية قد حملت الكلمات العربية قبل غيرها من المسكوكات.

استمرت الفلوس النحاسية بالسك علي الطراز البيزنطي ولكنها حملت الكثير من أسماء المدن العربية مثل دمشق، حمص، طبرية، كما حملت كلمات بالعربية تؤكد صحة وزنها مثل واف، جائز، طيب، ومن المدن الأخرى التي ظهرت أسماؤها بالعربية علي الفلوس النحاسية (بعلبك، قنسرين، طبرية، وايليا أي القدس في فلسطين).غير أن صورة الملك البيزنطي هرقل ومعه ولداه هرقليوناس وقسطنطين بقيت تحملها الفلوس النحاسية واعتبرت الفلوس النحاسية مسكوكات مساعدة للدراهم الفضية لكنها حازت علي عناية العرب المسلمين فعملوا لها صنجاً زجاجية لضبط أوزانها. كما حملت الفلوس النحاسية في مراحل تعريبها علي العديد من صور الحيوانات والطيور.

وتضمنت نصوصها في تلك المرحلة علي اسم ولقب الخليفة عبد الملك بن مروان ومنها (عبد الله – أمير المؤمنين) و(خليفة الله – أمير المؤمنين) كما أن الفلوس النحاسية في مراحل التعريب حملت صورة للخليفة عبد الملك واقفاً وهو يتمنطق سيفه كما حدث بالدنانير الذهبية في تلك المرحلة.

ومن نصوص الفلوس الأموية بعد التعريب:

الوجه: لا إله
إلا الله
وحده

الظهر: محمد
رسول
الله

الطوق: بسم الله ضرب هذا الفلس بايليا.

وفلس مضروب بدمشق سنة 104هـ.

مركز الوجه: لا إله
إلا الله
وحده

مركز الظهر: بسم الله ضرب دمشق
والرملة 117 هـ

مركز الوجه: لا إله إلا
الله وحده
لا شريك له

مركز الظهر: محمد
رسول
الله

الطوق: بسم الله .. بالرملة سنة عشرة ومئة

مركز الوجه: لا إله
إلا الله
وحده

الطوق: لله الملك فلس واف

مركز الظهر: محمد
رسول

[15] **د. عبد الرحمن فهمي: صج السكة. القاهرة. 1957 ص 37.**

الله
الطوق: ضرب بفلسطين
والموصل 121هـ
مركز الوجه: لا إله
إلا الله
وحده
مركز الظهر: محمد
رسول
الله
الطوق: بسم الله أمر الوليد بن تليد بالموصل
فلس أخر بالموصل
مركز الوجه: الله
أحد الله
الصمد
الطوق: بسم الله لا إله إلا الله وحده لا شريك له.
مركز الظهر: محمد
رسول
الله
الطوق: أمر الضحاك بضرب هذا الفلس بالموصل

وكان الضحاك قد طرد والي الأمويين من الموصل سنة 128هـ [16]
وقد سك الأمويون فلوسهم النحاسية في العديد من المدن منها ايليا (القدس)، البصرة، بعلبك، دمشق، الرملة، طبرية، طنجة، الفسطاط، فلسطين، قنسرين، مصر والموصل ومدن أخرى.

[16] د. عبد الرحمن فهمي: فجر السكة العربية. القاهرة 1965 ص 426.

مصادر البحث:

1. القرآن الكريم.
2. ابن منظور : لسان العرب . باب الدانق.
3. ابن سلام: كتاب الأموال. مصر 1353هـ.
4. البستاني: دائرة المعارف الأجزاء السادس والثامن.
5. الدكتور حمدان الكبيسي: أصول النظام النقدي في الدولة العربية الإسلامية بغداد 1988
6. الدكتور ناهض عبد الرازق دفتر: كتاب المسكوكات. بغداد 1982 ، دوافع تعريب المسكوكات . مجلة المسكوكات بغداد 1983 المسكوكات وأهميتها في إعادة كتابة التاريخ مجلة أفاق عربية 1984، دراسة في مسكوكات الخليفة هارون الرشيد: مجلة المؤرخ العربي بغداد 1988 كتاب المسكوكات وكتابه التاريخ. بغداد 1988.
7. المرحوم ناصر النقشبندى: الدينار الإسلامى في المتحف العراقي. بغداد 1953 ، الدرهم الاسلامي الجزء الأول بغداد 1969
8. الدكتور عبد الرحمن فهمي: صنج السكة، القاهرة 1957 ، النقود العربية ماضيها وحاضرها. القاهرة 1964، فجر السكة العربية . القاهرة 1965.
9. ناصر النقشبندى ومهاب درويش البكرى: الدرهم الأموى المعرب. بغداد 1974
10. الكرملي الأب انستانس مارى: النقود العربية وعلم النميات. القاهرة 1939.
11. الدكتور عبد العزيز حميد: درهم فضي فريد لأبي علي الكرماني. مجلة المسكوكات العدد الرابع بغدد 1973
12. العش. د. محمد أبو الفرج: كنزام حجرة الفضي. دمشق 1972.
13. Miles: The Numismatic history of Rayy New Yourk 1938.
14. Walker: cat of the Mahmmadan coins in the B.M.london 1967.

The role of iw in the adverbial sentence in Middle Egyptian

Dr. Zeinab Mahrous*

Abstract: The ancient Arab grammarians believed that the adv.phrase on its own couldn't be considered in Arabic as a predicate in the so-called sentence with adv. Predicate , since it needs to be related to a verb or a verbal paradigm indicative to the absolute or universal being or existence الكون أو الوجود التام. They called this verb "element". This paper is a comparative study between the function of iw in the adverbial sentence as an independent statement in M.E.and this "element".

Although iw is very common in the M.E. adverbial sentences in which the predicate consists of an adverb propre or a prepositional phrase (preposition +noun or pronoun), Egyptologists still debate about its exact meaning , and no one has yet come up with a full explanation of why Egyptian used it in some cases but not in others [1].This word is used before a nominal subject or a demonstrative pronoun or with the suffix pronoun where in the last case its presence is obligatory .
There are many interpretations concerning its function in such kind of sentences :-

1-"The effect of placing iw before the nominal subject is to give to it the importance of a more or less independent assertion , This role does not necessarily hold when the subject is a suffix pronoun .The suffixes must lean on some preceding word , and iw is the word most commonly used to support the suffixes[2] ".
2- "iw with nominal subject serves to introduce some statements, often a description of outstanding interest, when it is omitted ,the statement or description becomes less obtrusive[3]".

* مدرس بقسم الآثار المصرية - كلية الآثار – جامعة القاهرة.

[1] **J.P.Allen, Middle Egyptian . An introduction to the language and culture of Hieroglyphs, Cambridge 2000, 10 .5.**

[2] **A. Gardiner, EG, § 37.**

[3] **Ibid. , § 117,1.**

3- iw is "un outil grammatical" as a copula links between the subject and the predicate like v. to be or v. être[4], but the expression of this copula was not indispensable in Egyptian. Many languages also don't have such a verb including modern Arabic.In such languages it is possible to make a sentence without any verb at all[5].
4-Indicateur d'énonciation. The relation of situation which is implied in the sentence with adv. Predicate has a spatial and temporal reference, iw serves to show that this reference coincides with time and the place of the enunciation (here and now) from the point of view of the speaker[6].
5-One of the uses of iw has to do with the difference between statements that are generally valid and those that are only temporarily true,in sentences with adv. Predicate iw generally marks a statement that is only temporarily true or one that is true in specific circumstances[7].
6-iw is a proclitic particle, its semantic scope can be defined as an overt assertion of truth ("truly", "indeed" and the like)[8]as the explicit positive counterpart to a negative statement.

The syntax of the sentence with adverbial predicate in M.E. resembles very much its equivalent in the Arabic language,in which it consists also of a subject and adverbial predicate (adverb or prepositional phrase) ex. أحمد في المنزل *Ahmed fi elmanzel* * "Ahmed, in the house", whereas *Ahmed* is the subject and *fi elmanzel* is considered as the predicate,but the ancient Arab grammarians believed that the prepositional phrase or adverb in this kind of sentences couldn't be considered as the real predicate and that for two reasons[9] :-
1-The adverb or adv. ph. is meaningless by itself, it needs an"element" before it to modify, this "element" couldn't be the subject[10], it must be a

[4] **G.Lefebvre, Grammaire de L'Égyptien classique, Le Caire1955, § 310,601. ;A. Gardiner,Ibid. , § 116.**

[5] **J.P.Allen, Ibid. ,7.1.**

[6] **P.Grandet,B.Mathieu, Cours d'égyptien hiéroglyphique. ,Khéops 1998,p.45.**

[7] **J.P.Allen,Ibid. ,10.3,11.3.**

[8] **A.Loprieno, Ancient Egyptian. ,A Linguistic introduction, Cambridge1995, p. 166.**

[9] **عباس حسن، النحو الوافي، ،دار المعارف، الطبعة الثالثة عشر، 1996،الجزء الأول ,صفحة 475،حاشية (2)**

[10] **المبتدأ سواء كان اسما أو ضمير فهو عبارة عن كلمه تدل بذاتها عن شيء محسوس و لا معنى لـه، عبـاس حسن،نفس المرجع، صفحه 26-28.**

verb[11] or a verbal paradigm indicative to the absolute or universal being or existence, (كان التامة او أحد مشتقاتها مثل استقر أو حدث أو وقع أو ثبت أو وُجِدَ أو كائن أو مستقر[12]) so the predicate in this case consists of the "element" indicative to the absolute being or existence + the adv. or adv. ph. ,thus when we say *Ahmed fi elmanzel* ,it may mean, "Ahmed is in the house" or "Ahmed being in the house" or "Ahmed exists in the house", etc….
They added that this "element" being implicitly understood does not need to be mentioned, moreover its indication is implied in the sentence by the adv. or adv. ph.

2-In the non verbal sentences with nominal predicate or adjectival predicate (sentences of identity and quality), the predicate is equivalent to the subject in meaning(they both can replace each other), ex. *Ahmed telmezun* "Ahmed(is) a student", this means also that the student is Ahmed, ex. *Ahmed momtaz "*Ahmed (is) excellent",this also means that the excellent one is Ahmed, but this couldn't be applied on the sentence with adv. predicate(sentence of location) ex. *Ahmed, in the house, in the house couldn't replace Ahmed , because the meaning in each one of them is completely different, unless the adv. ph. is related to another "element" apart from the subject, this "element" is indicative to the absolute being or existence, in this case the predicate will be in the house, instead of only in the house[13].
Even though the ancient Arab grammarian assert the omission of the verb or the verbal paradigm indicative to the absolute being or existence in this kind of sentences , on research of identical examples in Arabic language ,several cases were found out in which a verbal paradigm[14] indicative to the absolute being or existence was mentioned as follow exs.

The subject is being talked about, whither it is a noun or a pronoun, both have no meaning on their own, but both are to designate things .

[11]The verb describes an action and has a tense and mood. The adverb modifying a verb, an adjective, or another adverb;G.Englund, Middle Egyptian. An Introduction.Uppsala1988,p.130.

[12] الزمخشرى، الفصل في النحو، صفحه 119.

[13] عباس حسن, نفس المرجع, صفحه 475حاشيه(2)، و يقول ابن مالك وأخبروا بظرف أو بحرف جر ناوين معنى كائن أو استقر . المرجع السابق, صفحه 479,حاشيه (1)

The previous line is a verse from a poem composed by Ibn Malek (1000 verse) dealing with all the rules of Arabic grammar, he says in this verse "they predicate with an adv. or a preposition, intending the meaning of being or settled" , even in English the term predicate ought, in grammar, strictly to include the copula (is, are etc) .

[14]In our colloquial Arabic in Egypt , we incline to use the pseudo verbal constructions rather than the verbal sentences which we use only with the aux. verbs like قعد, قام, راح, جه.

جميع البساتين و الجنائن الكائنة بمصر و بولاق و مصر القديمه[15].

التى كانت موجودة تحت بيوت الأعيان[16].

فقتلهما الإنكشارية لكون الغريم أرنؤوديا من جنسهما[17].

و فى ذلك اليوم احترق جامع قايتباى الكائن بالروضه[18].

بحيث انه موجودة شواهد أو بحيث انه موجودة عليه شواهد[19].

In addition to that, if we want to express a situation in the past or in the future we have to use an existential verb or a verbal paradigm of verb k*ā*n*a* in the sentence, exs. (present) *ana fi elbet* *"I , in the house" or *ana mawgoudh fi elbet* , lit. "I am existing in the house" , (future) *bukrh ha akoun mawgoudh fi elbet* , or *bukrh ha akoun fi elbet* , lit. "tomorrow I will be in the house", (past) *embareh kunt fi elbet* , "yesterday , I was in the house".

This was the same case in the classical Egyptian, when, however it was desired to convey more explicitly some temporal or modal distinction of meaning, its overt expression is delegated to verbal sentence with a sDm.f form of the verb wnn as predicate[20] , ex. iw. k nTr wnn.k m nTr[21]. "you are divine and you will be divine".

iw can play the role of a verb indicative to the absolute being or existence in the adverbial sentence for many reasons :-

1- iw can be a predicate of a subject of an absolute existential sentence ex.

iw Ssp Dd N iw knH Dd N[22].

"There is light (or the light exists), says the Deceased; There is darkness (or the darkness exists), says the Deceased".

---

[15] المختار من تاريخ الجبرتى ,الحمله الفرنسيه فى مصر ,مكتبة الأسرة 1998,صفحة 142.

[16] المرجع السابق ,ص134.

[17] المرجع السابق , ص179.

[18] المرجع السابق ,ص186.

[19] المرجع السابق , ص26.

[20] A. Loprieno, op cit. , p.122 f .

[21] CT I 55 b . ;A. loprieno, Ibid .

[22] CT IV 29e

iw Sw m aq-ib[23].

" There is a lack of close friends" يوجد شُح فى اللى يدخل القلب .

Here iw is an existential predicate , I think as a verb, not as a particle introducing a nominal pattern[24] , but this verb was unfit to express time .
The negative counterpart of these statements uses nn which is used to negate the existence and the adv. sentences[25]. Ex. nn mAatiw[26] "There are no righteous men" , nn tms Hr.s[27] "There is no redness on it" , nn mwt.k Hna.k[28] "Your mother is not with you".Whears the negative word before iw is extremely rare , ex. n iw.k m pt[29] "you are not in heaven".Being understood, iw is always omitted in the case of negation.

2-The origin of iw is uncertain, some connect it with the Hebrew hwy " to be" , but a more likely view is that it is merely the Egyptian verb iw "come" specialized for use as the copula[30]. There is a relationship between coming and existence, the existence is the result of coming, even the Libyco – Berber copula – ga- might be borrowed from Arabic gā` "came" that after implies "become, be"[31].
Loprieno believes that the origin of iw has to be sought in a verbal lexeme indicating existence "there is, it happens that," and the like. This lexeme was grammaticalized as a complementizer already in the formative period of the language, leaving only sporadic instances of its earlier, semantically fuller use[32].
3-In many cases, the subject after iw is omitted[33] when it is clear from the context or when it doesn't refer to anything in particular, in this case the adv. predicate comes after iw directly, this means that it depends upon it,

[23] **Dispute between a Man and his Ba 123-124.**

[24] **A. Loprieno, op.cit., p. 122 .**

[25] **J.P.Allen,op. cit.,p. 121.**

[26] **Leb.122.**

[27] **J.P.Allen, Ibid.**

[28] **M.u.K.verso 2,3 ; Ibid.**

[29] **A. Gardiner, op. cit, §120.**

[30] **A.Gardiner, Ibid., § 461.**

[31] **E. Lipinski, Semitic languages . Outline of a comparative grammar, OLA 80,1997,p.479 .**

[32] **A. Loprieno, op. cit. P. 167f .**

[33] **P. Grandet, B. Mathieu, op. cit. , p. 58 .**

ex. iw mi sxr nTr[34]. " it was like the plan of god" . Even the adverb (m)min could stand between iw and the subject, it modifies iw here,
ex. iw (m)min bAk Xr nht "today, the servant is under the sycamore"[35].

From all what we have previously said, we find that the function of iw in the adverbial sentence could be interpreted as the morpheme indicative to the absolute or universal being or existence . Whither this morpheme is mentioned or not, it doesn't make any difference, because it is understood, ex. iw Xnw m sgr ib.w m gmw[36] . "The residence was in silence ; the hearts were in grieve".
iw dAbw im.f Hna iArrt.... dqrw nb Hr Xt.w.f ...iw it im Hna bdt[37] "figs were in it, and also grapes……,all kinds of fruit were on its trees……,barley was there and emmer".
rm.w im Hna Apd.w[38] "fishes were there together with birds", its omission from the sentence resembles the omission of the "element" indicative to the absolute being or existence in the adverbial sentence in Arabic, but its presence, is syntactically more correct .

If the last explanation is accepted nothing prevents it (iw) to be used in some places as a copula especially with the suffix pronouns .But this is not the only copula used with the personal pronouns .
Various Semitic languages employ the personal pronoun as a kind of substitute for copula. While South Ethiopic and Tiger make use of two particles viz . n and nt > tt > t both of which have an Afro-Asiatic background[39].
The element – nt- and its construction with pronominal suffixes[40] are exactly paralleled by Egyptian and Tuareg independent pronouns[41] :

[34] **Sin. B 43.**

[35] **P. Grandet, B. Mathieu, Ibid. , p.52, note 2 .**

[36] **Sin. R 8-9 .**

[37] **Sin. B81,83,84.**

[38] **Sh. S.50-1.**

[39] **E. Lipinski, op. cit, p. 476 .**

[40] **On the other interpretations of the morphology of the independent pronouns which connect it with the particle in , see, A.Loprieno, op. cit, p. 64f .The OK form of the independent pronoun for second person and third person singular are displaying an element t following the corresponding form of the enclitic pronoun 2per. m. s. Twt , f. Tmt , 3per. m. s. swt , f. stt . Ibid.**

Egyptian	Tuareg	Harari	Gafat	Tiger	
nt-s	nt-a	int-a	tt-a	t-a	"she is"

The n- copula is used with pronominal suffixes of the verb in all South Ethiopian languages, except Harari. This copula is related to the Tuareg and Cushitic pronominal element n (Tuareg n-∂k " I ") and to the Egyptian in (ink " I ")[42].

The same thing could be applied on the initial element tw of the first and second persons of the pronominal compound[43] (it is also called the proclitic pronoun of L.Eg[44].and the subject form of the personal pronouns[45]), it is related to the copula t- of Tiger.

So, it is clear that the copula is implied in these pronouns . The same could be said about the relationship between iw and the suffix pronouns, i.e.all these pronouns have their own copula.

[41] **E.Lipinski, Ibid.**

[42] **Ibid.**

[43] **Its paradigm consists of the element tw plus the suffix pronouns for the first and second person, and dependent pronouns for the third person .This form is used only as subject in a sentence with adverbial predicate, it always stand first in the sentence and is not used after particles .; J P Allen, op. Cit.,p. 115. Loprieno believes that tw < Ti < sT (the conjunctive "while"), A.Loprieno, Ibid. p.67(c) .**

[44] **Ibid.**

[45] **J.P.Allen, Ibid.**

ARAB JOURNAL OF ARCHEOLOGY - **VOLUME 1 - january 2000**

ARAB JOURNAL OF ARCHEOLOGY

Published by
ARAB COUNCIL FOR GRADUATE STUDIES AND SCIENTIFIC RESEARCH

ARAB COUNCIL FOR GRADUATE STUDIES AND SCIENTIFIC RESEARCH
Tharwat Street, Cairo Univ. Hostel, Giza-12613, Egypt
TWL: (202) 5676036 – 5676055 – FAX:7602658
E-MAIL : acgssr@Intouch.com